الكامل في التاريخ

لابن الأثير

دار الكتاب العربي
بيروت

Marfat.com

Marfat.com

الكامل في التاريخ

الكامل في التاريخ

للامام العلامة عمده المؤرخين أبى الحسن على بن أبى الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبانى المعروف بابن الاثير
الجزرى الملقب بعز الدين
المتوفى سنه ٦٣٠ هـ

الجزء الأول

عُنِيَ بمراجعة أصوله والتعليق عليه
نخبة من العلماء

وتميزت هذه الطبعة بفهارس شاملة

الناشر
دار الكتاب العربى
ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

Marfat.com

Marfat.com

جَمِيعُ الحقوق مَحفوظَة

الطبعة الخامسة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢ ٨٠٠٨١١ ٨٠٥٤٧٨

تلكس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقياً: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

الجزء الأول

Marfat.com

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين * وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين *

أما بعد فان علم التاريخ هو الحافظ للعلوم بنقلها من الماضى إلى الحاضر والآتي ، الكافل بتبيان صورة تدوينها مع التنويه بأسماء المؤسسين والناشرين والمحققين * وهو الناقل لنا صور الماضى وما فيه من حوادث وقصص وعبر لتكون خير مرشد للمتأخرين * وهو نعم الداعى إلى الفضيلة باذاعة مناقب أرباب الكمال وأولى النهى والمزايا العظيمة * وأحسن زاجر للطغاة عن طغيانهم بما يسود صفحاته من أعمالهم ، وبما ينعاه على عمال الفساد فى أفعالهم ، وهو مفزع العلماء إذا عميت السبل ، وموئل غيرهم للاستفادة من حوادث الماضى ، والمحذر من الوقوع فى أسباب الكوارث التى قوضت أمما ، وأفسدت شعوبا ، ومزقت قبائل ، وخربت قرى وبلدانا كثيرة * وهو السلسلة التى تربطنا بمن قبلنا ، وتعرفنا بهم وبما كانوا عليه وما صدر عنهم وفيهم من الأحوال والشؤن *

لهذا كله رأت الأدارة المنيرية أدامها الله تعالى أن من تمام الخطة التى رسمتها ونشرتها للملأ سابقاً - وهى نشر الكتب النافعة من علوم الكتاب والسنة ومايتوصل إلى فهمهما من أدب وسنة ولغة وأخبار وتراجم - أن تسعى لاحياء كتب التاريخ *

Marfat.com

Marfat.com

وكان فى طليعة كتبه المنتشرة تاريخ الكامل للعلامة الكبير أبى الحسن عز الدين على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى فانه جمع فيه خلاصات كتب من سبقه وهذبها ونقحها حتى جاز أن يكون هو الحائز قصب السبق على ماسواه من كتب التاريخ ، إذ استطاع أن يأتي بكل ما كتبه أبو جعفر الطبرى وزاد عليه حقائق كثيرة استخرجها من التواريخ الأخرى غيره حسبماذكر ذلك فى خطبة كتابه — علاوة على أنه يشتمل على أربعة قرون أخر ، وهى التى فيها التطورات الكثيرة ، والوقائع العجيبة ، والحوادث الغريبة ولكن طبعاته قدنفذت ولا تخلو من أغلاط وتصحيفات لايدركها الاالاخصائيون فى هذا العلم الواسع الأرجاء ، والمترامى الأطراف ، والمتشعبة أقسامه التى يضيق عنها الحد — فقررت الادارة إعادة طبعه صحيحاً متقناً على ورق صقيل ، وحرف جميل *

ولكى يخرج خالياً من عيوب التحريف ونقص التصحيف كلفت المؤرخ الكبير والاستاذ الجليل صاحب الفضيلة الشيخ عبدالوهاب النجار أستاذ التاريخ فى قسم التخصص فى الازهر الشريف الآن وفى الجامعة المصرية سابقا بأن يعضدها فى إصلاح ماوقع فى نسخه المطبوعة من غلط وأن يجود عليها برأيه الثاقب وببيان ملاحظاته على مافى الكتاب مما يراه مستحق النقد أو خلاف الصواب فوعد بانه يتكرم بذلك ولا يتأخر عن مد يد المساعفة بفكره الصائب وقلمه الحر السيال * فكان هذا خير منشط للادارة على الاقدام على طبعه لوثوقها بان هذه الطبعة ستكون أصح ماطبع بقطع النظر عن جودة الطبع وحسن الحرف وصحته والورق الجيد الصقيل فان ذلك عادة الادارة فى مطبوعاتها عامة والله نسأل أن يسدد خطواتنا ويجنبنا مزال الخطأ والخطل إنه سميع الدعاء ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم . فلا أول لوجوده * الدائم الكريم. فلا آخر لبقائه ولانهاية لجوده * الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه * القادر فكل مافى العالم من أثر قدرته * المقدس فلا تقرب الحوادث حماه * المنزه عن التغيير فلا ينجو منه سواه * مصرف الخلائق بين رفع وخفض * وبسط وقبض * وإبرام ونقض * وإماتة وإحياء *وإيجاد وإفناء * وإسعاد وإضلال *وإعزاز وإذلال * يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء * ويعزمن يشاء ، ويذلمن يشاء * بيده الخير وهو على كل شيء قدير* مبيد القرون السالفة* والأمم الخالفة * لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزاً * فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟ * بتقديره النفع والضر * وله الخلق والأمر * تبارك الله رب العالمين * أحمده على ما أولى من نعمه * وأجزل للناس من قسمه * وأصلى على رسوله محمد سيد العرب والعجم * المبعوث إلى جميع الأمم * وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم * صلى الله عليه وعليهم وسلم*

(أما بعد) فاني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثرا للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيها ، مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة فى مطاويها ،فلما تأملتها رأيتها متباينة فى تحصيل الغرض * يكادجوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض * فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات* ومختصر قد أخل بكثير مما هوآت * ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات * والمشهور من الكائنات * وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التى الاءعراض عنها أولى ، وترك تسطيرها احرى ، كقولهم خلع فلان الذمى صاحب العيار ، وزاد رطلا فى الاسعار، وأكرم

Marfat.com

فلان ؛ وأهين فلان، وقد أرخ كل منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه * وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليـه * والشرقى منهم قد أخل بذ كر أخبار الغرب ، والغربى قد أهمل أحوال الشرق ؛ فـكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كـثيرة وكـتب متعددة مع مافيها من الاخلال والاملال *

فلما رأيت الأمر كـذلك شرعت فى تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليـكون تذ كرة لى أراجعه خوف النسيان ، وآتي فيه بالحوادث والـكائنات من أول الزمان ، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا ، ولا أقول إنى أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتـاريخ فان من هو بالموصل [1] لابد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب ، ولـكن أقول إني قد جمعت فى كـتابى هذا مالم يجتمع فى كـتاب واحد ، ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الـكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى [2] إذ هو الـكتاب المعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف اليه ، فاخذت مافيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها ، وقد ذ كرهو فى أ كثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشىء اليسير أو نقصه ، فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ماليس فيها وأودعت كل شىء مكانه فجاء جميع مافى تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه *

فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبرى ماليس فيه ووضعت كل شىء منها موضعه إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ فاني لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيئا الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان أو مالا يطعن على أحد منهم فى نقله * وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا ، الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا ، على انى لم أنقل الا من التواريخ المذكورة ، والـكتب المشهورة ، ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه ، وصحة مادونوه ، ولم أ كن كالحابط فى ظلماء الليالى ولا كمن يجمع الحصباء واللآلى ، ورأيتهم أيضا

---

(١) هى محل اقامة المصنف رحمه الله . تقع على شاطىء دجلة ويقابلها من الجانب الشرقى نينوى وتلقب الآن بالموصل العتيقة . قال فى مراصد الاطلاع : وسميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات (٢) هو الامام محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبرى كان اماما فى فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، وعده ابو اسحق الشيرازى صاحب المهذب من المجتهدين وله تآليف كثيرة ، ولد سنة ٢٢٤ ودفن يوم الأحد فى داره فى السادس والعشرين من شوال سنة ٣١٠ ببغداد *

Marfat.com

يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ويذكرون منها فى كل شهر أشياء فتاتى الحادثة مقطعة لايحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر، فجمعت أنا الحادثة فى موضع واحد وذكرت كل شىء منها فى أى شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي لايحتمل منها كل شىء ترجمة فانني أفردت لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة فأقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من تبع وملك فى قطر من البلاد ولم تطل أيامه فاني أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت فى آخر كل سنة من توفى فيها من مشهورى العلماء، والأعيان والفضلاء، وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة فى الخط المختلفة فى اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الإشكال، ويغنى عن الأنقاط والأشكال ،*

فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت ، وقواطع توالت وتعددت ، ولان معرفتي بهذا النوع كملت وتمت ، ثم ان نفرا من إخوانى ؛ وذوى المعارف والفضائل من خلانى ، ممن أرى محادثتهم نهاية أوطارى ، وأعدهم من اماثل مجالسى وسمارى ؛ رغبوا الى فى أن يسمعوه منى ،ليرووه عنى ، فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فانى لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح [1] فيها من غلط وسهو ، ولا اسقطت منها ما يحتاج الى إسقاط ومحو ، وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون ؛ وعن الاعراض معرضون ، وشرعوا فى سماعه قبل اتمامه وإصلاحه؛ وإثبات ماتمس الحاجة اليه وحذف مالابد من اطراحه ، والعزم على اتمامه فاتر ، والعجز ظاهر ؛ للاشتغال بما لابد منه لعدم المعين والمظاهر ، ولهموم توالت ، ونوائب تتابعت ، فأنا ملازم الاهمال والتوانى ، فلا أقول : انى لأسير اليه سير الشوانى [2] *

فبينما الأمر كذلك اذ برز أمر من طاعته فرض واجب ، واتباع أمره حكم لازب ، من أعلاق [3] الفضل باقباله عليها نافقة [4] ، وأرواح الجهل باعراضه عنها نافقة؛ [5] من أحيا المكارم وكانت أمواتاً ، وأعادها خلقا جديدا بعد أن كانت رفاتا ، من عم رعيته عدله

---

(١) الظاهر أن لفظ أصلح لازوم له (٢) الشوانى جمع شانية وهى فى عرف أهل زمان المؤلف سفينة كبيرة تشحن فيها المؤن والجنود (٣) جمع علق وهو النفيس من كل شىء (٤) اى رائجة وطلابها كثيرون (٥) نافقة هنا بمعنى زاهقة يقال نفقت الدابة بمعنى زهقت روحها وماتت *

Marfat.com

ونواله ،، وشملهم إحسانه وإفضاله : مولانا مالك الملك الرحيم ،العالم المؤيد،المنصور،المظفر بدر الدين ، ركن الاسلام والمسلمين، محيي العدل فى العالمين ، خلد الله دولته *

فحينئذ ألقيت عنى جلباب المهل، وأبطلت رداء الكسل، وألقت الدواة [١] وأصلحت القلم ، وقلت هذا أوان الشد فاشتدى زيم ،[٢] وجعلت الفراغ [٣] أهم مطلب * واذا أراد الله أمرا هيأ له السبب * وشرعت فى اتمامه مسابقا * ومن العجب ان السكيت [٤] يروم ان يجيء سابقا * ونصبت نفسى غرضا [٥] للسهام * وجعلتها مظنة لأقوال اللوام * لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهذب * والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب * الذى تكررت مطالعته وتنقيحه * وأجيد تأليفه وتصحيحه * فهى بغيره أولى * وبه أحرى * على انى مقر بالتقصير ، فلاأقول ان الغلط سهو جرى به القلم * بل أعترف بان ما أجهل أكثر مما أعلم *

(وقد سميته) اسما يناسب معناه وهو الكامل فى التاريخ * ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ، ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ويلغيها ،ظنا منه أن غاية فائدتها انما هو القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار ؛ [٦] وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ، وأصبح مخشلبا [٧] جوهره ، ومن رزقه الله طبعا سليما ، وهداه صراطا مستقيما ، علم ان فوائدها كثيرة ، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة [٨] غزيرة [٩] ، وها نحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها ، ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها *

(فأما فوائدها الدنيوية) فمنها ان الانسان لايخفى انه يحب البقاء، ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء: فياليت شعرى ! أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ماقرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟ فاذا طالعها فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم :[١٠] *

---

(١) القت الدواة جعلت لها ليقة وهى شىء من حرير ونحوه يجعل فى الدواة ويصب عليها الحبر (٢) قال فى اللسان هو اسم ناقة أو فرس وهو يخاطبها يأمرها بالعدو وحرف النداء محذوف اه ثم صار مثلا يضرب للشدة والامر الصعب (٣) يعنى المؤلف بالفراغ هنا اتمام الكتاب (٤) السكيت من اسماء خيل السباق وهو الذى يجىء آخرا الخيل (٥) هو الهدف الذى يرمى اليه اه مصباح (٦) جمع سمر بفتحتين وهو حديث الليل (٧) هو خرز يتخذ منه حلى واحدته مخشلبة، اعجمى سمى باسم امرأة اتخذته حليا اه المخصص لابن سيده (ج ٤ : ص ٥٣) (٨) قال فى اللسان بئر جمة — بفتح الجيم — وجموم كثيرة الماء (٩) قال ابن سيده الغزير الكثير من كل شىء والغزيرة من الابل والشاة وغيرهما من ذوات اللبن الكثيرة الدر (١٠) أى جلس معهم جنبا لجنب واصغى لقولهم قال الليث وحاضرته جاثيته عند السلطان اه لسان

Marfat.com

Marfat.com

ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ماأعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفسادالأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطرحوها * واذا رأوا سيرة الولاةالعادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكرالجميل بعد ذهابهم، وان بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالهادرت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا[1] عليه وتركوا ماينافيه، هذا سوى مايحصل لهم من معرفةالآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا[2] نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا *

ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لايحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا. ويصبح لان يقتدى به اهلا. ولقد أحسن القائل حيث يقول:

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع * إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للانسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزى من التجربة، وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له وإلا فهو زيادة فى عقله الأول *

ومنهاما يتجمل بهالانسان فى المجالس والمحافل من ذكرشىء من معارفها،ونقل طريفة من طرائفها، [3] فترى الاسماع مصغية اليه. والوجوه مقبلة عليه: والقلوب متاملة مايورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره *

---

(١) اى واظبوا واوموا (٢) الذى فى معاجم اللغة كالمصباح والصحاح والقاموس واللسان صانه أى حفظه ولا يقال اصانه وزاد فى اللسان اصطانه مستدلا بقول أمية بن ابى الصلت

ابلغ اياسا ان عرض ابن اختكم ردائك فاصطن حسنه أوتبذل

اراد فاصطن حسنه - بفتحتين - فوضع المصدر موضع الصفة اه وليس فيها استصان بمعنى حفظ (٣) جمع طريفة وهى المختار من اول الشىء سميت بذلك لكرمها كما فى اللسان وفيه ايضا: وطرائف الحديث مختاره أيضا كاطرافه قال

اذكر من جارتى ومجلسها طرائفا من حديثها الحسن

(وأما الفوائد الأخروية) فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها، ورأى تقلب الدنيا باهلها، وتتابع نكباتها الى أعيان قاطنيها، وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تبق على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزود للآخرة منها، ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعل قائلا يقول: مانرى ناظرا فيها زهد فى الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب فى درجاتها العليا، فياليت شعرى! كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز - وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام - يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فان القلوب مولعة بحب العاجل *

ومنها التخلق بالصبر والتأسى وهما من محاسن الأخلاق فان العاقل اذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم؛ ولا ملك معظم، بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ماأصابهم، وينوبه مانابهم *

وهل أنا الا من غزية؟ إن غوت * غويت وأن ترشد غزية أرشد

ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد». فان ظن هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسك من أقوال الزيغ بمحكم سببها، حيث قالوا: هذه أساطير الأولين اكتتبها *

نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا، ويوفقنا للسداد فى القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل *

(ذكر الوقت الذى ابتدىء فيه بعمل التاريخ فى الاسلام)

قيل: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بعمل التاريخ. والصحيح المشهور ان عمر ابن الخطاب أمر بوضع التاريخ، وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعرى كتب الى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ بمبعث النبى ﷺ وقال بعضهم: بمهاجرة رسول الله ﷺ فقال عمر: بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبى، وقال ميمون بن مهران: رفع الى عمر صك محله شعبان فقال: أى شعبان؟ أشعبان هو آت أم شعبان الذى نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ ضعوا للناس شيئا يعرفونه، فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم

Marfat.com

Marfat.com

فانهم يؤرخون من عهد ذى القرنين فقال: هذا يطول. فقال: اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل: ان الفرس كلما أقام[1] ملك طرح تاريخ من كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا: كم أقام رسول الله بالمدينة؟ فوجدوه عشر سنين، فكتبوا للتاريخ من هجرة رسول الله ﷺ. وقال محمد بن سيرين: قام رجل إلى عمر فقال: أرخوا، فقال عمر: ما أرخوا؟ فقال شىء تفعله الأعاجم فى شهر كذا من سنة كذا فقال عمر: حسن فأرخوا، فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا: من أى الشهور؟ فقالوا: من رمضان، ثم قالوا: فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام، فاجمعوا عليه. وقال سعيد بن المسيب: جمع عمر الناس فقال من أى يوم نكتب التاريخ؟ فقال على: من مهاجرة رسول الله ﷺ وفراقه أرض الشرك ففعله عمر، وقال عمرو بن دينار: أول من أرخ يعلى بن أمية وهو باليمن *

وأما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم، يؤرخون من نار ابراهيم الى بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، ثم أرخ بنو اسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم، ومن بقى بتهامة من بنى اسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى، وأرخوا من موته إلى الفيل، ثم كان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم، وفى ذلك قول بعضهم *

هاأنا ذا آمل الخلود وقد * أدرك عقلى مولدى حجرا

وقال الجعدى

فمن يك سائلا عنى فانى * من الشبان أيام الختان

وقال آخر

وماهى إلا فى إزار وعلقة * بغارابن همام على حى خثعما

وكل واحد أرخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا فى التاريخ والله أعلم *

(القول فى الزمان)

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب

---

(١) كذا بالاصل ولعله قام وزيدت الالف اثناء النسخ سهواً ويجوز ان يكون اقام بمعنى دام وتوطد من الاقامة فيكون التاريخ خاصاً بمن طال امد ملكه *

تقول أتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعنى به وقت الصرام وكذلك اتيتك ازمان (الحجاج أمير) ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من أوقات امارته من الأزمنة *

(القول فى جميع الزمان من أوله إلى آخره)[1]

اختلف الناس فى ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه : سبعة آلاف سنة ، وقال وهب بن منبه : ستة آلاف سنة ، قال أبو جعفر [2]: والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «أجلكم فى أجل من قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس» وروى نحو هذا المعني أنس وأبو سعيد إلا أنهما قالا : إلى غروب الشمس وبدل صلاة العصر بعد العصر ، وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى، وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعيد وبريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الأنصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه أخبار صحيحة *

قال : وقد زعم اليهود أن جميع ماثبت عندهم على مافى التوراة من لدن خلق آدم إلى الهجرة أربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان وأربعون سنة ، وقالت اليونانية من النصارى : إن من خلق آدم إلى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل أن اليهود إنما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى إذ كانت صفته ومبعثه فى التوراة وقالوا : لم يأت الوقت الذى فى التوراة أن عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته ، قال : وأحسب أن الذى ينتظرونه ويدعون صفته فى التوراة هو الدجال *

وقالت المجوس : ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث إلى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لايذكرون مع ذلك شيئا يعرف فوق جيومرث

---

(١) ليس من وظيفة المؤرخ أن يتكلم على أمور لم يوجد لها سند كبدء الخلق ومدة وجود العالم . فان الناس ليس فى ايديهم سند تاريخى دون حين حدوث تلك الحوادث . ولا سبيل الى تحقيق شىء من ذلك ولا الى معرفته على التقريب . ومايذكر فى كتب التوراة كما فى سفر التكوين لايمكن التعويل عليه وبخاصة اذا عرفنا ان التوراة العبرية تخالف اليونانية وهما تخالفتان لما فى السامرية والمتتبع لذلك لايصل الى شىء يحسن السكوت عليه وكان الاجدر بالمؤلف وغيره من المؤرخين الا يتعرضوا لمثل هذه المآزق التى لايتحصل منها فى يد الانسان شىء تطمئن اليه النفس (٢) يريد بابى جعفر ابن جرير الطبرى صاحب التاريخ وكذلك فى كل ماقال ابو جعفر اه الادارة *

Marfat.com

ويزعمون أنه هو آدم وأهل الأخبار مختلفون فيه ، فمن قائل مثل قول المجوس، ومن قائل: انه يسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان بارا بنوح فدعاله ولذريته بطول العمر والتمكين فى البلاد واتصال الملك فاستجيب له فملك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر*

(قلت) ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولا تتضمن الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئا أم لا ؟ وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى وأنه أحدث كل شىء واستدل على ذلك باشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه فانه بعلم الأصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه فى كتبهم فرأينا تركه أولى*

(بريدة) بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء*

(القول فى ابتداء الخلق وما كان أوله)

صح فى الخبر عن رسول الله ﷺ فيما رواه عنه ، عبادة بن الصامت أنه سمعه يقول : «إن اول ماخلق الله تعالى القلم، وقال له ا كتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن» وروى نحو ذلك عن ابن عباس. وقال محمد بن اسحاق: أول ماخلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النور نهارا أبيض مضيئا والأول أصح للحديث، وابن اسحق لم يسند قوله الى أحد ، واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة؛ وأجاب بان هذا الحديث إن كان صحيحا فقد رواه شعبة أيضا عن ابي هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه: روى أنه قال أول ماخلق الله القلم *

(القول فيما خلق بعد القلم)

ثم ان الله خلق - بعد القلم وبعد أن أمره فكتب ماهو كائن الى يوم القيامة - سحابا رقيقا وهو الغمام الذى قال فيه النبى ﷺ : وقد سأله أبو رزين العقيلى: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال : فى غمام ماتحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذى ذكره الله فى قوله: «هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام» ؟ *

(قلت): فيه نظر لانه قد تقدم أن أول ماخلق الله تعالى القلم وقال له: ا كتب فجرى فى تلك الساعة ثم ذكر فى أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو

Marfat.com

Marfat.com

كائن سحاباو من المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شيء يكتب فيه وهو الذى يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبغى أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا للقلم والله أعلم، ويحتمل أن يكون ترك ذكره لانه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة *

ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام؟ فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أول ماخلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون : خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبي صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل: إن الذى خلق الله تعالى بعد القلم الكرسى ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه ،قال : وقول من قال : ـ ان الماء خلق قبل العرش ـ أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبى ﷺ ، وقد قيل : ان الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس فان كان كذلك فقد خلقا قبل العرش، وقال غيره: ان الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئا بألف عام *

واختلفوا أيضا فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والأرض ، فقال عبدالله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ؛ ابتداء الخلق يوم الأحد ،وقال محمد بن اسحاق: ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة ، واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم ، فقال عبد الله بن سلام: ان الله تعالى بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الارضين يوم الاحد والاثنين وخلق الأقوات والرواسى فى الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه الا انهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة ،وقال ابن عباس من رواية على بن أبي طلحة عنه : ان الله تعالى خلق الأرض باقواتها من غير أن يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) وهذا القول عندى هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه : ان الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو، وروى السرى عن أبى صالح ،وعن أبى مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود فى قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال : ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ،

ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين يوم الأحد ويوم الاثنين فخلق الارض على حوت ، والحوت النون الذى ذكره الله تعالى فى القرآن فى قوله (ن والقلم) والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى (وجعلنا فيها رواسى أن تميد بكم) قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم : كل يوم من هذه الايام الستة التى خلق الله فيها السماء والارض كألف سنة *

(قلت) أما ماورد فى هذه الأخبار من ان الله تعالى خلق الأرض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا انما هو مجاز والا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالى لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وانما المراد به انه خلق كل شىء بمقدار يوم كقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وليس فى الجنة بكرة وعشى *(سلام)* والد عبد الله بتخفيف اللام *

(القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه)

قد ذكرنا ماخلق الله تعالى من الأشياء قبل خلق الأوقات وأن الأزمنة والأوقات انما هى ساعات الليل والنهار وأن ذلك انما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأى ذلك كان الابتداء ؟ أبالليل أم بالنهار ؟ فان العلماء اختلفوا فى ذلك فان بعضهم يقول : ان الليل خلق قبل النهار ؛ ويستدل على ذلك بأن النهار من نور الشمس فاذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التى هى الليل واذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على ان الليل هو الأول وهذا قول ابن عباس ، وقال آخرون : كان النهار قبل الليل واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شىء معه ولا ليل ولا نهار وأن نوره كان يضىء به كل شىء خلقه حتى خلق الليل *قال ابن مسعود : ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه ، قال أبو جعفر : والاول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فبدأ بالليل قبل النهار ، قال عبيد بن عمير الحارثى : كنت عند على فسأله ابن الكواء عن السواد الذى فى القمر فقال ذلك آية محيت ،

Marfat.com

وقال ابن عباس مثله ،وكذلك قال مجاهدوقتادة وغيرهما لذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنورمن القمر *

(قلت) وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبي ﷺ فى خلق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلاثمائة وستون عروة يجرها بعددها من الملائكة وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان فى بحر بين السماء والارض فذلك كسوفهما ، ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من الكسوف ،وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها ،ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى(جابرسا)وأخرى بالمشرق تسمى(جابرقا) ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لاتعود الحراسة اليهم الى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس الى أشياء أخر لاحاجة الى ذكرها فاعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير صحيح ،ومثل هذا الأمر العظيم لايجوز أن يسطر فى الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف*

واذ كنا قد بينا مقدار مدة مابين أول ابتداء الله عز وجل فى انشاء ماأراد انشاءه من خلقه الى حين فراغه من انشاء جميعه من سنى الدنيا ومدة أزمانها ، وكان الغرض فى كتابنا هذا ذكر ماقد بينا أناذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها وأزمان الرسل والانبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ماتصح به التاريخات وتعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر . فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته وجحد ربوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله ، ثم نتبعه ذكر من استن سنته واقتفى أثره وأحل الله به نقمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى *

(قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطغائه آدم عليه السلام)

فاولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والأرض فيماذكر وجعله مع ذلك خازنا من خزان الجنة فاستكبر على ربه وادعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمسخه الله تعالى شيطانا رجيما ، وشوه خلقه ، وسلبه ما كان خوله ، ولعنه وطرده عن سماواته فى العاجل ، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه فى الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من

Marfat.com

Marfat.com

غضبه ومن الحور بعد الـكور[1] *

ونبدأ بذكر الأخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الـكرامة وبادعائه مالم يكن ونتبع ذلك بذكر أحداث فى سلطانه وملـكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذى به زال عنه ان شاء الله تعالى *

(ذكر الأخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك وذكر الاحداث فى ملـكه)

روى عن ابن عباس وابن مسعود أن ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائـكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملـكه خازنا،قال ابن عباس: ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطانا رجيما ، وروى عن قتادة فى قوله تعالى «ومن يقل منهم انى إله من دونه» انما كانت هذه الآية فى ابليس خاصة لمـا قال ماقال لعنه الله تعالى « وجعله شيطانا رجيما » وقال « فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين » وروى عن ابن جريج مثله *

وأما الاحداث التى كانت فى ملـكه وسلطانه :فمنها ماروى عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنا من خزان الجنة ،قال :وخلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهبت وخلق الانسان من طين فاول من سكن فى الارض الجن فاقتتلوا فيها وسفـكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا ،قال : فبعث الله تعالى اليهم ابليس فى جند من الملائكة وهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه وقال : قد صنعت مالم يصنعه أحد ، فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه ، وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمدانى عن ابن مسعود أنهما قالا : لمـا فرغ الله تعالى من خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملـكه خازنا فوقع فى نفسه كبر وقال: ما أعطاني الله تعالى هذا الامر الا لمزية لى على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال: اني جاعل فى الارض خليفة ، قال ابن عباس: وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الـكبر وهذا قول ثالث فى سبب كبره ،

---

(١) الحور هو بالحاء المهملة المضمومة الهلاك والنقص ، والـكور بضم الـكاف الزيادة، ومنه الحديث « نعوذ بالله من الحور بعد الـكور » *

وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا،فقال:اسجدوا لآدم فقالوا : لانفعل فبعث عليهم نارا فاحرقتهم؛ثم خلق خلقا آخر فقال اني: خالق بشرا من طين فاسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله تعالى عليهم ناراً فاحرقتهم، ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال : اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا * وقال شهر بن حوشب : ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء، وروى عن سعيد بن مسعود ذلك *

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: كما قال الله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وجائز أن يكون فسوقه من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز أن يكون لكونه من الجن *(ومرة الهمدانى)* بسكون الميم والدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن *

(ذكر خلق آدم عليه السلام)

ومن الأحاديث فى سلطانه خلق أبينا آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى أن يطلع ملائكته على ما علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة :(إني جاعل فى الارض خليفة قالوا:أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ؟) روى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذى كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى: أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟فقال الله لهم : (إني أعلم ما لا تعلمون) يعنى من انطواء إبليس على الكبر والعزم على خلاف أمرى واغتراره وأنا مبد ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الأرض فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منى وتشيننى فرجع ولم يأخذ منها شيئا وقال :يارب !انها عاذت بك فاعذتها؛ فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها فرجع وقال مثل جبريل؛فبعث اليها ملك الموت فاستعاذت منه فقال: أنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمر ربى فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . وروى أبو موسى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم

Marfat.com

الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بلت طينته حتى صارت طينا لازبا، ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا، ثم تركت حتى صارت صلصالا كما قال ربنا تبارك وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأمسنون) - واللازب الطين الملتزب بعضه ببعض - أى ثم ترك حتى تغير وأنتن وصار حمأ مسنونا يعنى منتنا ثم صار صلصالا وهو الذى له صوت * وانما سمى آدم لانه خلق من اديم الارض قال ابن عباس: أمر الله بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حما مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد الالتزاب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر إبليس عن السجود له قال: فمكث أربعين ليلة وقيل أربعين سنة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أى يصوت قال فهو قول الله تعالى: (من صلصال كالفخار) يقول: هو كالمنفوخ الذى ليس بمصمت. ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئا ولشىء ماخلقت، ولئن سلطت عليك لاهلكنك، ولئن سلطت على لاعصينك فكانت الملائكة تمر به فتخافه، وكان إبليس أشدهم منه خوفا * فلما بلغ الحين الذى أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: اذا نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل رأسه وكان لايجرى شىء من الروح فى جسده الا صار لحما، فلما دخلت الروح رأسه عطس فقالت له الملائكة: قل الحمد لله وقيل: بل الهمه الله التحميد فقال: الحمد لله رب العالمين فقال الله له: رحمك ربك يا آدم * فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلذلك يقول الله تعالى: (خلق الانسان من عجل) فسجد له الملائكة كلهم إلا ابليس استكبر وكان من الكافرين فقال الله له: يا ابليس مامنعك أن تسجد اذ أمرتك؟ قال: أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له: يا ابليس! مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى؟ الى قوله «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» فلما فرغ من ابليس ومعاتبته وأبي الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطانا رجيما وأخرجه من الجنة * قال الشعبى: أنزل ابليس مشتمل الصماء عليه عمامة اعور فى احدى رجليه نعل، وقال حميد بن هلال: نزل ابليس مختصرا [1] فلذلك كره الاختصار فى الصلاة، ولما أنزل قال: يارب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لاأقوى عليه الا بسلطانك قال: فانت مسلط قال: زدنى قال: لايولد له ولد إلا ولد لك مثله

(١) اى واضعا يديه على خاصرته *

Marfat.com

قال: زدني ،قال: صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم ،قال: زدنى،قال:اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ،قال آدم: يارب قد أنظرته وسلطته على وانى لاأمتنع منه الابك ،قال: لايولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء ،قال: يارب زدني قال: الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها والسيئة بواحدة أو أمحوها ،قال: يارب زدني قال: (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) قال: يارب زدني ،قال التوبة لانمنعها من ولدك ما كانت فيهم الروح قال: يارب زدنى ،قال: أغفر ولا أبالى قال حسبى ثم قال الله لآدم: ائت أولئك النفر من الملائكة فقل: السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود ظهر للملائكة ما كان مستترا عنهم علم الله آدم الأسماء كلها *

واختلف العلماء فى الاسماء، فقال الضحاك عن ابن عباس: علمه الاسماء كلها التى تتعارف بها الناس: انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك حتى الفسوة والفسية، وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله، وقال ابن زيد: علم أسماء ذريته ،وقال الربيع: علم أسماء الملائكة خاصة فلما علمها عرض الله أهل الاسماء على الملائكة، فقال: أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أني ان جعلت الخليفة منكم اطعتمونى وقدستمونى ولم تعصوني وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فأن لاتعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن مسعود ورواية أبى صالح عن ابن عباس، وروى عن الحسن وقتادة انهما قالا: لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واستخلافه وقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ وقال: اني أعلم مالا تعلمون، قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا مايشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه واعلم منه فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا أنه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا: ان يك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن أعلم منه: فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني لاأخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففزعوا الى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا: سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم، قالا: وعلمه اسم كل شىء من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شىء *

(ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها)

فلما ظهر للملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته

Marfat.com

بتركه السجود لآدم فاصر على معصيته وأقام على غيه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان اليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله تعالى له: اخرج منها، يعنى من الجنة (فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين) وأسكن آدم الجنة *

قال ابن عباس وابن مسعود: فلما أسكن آدم الجنة كان يمشى فيها فردا ليس له زوج يسكن اليها، فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال: من انت؟ قالت: امرأة قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن الىّ قالت له الملائكة: — لينظروا مبلغ علمه — ما اسمها؟ قال: حواء قالوا: ولم سميت حواء؟ قال لانها خلقت من حى، وقال الله له (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما) وقال ابن اسحق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال: ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال: لحمى ودمى وروحى [1] فسكن اليها، فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له: (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) *

وعن مجاهد وقتادة مثله فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة أطلق لهما أن يأكلا كل ما أرادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضى قضاؤه فيهما وفى ذريتهما فوسوس لهما الشيطان [2] وكان سبب وصوله اليهما أنه أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل دابة من دواب الارض وعرض نفسه عليها انها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبي عليه حتى أتي الحية وقال لها: أمنعك من ابن آدم فانت فى ذمتى ان أنت أدخلتيني فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بختية [3] فأعراها الله وجعلها تمشى على بطنها *

قال ابن عباس: اقتلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها *

فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكى عليكما تمر تان فتفارقان ما أتيتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ وقال: (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما

---

(١) عبارة التوراة لحم من لحمى وعظم من عظمى (٢) فى التوراة ان الذى وسوس لهما الحية (٣) واحدة البخاتى وهى الابل ذوات الأعناق الطويلة *

Marfat.com

إنى لكما لمن الناصحين) أى تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة ،قال الله تعالى :(فدلاهما بغرور) وكان انفعال حواء لوسوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت : لا ـ إلا أن تأتي هنا ـ فلما أتي قالت: لا إلا ان تأكل من هذه الشجرة ـ وهى الحنطة ـ قال : فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ـ وكان لباسهما الظفر فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة: قيل كان ورق التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هاربا فى الجنة فناداه ربه أن يا آدم منى تفر ؟قال: لا يارب ولكن حياء منك فقال : يا آدم من أين أتيت[1] ؟ قال : من قبل حواء يارب فقال الله : فان لها على ان أدميها فى كل شهر وان أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة وان اجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لم يحضن ولكن حليمات ولكن يحملن يسرا ويضعن يسرا وقال الله تعالى له : لألعنن الارض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكا ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية : دخل الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ؟ ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك فى بطنك ولا يكون لك رزق إلا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحداً منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ[2] رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدو ،آدم وابليس والحية: فاهبطهم الى الارض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة *

قيل: كان سعيد بن المسيب يحلف بالله :ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادته اليها فأكل *

(قلت) والعجب من سعيد كيف يقول هذا؟ والله يقول فى صفة خمر الجنة « لا فيها غول » *

(ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه)

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة يقللها[3] لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، قال عبد الله بن سلام .

---

(١) هو مبنى للمفعول (٢) شدخت رأسه شدخا من باب نفع كسرته وكل عظم أجوف اذا كسرته فقد شدخته وشدخت القصب كسرته فانشدخ اه مصباح (٣) أى يراها قليلة *

Marfat.com

قد علمت أى ساعة هى . هى آخر ساعة من النهار ،وقال أبو العالية : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط إلى الأرض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مكثه فى الجنة خمس ساعات منه ،وقيل : كان مكثه ثلاث ساعات منه *

فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التى هى على ما هى به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لأن الأخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بان آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فمعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد أن خمر ربنا طينته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً وذلك لاشك أنه عنى به أعوامنا ثم بعد أن نفخ فيه الروح الى أن تناهى أمره وأسكن الجنة وأهبط الى الأرض غير مستنكر أن يكون مقدار ذلك من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة .وإن كان أراد أنه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق لأن كل من له قول فى ذلك من أهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس ،وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أن مكث آدم كان فى الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام ،وهذا أيضا خلاف ماوردت به الأخبار عن النبى ﷺ وعن العلماء *

(ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء من الأرض)

قيل : ثم إن الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء فقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية :إنه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس :فجاء فى طلبها،فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز ،فسار حتى أتى جمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة ،وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات، واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا،وأهبطت الحية بأصفهان وإبليس بميسان[1]،وقيل اهبط آدم بالبرية وإبليس بالابلة[2] *

---

(١) بالفتح ثم السكون كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان اه معجم البلدان

(٢) بضم أوله وثانيه اى الباء الموحدة ـ وتشديد اللام وفتحها بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة وهى أقدم من البصرة كان قبل أن تمصر البصرة فيها مسالح وقرى اه مراصد الاطلاع وهذا القول قريب من القول السابق بخلاف الابلة بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة التحتية فانها مدينة على ساحل البحر الاحمر مما يلى الشام فهى آخر الحجاز وأول الشام

Marfat.com

قال أبو جعفر :وهذا مالا يوصل الى معرفة صحته إلا بخبر يجىء مجىء الحجة ولا نعلم خبراً فى ذلك غير ماورد فى هبوط آدم بالهند فان ذلك مما لايدفع صحته علماء الاسلام، قال ابن عباس :فلما أهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الأرض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه،فسألت الله أن ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعا، فحزن آدم لما فاته من الانس بأصوات الملائكة وتسبيحهم فقال: يارب! كنت جارك فى دارك ليس لى رب غيرك ادخلتنى جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتنى الى الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فحططتني إلى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عنى ريح الجنة ،فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك*فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشا من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزلها الله من الجنة فأخذ كبشاً فذبحه وأخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحواء درعا وخماراً فلبسا ذلك ،وقيل : أرسل اليهما ملكا يعلمهما مايلبسانه من جلود الضأن والأنعام،وقيل : كان ذلك لباس أولاده وأما هو وحواء فكان لباسهما ما كان خصفاً من ورق الجنة فأوحى الله إلى آدم :ان لى حرما حيال عرشى فانطلق وابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى ، فقال آدم: يارب !وكيف لى بذلك لست أقوى عليه ولا أهتدى اليه؟فقيض الله ملكا فانطلق به نحو مكة.وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك: انزل بنا ههنا فيقول الملك مكانك :حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى،وبني قواعده من حراء*فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات ،فأراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم، ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعا ،ثم رجع الى الهند فمات على نود*فعلى هذا القول أهبط حواء وآدم جميعا وإن آدم بني البيت وهذا خلاف الذى نذكره ان شاءالله تعالى منه: ان البيت أنزل من السماء *وقيل : حج آدم من الهند أربعين حجة ماشياً، ولما أنزل الى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنة فلما وصل إلى الأرض يبس فتساقط ورقه، فنبتت منه أنواع الطيب بالهند. وقيل بل الطيب من الورق الذى خصفه آدم وحواء عليهما، وقيل:لما أمر بالخروج من الجنة جعل لايمر بشجرة منها الا أخذ منها غصنا فهبط وتلك الأغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها وزوده الله من

Marfat.com

Marfat.com

ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غير أن هذه تتغير وتلك لاتتغير وعلمه صنعة كل شيء ونزل معه بعض طيب الجنة ،والحجر الأسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان من ياقوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهى من آس الجنة أو من لبان وانزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والـكلبتان وكان حسن الصورة لايشبهه من ولده غير يوسف وأنزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم : ماهذا ؟ قال : هذا الذى أخرجك من الجنة فقال : ما أصنع به ؟ فقال :انثره فى الارض ففعل فأنبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وفركه وذراه وطحنه وعجنـه وخبزه ،كل ذلك بتعليم جبريل عليـه السلام وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار ،وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فـكان يحرث عليه ، قيل هو الشقاء الذى ذكره الله تعالى بقوله « فلا يخرجنـكما من الجنة فتشقى» * ثم ان الله أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا إلى الله تعالى وقال: يارب! أما فى هذه الارض من يسبحك غيرى؟ فقال الله تعالى:سأخرج من صلبك من يسبحنى ويحمدني ؛وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى وأجعل فيها بيتا أختصه بكرامتى وأسميه بيتى،وأجعله حرما آمنا فمن حرمه بحرمتى فقد استوجب كرامتي،ومن أخاف أهله فيه فقد خفر [1] ذمتى وأباح حرمتي أول بيت وضع للناس فمن اعتمده لايريد غيره فقد وفد إلى وزارني وضافنى ويحق على الـكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته* تعمره أنت يا آدم ما كـنت حيا ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ،ثم أمر آدم أن يأتى البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة ،وقيل درة واحدة وبقى كـذلك حتي أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقى أساسه فبوأ الله لابراهيم عليه السلام فبناه على ماذكره إن شاء الله تعالى وسار آدم إلى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ،ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام [2] فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهى : قوله تعـالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنـا وترحمنا لنـكونن من الخاسرين» : *(نود) بضم النون وسكون الواو آخره دال مهملة*

---

(١) أى نقض عهده وغدره اه قاموس (٢) ان ماذكر فى هـذه الترجمة اخبار واهية واهنة اشبه بالقصص الموضوعة لايعول عليها عاقل *

﴿ ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق ﴾

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فاخرج من ظهره كل ذرية ذرأها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال: « ألست بربكم ؟ قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة) إلى قوله « بما فعل المبطلون » ﴿ نعمان ﴾ بفتح النون الأولى، وقيل : عن ابن عباس أيضاً انه أخذ عليهم الميثاق بدحنا موضع ، وقال السرى: أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه إلى الأرض من السماء، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال: ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول اصحاب اليمين و أصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى فأعطوه الميثاق ، طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية *

﴿ ذكر الأحداث التي كانت فى عهد آدم فى الدنيا ﴾

و كان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل و أهل العلم مختلفون فى اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قائين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابيل، واختلفوا أيضا فى سبب قتله فقيل: كان سببه أن آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما (١) ولا وصبا (٢) ولم تجد عليهما طلقا (٣) حين ولدتهما ولم ترمعهما دما لطهر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا الى الأرض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لآدم أربعين ولدا لصلبه من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا وكان الولد منهم أى أخواته شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحل له وذلك أنه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل أن ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل أن ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل: بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء: احفظى ولدى بالأمانة فأبت وقال للارض فأبت وللجبال فأبت وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وترجع وستجد مايسرك

---

(١) من الوحم وهو اشتهاء الحامل (٢) اى تعبا (٣) بفتح فسكون هو وجع الولادة *

Marfat.com

فانطلق آدم فكان مانذ كره وفيه قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) فلما قال آدم لقابيل وهابيل فى معنى نكاح أختيهما ماقال لهما سلم هابيل لذلك ورضى به وأبي ذلك قابيل وكرهه تكرها عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال : نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض فأنا أحق بأختى ،وقال بعض أهل العلم : ان أخت قابيل كانت من أحسن الناس فضن[1] بها على أخيه وأرادها لنفسه وانهما لم يكونا من ولادة الجنة انما كانا من ولادة الأرض والله أعلم* فقال له أبوه آدم : يابنى انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك من أبيه فقال له أبوه يابنى فقرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على بذر الارض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل أبكارا من أبكار غنمه ، وقيل:قرب بقرة فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان فى ذلك القضاء له بأخت قابيل غضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال: لأقتلنك حتى لاتنكح أختى قال هابيل : (انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ماأنا بباسط يدى إليك لأقتلك) إلى قوله (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فاتبعه وهو فى ماشيته فقتله فهما اللذان قص الله خبرهما فى القرآن فقال : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى آخر القصة : قال فلما قتله سقط فى يده ولم يدر كيف يواريه[2] وذلك أنه كان ـ فيما يزعمون ـ أول قتيل من بنى آدم فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال : ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ؟ فاوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين الى قوله لمسرفون فلما قتل أخاه قال الله تعالى : ياقابيل أين أخوك هابيل ؟ قال لاأدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى: ان صوت دم أخيك ينادينى من الارض الآن أنت ملعون من الارض التي فتحت فاها فبلعت دم أخيك فاذا أنت عملت فى الارض فانها لاتعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها فى الارض فقال قابيل : عظمت خطيئتى إن لم تغفرها قيل: كان قتله عند عقبة حراء[3] ثم نزل من الجبل آخذا بيد أخته وهرب بها الى عدن من اليمن، قال ابن عباس :لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ،ثم هبط بها من جبل نود الى الحضيض فقال له آدم: اذهب فلا تزال مرعوبا لاتأمن

---

(١) اى بخل (٢) اى يخفيه ويدفنه (٣) هو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى يسمى الآن جبل النور *

Marfat.com

من تراه فكان لايمر به أحدمن ولده إلا رماه فاقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه : هذا أبوك قابيل فارمه فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الاعمى لابيه : قتلت أباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال! ياويلتى : قتلت أبى برميتى وابنى بلطمتى * ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة وقال، الحسن : كان الرجلان ـ اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن بقوله: واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ـ من بني إسرائيل ولم يكونا من بنى آدم لصلبه وكان آدم أول من مات،وقال أبو جعفر : الصحيح عندنا أنهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال :«مامن نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل [1] منها وذلك لانه أول من سن القتل»فبان بهذا انهما لصلب آدم فان القتل مازال بين بنى آدم قبل بنى اسرائيل وفى هذا الحديث أنه أول من سن القتل،ومن الدليل على أنه مات من ذرية آدم قبله ماورد فى تفسير قوله تعالى(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) الى قوله(جعلا له شركاء فيما آتاهما)عن ابن عباس وابن جبير والسرى وغيرهم قالوا : كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم أى تسميهم عبد الله وعبدالرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما ابليس فقال : لو سميتما بغير هذه الأسماء لعاش ولدكما فولدت ولدا فسمته عبدالحرث وهو اسم ابليس فنزلت (هو الذى خلقكم من نفس واحدة)الآيات، وقد روى هذا المعنى مرفوعا *

﴿قلت﴾انما كان الله تعالى يميت أولادهم أولا وأحيا هذاالمسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان الله تعالى يعلم الأشياء بغير امتحان لكن علما لايتعلق به الثواب والعقاب، ومن الدليل على أن القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه مارواه العلماء عن على بن أبى طالب أن آدم قال[2]، لما قتل هابيل :

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

فى أبيات غيرها،وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرث هو آدم ،وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه أقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وأيامهم ولم يكن ذكر الاختلاف فى نسب ملك من جنس ماأنشأنا له الكتاب فإن ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفا به وقد

---

(١) اى نصيب (٢) لعله بلسان الحال والا فاسناد حقيقة الشعر لآدم عليه السلام لا أصل له *

Marfat.com

خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه ، وخالفهم فى عينه وصفته ، فزعم أن جيومرث الذى زعمت الفرس أنه آدم انما هو حام بن يافث بن نوح ، وأنه كان معمرا ، سيدا نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من أرض المشرق ، وتملك بها وبفارس ، وعظم أمره وأمر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا فى بعض الاوقات الأقاليم كلها ، وابتني جيومرث المدن والحصون وأعد السلاح ، واتخذ الخيل ، وتجبر فى آخر أمره ، وتسمى بآدم وقال : من سمانى بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وأن مارى ابنه وماريانة أخته ممن كانا ولدا فى آخر عمره فأعجب بهما وقدمهما نصار الملوك من نسلهما * قال أبو جعفر : وانما ذكرت من أمر جيومرث فى هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الأمم أنه أبو الفرس من العجم ، وانما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره ؟ على ما ذكرناه ومع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى أن قتل يزدجرد بن شهريار بمرو أيام عثمان بن عفان ، والتاريخ على أسماء ملوكهم أسهل بيانا وأقرب الى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم اذ لا يعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذه آخرهم عن أولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم *

وانا ذاكر ما انتهى الينا من القول فى عمر آدم وأعمار من بعده من ولده من الملوك والأنبياء ، وجيومرث أبي الفرس فأذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم الى الحال التى اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم فى زمان بعينه أنه هو الملك فى ذلك الزمان ان شاء الله * وكان آدم مع ما أعطاه الله تعالى من ملك الأرض نبيا رسولا الى ولده ، وأنزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه إياها جبريل . روى أبو ذر عن النبى ﷺ أنه قال « الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » قال : قلت يارسول الله ! كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلثمائة وثلاثة عشر جماً غفيرا يعني كثيرا طيبا قال : قلت من أولهم ؟ قال : آدم قال : قلت يارسول الله ! وهو نبى مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا » وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم فى إحدى وعشرين ورقة *

﴿ ذكر ولادة شيث ﴾

ومن الاحداث فى أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضى مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين ، وقيل ولد فرداً بغير توأم ، وتفسير شيث هبة الله ومعناه

انه خلف من هابيل وهو وصى آدم، وقال ابن عباس: كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة فى كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه أنساب بنى آدم كلهم اليوم وأما الفرس الذين قالوا: ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا: ولد لجيومرث ابنته ميشان اخت ميشى وتزوج ميشى أخته ميشان فولدت له سيامك وسيامى فولد لسيامك بن جيومرث أفروال ودقس وبواسب واجرب واوراش وأمهم جميعا سيامى ابنة ميشى وهى أخت أبيهم وذكروا ان الأرض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما يوصل اليه مما يأتيه الناس براً وبحراً فهو من اقليم واحد وسكانه ولد أفروال بن سيامك، واعتابهم، فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذى خلف جده جيومرث فى الملك وهو أول من جمع ملك الاقاليم السبعة وسنذكر أخباره، وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء * وأما ابن الكلبى فانه زعم أن أول من ملك الارض اوشهنق بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال: والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتى سنة وانما كان بعد نوح بمائتى سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح * والذى ذكره هشام بن الكلبى لا وجه له لأن أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم أعلم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم قال: وقد زعم بعض نسابة الفرس ان أوشهنج هذا هو مهلائيل وان أباه أفروال هو قينان وأن سيامك هو انوش أبو قينان وأن ميشى هو شيث أبو أنوش وان جيومرث هو آدم فان كان الأمر كما زعم فلا شك أن أوشهنج كان فى زمن آدم رجلا وذلك لأن مهلائيل فيما ذكر فى الكتب الأولى كانت ولادة أمه دينه ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب ان عمر آدم كان الف سنة * وقد زعمت الفرس أن ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان الأمر على ماذكره النسابة الذى ذكرت منه ماذكرت فما يبعد من قال: ان ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة[1] *

﴿ ذكر وفاة آدم عليه السلام ﴾

ذكر ان آدم مرض أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره أن يخفى علمه عن قابيل وولده لانه قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ماعندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به، وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ «أنه

(١) غير خاف ان هذه الأنساب عريقة فى القدم ولم يوجد ما يزكيها من آثار معدلة فالقول بها ضرب من الخبط او الخلط *

Marfat.com

Marfat.com

قال : قال الله تعالى لآدم حـين خلقه:ائت اؤلئك النفر من الملائكة فقل : السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم وقالوا له :عليك السلام و رحمة الله : ثم رجع الى ربه فقال له ، هـذه تحيتك وتحيـة ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه فقال له :خـذ واختر فقال : أحببت يمين ربى وكلتا يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم وذريته كلهم ، واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم عليهـم النور فقال : يارب من هؤلاء الذين عليهم النور ؟ فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الى عبادى واذا فيهم رجل هو من اضوئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم : يارب ! هـذا من أضوئهم نو را ولم تـكتب له الا أربعين سنة ؟ بعد أن أعلمه انه داود عليه السلام فقال : ذلك ما كتبت له فقال ؛ يارب انقص له من عمرى ستين سنة فقال رسول الله ﷺ :فلما أهبط الى الأرض يعد أيامه فلما أتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم : عجلت يا ملك الموت قد بقى من عمرى ستون سنة فقال له ملك الموت:مابقى شيء،سألت ربك أن يكتبه لابنك داود فقال:مافعلت فقال النبي ﷺ فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فحينئذ وضع الله الـكتاب وأمر بالشهود» وروى عن ابن عباس قال:لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ :«ان أول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لمـا خلقه مسح ظهره فاخرج منـه ماهو ذارئي (١) الى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر قال : أى رب ! أى بنى هذا ؟ قال : ابنك داود قال : كم عمره ؟ قال : سـتون سـنة قال : زده من العمر قال الله تعالى :لا إلا أن تزيده أنت وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له أربعين سنة فـكتب عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة ، فلمـا احتضر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه فقال : قد بقى من عمرى اربعون سنة قالوا : إنك قد وهبتها لابنك داود قال : ما فعلت ولا وهبت له شيئا فأنزل الله عليه الـكتاب وأقام الملائـكة شهودا فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة» وروى مثل هذا عن جماعة منهم سعيد بن جبير،وقال ابن عباس : كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والأخبار عن رسول الله والعلماء ماذ كرنا ورسول الله ﷺ أعلم الخلق،وعلى رواية أبي هريرة التي فيها ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما فى التوراة من أن عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره فى

---

(١) اى ذات منظر كما فى لسان العرب نقلا عن الفراء ومنه قول الله تعالى (هم احسن اثاثا ورئيا) *

التوراة سوى ما وهبه لداود * قال ابن إسحق عن يحي بن عباد عن أبيه قال بلغني أن آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتي غيبوه، وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ «أن آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال: خلى عني وعن رسل ربي فما لقيت ما لقيت إلا منك ولا أصابني ما أصابنى الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه فى وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده» قال ابن عباس: لما مات آدم قال شيث لجبرائيل: صل عليه فقال: تقدم أنت فصل على أبيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهى الصلاة وأما خمس وعشرون تفضيلا لآدم، وقيل: دفن فى غار فى جبل أبي قبيس يقال له غار الكبر، وقال ابن عباس: لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها فى الغار الذى ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما فى تابوت ثم حملهما معه فى السفينة فلما غاضت بالارض الماء[1] ردهما الى مكانهما الذى كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت أعمال النساء كلها * واذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر أخبارهما وما صنع الله بعدوه وإبليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والابعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم إذ أخطأ ونسى من تعجيل العقوبة له ثم تغمده الله بالرحمة اذ تاب من زلته فأرجع إلى ذكر قابيل وشيث ابنى آدم وأولادهما ان شاء الله *

﴿ ذكر شيث بن آدم عليه السلام ﴾

قد ذكرنا بعض أمره، وانه كان وصى آدم فى مخلفيه بعد مضيه لسبيله، وما أنزل الله عليه من الصحف، وقيل: انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات، وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها، وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا: لم تزل القبة التى جعل الله لآدم مكان البيت إلى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان، وقيل: ان شيثا لما مرض أوصى الى ابنه أنوش، ومات فدفن مع أبويه بغار أبى قبيس وكان مولده لمضى مائتي سنة وخمس وثلاثين

(١) كذا فى الطبعة الاميرية، وغير خاف ما فى العبارة من الخلل والاشبه ان تكون فلما غاضت الارض بالماء، أو فلما غاض الماء فى الارض *

Marfat.com

Marfat.com

سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم * وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة *

وقام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل، فكان جميع عمر أنوش سبعمائة وخمس سنين، وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة، وقال ابن عباس: ولد لشيث أنوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث، ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية * وولد قينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه الوصية * وولد مهلائيل يردو هو اليارد ونفرا معه واليه الوصية * فولد يردخنوخ وهو إدريس النبى ونفرا معه واليه الوصية * وولد خنوخ[1] متوسلخ[2] ونفرا معه واليه الوصية * وأما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد أن مضى من عمر آدم عليه السلام ثلاثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون، وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير ان الاحداث بدأت فى زمانه *

﴿ ذكر الاحداث التى كانت من لدن ملك شيث الى أن ملك يرد ﴾

ذكر أن قايل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له: إن هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها، وقال ابن إسحق: ان قينا وهو قايل نكح أخته أشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة خنوخ بن قين وعذب بنت قين، فنكح خنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة غيرد ومحويل وأنوشيل، ومولیث ابنة خنوخ فنكح أنوشيل بن خنوخ أخته موليث وولدت له رجلا اسمه لامك، فنكح لامك امرأتين اسم احداهما عدى والأخرى صلى فولدت عدى بولس ابن لامك فكان أول من سكن القباب واقتنى المال وتوبلين فكان أول من ضرب بالونج والصنج، وولدت رجلا اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة، وكانوا قد أعطوا بسطة فى الخلق قال: ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا إلا قليلا وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فمنه كان

---

(١) خنوخ بخاءين معجمتين بينهما نون وواو — والذى فى التوراة اخنوخ بالف قبل الخاء الاولى

(٢) الذى فى التوراة متوشالخ بالشين المعجمة والحاء المهملة

Marfat.com

النسل وانساب الناس اليوم كلهم اليه دون أولاد أبيه آدم ولم يذكر ابن إسحق من امر قابيل وولده الا ما حكيت *

وقال غيره من أهل التوراة: ان أول من اتخذ الملاهى من ولد قابيل رجل يقال له ثوبال ابن قابيل اتخذها فى زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم منهم مائة رجل بالنزول اليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم، وبلغ ذلك يارد، فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا الى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم، فلما أبطؤا ظن من بالجبل ممن كان فى نفسه زيغ أنهم أقاموا اغتباطاً، فتسللوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متشرعات[1] اليهم، وصرن معهم، وانهمكوا فى الطغيان، وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير بعيد من الحق، وذلك أنه قد روى عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه وان لم يكونوا بينوا زمان من حدث ذلك فى ملكه إلا أنهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح: منهم ابن عباس أو مثله، ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم *

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ماقالوا فى مهلائيل بن قينان، وانه هو أوشهنج الذى ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم * وقال هشام بن الكلبى: انه أول من بنى البناء واستخرج المعادن، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وبني مدينتين كانتا أول مابنى على ظهر الأرض من المدائن وهما مدينة بابل - وهى بالعراق - ومدينة السوس - بخوزستان - وكان ملكه أربعين سنة، وقال غيره: هو أول من استنبط الحديد؛ وعمل منه الأدوات للصناعات، وقدر المياه فى مواضع المنافع؛ وحض الناس على الزراعة واعتماد الأعمال، وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش، وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها، وأنه بنى مدينة الرى. قالوا: وهى أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التى كان يسكنها بدنباوند. وقالوا: انه أول من وضع الاحكام والحدود، وكان ملقبا بذلك يدعى بيشداد، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل، وذلك أن بيش معناه أول وداد معناه عدل

---

(١) أى متقربات قال فى اللسان: وكل دان من شىء فهو شارع. الى ان قال وهذا كله راجع الى شىء واحد الى القرب من الشىء والاشراف عليه اه وفى تاريخ الطبرى متسرعات *

Marfat.com

وقضاء، وهو أول من استخدم الجوارى، وأول من قطع الشجر وجعله فى البناء * وذكروا أنه نزل الهند وتنقل فى البلاد وعقد على رأسه تاجا، وذكروا: أنه قهر ابليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم، على ذلك، وقتل مردتهم فهربوا من خوفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا * وقيل انه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الأقاليم كلها وأنه كان بين مولد أو شهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة ﴿عتيبة﴾ بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة *

﴿ذكر يرد﴾

وقيل: يارذ بن مهلائيل أمه خالته[1] سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ولد بعد مامضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة، وفى أيامه عملت الأصنام وعاد من عاد عن الاسلام، ثم نكح يرد فى قول ابن اسحاق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركتا ابنة الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، فولدت له خنوخ، وهو ادريس النبى، فكان أول بنى آدم اعطى النبوة وخط بالقلم، وأول من نظر فى علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم، فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة * وقيل: أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة، وهو أول من جاهد فى سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم، وكان وصى والده يرد فيما كان آباؤه وصوا به اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا. وتوفى آدم بعد أن مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين، ودعا ادريس قومه، ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان، وان لا يلابسوا ولد قابيل فلم يقبلوا منه. قال: وفى التوراة أن الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة * قال النبى ﷺ: ياأبا ذر، من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وقيل: ان الله أرسله الى جميع أهل الأرض فى زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة. وقال بعضهم: ملك بيوراسب فى عهد ادريس، وكان قد

---

(١) لايمكن أن تكون الام هى الخالة فلعل لفظ خالته مقحم *

وقع عليه من كلام آدم فاتخذه سحرا ،وكان بيوراسب يعمل به ﴿يارذ﴾ بياء معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة وذال معجمة، وخنوخ بحاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وخاء معجمة وقيل بخاءين معجمتين *

﴿ ذكر ملك طهمورث ﴾

زعمت الفرس أنه ملك بعد هوت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان يعنى خير أهل الأرض ابن حبايدادبن أوشهنج. وقيل فى نسبه غير ذلك؛ وزعم الفرس أيضا أنه ملك الأقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجا وكان محمودا فى ملكه مشفقا على رعيته، وأنه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل فى البلدان وأنه وثب بابليس حتى ركبه[1] فطاف عليه فى أداني الأرض وأقاصيها وأفزعه ومردته حتى تفرقوا، وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير ،وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشى وغيرها ، وأخذ الجوارح للصيد ، وكتب بالفارسية، وان بيوراسب ظهر فى أول سنة من ملكه، ودعا الى ملة الصابئين* كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء أنه ركب إبليس وطاف عليه والعهدة عليهم وانما نحن نقلنا ماقالوه *قال ابن الكلبي: أول ملوك الأرض من بابل طهمورث ، وكان لله مطيعا، وكان ملكه أربعين سنة، وهو أوّل من كتب بالفارسية، وفى أيامه عبدت الأصنام ، وأول ماعرف الصوم فى ملكه. وسببه ان قوما فقراء تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا وأكلوا ليلا مايمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله وجاءت الشرائع به *

﴿ ذكر خنوخ وهو ادريس عليه السلام ﴾

ثم نكح خنوخ بن يردهدانة ويقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن خنوخ ، فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة . ثم رفع ، واستخلفه خنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع وأعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ، ونهاهم عن مخالطتهم، وانه كان أول من ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه خنوخ فى الجهاد ، ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل ابن أنوشيل بن خنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة، فولدت له لمك ابن متوشلخ ، فعاش بعدما ولد له لمك سبعمائة سنة ؛ وولد له بنون وبنات فكان كل ماعاش

Marfat.com

Marfat.com

متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة، ثم مات وأوصى الى ابنه لمك فكان لمك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قايل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم فى الجبل * وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابيء وبه سمى الصابئون *

﴿قلت﴾ محويل، بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت، ومتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة *

ونكح لمك بن متوشلح قينوش ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع [1] وثمانين سنة، فولدت له نوح بن لمك وهو النبي فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات، ثم مات ونكح نوح بن لمك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له ولده ساما وحاما ويافث بنى نوح، وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه لمك: قد علمت انه لم يبق فى هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به * وقيل كان نوح فى عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم إلى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتي أنزل الله عليهم العذاب. وقال ابن عباس فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عنه: فولد لمك نوحا وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن فى ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة، ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وروى عن جماعة من السلف: انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث فى القرن الذى بعث اليهم فيه نوح فارسله الله وهو أول نبي بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول ابن عباس وقتادة *

﴿ ذكر ملك جمشيد ﴾

وأما علماء الفرس فانهم قالوا: ملك بعد طهمورث جمشيد، والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طمهورث * وقيل: انه ملك

---

(١) الذى فى ترجمة التوراة العبرية ان نوحا ولد لابيه وعمره ١٨٢ سنة *

الأقاليم السبعة، وسخر له مافيهامن الجن والانس؛وعقد التاج على رأسه؛ وأمرلسنة مضت من ملكه إلى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصناع من الحديد ، ومن سنة خمسين من ملكه الى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل مايستطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألواناً ولبسه ، ومن سنة مائة الى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كتاب وصناع، وطبقة حراثين ، واتخذ منهم خدما، ووضع لكل أمر خاتما مخصوصا به، فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة، وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل، وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والأمانة، وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الاسلام ، ومن سنة مائة وخمسين الى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلهم وقهرهم وسخروا له ، ومن سنة خمسين ومائتين الى سنة ست عشرة وثلاثمائة وكل الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر مايذاب من الجواهر وأنواع الطيب والادوية فنفذوا فى ذلك بأمره ، ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصفدفيها الشياطين وركبها ؛ وأقبل عليها فى الهواء من دنباوند الى بابل فى يوم واحد وهو يوم هرمز روز وافروردين ماه فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا وخمسة أيام بعده ؛ وكتب الى الناس فى اليوم السادس يخبرهم انه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله، فكان من جزائه إياه عليها انه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد، فمكث الناس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والستة عشر سنة لايصيبهم شيء مما ذكره ، ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرا طويلا حتي خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا ، فعدلوا الى عمل الجسور من الخشب ، ثم ان جما بطر نعمة الله عليه، وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم انه وليهم ومانعهم بقوته من الاسقام والهرم والموت ، وتمادى فى غيه ، فلم يحر أحد منهم جوابا وفقد مكانه وبهاءه وعزه ، وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم ؛ بسياسة أمره ، فاحس بذلك بيوراسب الذى سمى الضحاك ،فابتدر الى جم لينتهسه ، فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد أمعاءه وأشره بمئشار [1] وقيل : انه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله ـ واسمه اسفنور ـ فتوارى عنه مائة سنة ، فخرج عليه فى تواريه بيوراسب،

(١) والمئشار هو المنشار واللغتان فصيحتان والمراد اتلفه وفرق اعضاء جسمه*

Marfat.com

Marfat.com

فعلبه على ملكه* وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر *

قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما فيه من الأشياء التى تمجها الاسماع وتأباها العقول والطباع، فانها من خرافات الفرس مع اشياء أخر قد تقدمت قبلها، وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيراً ما يشنعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ولأنا لو كنا تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره من أخبارهم *

﴿ ذكر الاحداث التي كانت فى زمن نوح عليه السلام ﴾

قد اختلف العلماء فى ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح فمنهم من قال : انهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهى عن طاعة الله ، ومنهم من قال : انهم كانوا أهل طاعة *وبيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين أرسل اليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد *وأما كتاب الله تعالى قال: فينطق بأنهم أهل أوثان قال تعالى: (وقالوا: لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) *

قلت لاتناقض بين هذه الاقاويل الثلاثة فان القول الحق الذى لايشك فيه هو انهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين ، فان أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى ، فانهم اعترفوا بصانع العالم وأنه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا : الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسائط المقربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا اليهم بالهياكل وهى الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم عندهم ، ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الأشخاص حيث رأوا أن الهياكل تطلع وتغرب وترى ليلا ولا ترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها الى الهياكل، والهياكل الى الروحانيين؛ والروحانيون الى صانع العالم *

فهذا كان أصل وضع الاصنام أولا، وقد كان أخير افى العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى: مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى . فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصى ؛ فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم

بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته، ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله تعالى؛ وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما. وقال عون بن شداد: ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم. قال: ابن اسحق وغيره: ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال: اللهم اغفر لى ولقومى فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا فى معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء، وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذى كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لا يقبلون منه شيئا وكان يضرب ويلف ويلقى فى بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله، فلما طال ذلك عليه ورأى الأولاد شراً من الآباء قال: رب قد ترى ما يفعل بى عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرنى الى أن تحكم فيهم فأوحى اليه «انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن» فلما يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال: «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا» الى آخر القصة، فلما شكا الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون؛ فاقبل نوح على عمل الفلك، ولها عن دعاء قومه، وجعل يهيء عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلحه سواه، وجعل قومه يمرون به وهو فى عمله فيسخرون منه، فيقول: ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون، قال: ويقولون: يا نوح! قد صرت نجارا بعد النبوة؟! واعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم، وصنع الفلك من خشب الساج، وأمره أن يجعل طوله ثمانين ذراعا[1] وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا. وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا. وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع وماتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم. وأمر نوحا أن يجعله ثلاث طبقات: سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله اليه: اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل، وقد

---

(١) الذى فى التوراة ان طول الفلك ثلثمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا و يوافقه قول قتادة راجع آية ١٥ من الاصحاح السادس من التكوين *

Marfat.com

Marfat.com

جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان- فيماقيل- من حجارة كان لحواء. وقال ابن عباس: كان ذلك تنورا من أرض الهند [١]. وقال مجاهد والشعبي: كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة الى السماء الرابعة [٢] وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه الى أن بني ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه، ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهم أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، ونساؤهم، وستة أناسى فكانوا مع نوح ثلاث عشرة. وقال ابن عباس: كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم كلهم بنو شيث، وقال قتادة: كانوا ثمانية أنفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم، وقال الاعمش: كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم، ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب؛ وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا، وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال: ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها دخل الشيطان معه فقال له نوح: ما أدخلك ياعدو الله؟ فقال: الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك؟ فتركه [٣] *ولما أمر نوح بادخال الحيوان السفينة قال: أى رب! كيف أصنع بالاسد والبقرة؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب؟ والطير والهر، قال: الذى ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها فالقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * ألا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير فى الطبق الأسفل من السفينة وجعل الوحش فى الطبق الاوسط وركب هو ومن معه من بنى آدم فى الطبق الأعلى، فلما اطمأن نوح فى الفلك، وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره فى قول بعضهم [٤] وفى قول بعضهم ماذكرناه؛ وحمل معه من حمل جاء الماء بما قال الله تعالى: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) فكان بين ان ارسل الماء وبين ان يحتمل الماء الفلك أربعون يوماً وأربعون ليلة وكثر واشتد. وارتفع وطمى، وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة؛ وجعلت الفلك تجرى بهم فى موج كالجبال، ونادى نوح ابنه

---

(١) وقال بعض المفسرين انه تنور اهله الذى يخبزون فيه (٢) هذا الخبر غريب وما الذى يصيب الكعبة اذا لم ترفع؟ وخبر بنائها قبل الطوفان غاية فى الغرابة (٣) لاشك بان هذه خرافة ونبى الله أجل من ان يذكر الشيطان على لسانه وان الشيطان أحقر من أن يكون جليسا لنوح عليه السلام بغير ارادته مع قوم مؤمنين قد اختصهم الله برحمته: الادارة (٤) الذى فى التوراة ان الذين دخلوا السفينة من الناس نوح وزوجته وثلاثة بنيه وثلاث نسائهم

Marfat.com

الذى هلك — وكان فى معزل — (يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) وكان كافرا قال : سآوى الى جبل يعصمني من الماء، وكان عهد الجبال وهى حرز وملجأ ، فقال نوح : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وعلا الماء على رؤس الجبال ، فكان على أعلا جبل فى الارض خمسة عشر ذراعا ، فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلم يبق إلا نوح ومن معه والاعوج بن عنق - فيما زعم أهل التوراة - وكان بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال[1] قال ابن عباس : أرسل الله المطر أربعين يوما فاقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب[2] وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء. وكان الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض ؛ وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا[3] ثم ذهبت فى الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودى[4] وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك (بعدا للقوم الظالمين) ولما استقرت قيل (يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء) نشقته الارض وأقام نوح فى الفلك الى ان غاض الماء . فلما خرج[5] منها اتخذ بناحية من قردى من أرض الجزيرة موضعاً وابتنى قرية سموها ثمانين وهى الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتا وكانوا ثمانين رجلا * قال بعض أهل التوراة لم يولد لنوح إلا بعد الطوفان، وقيل : ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة ، وقيل : ان اسم ولده الذى أغرق كان كنعان وهو يام *

---

(١) العجب من ذكر هذا القول المنسوب الى ابن عباس برواية الكلبى المعروف حاله ومن تزديده مع انه مخالف لظاهر القرآن . فانه وان وافق الاسرائيليات فعزوه الى ابن عباس رضى الله عنهما غير صحيح بعد ان قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون. عنكبوت - ١٤) فالآية تفيد ان هذه المدة قبل الطوفان كما تفيده فاء التعقيب والترتيب فهذه الاخبار وان كانت منقولة عن التوراة والعهد القديم الا انا لا يصح لنا نقل ما يتعارض مع القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — اه الادارة

(٢) الذى فى التوراة ان ذلك كان فى السابع عشر من الشهر الثانى من السنة الستمائة من عمر نوح (٣) لا ادرى من أين علم هذا ؟ (٤) هو جبل يقع شرقى جبل سنجار و يطل على جزيرة ابن عمر التى هى بلد المؤلف الأصلية هذا الجودى وان كان واقعا بين النهرين الفرات والدجلة فهو قريب من الدجلة جدا ومن الموصل ايضا (٥) فى التوراة ان خروج نوح ومن معه من السفينة كان فى اليوم السابع والعشرين من الشهر الثانى من السنة الحادية والستمائة من حياة نوح وعلى ذلك يكونون قد مكثوا فى الفلك سنة وعشرة أيام *

Marfat.com

وأما المجوس فانهم لايعرفون الطوفان و يقولون : لم يزل الملك فينامن عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم انه كان فى اقليم بابل وماقرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى أصدق فى أن ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه فى السفينة غير ولده سام وحام ويافث * ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له : كيف رأيت الدنيا ؟ قال : كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر *وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده *

(ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذى يسميه العرب الضحاك)

وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة ، وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل ، والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه بيوراسب بن اروندا سب بن رينكار بن وندريشتك بن يارين بن افروال بن سيامك بن ميشى بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الأخبار انه ملك الأقاليم السبعة ، وانه كان ساحرا فاجرا ، قال هشام ابن الكلبى : ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم الف سنة، ونزل السواد [1] فى قرية يقال لها برس فى ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده فى القتل، وكان أول من سن الصلب والقطع، وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تغني وغنى له قال : وبلغنا ان الضحاك هو نمروذ وان ابراهيم عليه السلام ولد فى زمانه وانه صاحبه الذى أراد احراقه *

وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا للبطن الذى منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه غصب أهل الارض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه، وقال كثير من أهل الكتب : ان الذى كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كرأس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحركان تحت ثوبه اذا جاعتا ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لأن اللحمتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضريانه فاذا طلاهما بدماغ انسان سكنتا، فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا

---

(١) أى سواد العراق

Marfat.com

اراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له اخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيه وأخذ كابي عصا كانت بيده ،فعلق بطرفها جرابا كان معه ،ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابي تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتي صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذى يتبركون به وسموه درفش كابيان فكانوا لا يسيرونه إلا فى الأمور الكبار العظام ولا يرفع إلا لأولاد الملوك اذا وجهوا فى الأمور الكبار *وكان من خبر كابى أنه من أهل أصبهان فثار بمن أتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على الضحاك قذف فى قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع الأعجام الى كابى فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لأنه ليس من أهله وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جم لانه ابن الملك أوشهنج الأكبر بن افروال الذى رسم الملك وسبق فى القيام به ، وكان أفريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته فملكوه وصار كابى والوجوه لافريدون أعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار فى أثره فأسره بدنباوند فى جبالها * وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول :انه لقى سليمان بن داود وحبسه سليمان فى جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فما برح بيوراسب يحبسه بجره حتى حمله الى خراسان،فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فاوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسما كرجلين يدقان باب الغار الذى حبس فيه أبدا لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت *

وهذا أيضا من أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا ذكرها*

وبعض الفرس يزعم أن أفريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله : أمر وزنوروز اى استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان أسره يوم المهرجان، فقال العجم : أمد مهرجان لقتل من كان يذبح وزعموا أنهم لم يسمعوا فى أمور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو أن بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه فى أمره فاجمعوا على المصير الى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الاصبهانى فدخل عليه ولم يسلم فقال:أيها الملك! أى السلام أسلم عليك؟ سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم ؟ فقال : بل سلام من يملك الاقاليم لأنى ملك الارض ،فقال كابى :اذ كنت تملك الاقاليم كلها فلم

Marfat.com

خصصتنا بأثقالك و اسبابك من بينهم ولم لاتقسم الامور بيننا وبينهم وعدد عليه أشياء كثيرة فصدقه فعمل كلامه فى الضحاك فأقر بالاساءة و تألف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا و يقضى حوائجهم ، ثم ينصرفوا الى بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبتهم و دانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم فوبخته وقالت له : الا أهلـكتهم وقطعت أيديهم ؟ فلما أكثرت عليه قال لها: ياهذه لاتفكرى فى شىء الا وقد سبقت اليه الا أن القوم بدهونى بالحق وقرعونى به فكلما هممت بهم تخيل لى الحق بمنزلة الجبل بينى وبينهم فما أمكننى فيهم شىء ثم جلس لاهل النواحى فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم ، وقال بعضهم : كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة، وانه كان فى باقى عمره شبيها بالملك لقدرته ونفوذ أمره ، وقيل : كأن ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لان بعضهم يزعم أن نوحا كان فى زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذى بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق*

﴿ ذكر ذرية نوح عليه السلام ﴾

قال النبى ﷺ فى قوله تعالى : (وجعلنا ذريته هم الباقين) انهم سام وحام ويافث ، وقال وهب بن منبه : أن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج وماجوج ، وقيل : أن القبط من ولد فوط بن حام وانما كان السودان فى نسل حام لان نوحا نام فانـكشفت سوأته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ماصنع حام واخوته فدعا عليهم (١) قال ابن اسحاق فكانت أمرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا: أرفخشذ، واشوذ، ولاوذ، وآرم، قال: ولاأدرى آرم لام أرفخشذ واخوته أم لا ؟ فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الـكنعانيون والفراعنة بمصر وكان أهل البحرين وعمان (٢) منهم ويسمون

---

(١) هذا الخبر فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين من العهد القديم ولـكن لم يذكر به ان الدعوة كانت بسواد لون ولده ولـكن بان يكون اولاد كنعان بن حام عبيدا لاخوانهم ولله در شيخ المعرة اذ يقول :

ماالسود حام لذنب كان أحدثه ... لـكن غريزة لون خطها الملك

(٢) بضم العين وتخفيف الميم على وزن غراب وهى كورة عربية تقع فى شمال اليمن وعلى شاطىء البحر الهندى وعاصمتها مسقط ومعظم أهلها خوارج اباضية *

جاشم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهى بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فاصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس وكان طسم سا كني اليمامة الى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم قوما عربا لسانهم عربى، ولحقت عبيل بيثرب قبل أن تبنى ، ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء، وانحدر بعضهم الى يثرب فأخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة فأقبل سيل فاجتحفهم أى أهلكهم فسميت الجحفة. قال : وولد آرم بن سام عوض ، وعابر وحويل . فولد عوض: عابر وعاد وعبيل وولد عابر بن آرم: ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المصرى وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم : العرب العاربة ويقولون لبنى إسماعيل : العرب المتعربة لانهم انما تكلموا باسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت، وكانت ثمود بالحجر [1] بين الحجاز والشام الى وادى القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين وإسم اليمامة اذذاك جو وسكنت جاشم عمان ، والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام *

والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام. [2] قال : وولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا ، وولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد لشالخ عابر ، ولعابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت فى ايامه ، وقحطان [3] بن عابر ، فولد لقحطان يعرب ويقظان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بابيت اللعن ، وولد لفالغ بن عابر ارغو وولد لارغو ساروغ وولد لساروغ ناخور وولد لناخور تارخ واسمه بالعربية آزر وولد لآزر ابراهيم عليه السلام وولد لارفخشذ أيضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح، قال هشام بن الكلبى : السند والهند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان فى قول من نسبه الى غير اسماعيل *

والبربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ماخلا صنهاجة وكتامة فانهما بنو فريقش بن صيفى بن سبأ *

---

(١) بكسر فسكون ويسمى المدائن لا تزال آثاره باقية وتمر بالقرب منه السكة الحديدية التى بين دمشق والمدينة المنورة (٢) اهل العلم بالانواع البشرية يقولون ان الفرس آريون من ولد يافث (٣) الباحثون فى الشعوب واللغات من اهل اوربا يقولون ان القحطانيين فرقة من الحبشان نزلت اليمن فى زمن متأخر ويميل جورجى زيدان الى انهم من العمالقة الذين كانوا بمصر رحلوا الى الحبشة وتكلموا بلسانها ثم نزلوا اليمن بعد ذلك بقرون كثيرة

Marfat.com

وآما يافث فمن ولده جامر [١] وموعع ومورك وبوان وفوبا وماشسج وتيرش ، فمن ولد جامر ملوك فارس فى قول ،ومن ولد تيرش الترك والخزر،ومن ولدماشج الاشبان* ومن ولدموعع يأجوج ومأجوج،ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان.والاشبان كانوا فى القديم بارض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة:سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها، ومن ولد يافث الروم [٢] وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح *

وأماحام فولدله كوش ومصرايم وفوط [٣] وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن كوش،وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر، وأمافوط فقيل : انه سار الى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده، وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني اسرائيل ثم وثبت الروم [٤] على بني اسرائيل فاجلوهم عن الشام الى العراق الاقليلا منهم،ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام . وكان يقال لعاد عادارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود ارم *

قال : وزعم أهل التوراة ان ارفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة ، ثم ولد لارفخشذ قينان بعد ان مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره أربعمائة وثمانيا وثلاثين سنة،ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم تذكر مدة عمر قينان فى الكتب لما ذكرنا من سحره،ثم ولد لشالخ عابر بعد مامضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة ، ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان [٥] وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة ، ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد لارغو ساروغ بعد مامضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة ؛ وولد لساروغ ناخور [٦] بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة ، ثم

---

(١) الذى فى التوراة جومر آية ٣ اصحاح ١٠ تكوين (٢) قد حكى المؤلف نسبة الروم الى سام قبل ذلك كما نسب اليه المصريين ثم نسبهم بعد ذلك الى حام (٣) بالفاء (٤) تأمل فان النافى لهم اولا هو بخت نصر لا الروم (٥) الذى فى التوراة فالج واخوه يقطان ومعناه الصغير آية ٢٥ اصحاح ١٠ تكوين (٦) فى التوراة ناحور بالحاء المهملة آية ٢٢ اصحاح ١١ تكوين

Marfat.com

ولد لناخور تارخ أبو إبراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة، وولد تارخ وهو آزر إبراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين سنة، وولد لقحطان بن عابر يعرب، فولد ليعرب يشجب، فولد ليشجب سبأ فولد سبا حمير وكهلان وعمراً والأشعر وأنمار ومرا، فولد عمرو بن سباعديا وولد عدى لخما وجذاما *

(ذكر ملك أفريدون)

وهو افريدون بن أثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس: أن نوحا هو افريدون الذى قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم: أن افريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم الذى ذكره الله فى كلامه العزيز وانما ذكرته فى هذا الموضع لان قصته فى أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ماسيأتي ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل: ان هلاك الضحاك كان على يد نوح * وأما باقى نسابة الفرس فانهم ينسبون أفريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى أثغيان خوفا من الضحاك وانما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم: أثغيان صاحب البقر الاحمر وأثغيان صاحب البقر البلق وأشباه ذلك، وكان افريدون أول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الأوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الأرض وغيرها الا مالم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين، وقيل: انه أول من سمى الصوفى وهو أول من نظر فى علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الأكبر شرم والثاني طوج والثالث ايرج فخاف أن يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم أثلاثاً وجعل ذلك فى سهام كتب أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية العرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه وأعطاه التاج والسرير، ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد ينمو بينهم الى أن وثب طوج وشرم على أخيهما أيرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكا الأرض بينهما ثلاثمائة سنة ولم يزل افريدون يتبع من بقى بالسواد من آل نمروذ والنبط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة *

Marfat.com

﴿ ذكر الاحداث التى كانت بين نوح وإبراهيم ﴾

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ومساكن كل فريق منهم ، فكان ممن طغى وبغى - فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله - هذان الحيان من ولد ارم بن سام بن نوح أحدهما عاد والثانى ثمود فاما عاد فهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الأولى وكانت مساكنهم ما بين الشحر [1] وعمان وحضرموت بالأحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم . يقول الله تعالى : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة) فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ، ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لاحدهما ضرا وللاخر ضمور وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة ؟ ولم يؤمن بهود منهم الا قليل ، وكان من أمره ما ذكره ابن إسحق قال : ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفدا إلى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل بن عير ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم إسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ولقمان ابن عاد بن فلان بن عاد الأكبر فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية ابن بكر بظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا أخواله وصهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التى بقيت بعد عاد الأولى ، فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال : هلك أخوالى واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج الى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعراً تغنيهم به لا يدرون من قائله لعلهم يتحركون فقال معاوية :

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما

فيسقى أرض عاد أن عادا * قد امسوا [2] لا يبينون الكلاما

فى أبيات ذكرها ، والهينمة الكلام الخفى فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم

---

(١) بشين معجمة فحاء مهملة كورة من سهول اليمن الشرقيه (٢) قد امسوا بهمزة وصل .

Marfat.com

قال بعضهم لبعض ياقوم بعشكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم فأبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد: انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر إسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخيبرى خال معاوية لمعاوية بن بكر : احبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا ، فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها باقيل اختر لنفسك وقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقى من عاد أحدا لا ولد تترك ولا والد الا جعلته همدا الا بنى اللوذية المهدى، وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية ابن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى(بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أى كل شيء أمرت به ودمرت اول من رأى مافيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت مافيها صاحت وصعقت فلما أفاقت قالوا : ماذا رأيت ؟ قالت: رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادى قال شعبة رهط من الخلجان : تعالوا حتى نقوم على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقى الخلجان فمال إلى الجبل وقال :

لم يبق إلا الخلجان نفسه * ياالك من يوم دهاني أمسه !
بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجئنى جئته اجسه

فقال له هود: أسلم تسلم فقال: ومالى ؟ قال : الجنة فقال فماهؤلاء الذين فى السحاب كانهم البخت ؟ قال : الملائكة قال: أيعيذنى ربك منهم إن أسلمت ؟ قال : هل رأيت ملكا لا يعيذ من جنده ؟ قال لو فعل مارضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال تعالى، والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك واعتزل هود والمؤمنون فى حظيرة لم يصبه ومن معه الا تليين الجلود وانها لتمر من عاد بالظعن مابين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة، وعاد وفد عاد الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود قال : وكان قد قيل للقمان ابن عاد اختر لنفسك إلا أنه لا سبيل الى الخلود فقال يارب أعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار

Marfat.com

عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان ياخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتي اذامات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلمامات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا قال: وكان عمر هود مائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت[1] وقيل بالحجر [2] من مكة فلما هلكوا أرسل الله طيرا أسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى (فأصبحوا لايرى الامساكنهم) ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فذلك قوله (أهلكوا بريح صرصر عاتية) وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت على من فيه *

وأما ثمود فهو لد ثمود بن جاثر بن أرم بن سام ودانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماشج ابن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كماشج بن اروم بن ثمود يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا ياصالح ! قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا ؟ وكان الله قد أطال اعمارهم حتي ان كان أحدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا فى سعة من معايشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا ياصالح اخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فارنا آية فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح مايدعو به وقال له سيد قومه ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتي الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذاهى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم

---

(١) يوجد قبر بحضرموت لا يبعد كثيرا عن مدينة تريم يقال له قبر هود عليه السلام (٢) بكسر فسكون وهو حجر اسماعيل عليه السلام .

Marfat.com

Marfat.com

تشرب منه شيئا وتزودوا من الماء للغد فاوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا : ما كنا لنفعل قال : لا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها قالوا وما علامته فوالله لانجده إلاقتلناه قال : فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال فكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لايجدلها كفؤا فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلماقال لهم صالح : انما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون فى القرية فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ماهو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذى يريد نبيّ الله صالح فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لوأرادصالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون فى الأرض ولايصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفا أن يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج فترى الناس أننا نريد السفر فنأتى الغار الذى على طريق صالح فنكون فيه فاذاجاء الليل وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا : ماشهدنا قتله فيصدقناقومه وكان صالح لايبيت معهم كان يخرج إلى مسجدله يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه فلمادخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال الى الغار فرأوهم هلكى ، فعادوا يصيحون أن صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم، وقيل : انما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقرالناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا: تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلنا قتله وان كان كاذبا ألحقناه بالناقة فأتوه ليلا فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح : أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا إنه قدأنذركم العذاب فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلمه اليكم فعادوا عنه * فعلى القول الأول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح والله أعلم *

وأماسبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا على قتلها، وقيل : ان ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللاخرى قبال وكان قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما ففى بعض الليالى قالتا لقدار ومصدع لاسبيل لكما الينا حتى تقتلا الناقة فقالا : نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة وهى على حوضها

فقال الشقى لأحدهم اذهب فاعقرها فاتاها فتعاظمه ذلك فاصرت عنه وبعث آخر فاعظم ذلك وجعل لايبعث أحدا إلاتعاظمه قتلها حتى مشى هو اليها فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء واسمه بلغتهم جبار ،وكان هلاكهم يوم الأحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال :أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يانبى الله انماعقرها فلان انه لاذنب لنا قال: انظروا هل تدركون فصيلها ؟ فان أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة قصيرا فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال فى السماء حتى ماينالاه الطير ودخل صالح القرية ولمارآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا فقال صالح لكل رغوة أجل يوم (تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غيرمكذوب) وآية العذاب أن وجوهكم تصبح فى اليوم الأول مصفرة وتصبح فى اليوم الثاني محمرة وتصبح فى اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فلما أصبحوا فى اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة فلما أصبحوا فى اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الأنطاع ثم ألقوا أنفسهم إلى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء والأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب ؟ فلما أصبحوا فى اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة ، فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ، وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الارجلا كان فى الحرم فمنعه الحرم * قيل: ومن هو ؟ قيل: هو أبو رغال وهو أبو ثقيف فى قول ،ولما سار [1] النبى ﷺ أتى على قرية ثمود فقال لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية ولاتشربوا من مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل فى الجبل ، واراهم الفج الذى كانت الناقة ترد منه الماء *

وأما صالح عليه السلام فانه سار إلى الشام فنزل فلسطين ، ثم انتقل إلى مكة فاقام بها يعبد الله حتى مات [2] وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد اقام فى قومه يدعوهم عشرين سنة *

واما أهل التوراة فانهم يزعمون انه لاذكر لعاد وهود وثمود وصالح فى التوراة ،قال:

---

(١) أى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك (٢) يوجد بحضرموت قبر يدعونه قبر صالح و يقولون ان ثمود ا ارتحلوا من حضرموت الى الشمال فلما هلكوا جاء صالح الى موطن قومه الأول *

Marfat.com

وأمرهم عند العرب فى الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام *

﴿ قلت ﴾ وليس انكارهم ذلك باعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حال المسيح عليه السلام *

﴿ ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان فى عصره من ملوك العجم ﴾

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام *واختلف فى الموضع الذى كان فيه والموضع الذى ولد فيه فقيل : ولد بالسوس من أرض الأهواز (١) وقيل: ولد ببابل (٢) وقيل : بكوثي (٣) وقيل بحران (٤) ولكن أباه نقله (٥) قال عامة أهل العلم : كان مولده فى عهد نمروذ بن كوش، ويقول عامة أهل الأخبار : ان نمروذ كان عاملا للازدهاق الذى زعم بعض من زعم أن نوحا أرسل اليه * وأما جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان

---

(١) هو المشهور الآن بالمحمرة ولا يزال اهلها يحسنون العربية ولها أمير خاص من العرب تحت سلطة الفرس وآخر أمير اسمه خزعل اعتقلته الفرس سنة ١٣٤٥ هجرية ابان نهضتهم الجديدة للقضاء نهائيا على هذه الأمارة العربية قال صاحب مراصد الاطلاع فى كلمة اهواز وكان اسمها فى أيام الفرس .خورستان قال صاحب كتاب العين هى سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم والاهواز يجمعهن ولا ينفرد الواحد منها بهوز اهادارة

(٢) بابل بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة والحلة قلت والمشهور بهذا الاسم المدينة الخراب بقرب الحلة والى جانبها قرية تسمى الآن بيابل عامرة اه مراصد الاطلاع (٣) كوثى بالضم ثم السكون والثاء المثلثة والف مقصورة تكتب بالياء لانها رابعة اسم لنهر بالعراق وهو أول نهر حفر به ثم حفرت الانهار بعده وكوثى ثلاثة مواضع بسواد العراق بارض بابل وقد طم واخرج غيره و بمكة منزل بنى عبد الدار خاصة وكوثى بالعراق فى موضعين كوثى الطريق وكوثى رباو بها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وهما قريبان و بينهما تلول من رماد و يقال انها رماد النار التى اوقدها نمروذ لاحراقه اه مراصد (٤) حران بتشديد الراء وآخره نون مدينة قديمة هى قصبة ديار مضر بينها و بين الرها يوم و بين الرقة يومان فقيل : هى أول مدينة بنيت بعد الطوفان ـ وكانت منازل الصابئة الحرانيين الذين يذكرهم مصنفوا الملل والنحل وهى مهاجر الخليل عليه السلام اه مراصد ولا تزال فى تلك الاماكن آثار يزعمون انها مقر المنجنيق ومحل نار الخليل وفى الرها عين لا يزال صيدها محرما إلا اذا تجاوز السمك محلا مخصوصا و يعتقد الناس صحة ذلك و يلقون للسمك الاكل وهو لا يهابهم بل متى رأى احدا فانه يقرب منه طمعا فى الغذاء و يأكل على مرأى من الناس لصفاء الماء وتوجد عين ثابتة تبعد عنها مرحلة تسمى عين العروس بالقرب من التل الابيض وهى تابعة للرقة أحد أقضية دير الزور وهذه العين محرم صيدها الا اذا ضاقت العين بالاسماك وانتقلت الى أرض الحل فعندئذ يباح صيدها و يزعمون بان زفاف ابراهيم عليه السلام على ساره كان هناك وما أكثر الآثار وما أكثر دعاتها من المتعيشين بسببها !! والله اعلم بالحقيقة اه الادارة (٥) لم يذكر فى التوراة مولده ولكنه ذكر فيها انه فر من أرض الكلدانيين تكوين اصحاح ١١ آية ٣١ وهى اليوم مطمح انظار المكتشفين والمنقبين عن الآثار

Marfat.com

Marfat.com

ملكا برأسه ، قال ابن إسحق : وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها وكان ببابل قال ويقال : لم يجتمع ملك الأرض الا لثلاثة ملوك نمروذ ، وذى القرنين،وسليمان ابن داود ، وأضاف غيره اليهم بختنصر وسنذكر بطلان هذا القول *

فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجة على خلقه ورسولا إلى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبى إلا هود وصالح (١) فلما تقارب زمان ابراهيم أتى أصحاب النجوم نمروذ فقالوا له : انا نجد غلاما يولد فى قريتك هذه يقال له ابراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أصنامكم فى شهر كذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمروذ الحبالى عنده إلا أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها أثره فذبح كل غلام ولد فى ذلك الوقت، فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها ، فولدت ابراهيم ، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ، ثم سعت الى بيتها راجعة ، ثم كانت تطالعه لتنظر مافعل ؛ فكان يشب فى اليوم ما يشب غيره فى الشهر ، وكانت تجده حيا يمص إبهامه جعل الله رزقه فيها *وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات ، فصدقها ، وقيل : بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسى الملك ذكر ذلك فقال آزر : ان لى ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به ؟ فقالوا : لا فانطلق ، فأخرجه من السرب ، فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه ، فجعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه : هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك فقال : مالهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب ؟وكان خروجه بعدغروب الشمس فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشترى فقال : هذا ربى فلم يلبث أن غاب فقال : لا أحب الآفلين ، وكان خروجه فى آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر وقيل : كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا وقال لأمه وهو فى المغارة أخرجينى انظر فأخرجته عشاء ، فنظر فرأى الكوكب وتفكر فى خلق السموات والأرض وقال فى الكوكب ما تقدم، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربي فلما غاب قال : (لئن لم يهدنى ربي لأكونن من القوم الضالين) فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال : هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال : ياقوم!انى برىء مما تشركون ، ثم رجع

---

(٧) هذا لا يتمشى الا على قول من يقول ان مكة كانت مبنية وبها البيت قبل ابراهيم وهود . وأما من يقول : ان الذى بناه هو ابراهيم ولم يبن قبله وهو ما أميل اليه فلا يجعل هودا قبل ابراهيم واذا جعله قبله وجب أن ينفى استقاء عاد بالبيت *

Marfat.com

ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرىء من دين قومه الا أنه لم ينادهم بذلك فأخبرته امه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسره ذلك ، وكان آزر يصنع الأصنام التى يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول : من يشرى مالا يضره ولا ينفعه ، فلا يشتريها منه أحد ، وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوب رؤسها فيه ويقول : اشربي استهزاء بقومه حتى فشا ذلك عنه فى قومه غير انه لم يبلغ خبره نمروذ فلما بدا لابراهيم أن يدعو قومه الى ترك ماهم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا : من تعبد أنت ؟ قال : رب العالمين قالوا : نمروذ ؟ قال : بل أعبد الذى خلقنى فظهر أمره *

وبلغ نمروذ ان ابراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الأصنام التى يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهى بها ليفعل بأصنامهم ذلك فنظر نظرة فى النجوم ، فقال : اني سقيم أى طعين ليهربوا منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم ، وكان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا قال : هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد ، وخالف الى أصنامهم وهو يقول : (تالله لأكيدن أصنامكم) ، فسمعه ضعفاء الناس ومن هو فى آخرهم ؛ ورجع الى الأصنام وهى فى بهو عظيم بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدى آلهتهم وقالوا : نترك الآلهة الى حين نرجع فتأكله فلما نظر ابراهيم الى مابين أيديهم من الطعام قال : ألا تأكلون ؟ فلما لم يجبه أحد قال : مالكم لا تنطقون ؟ فراغ عليهم ضربا باليمين فكسرها بفأس فى يده حتى اذا بقى أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن *

فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموه وقالوا : (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ؟ قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذى نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمروذ وأشراف قومه فقالوا : (فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) ما نفعل به ، وقيل : يشهدون عليه كرهوا أن يأخذوه بغير بينة فلما أتي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ قالو ؛ (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) غضب من أن تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه ومانراه الا كما قال ، ثم قالوا : وعرفوا أنها لا تضر

ولا تنفع ولا تبطش (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالأيدى فنصدقك يقول الله تعالى : (ثم نكسوا على رؤسهم) فى الحجة عليهم لابراهيم ، فقال لهم ابراهيم — عند قولهم ما هؤلاء ينطقون — :(أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)*

ثم ان نمروذ قال لابراهيم أرأيت الهك الذى تعبده وتدعو الى عبادته ما هو ؟ قال : (ربي الذى يحيي ويميت) قال نمروذ : أنا أحيي وأميت قال ابراهيم : وكيف ذلك ؟ قال : آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما فا كون قد أمته وأعفو عن الآخر فأ كون قد أحييته ،(فقال ابراهيم : ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيئا *

ثم إنه وأصحابه أجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله ابن عمر أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس قيل له :وللفرس أعراب ؟ قال نعم الأكراد هم أعرابهم،قيل : كان اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، فامر نمروذ بجمع الحطب من أصناف الخشب حتي ان كانت المرأة لتنذر بان بلغت ما تطلب أن تحتطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا النار حتي ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما أجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والأرض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة أى ربنا : ابراهيم ليس فى أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك ، فأذن لنا فى نصره ، قال الله تعالى: ان استغاث بشيء منكم فلينصره وان لم يدع غيرى فأنا له ، فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل،وعرض له جبريل وهو يوثق فقال : ألك حاجة يا ابراهيم ، قال : أما اليك فلا فقذفوه فى النار فناداها الله فقال : يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ، وقيل : ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلام لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت أنها هى ، وبعث الله ملك الظل فى صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه فمكث نمروذ أياما لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى يحرق بعضها بعضا وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه : لقد رأيت كأن ابراهيم حى ولقد شبه على ابنوا لى صرحا يشرف بي على النار فبنوا له واشرف منه فرأى ابراهيم جالسا والى جانبه رجل فى صورته

Marfat.com

فناداه نمروذ:يا ابراهيم ان الهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما ارى هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال : نعم قال : أتخشى ان أقمت فيها ؟ قال : لا، فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له ، يا ابراهيم ! من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك ؟ قال : ذلك ملك الظل ارسله إلىّ ربي ليؤانسني ، قال نمروذ انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت إلا عبادته ، فقال إبراهيم : إذاً لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك ،فقال :يا ابراهيم ! لا أستطيع ترك ملكى،وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا ماصنع الله به على خوف من نمروذ وملئهم،وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم، و كان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ [1] وهو أبو بتويل،وبتو يل أبو لابان وأبو ربقا [2] امرأة اسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليئة وراحيل زوجتى يعقوب وآمنت به سارة وهى ابنة عمه وهى سارة ابنة هاران [3] الأكبر عم ابراهيم * وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم *

﴿ ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه ﴾

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم ، فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وقيل : كان أخا الضحاك استعمله على مصر ، وكانت سارة [4] من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيئاً ، فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم ، فقال : من هذه التى معك ؟ قال : أختى يعنى فى الاسلام وتخوفان قال هى امرأتى أن يقتله ،فقال له:زينها وأرسلها الىّ فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلى فلما أهوى اليها

---

(١) الذى فى التوراة ناحور وتارح بالحاء المهملة فيهما راجع التكوين الاصحاح الحادى عشر (٢) الذى فى التوراة رفقه بالفاء الموحدة فوق كما فى الاصحاح الرابع والعشرين من التكوين (٣) الذى فى التوراة انها أخته لابيه فقط كما فى آية ١٢ من الاصحاح ٢٠ من التكوين (٤) فى التوراة ان اسمها سارأى أول الامر ثم سميت سارا لان الهاء آخر الكلمة فى العبرية لاينطق بها ونصها فى العبرية ١٦٦ ومعناه الاميرة ومذكره ٦٢٢٢ *

Marfat.com

اخذ أخذا شديدا) فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى اليها فاخذ أخذا شديدا ، فقال : ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل، ثم فعل ذلك الثالثة ، فذكر مثل المرتين فدعا أدني حجابه ، فقال : انك لم تأتنى بانسان وانك أتيتنى بشيطان. أخرجها وأعطها هاجر ففعل فاقبلت بهاجر ، فلما أحس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال: مهيم ؟ فقالت : كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر ، وكان أبو هريرة يقول : تلك أمكم يابنى ماء السماء ، وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات اثنتين فى ذات الله قوله « اني سقيم » وقوله « بل فعله كبيرهم هذا » وقوله فى سارة « هى أختى » *

﴿ ذكر ولادة اسماعيل عليه السلام وحمله الى مكة ﴾

قيل : كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت : خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبى ﷺ : اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (١) يعنى ولادة هاجر ، فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبيا ، وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا فآذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة اعنز وقال : اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترف منه امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى

---

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الفضائل فى باب وصية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باهل مصر ونصه عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « انكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاذا افتتحتموها فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال « ذمة وصهرا » ونقل الشيخ شكرى الانقروى فى تعليقه على النسخة المطبوعة فى الآستانة (ج٧ : ص١٩٠) مانصه قال الامام التورپشتى : كنت أرى هذا الحديث مشكلا لان تسمية القيراط لم تكن مختصة باهل مصر بل يشاركهم فيها البدو والحضر من بلاد العرب حتى وجدت فى كتاب الطحاوى الموسوم بمشكل الآثار انه قال انما الاشارة بها الى كلمة يستعملها أهل مصر فى المسابة واسماع المكروه فيقولون : أعطيت فلان قراريط أى اسمعته المكروه والسباب اه مبارق وقوله عليه السلام فاستوصوا باهلها خيرا يعنى اطلبوا الوصية من أنفسكم باتيان اهلها خيرا أو معناه اقبلوا وصيتى يقال أوصيته فاستوصى اى قبل الوصية بهم أى ان القوم لهم دناءة وفحش فى لسانهم فاذا استوليتم عليهم فاحسنوا اليهم بالعفو ولا يحملنكم سوء أقوالهم عن الاساءة بهم اه مبارق شرح المشارق . الادارة

Marfat.com

أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذى هو عليه اليوم ، وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا ببلد يقال له قط أو قط *

قال: فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحاق وعمرها سبعون سنة (١) فعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة ، فلما كبر اسماعيل واسحاق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء ، وقيل كان اسماعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح (٢) وقالت سارة لا تسا كننى فى بلد فاوحى الله الى ابراهيم أن ياتي مكة وليس بها يومئذ نبت فجاء ابراهيم باسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم ! من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس ؟ قال : ربي أمرني قالت : فانه لن يضيعنا فلما ولى قال : (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) يعني من الحزن، وقال: (رب اني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) الآية فلما ظمىء اسماعيل جعل يدحض الأرض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيئا فلم تر شيئا فانحدرت الى الوادى فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيئا فلم تر شيئا ففعلت ذلك سبع مرار فذلك أصل السعى ثم جاءت الى اسماعيل وهو يدحض الأرض بقدميه وقد نبعت العين وهى زمزم فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته فى سقائها قال فقال النبى ﷺ «يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة» وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء فجاؤا إلى هاجر فقالوا : لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك ؟ قالت : نعم فكانوا معها حتى شب اسماعيل وماتت هاجر فتزوج اسماعيل امرأة من جرهم (٣) فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة ، واستأذن ابراهيم سارة أن ياتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته :

---

(١) الذى فى التوراة ان عمرها كان تسعين سنة كما فى آية ١٧ من الاصحاح ١٧ من التكوين (٢) هو الموافق لما فى التوراة وفيها انها قالت لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق آية ١١ اصحاح ٢١ من التكوين (٣) الذى فى التوراة ان امه زوجته امرأة مصرية كما فى آية ٢١ من الاصحاح ٢١ من التكوين. وفى كتب اليهود ما يفيد انه تزوج بعدة نساء *

Marfat.com

أين صاحبك ؟ قالت ليس ههنا ذهب يتصيد و كان اسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع ، قال ابراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت ليس عندى ضيافة وما عندى أحد فقال ابراهيم : اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له : فليغير عتبة بابه *

وعاد ابراهيم ، وجاء اسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل عندك أحد ؟ قالت : جاءني شيخ كذا و كذا كالمستخفة بشأنه قال : فما قال لك؟ قالت : قال : اقرئي زوجك السلام وقولى له : فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى *

فلبث ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك؟ قالت: ذهب ليتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها: فعندك ضيافة؟ قالت: نعم قال : فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر ؟ قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت : انزل حتي أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالاناء ، فوضعته عند شقه الايمن ، فوضع قدمه عليه ، فبقى أثر قدمه فيه ، فغسلت شق رأسه الأيمن ، ثم حولت المقام الى شقه الايسر ، ففعلت به كذلك فقال لها : إذا جاء زوجك فاقرئيه عنى السلام وقولى له : قد استقامت عتبة بابك ، فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم : شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لى : كذا وكذا وقلت له : كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرئك السلام ويقول: قد استقامت عتبة بابك قال : ذلك ابراهيم[1] *

وقيل: ان الذى أنبع الماء جبرائيل فانه نزل الى هاجر وهى تسعى فى الوادى فسمعت حسه فقالت: قد اسمعتنى فاغثنى فقد هلكت أنا ومن معى ، فجاءها الى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ، ففارت عينا فتعجلت فجعلت تفرغ فى شنها فقال لها لا تخافى الظما *

﴿ ذكر عمارة البيت الحرام بمكة ﴾

قيل : ثم أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة وهى ريح خجوج وهى اللينة الهبوب لها رأسان ، فسار معها ابراهيم حتي انتهت الى موضع البيت فتطوت عليه كتطوى الحجفة[2] فأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم ، وقيل: أرسل الله

---

(١) هذا هو الذى قرأته فى الكتب العبرية و يغلب على ظنى انها منصوصة فى التلمود (٢) اى الترس الذى يستتر به وفى تاريخ الطبرى الحية بدل الحجفة وهو أظهر *

Marfat.com

مثل الغمامة له رأس فكلمه ، وقال : يا ابراهيم ! ابن على ظلى أو على قدرى لا تزد ولا تنقص فبنى وهذان القولان نقلا عن على ، وقال السدى : الذى دله على موضع البيت جبريل [1] فسار ابراهيم الى مكة فلما وصلها وجد اسماعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له : يا اسماعيل ! ان الله قد امرني أن ابنى له بيتا قال اسماعيل : فاطع ربك ؛ فقال ابراهيم : قد أمرك أن تعينني على بنائه قال : اذن أفعل ، فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ، ثم قال ابراهيم لاسماعيل : ائتني بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علماً فناداه أبو قبيس : ان لك عندى وديعة وقيل : بل جبريل أخبره بالحجر الأسود فاخذه ووضعه موضعه وكانا كلما بنيا دعوا الله (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) *

فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله ، فلما فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقال ابراهيم : يا رب ؟ وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البلاغ ، فنادى أيها الناس ! ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق [2] فسمعه ما بين السماء والأرض وما فى اصلاب الرجال وأرحام النساء ، فاجابه من آمن ممن سبق فى علم الله أن يحج الى يوم القيامة فاجيب لبيك لبيك *

ثم خرج باسماعيل معه الى التروية فنزل به مني ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة [3] ثم بات حتي أصبح فصلى بهم الفجر ، ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ، ثم راح بهم الى المرقف من عرفة الذى يقف عليه الامام ، فوقف به على الاراك ، فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتي أتي المزدلفة ، فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها ومن معه حتي إذا طلع الفجر صلى الغداة ، ثم وقف على قزح [4] حتي اذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ، ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ، ثم عاد به الى مني ليريه كيف رمى الجمار حتي فرغ من الحج ، وروى عن النبى ﷺ ان جبرائيل هو الذى أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه [5] ابراهيم عليه السلام

---

(١) قد تقدم ما يفيد أن البيت كان موجودا قبل ابراهيم والذى أميل اليه ان ابراهيم هو أول من بناه (٢) كيف يسميه فى ذلك اليوم عتيقا وقد كان جديدا ؟ (٣) قضية هذا ان ابراهيم كان يصلى الصلوات الخمس كما يصليها المسلمون اليوم وهو مالا نجد له سندا من الكتاب القديم (٤) وهو المشعر الحرام الواقع بين منى والمزدلفة (٥) يوجد قول بان جرهم بنته بعد بناء ابراهيم و يشير الى ذلك قول الشاعر

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

Marfat.com

إلى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ على ماذكره ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر قصة الذبح ﴾

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح فقال بعضهم : هو اسماعيل (١) وقال بعضهم: هو اسحق وقد روى عن النبي ﷺ كلا القولين ، ولوكان فيهما صحيح لم نعده الى غيره فاما الحديث فى أن الذبيح اسحق فقد روى الأحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله ﷺ فى حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم (٢) هو اسحق ،وقد روى هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه ، وأما الحديث الآخر فى أن الذبيح اسماعيل فقد روى الصنابحى قال : كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح فقال : على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يارسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك ﷺ فقيل لمعاوية: وما الذبيحان ؟ فقال : ان عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده ، فخرج السهم على عبد الله أبى النبي ﷺ ففداه بمائة بعير ـ وسنذكره ان شاء الله ـ والذبيح الثانى اسماعيل *

﴿ ذكر من قال انه اسحق ﴾

ذهب عمر بن الخطاب وعلى والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضى الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبي الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام * حدث عمرو بن أبى سفيان بن أبي أسيد بن جارية الثقفى ان كعبا قال لابي هريرة: ألا أخبرك عن اسحاق بن ابراهيم ؟ قال بلى قال كعب (٣) لما رأى ابراهيم

---

(١) فى إنجيل برنابا من الحواريين ان الذبيح هو اسماعيل وان اليهود غيروا اسم الذبيح وجعلوه اسحق وان المسيح كان يوبخهم على ذلك فى الفصل الرابع والاربعين آية ١٠ فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة ١١ فكيف يكون اسحق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين؟

(٢) هذه الآية من تلاها مع ماقبلها ومابعدها فى سورة الصافات يعلم جيدا ان الذين قالوا ان الذبيح اسحق هم اما ممن لم يتدبر معانى القرآن فاصغى الى تحريف اليهود كما ذكر ذلك فضيلة الاستاذ نقلا عن انجيل برنابا واما اناس اشتغلوا بالدراسة عن كتاب الله تعالى ودراسته ذلك لأن الله قال (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى) الى آخر الآيات وهى (وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين) ثم قال (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) فهل يبشر الله به مرتين ويترك اسماعيل البكر الكبير بلا ذكر ؟ لا ريب ان الآيات صريحة بان البشارة الأولى وهى فى ولد ابراهيم غير اسحق وليس يوجد الا الأخ الأكبر وهذا ما تطمئن اليه نفس من قرأ هذه الآيات بامعان ونظر وتدبر وأشار اليه المؤلف فى الباب الآتى اه الادارة (٣) قاتل الله كعبا وجد قلوبا صافية فافسدها بدسائسه واختلاقاته التى ورثها عن أسلافه فرووا عنه مايخالف متن القرآن كما حررنا ذلك فى التعليقة السابقة اه الادارة

Marfat.com

ذبح اسحاق قال الشيطان : والله لئن لم أفتن ـ عندهذا آل ابراهيم لم أفتن أحدا منهم ـ بعد ذلك أبدا لتمثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحاق ؟ قالت : لبعض حاجته، قال : لا والله انما غدا به ليذبحه قالت سارة : لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان : بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا أحسن بان يطيع ربه ، ثم خرج الشيطان فادرك اسحاق وهو مع أبيه فقال له : ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحاق : ماكان ليفعل قال : بلى والله انه زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحاق : فوالله لئن أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال : أين أصبحت غاديا بابنك ؟ قال : لبعض حاجتي قال : لا والله انما تريد ذبحه قال : ولم ؟ قال : لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال إبراهيم فوالله ان كان الله أمرني بذلك لافعلن ، فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم ؛ وأوحى الله الى اسحاق اني معطيك دعوة أستجيب لك فيها، قال اسحاق : اللهم فايما عبد لقيك من الأولين والآخرين لايشرك بك شيئاً فادخله الجنة ، وقال عبيد ابن عمير قال موسى : يارب ! يقولون : ياإله ابراهيم واسحاق ويعقوب ! فبم نالوا ذلك ؟ قال : ان ابراهيم لم يعدل بى شيئا قط الا اختارني ، وان اسحاق جادلى بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن بى *

﴿ أسيد ﴾ بفتح الهمزة وكسر السين ﴿ وجارية ﴾ بالجيم *

﴿ ذكر من قال ان الذبيح اسماعيل عليه السلام ﴾

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبى ومجاهد وعطاء بن أبى رباح كلهم عن ابن عباس أنه قال : ان الذبيح اسماعيل ، وقال : زعمت اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود ، وقال أبو الطفيل والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى : انه اسماعيل قال الشعبى رأيت قرنى الكبش فى الكعبة قال محمد بن كعب : إن الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه انه إسماعيل ، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال : (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) ويقول : (وبشرناه باسحاق نبيا ومن وراء اسحاق يعقوب) بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله عز وجل ماوعده وما الذى أمر بذبحه إلا إسماعيل ، فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو

Marfat.com

Marfat.com

خليفة ؛ فقال : ان هذا لشىء ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت [1] *

﴿ ذكر السبب الذى من اجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح ﴾

قيل : امر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر أنه دعا الله أن يهب له ولدا ذكراً صالحاً فقال: رب هب لى من الصالحين ، فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال : إذن هو لله ذبيح ، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له ، أوف نذرك الذى نذرت ،وهذا على قول من زعم ان الذبيح إسحق وقائل هذا يزعم : أن ذلك كان بالشام على ميلين من أيليا، وأما من زعم أنه إسماعيل فيقول ان ذلك كان بمكة *قال محمد بن إسحق: ان ابراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه : يا بني ! خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك ، فقال:اليك عنى ياعدو الله فو الله لأمضين لأمر الله ، فاعترض اسماعيل فأعلمه مايريد ابراهيم يصنع به ، فقال : سمعا لأمر ربي وطاعة ، فذهب الى هاجر ، فاعلمها فقالت : ان كان ربه أمره بذلك فتسليما لأمر الله ، فرجع بغيظه لم يصب منهم شيئا * فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له: يا بنى ! اني ارى فى المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت ! ! افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، ثم قال له : يا أبت ان أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يصيبك من دمى شىء ، فينتقص أجرى ، فان الموت شديد وأشحذ شفرتك حتى تريحنى فاذا أضجعتني فكبنى على وجهى ،فانى أخشى ان نظرت فى وجهى أنك تدركك رحمة فتحول بينك وبين أمر الله ،وان رأيت أن ترد قميصى الى هاجر أمى فعسى أن يكون أسلى لها عنى فافعل ، فقال ابراهيم : نعم المعين أنت أى بني على أمر الله فربطه كما أمره ، ثم حد شفرته وتله للجبين ، ثم أدخل الشفرة لحلقه ، فقلبها الله لقفاها ، ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه ، فنودى أن : يا ابراهيم ! قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها،وقيل : جعل الله على حلقه صفيحة نحاس .قال ابن عباس : خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا،وقيل :هو الكبش الذى قربه هابيل ، وقال على عليه السلام : كان كبشا أقرن

---

(١) ولولا ان اليهود حرفت وغيرت لوجدنا فيها صراحة ذكر اسماعيل ذبيحا ولكن مع هذا التغيير فانه لا يزال فيها مايدل على ان اسماعيل هو الذبيح كما فى التكوين اصحاح ٢٢ آية ١٢ لانى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . لان اسحق لم يكن فى يوم من الأيام وحيد ابراهيم ولكن اسماعيل هو الذى كان وحيدا قبل ولادة اسحق *

أعين أبيض ، وقال الحسن : ما فدى اسماعيل إلا بتيس من الأروى[1] هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل : بمنى فى المنحر *

﴿ ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام ﴾

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من نمرود وذبح ولده بعد رجاء نفعه ابتلاه الله بالكلمات التى أخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) واختلف السلف من العلماء الأئمة فى هذه الكلمات ، فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه فى قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم وقال الله : (وابراهيم الذى وفى) قال : والكلمات عشر فى براءة وهى (العابدون الحامدون) الآية ، وعشر فى الأحزاب وهى (ان المسلمين والمسلمات) الآية ، وعشر فى المؤمنين أولها الى قوله تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) وقال آخرون : هى عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه : الكلمات عشر وهى خمس فى الرأس، قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ؛ وخمس فى الجسد وهى تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط * وقال آخرون : هى مناسك الحج وقوله تعالى (انى جاعلك للناس اماما) وهو قول أبي صالح ومجاهد * وقال آخرون هى ست وهى الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال : ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض وهاجر من وطنه وأراد ذبح ابنه وختن نفسه ، وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه فى التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب *

﴿ ذكر عدو الله نمرود وهلاكه ﴾

ونرجع الآن إلى خبر عدو الله نمرود وما آل اليه امره فى دنياه وتمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان أول جبار فى الارض ، وكان احراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فاخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته ، وحلف أنه يطلب إله ابراهيم ، فاخذ أربعة أفرخ نسور، فرباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن ، فقرنهن بتابوت ، وقعد فى ذلك التابوت فاخذ معه

(١) بفتح فسكون وآخره الف مقصورة هو الوعل *

Marfat.com

Marfat.com

رجلا ومعه لحم لهن ، فطرن به حتى إذا ذهبن ، اشرف ينظر إلى الارض ، فرأى الجبال تدب كالنمل ، ثم رفع لهن اللحم ونظر إلى الارض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك فى ماء ، ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضات ، فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن ، وذلك قول الله تعالى (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن فى جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ فى بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الالسن [1] يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا *

هكذا روى أنه لم يحدث وهذا ليس بشىء فان الطبع البشرى لم يخل منه انسان حتى الأنبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوى وأشرف أنفسا ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون ، فلو نجا منه أحد لكان الأنبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى ، وإن كان لكثرة ملكه فالصحيح أنه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر ملكا منه ومع هذا فلم يقل فيه شىء من هذا *

قال زيد بن أسلم : إن الله تعالى بعث الى نمرود بعد ابراهيم ملكا يدعوه إلى الله أربع مرات فأبي وقال : أرب غيرى ؟ فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه ، ففتح الله عليه بابا من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم ، فاكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شىء ، فارسل الله عليه بعوضة ، فدخلت فى منخره ، فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه ، وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذى بنى الصرح *

وقال جماعة : إن نمرود بن كنعان ملك مشرق الأرض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير وأخبار الملوك وذلك أنهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذى ذكرنا بعض أخباره فيما مضى وأنه كان ملك شرق الارض وغربها [2] وقول القائل : إن الضحاك الذى ملك الارض هو نمرود ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين

---

(١) الذى فى التوراة ان تبلبل الألسن كان قبل ابراهيم وبعد نوح عليهما السلام راجع الى آخر الآية العاشرة من الاصحاح ١١ من التكوين (٢) يرد هذا ان المصريين لم يعرفوا الضحاك ولم يكن له عليهم ملك *

Marfat.com

يذكرون أن نسب نمرود فى النبط معروف، ونسب الضحاك فى الفرس مشهور، وانما الضحاك استعمل نمرود على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالا على ذلك وكان هو ينتقل فى البلاد، وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمى به افريدون حين ظفر به *

وكذلك يختصر ذكر بعضهم أنه ملك الارض جميعها وليس كذلك وانما كان اصبهبذ(١) مابين الاهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة من قبل لهراسب لان لهراسب كان مشتغلا بقتال الترك مقيما بازائهم ببلخ (٢) وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك، ولم يملك أحد من النبط شبرا من الارض مستقلا برأسه فكيف الأرض جميعها؟! وانما تطاولت مدة نمرود بالسواد، فمكث أربعمائة سنة، ثم دخل من نسله بعد هلاكه جيل يقال له نبط بن قعون ملك بعده مائة سنة؛ ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة، ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة، ثم نمرود بن بالش سنة وشهرا فذلك سبعمائة سنة وسنة، وشهد أيام الضحاك، وظن الناس فى نمرود ماذكرناه فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة (٣) *

﴿ ذكر قصة لوط وقومه ﴾

قد ذكرنا مهاجر لوط مع ابراهيم عليه السلام الى مصر وعودهم الى الشام ومقام لوط بسدوم فلما أقام بها أرسله الله الى أهلها، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى (لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين * أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر) فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر اذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة، وأما اتيانهم المنكر فى ناديهم فقيل: كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم، وقيل: كانوا يتضارطون فى مجالسهم، وقيل: كان يأتي بعضهم بعضا فى مجالسهم، وكان لوط يدعوهم الى عبادة الله،

---

(١) الاصبهبذ عند الفرس بلقب الحافظ الجيوش وأمير الأمراء وقال ياقوت فى معجم البلدان فى طبرستان: وكانت ملوك الفرس يولونها أى طبرستان رجلا ويسمونه الاصبهبذ فاذا عقدوا له عليها لم يعزلوه عنها حتى يموت فاذا مات أقاموا مكانه ولده ان كان له ولد والا أقاموا اصبهبذ آخر (٢) بلخ بفتح فسكون من أشهر بلاد خراسان المشهورة اليوم بالأفغان ولكنها انفصلت عنها وأصبحت اليوم امارة صغيرة تحت سلطة الروس من جملة امارات تركستان (٣) جميع ماذكر هنا عن الملوك ومدتهم لم يوجد له سند يؤيده فهو كلام غير محقق *

وينهاهم عن الأمور التى يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور فى الأدبار ، ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الأليم ، فلا يزجرهم ذلك ، ولا يزيدهم وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده ، ويقولون له : ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم فى غيهم ، فبعث الله - لما أراد هلاكهم ونصر رسوله - جبرائيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكر مشاة فى صورة رجال وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم وسارة و يبشروه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، فلما نزلوا على ابراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتي شق ذلك عليه ، وكان يُضيف من نزل به وقد وسع الله عليه الرزق فرح بهم ورأى ضيفا [1] لم ير مثلهم حسنا وجمالا ، فقال : لايخدم هؤلاء القوم أحد الا أنا بيدى فخرج الى أهله ، فجاء بعجل سمين قد حنذه أى أنضجه ، فقربه اليهم ، فأمسكوا أيديهم عنه ؛ فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا : لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة فضحكت لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) ، فقالت :وصكت وجهها (أألد وأنا عجوز) الى قوله(حميد مجيد) وكانت ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل فى قوم لوط فقال له أرأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين ؟قالوا : وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال :وأربعون قالوا : وأربعون قال: وثلاثون حتي بلغ عشرة قالوا : وان كان فيهم عشرة قال: ماقوم لايكون فيهم عشرة فيهم خير ، ثم قال : (ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) *

ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى أرض له يعمل فيها ، وقد قال الله تعالى لهم : لاتهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا أربع شهادات ، فاتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم فقال لهم : اما تعلمون مايعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض انسانا أخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات * وقيل بل لقوا ابنته فقالوا : ياجارية ، هل من منزل ؟ قالت: نعم

---

(١) قال الجوهرى فى الصحاح الضيف يكون واحدا وجمعا وقد يجمع على الاضياف والضيوف والضيفان والمرأة ضيف وضيفة اهـ

Marfat.com

مكانكم لاتدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت : ياابتاه أدرك فتيانا على باب المدينة مارأيت أصبح وجوهاً منهم لئلا ياخذهم قومك فيفضحوهم ، وكان قومه قد نهوه أن يضيف رجلا ، فجاء بهم فلم يعلم الا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت لهم .قد نزل بنا قوم مارأيت أحسن وجوها منهم ولا أطيب رائحة ؛ فجاءه قومه يهرعون اليه ؛ فقال : ياقوم ! اتقوا الله ولا تخزوني فى ضيفى اليس منكم رجل رشيد ؟ فنهاهم ورغبهم ، وقال : هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فماتريدون قالوا : لقد علمت مالنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم مانريد أولم ننهك عن العالمين ؟ فلما لم يقبلوا منه قال : لوأن لى بكم (١) قوة أو آوى إلى ركن شديد يعنى لو أن لى أنصارا أو عشيرة يمنعوني منكم، فلما قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا : ان ركنك لشديد ولم يبعث الله نبيا الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وأغلق لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستاذن جبرائيل ربه فى عقوبتهم ، فاذن له فبسط جناحه ، ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون : النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الأرض وقالوا للوط: انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ، فاخرجهم الله الى الشام وقال لوط :أهلكوهم الساعة فقالوا لن نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب ؟ *

فلما كان الصبح ادخل جبرائيل،وقيل ميكائيل جناحه فى أرضهم وقراهم الخمس ، فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ؛ فاهلكت من لم يكن بالقرى ، وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت: واقوماه! فادركها حجر فقتلها (٢) ونجى الله لوطا وأهله إلا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف وكان إبراهيم يتشرف عليها ويقول:سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس :سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة ،وسدوم هى القرية العظمى *

(قوله يهرعون اليه) هو مشى بين الهرولة والجمز (٣) *

---

(١) الذى أراه ان المخاطبين بقوله بكم هم الضيفان اه *الادارة : أى فكأن الاستاذ يقصدان لوطا عليه السلام يتمنى أن يكون له من هذه الضيوف قوة يردع بها قومه عن ارتكاب المنكرات اذ أحس بان ضيوفه كرماء فطلب أن ينتصر بهم على القوم الظالمين (٢) الذى فى التوراة انها استحالت عمود ملح كما فى آية ٢٦ من الاصحاح التاسع عشر من التكوين (٣) هو السير السريع*

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه ﴾

لايدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة وقيل : إنها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان ، وقيل : عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح ان هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا فى مسير ابراهيم إلى مكة وهو الصحيح إن شاء الله تعالى *

فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر يقشان .وزمران .ومدين.ومدان. ونشق.وسوح وكان جميع أولاد إبراهيم مع اسماعيل وإسحق ثمانية نفر وكان اسماعيل بكره : وقيل فى عدد أولاده غير ذلك ، فالبربر من ولد يقشان ، وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين ، وقيل : تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة أهير *

﴿ ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه ﴾

قيل : لما اراد الله قبض روح ابراهيم أرسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم ، فرآه ابراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير فى الحر فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها فى عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا دخلت جوفه خرجت من دبره ، وكان ابراهيم سأل ربه أن لايقبض روحه حتي يكون هو الذى يسأله الموت ، فقال ياشيخ مالك تصنع هذا ؟ قال : ياابراهيم الكبر قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر ابراهيم سنتين ، فقال ابراهيم : إنما بينى وبين أن أصير هكذا سنتان اللهم اقبضنى اليك ، فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة . وقيل : مائة وخمس وسبعين سنة *

وهذا عندى فيه نظر لان ابراهيم لايخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فان من عاش مائتى سنة كيف لايرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل *

وروى أبو ذر عن النبى ﷺ أنه قال : «وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف ، قال : قلت : يارسول الله ! فما كانت صحف ابراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها — أيها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة

المظلوم فانى لا أردهـا ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال منها : وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات : ساعة يناجى فيها ربه.وساعة يفكر فيها فى صنع الله، وساعة يحاسب فيها نفسه،وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فى المطعم والمشرب ،وعلى العاقل أن لايكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه أو لذة فى غير محرّم ، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل الا فيما يعنيه *

وهو أول من اختتن ، وأول من أضاف الضيف ، وأول من اتخذ السراويل الى غير ذلك من الأقاويل*

﴿ ذكرخبر ولد اسماعيل بن ابراهيم ﴾

قد ذكرنا فيما مضى سبب اسكان اسماعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه إياها بأمر ابراهيم ، ثم تزوج أخرى وهى السيدة بنت مضاض الجرهمى وهى التى قال لها : قولى لزوجك : قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسماعيل اثنى عشر رجلا [1] نابت وقيذار .واذيل.وميشا.ومسمع. ورما.وماش. وآزر.وقطورا. وفاقس. وطميا.وقيدمان، وكان عمر اسماعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة :ومن نابت وقيذار ابنى اسماعيل نشر الله العرب *

وأرسله الله تعالى الى العماليق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد اسماعيل بغير الالفاظ التي ذكرت*

ولما حضرت اسماعيل الوفاة أوصى الى أخيه إسحق أن يزوج ابنته من العيص بن اسحق وأن يدفن عند قبر أمه هاجر بالحجر *

﴿ ذكر إسحق بن إبراهيم وأولاده ﴾

قيل : ونكح إسحق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص كان أكبرهما وكان عمر إسحق لما ولد له ستين سنة ؛ ثم نكح عيص بن إسحق نسمة بنت عمه إسماعيل فولدت له الروم بن عيص وكل بنى الأصفر من ولده،وزعم بعض الناس أن اشبان من ولده؛ ونكح يعقوب بن إسحق — وهو إسرائيل — ابنة خاله

---

(١) الذى فى التكوين والاصحاح ٢٥ وآية ١٢—١٦ ان اولاد اسماعيل نبايوت ، قيدار ، أدبئيل ، مبسام،مشماع ، دومة ، مساء حدار،تيما،يطور،نافيش،وقدمه *

Marfat.com

Marfat.com

ليـابنت لبان بن بتويل فولدت له روبيل وكان أكبر ولده وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون ولشحر، وقيل: و يشحر، ثم توفيت [1] ليا فتزوج اختها راحيل؛ فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفر دان وتفتالى وجاد وأشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلا [2] *

قال السرى تزوج إسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت أن تضع أراد يعقوب ان يخرج قبل عيص، فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لأعترضن فى بطن أمى ولأقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فسمى يعقوب وسمى أخوه عيص لعصيانه، وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد فقال له إسحق لما كبر وعمى: يابنى! أطعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى و كان عيص رجلا أشعر، وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك، فقالت ليعقوب: يابني! إذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها إلى أبيك، وقل له: أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال: يا أبتاه! كل قال: من أنت؟ قال أنا ابنك عيص فمسحه إسحق فقال: المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت امه: إنه عيص فكل فأكل ودعا له أن يجعل الله فى ذريته الانبياء والملوك، وقام يعقوب وجاء عيص وكان فى الصيد، فقال لأبيه: قد جئتك بالصيد الذى طلبت، فقال: يابنى! قد سبقك أخوك فخلف عيص ليقتلن يعقوب، فقال يابنى قد بقيت لك دعوة فدعا له أن تكون ذريته عدد التراب وأن لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمى اسرائيل *

ثم ان يعقوب تزوج ابنتى خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى: (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف) وولد له منهما، فماتت راحيل فى نفاسها ببنيامين وأراد يعقوب الرجوع إلى بيت المقدس، فاعطاه خاله قطيع غنم، فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة؛ فقالت زوجة يعقوب ليوسف: اسرق صنما من أصنام ابى نستنفق منه فسرق صنما من أصنام أبيها وأحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حبا شديدا ليتمهما، وقال يعقوب لراع من الرعاة: إذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم؟ فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيص فلقيهم عيص

---

(١) سياتى فى هذا الفصل انهما كانتا عنده معا وهو الذى فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين من العهد القديم ولعله هو الصحيح (٢) وهم كما فى آيات ٢٣ الى ٢٦ من اصحاح ٣٥ من سفر التكوين: رؤبين، شمعون لاوى، يهوذا، يساكر، زبولون، يوسف، بنيامين، دان، نفتالى، جاد، أشير *

فسالهم ، فاجابه الراعى بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب بالشام، ومات إسحق بالشام وعمره بمائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام *

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

وهو رجل من الروم [1] من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازج بن عيص ابن إسحق بن ابراهيم * وقيل موص بن روعيل بن عيص ، وكانت زوجته التي أمر أن يضربها بالضغث ليا [2] ابنة يعقوب بن اسحق ، وقيل : هى رحمة ابنة افرايم بن يوسف ، وكانت أمه من ولد لوط : وكان دينه التوحيد والاصلاح بين الناس ، واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها *

وكان من حديثه وسبب بلائه إن إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله، فحسده وسال الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلطه على ماله حسب، فجمع ابليس عظماء أصحابه من العفاريت ، وكان لأيوب البثنية جميعها من أعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة الفدان أتان ، ولكل أتان ولد واثنان وما فوق ذلك ، فلما جمعهم ابليس قال : ماعندكم من القوة والمعرفة ؟ فاني قد تسلطت على مال أيوب ، فقال كل منهم قولا ، فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد فى عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه ، فلما رأى ذلك ابليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلط ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ؛ ثم جاء اليه متمثلا بمعلمه الذى كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا يرقه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فسر بذلك ابليس * ثم ان أيوب ندم لذلك وجد واستغفر ، فصعدت حفظته من الملائكة بتوبته الى الله قبل ابليس ، فلما لم يرجع أيوب عن عبادة ربه والصبر على ما بلاه به سأل الله تعالى أن يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له

---

(١) اذا أراد بالروم ذلك الجيل من الناس الذين يسكنون ايتاليا فذلك بعيد واذا كان يريد قوما بادوا وانقرضوا فربما كان ذلك صحيحا (٢) لم يرد انه كان ليعقوب من تسمى ليا، بل كانت له بنت تسمى دينة آية ٢١ أصحاح ٣٠ من التكوين ثم ان العلماء باوربا اليوم ينكرون وجود أيوب ويقولون انه انسان فرض وآخرون يقولون انه رجل عربى ويستدلون على ذلك باسلوب قصته *

Marfat.com

على ذلك سلطانا فجاءه وهو ساجد ، فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار امره إلى أن انتثر لحمه وامتلأ جسده دودا فان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها اليه ، ويقول : كلى من رزق الله وأصابه الجذام ؛ وكان أشد من ذلك عليه انه كان يخرج فى جسده مثل ثدى المرأة ثم يتفقأ وأنتن حتى لم يطق أحد أن يشم ريحه ، فاخرجه أهل القرية منها الى الـكناسة خارج القرية لا يقربه أحـد إلا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقى مطروحا على الـكناسة سبع سنين ما يسأل الله أن يكشف ما به وما على وجه الارض أكرم على الله منه *

وقيل : كان سبب بلائه ان ارض الشام أجدبت فارسل فرعون إلى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة ، فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ، ثم ان شعيبا النبي دخل الى فرعون ، فقال : يا فرعون ! أما تخاف أن يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه أهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال ؟ وأيوب ساكت لا يتكلم ؛ فلما خرجا أوحى الله الى أيوب يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه استعد للبلاء ، فقال أيوب : أما كنت أكفل اليتيم وآوى الغريب وأشبع الجائع وا كفت[1] الارملة ؟ فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون : من فعل ذلك يا أيوب ؟ ! فاخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال : أنت يارب فاوحى الله اليه استعد للبلاء قال : فدينى قال : اسلمه لك قال : فما أبالى ، وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرناه *

فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته : انك رجل مجاب الدعوة فادع الله أن يشفيك فقال : كنا فى النعماء سبعين سنة فلنصبر فى البلاء سبعين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة ، وقيل : انما أقسم ليجلدنها لأن ابليس ظهر لها ، وقال : بم أصابكم ما أصابكم ؟ قالت : بقدر الله قال : وهذا أيضا بقدر الله فاتبعيني فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم فى وادو قال : اسجدى لى وأرد عليكم فقالت : ان لى زوجا استأمره فلما أخبرت أيوب قال : ألم تعلمى ان ذلك الشيطان ؟ لئن شفيت لأجلدنك مائة جلدة وأبعدها ، وقال لها : طعامك وشرابك على حرام لا أذوق مما تأتيني به شيئا ، فابعدى عنى فلا أراك فذهبت عنه ، فلما رأى أيوب أن امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا ، وقال : رب إنى مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين كرر ذلك فقيل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض[2] برجلك هذا

---

(١) قال فى الصحاح كفت الشىء أكفته كفتا اذا ضممته الى نفسك وفى الحديث « اكفتوا صبيانكم بالليل » اه (٢) الركض ضرب الأرض بالرجل

Marfat.com

مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته . وأما امرأته فقالت : كيف أتركه وليس عنده أحد، يموت جوعا وتأكله السباع ؟ فرجعت اليه ، فرأت أيوب وقد عوفى فلم تعرفه فعجبت حيث لم تره على حاله ، فقالت له : ياعبدالله ! هل رأيت ذلك الرجل المبتلى الذى كان ههنا ؟ قال : وهل تعرفينه اذا رأيتيه ؟ قالت نعم قال : هو أنا فعرفته ، وقيل : انما قال مسنى الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه خاف أن يطل عن ذكر الله تعالى والفكر *

ورد الله اليه أهله ومثلهم معهم قيل هم باعيانهم ، وقيل : رد الله اليه امرأته ورد اليها شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وأنزل الله اليه ملكا فقال : ياأيوب ! ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج الى أندرك[1] فخرج اليه فبعث الله سحابة فألقت عليه جرادا من ذهب وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردها فى اندره ، فقال الملك : أما تشبع من الداخل حتي تتبع الخارج ؟ فقال : ان هذه البركة من بركات ربي لست أشبع منها ، وعاش أيوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة *

ولما عوفى أمره الله أن يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبر من يمينه ففعل ذلك *

وقول أيوب (رب إني مسنى الضر) دعاء ليس بشكوى ودليله : قوله تعالى (فاستجبنا له) . وكان من دعاء أيوب أعوذ بالله من جار عينه تراني إن رأى حسنة ستر ها وان رأى سيئة ذكرها *

وقيل : كان سبب دعائه انه كان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم أحدهم بلدد[2] والآخر اليفز والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو فى البلاء فبكتوه أشد تبكيت ، وقالوا له : لقد اذنبت ذنبا ما اذنبه احد فلهذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى كان معهم لهم كلاما يرد عليهم فقال : قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأى أصوبه ومن الامر أجمله ، وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم ، فهل تدرون حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ؟ ومن الرجل الذى عبتم ؟ ألم تعلموا أن أيوب نبى الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ؟ ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله أنه سخط شيئا من أمره ، ولا أنه نزع شيئا من الكرامة التى أكرم الله بها عباده ، ولا أن أيوب فعل غير الحق فى طول ماصحبتموه ، فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى نفوسكم وقد علمتم ان الله

---

(١) الاندر البيدر أو كدس القمح اه قاموس (١) هم بلدد بكسر الباء الموحدة الشوحى واليفاز — آخره زاى — التيمانى وصوفر النعماتى راجع آية ١١ من الاصحاح الثانى من سفر أيوب

Marfat.com

يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلا على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم وأطال فى هذا النحو من الكلام * ثم قال لهم : وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت مايكل ألسنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حجتكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم خشيته عن الكلام من غيرعى ولا بكم ؟ وانهم لهم الفصحاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت احلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة له فاذا أفاقوا استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين وانهم لابرار ، ومع المقصرين وانهم لاكياس أتقياء ، ولكنهم لايستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالأعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهيمون وجلون *

فلما سمع ايوب كلامه قال : ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فمتي كانت فى القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبدا حكيما عند الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام ثم أقبل على الثلاثة فقال : رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله أن يخلصنى ؟ أو قربوا قربانا لعل الله أن يتقبل ويرضى عني ؟ وانكم قد أعجبتكم أنفسكم فظننتم أنكم عوفيتم باحسانكم فبغيتم وتعززتم ، لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامى معروف من حقى مستنصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم ، فأنتم أشد علىّ من مصيبتى *

ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعا اليه . فقال : رب ! لأى شىء خلقتنى ؟ ليتنى إن كرهتنى لم تخلقني ياليتنى كنت حيضة ملقاة ، وياليتنى عرفت الذنب الذى اذنبت فصرفت وجهك الكريم عني ، لوكنت امتنى فالموت أجمل بى ؟ ! ألم أكن للغريب دارا ، وللمسكين قرارا ، ولليتيم وليا ، وللارملة قيما ؟ إلهى ! أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتى ؟ جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع علىّ البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى ؟ ذهب المال فصرت اسأل بكفى فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها على ويعيرني * هلك أولادى ولو بقى

أحدهم أعانني * قد ملنى أهلى وعقني ارحامى فتنكرت معارفى ، ورغب عني صديقى ؛ وجحدت حقوقى، ونسيت صنائعى * اصرخ فلا يصرخونى واعتذر فلا يعذرونني * دعوت غلامى فلم يجبني ، وتضرعت إلى امتى فلم ترحمنى ، وإن قضاءك هو الذى آذاني واقمأني ، وان سلطانك هو الذى أسقمني * فلو أن ربي نزع الهيبة التي فى صدرى وأطلق لساني حتي أتكلم ملء فمى، ثم كان ينبغى للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت أن تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعه ، لانظر إلى فرحمني، ولادنا منى فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسى *

فلما قال أيوب ذلك أظلتهم غمامة ونودى منها ياأيوب ان الله يقول : قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فقم فأدل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فانه لاينبغى ان يخاصمنى الاجبار * تجعل الزيار فى فم الاسد واللجام فى فم التنين وتكيل مكيالا من النور وتزن مثقالا من الريح وتصرصرة من الشمس وترد امس * لقد منتك نفسك امراً لاتبلغه بمثل قوتك أردت أن تكابرني بضعفك ؟ أم تخاصمنى بعيبك ؟ أم تحاجنى بخطلك أين أنت منى يوم خلقت الارض ؟ هل علمت بأى مقدار قدرتها؟ اين كنت معى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها؟ هل تبلغ حكمتك ان تجرى نورها او تسير نجومها اويختلف بامرك ليلها ونهارها؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله *

فقال أيوب: قصرت عن هذا الأمر ليت الارض انشقت لى فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخطك! ، إلهى اجتمع علىّ البلاء وأنا أعلم أن كل الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك . لا يعجزك شيء ولاتخفى عليك خافية . تعلم ماتخفى القلوب ، وقد علمت فى بلائي ما لم أكن أعلمه، كنت أسمع بسطوتك سمعا ، فأما الآن فهو نظر العين انما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت لترحمني ، وقد وضعت يدى على فمى ، وعضضت على لسانى ، وألصقت بالتراب خدى فدسست فيه وجهى فلا أعود لشيء تكرهه ودعا *

فقال الله : ياأيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبي قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين؛ فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء، وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك ، فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها ، فرفع الله عنه البلاء ، ثم خرج فجاس وأقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل تعرفينه ، قالت نعم مالى لاأعرفه؟ فتبسم

Marfat.com

فعرفته بضحكه ، فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتي مربهما كل مال لهما وولد*

وانما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وأنه كان نبيا فى عهد يعقوب؛ وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وأنه أوصى عند موته الى ابنه حوصل؛ وأن الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتي مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة فاوصى الى ابنه عيدان وان الله بعث بعده شعيب بن صفيون ابن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم عليه السلام *

﴿ ذكر قصة يوسف عليه السلام ﴾

ذكروا أن إسحق توفى وعمره ستون ومائة سنة ، وقبره عند أبيه إبراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص فى مزرعة جيرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولأمه شطر الحسن ، وكان يعقوب قد دفعه الى أخته ابنة إسحق تحضنه ، فأحبته حبا شديدا ، وأحبه يعقوب أيضا حبا شديدا ، فقال لأخته : يا أخية ! سلى الىّ يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة ، فقالت والله ما أنا بتاركته ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها ، فقالت أتركه عندى أياما لعل ذلك يسلينى ، ثم عمدت الى منطقة إسحق وكانت عندها لانها كانت أكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ، ثم قالت : قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف ، وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة ياخذ السارق له لايعارضه فيه أحد فأخذت يوسف فأمسكته عندها حتى ماتت ، وأخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذى تأول اخوة يوسف (ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقيل فى سرقته غير هذا وقد تقدم *

فلما رأى اخوة يوسف محبة أبيهم له وإقباله عليه حسدوه وعظم عندهم *

ثم أن يوسف رأى فى منامه كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له ، فقصها على أبيه ، وكان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة فقال له أبوه : يابني (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) ثم عبر له رؤياه فقال : وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب : اكتمى ما قال يوسف ولاتخبرى أولادك قالت : نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعى أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا :

Marfat.com

Marfat.com

ماعنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد أن يتملك علينا ويقول: أنا سيدكم وتآمروا بينهم أن يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا: (ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين) فى خطأ بين. فى إيثارهما علينا (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) أى تائبين فقال قائل منهم وهو يهوذا - وكان أفضلهم وأعقلهم - لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة وأخذ عليهم العهود انهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية وأقبلوا اليه ووقفوا بين يديه؛ وكذلك كانوا يفعلون اذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال: ما حاجتكم؟ (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف؟ وانا له لناصحون) نحفظه حتى نرده، أرسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وانا له لحافظون، فقال لهم يعقوب: (انه ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) لا تشعرون، وانما قال لهم ذلك لأنه كان رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه: (لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) *

فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن اليهم فقال يوسف: يا ابت ارسلنى معهم قال: او تحب ذلك؟ قال: نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية اظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتي كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنوا الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه؟ فانطلقوا به الى الجب فأوثقوه كتافا ونزعوا قميصه والقوه فيه فقال: يا اخوتاه ردوا علىّ قميصى أتوارى به فى الجب فقالوا: ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤانسونك قال: إني لم ار شيئا فدلوه فى الجب، فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى الى صخرة فاقام عليها، ثم نادوه فظن أنهم قد رحموه فاجابهم، فارادوا أن يرضخوه بالحجارة، فمنعهم يهوذا، ثم أوحى الله اليه (لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون) بالوحى، وقيل: لا يشعرون انه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف * ثم عادوا الى ابيهم عشاء يبكون فقالوا: (يا ابانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب)، فقال لهم ابوهم: (بل

سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل) ، ثم قال لهم : اروني قميصه فاروه فقال : تالله مارأيت ذئبا احلم من هذا ! أكل ابني ولم يشق قميصه؟! ، ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فاخذ القميص يقبله ويشمه ، واقام يوسف فى الجب ثلاثة ايام وارسل الله ملكا فحل كتافه * ثم جاءت سيارة فارسلوا واردهم وهو الذى يتقدم الى الماء فادلى دلوه الى البئر ، فتعلق به يوسف فخرجه من الجب ، وقال : (يابشرى هذا غلام) اى تباشروا ، وقيل : بشرى اسم غلام (واسروه بضاعة) يعني الواردو اصحابه خافوا ان يقول اشتريناه فيقول الرفقة : أشركونا فيه فقال . ان اهل الماء استبضعونا هذا الغلام ، وجاء يهوذا بطعام ليوسف فلم يره فى الجب فنظر فرآه عند مالك فى المنزل فاخبر اخوته بذلك فاتوا مالكا وقالوا هذا عبد ابق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله ، واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل : عشرون درهما ، وقيل : اربعون درهما ، وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير [1] وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة * قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حى * وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف فلم يؤمن *

فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته - واسمها - راعيل : (أكرمى مثواه عسى ان ينفعنا) اذا فهم الامور بعض مانحن بسبيله (أو نتخذه ولدا) ، وكان لايأتي النساء وكانت أمرأته حسناء ناعمة فى ملك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة ، وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعليها ودعته الى نفسها ، (فقال معاذ الله انه ربي) يعنى أن زوجك سيدى (أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) يعنى ان خيانته ظلم ، وجعلت تذكر محاسنه وتشوقه الى نفسها ، فقالت له : يايوسف ماأحسن شعرك ؟ ! قال : هو أول ماينتثر من جسدى ، قالت : يايوسف ما أحسن عينيك ؟ ! قال : هى أول مايسيل من جسدى ، قالت : ماأحسن وجهك؟! قال : هو للتراب فلم تزل به حتي همت وهم بها وذهب ليحل سراويله [2] فاذا هو بصورة

---

(١) فى التوراة فوطيفار وآية ١ اصحاح ٣٩ من التكوين هكذا : وأما يوسف فأنزل الى مصر فاشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصرى (٢) لاشك ان هذه قباحة شنيعة وسيئة منكرة يتنزه الانبياء عنها وان الآية تكذب هذه الفقرة فانه لم يحصل هم من يوسف عليه السلام بالزنا أصلا وانما معنى الآية ولقد همت به اى امرأة العزيز ولأن عملها ثابت أكد الجملة باللام وبقد وأما يوسف عليه السلام فقال وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أى انه باعتباره بشراً له شهوة وميل طبيعى الى النساء كان من شأنه أن

Marfat.com

Marfat.com

يعقوب قد عض على اصبعه يقول: يايوسف ! أتواقعها ، انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لايطاق ، ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات وسقط الى الأرض * وقيل جلس بين رجليها فرأى فى الحائط (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) ، فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب ، فأدركته قبل خروجه من الباب ، فجذبت قميصه من قبل ظهره ، فقدته (وألفيا سيدها لدى الباب) وابن عمها معه ، (فقالت له ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن) قال يوسف بل (هى راودتني عن نفسى) فهربت منها فادركتنى فقدت قميصى قال لها ابن عمها : تبيان هـذا فى القميص ، فان كان قد من قبل فصدقت ، وان كان قدّ من دبر فكذبت ، فأتي بالقميص فوجده قد من دبر ، فقال : إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم * وقيل كان الشاهد صبيا فى المهد * قال ابن عباس : تكلم أربعة فى المهد وهم صغار: ابن ماشطة امرأة فرعون . وشاهد يوسف . وصاحب جريج . وعيسى ابن مريم *

وقال : زوجها ليوسف أعرض عن هـذا أى ذكر ما كان منها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : (استغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) *

وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز ، وبلغ ذلك امرأة العزيز ، (فارسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ) يتكئن عليه وسائد ، وحضرن وقدمت لهن أترنجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكينا لقطع الاترنج ؛ وقد أجلست يوسف فى غير المجلس الذى هن فيه ، وقالت له : اخرج عليهن فخرج ، فلما رأينه أكبرنه وأعظمنه ، وقطعن أيديهن بالسكاكين ولا يشعرن (وقلن حاش لله ماهذا بشرا إن هذا الا ملك كريم) ، فلما حل بهن ماحل من قطعهن أيديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن أقرت على نفسها وقالت : (فذلكن الذى لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) : فاختار يوسف السجن على معصية الله ، فقال (رب السجن

يهم بها ولكن قد امتنع وانتفى همه بها لوجود برهان ربه . وهذه الآية فيها برهان جلى على براءة يوسف عليه السلام وانه بلغ من الكمال والعصمة ان العناية الالهية قد حفت به فلم تنفصل عنه لحظة واحدة ولذلك لم تستول عليه نفسه ولم يجد الشيطان اليه سبيلا فانه مع انه لم يرتكب معصية الزنا المتولد عنها خيانة سيده فقد امتنع منه الهم الذى لايحاسب الله عليه وهذا ليس بكثير على نبى ورسول ابن رسول ابن رسول ابن رسول فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم اه الادارة

احب إلى مما يدعونى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) *

ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى الآيات . من القميص . وخمش الوجه . وشهادة الطفل . وتقطيع النسوة أيديهن فى ترك يوسف مطلقا * وقيل : انها شكت الى زوجها وقالت : ان هذا العبد قد فضحنى فى الناس يخبرهم أنى راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين *

فلما حبس يوسف أدخل معه السجن فتيان من أصحاب فرعون مصر: أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه لأنهما نقل عنهما أنهما يريدان أن يسما الملك ، فلما دخل يوسف السجن قال: انى أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتيين للآخر : هلم فلنجربه؟ قال الخباز : انى أراني أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ؛ وقال الآخر : انى أرانى أعصر خمرا فقال لهما يوسف (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما) كره ان يعبر لهما ما سألاه عنه وأخذ فى غير ذلك وقال : ياصاحبي السجن ! أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ؟ وكان اسم الخباز مجلث واسم الآخر نبو فلم يدعاه حتى أخبرهما بتأويل ماسألاه عنه ، فقال أما أحدكما وهو الذى رأى أنه يعصر الخمر فيسقى ربه خمرا يعني سيده الملك . وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر لهما قالا : مارأينا شيئا قال : قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ، ثم قال لنبو وهو الذى ظن أنه ناج منهما : اذكرنى عند ربك الملك وأخبره أني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان فاوحى الله اليه: يايوسف ! اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فلبث فى السجن سبع سنين *

ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤيا هائلة: رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصها عليهم فقالوا (اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما :واد كر بعد أمة) أى حين (أنا أنبئكم بتأويله فارسلون) فارسلوه الى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال(تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) فان البقر السمان سنون مخاصيب والبقرات العجاف السنون المحول ، وكذلك

Marfat.com

السنبلات الخضر واليابسات فعاد نبو الى الملك فأخبره ، فعلم أن قول يوسف حق ، فقال : ائتوني به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه وقال : ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؟ فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل الملك أولئك النسوة ، فقلن : حاش لله ماعلمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا أنها راودته عن نفسه ، فقالت امرأة العزيز : أنا راودته عن نفسه ، فقال يوسف : انما رددت الرسل ليعلم سيدى أني لم أخنه بالغيب فى زوجته ، فلما قال ذلك قال له جبرائيل : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف [1] (وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء) *

فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال : (ائتونى به أستخلصه لنفسى) ، فلما جاءه الرسول خرج معه ، ودعا لأهل السجن ، وكتب على بابه : هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء ، ثم اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك ، فلما وصل اليه وكلمه قال : (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فقال يوسف : (اجعلنى على خزائن الأرض) فاستعمله بعد سنة ، ولو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ، فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة ، وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا ، ورد اليه عمل قطفير سيده بعد أن هلك وكان هلاكه فى تلك الليالى ، وقيل : بل عزله فرعون وولى يوسف عمله والأول أصح لأن يوسف تزوج امرأته على ماذكره *

ولما ولى يوسف عمل مصر دعا الملك الريان إلى الايمان فآمن ، ثم توفى *

ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق ، فدعاه يوسف الى الايمان فلم يؤمن ، وتوفى يوسف فى ملكه *

ثم إن الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال : أليس هذا خيرا مما كنت تريدين ؟ فقالت : أيها الصديق لاتلمنى فاني كنت امرأة حسناء جميلة فى ملك ودنيا وكان صاحبى لايأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى ووجدها بكراً فولدت له ولدين افرايم ومنشا [2] *

فلما ولى يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام فى

---

(١) قد علمت ان يوسف عليه السلام لم يهم بها أصلا فلا حاجة للاعادة وقوله (وما أبرىء) تواضع منه وأدب . الادارة

(٢) آية ٥٠ اصحاح ٤١ تكوين هكذا : وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتى سنة الجوع ولدتهما له اسنات بنت فوطى فارع كاهن اون ، ٥١ ودعا يوسف اسم البكر منسى قائلا لان الله أنسانى كل تعبى وكل بيت أبى ، ٥٢ ودعا اسم الثانى افرايم قائلا لان الله جعلنى مثمراً فى أرض مذلتى *

Marfat.com

Marfat.com

سنبله ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس ، وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التى هو بها ، فبعث بنيه الى مصر، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، وإنما أنكروه لبعدعهدهم منه ولتغير لبسه فانه لبس ثياب الملوك ، فلمانظر اليهم قال : أخبرونى ما شأنكم ؟ قالوا : نحن من الشام جئنا نمتار الطعام، قال : كذبتم أنتم عيون فأخبرونى خبركم ، قالوا : نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثني عشر وانه كان لنا أخ نخرج معنا إلى البرية فهلك ، وكان أحبنا إلى أبينا قال : فالى من سكن أبوكم بعده قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فأتونى به أنظر اليه (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) قالوا : سنراود عنه أباه ، قال : فاجعلوا بعضكم عندى رهينة حتي ترجعوا فوضعوا شمعون أصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم، وقال : لفتيانه : اجعلوا بضاعتهم يعنى ثمن الطعام فى رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أمانتهم وديانتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لأجلها ، وقيل : رد مالهم لانه خشى أن لايكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فاذا رأوا معهم بضاعة عادوا ، وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لايحمل للرجل إلا بعيرا فلما رجعوا الى أبيهم باجمالهم ، قالوا : يا أبانا إن عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو أنه بعض أولاد يعقوب مازادعلى كرامته ، وأنه ارتهن شمعون ، وقال : ائتونى باخيكم الذى عطف عليه أبوكم بعد أخيكم (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) قال : (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل)؟ (فلما فتحوا امتاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا : يا أبانا مانبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) قال يعقوب : (ذلك كيل يسير) فقال يعقوب : (لن أرسله معكم حتي تؤتوني موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم ، قال : الله على ما نقول وكيل) ، ثم أوصاهم أبوهم بعد أن أذن لأخيهم فى الرحيل معهم وقال : (يابنى ! لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) خاف عليهم العين وكانوا ذوى صورة حسنة ففعلوا كما أمرهم أبوهم ، (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ، وعرفه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الوظائف ، وقدم لهم الطعام وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى ، وقال : لو كان أخى يوسف حيا لأجلسني معه ، فقال يوسف: لقد بقى أخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه وقعد يؤاكله ، فلما كان الليل جاءهم بالفرش ، وقال لينم كل أخوين منكم على

فراش وبقى بنيامين وحده ، فقال : هذاينام معى فبات معه على فراشه فبقى يشمه ويضمه اليه حتى أصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف ، فقال له : أتحب أن أكون أخاك عوض أخيك الذاهب؟ فقال بنيامين : ومن يجد أخاً مثلك ؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه ، وقال له : اني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم بما علمتك *

وقيل لما دخلوا على يوسف نقر الصواع ، وقال إنه يخبرنى أنكم كنتم اثني عشر رجلا وأنكم بعتم أخاكم فلما سمعه بنيامين سجد له ، وقال : سل صاعك هذاعن أخى أحى هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حى وستراه قال : فاصنع بي ماشئت فانه ان علم بي سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف فبكى ، ثم توضأ وخرج اليهم ، قال فلما حمل يوسف إبل اخوته من الميرة جعل الاناء الذى يكيل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة فى رحل أخيه ، وقيل: كان إناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك ، وقيل: ان بنيامين لما علم أن يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكنني حبسك إلا بعد أن أشهرك بامر فظيع قال : افعل ، قال : فاني أجعل الصواع فى رحلك ، ثم أنادى عليك بالسرقة لآخذك منهم قال : افعل فلما ارتحلوا أذن مؤذن : أيتها العير إنكم لسارقون ، قالوا : (تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) لأننا رددنا ثمن الطعام إلى يوسف ، فلما قالوا ذلك قالوا : فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ؟ قالوا : جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه تأخذونه لكم فبدأ باوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ، ثم استخرجها من وعاء أخيه ، فقالوا : ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنما لجده أبي أمه فكسره فعيروه بذلك ، وقيل ماتقدم ذكره من المنطقة *

فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال إخوته : يابني راحيل ! لا يزال لنا منكم بلاء ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء : وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم ، فاخذ يوسف أخاه بحكم إخوته ، فلما رأوا أنهم لا سبيل لهم عليه سالوه أن يتركه لهم ، وقالوا : (يا أيها العزيز ! إن له أبا شيخا كبيراً فخذ أحدنا مكانه) فقال : (معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم ، فقال كبيرهم وهو شمعون — وقيل روبيل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) أن نأتيه بأخينا الا أن يحاط بنا ؟ ومن قبل هذه المرة ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتي يأذن لى أبي بالخروج ، وقيل بالحرب فارجعوا الى

Marfat.com

Marfat.com

ابيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال: (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا) بيوسف وأخيه وشمعون، ثم، أعرض عنهم وقال: واحزناه، على يوسف! (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) مملوء من الحزن والغيظ، فقال له بنوه: تالله لاتزال تذكر يوسف حتي تكون حرضا اى دنفا أو تكون من الهالكين، فاجابهم يعقوب فقال: (انما اشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) من صدق رؤيا يوسف وقيل: بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين ثكلى واعطى على ذلك اجر مائة شهيد*

قيل دخل على يعقوب جار له فقال: يايعقوب: قد انهشمت وفنيت، لم تبلغ من السن مابلغ أبوك، فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اتشكوني الى خلقي؟ قال: يارب خطيئة فاغفرها قال: قد غفرتها لك فكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك قال: انما اشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله اليه لو كانا ميتين لأحييتهما لك انما ابتليتك لأنك قد شويت وقترت على جارك ولم تطعمه *

وقيل كان سبب ابتلائه أنه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب فابتلى بفقد أعز ولده عنده * وقيل ذبح شاة فقام ببابه مسكين فلم يطعمه منها فاوحى الله اليه فى ذلك وأعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما فليفطر عند يعقوب *

ثم إن يعقوب امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الأخبار عن يوسف وأخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف، وقالوا: (يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر، وجئنا ببضاعة مزجاة) يعنى قليلة (فأوف لنا الكيل) قيل: كانت بضاعتهم دراهم زيوفا، وقيل: كانت سمنا وصوفا، وقيل غير ذلك وتصدق علينا بفضل مابين الجيد والردىء؛ وقيل: برد أخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا، ثم باح لهم بالذى كان يكتم *

وقيل: إنما أظهر لهم ذلك لأن أباه كتب اليه حين قيل له انه أخذ ابنه لانه سرق كتابا: * من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله (١) ابن ابراهيم خليل الله إلى عزيز مصر

---

(١) علمت ان الذبيح ليس اسحق واسناده اليه دسيسة يهودية حسداً و بغضا فهذا الكتاب لا يبعد أن يكون من تزويرهم باقناع بعض المسلمين ـ أرباب القلوب الصافية — بصحة ذلك فأدخلوه فى كتب المسلمين وهو لا أصل له ولا مستند اه الادارة

المظهر العدل * أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء ، أما جدى فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله ، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الىّ فذهب به اخوته الى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخا بدم وقالوا أكله الذئب ، وكان لى ابن آخر أخوه لأمه فكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وانك حبسته ، وإنا أهل بيت لانسرق ولانلد سارقا فان رددته علىّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك *

فلما قرأ الكتاب لم يتمالك أن بكى وأظهر لهم فقال :(هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ؟ قالوا أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا) بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا : (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لاتثريب عليكم اليوم)أى لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ، ثم سألهم عن أبيه فقالوا : لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال : اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ، فقال يهوذا أنا أذهب به لأنى ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم وأخبرته أن يوسف أكله الذئب فانا أخبره أنه حى فافرحه كما أحزنته وكان هو البشير *

(ولما فصلت العير) عن مصر حملت الريح إلى يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخا يوسف بمصر ويعقوب بارض كنعان ؛ فقال يعقوب :(اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ، فقال له من حضره . من أولاده : (تالله انك) من ذكر يوسف (لفى ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير) بقميص يوسف(ألقاه) على وجه يعقوب فعاد بصيرا وقال: (ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالاتعلمون) ؟ يعنى تصديق الله تاويل رؤيا يوسف ، (ولما أن جاء البشير)قال له يعقوب كيف تركت يوسف ؟ قال تركته ملك مصر قال:ما أصنع بالملك ؟ على أى دين تركته ؟ قال تركته على الاسلام قال : الآن تمت النعمة ، فلما رأى من عنده من أولاده قميص يوسف وخبره قالوا له : (ياأبانا استغفر لناذنوبنا قال : سوف أستغفر لكم)،أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة *

ثم ارتحل يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر ، وكانوا يعظمونه . فلما دنا أحدهما من صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشى ويتوكأ على ابنه يهوذا فقال له يابنى ! هذا فرعون مصر ؟ قال : لاهذا ابنك يوسف فلما قرب منه أراد يوسف أن يبدأه بالسلام فمنع من ذلك ، فقال يعقوب : السلام عليك

يامذهب الأحزان لأنه لم يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف عنه ،

قال : فلما دخلوا مصر رفع أبويه يعنى أمه وأباه ، وقيل : كانت خالته وكانت أمه قد ماتت وخرله يعقوب وأمه واخوته سجدا وكان السجود تحية الناس للملوك : ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الأرض فان ذلك لايجوز الالله تعالى وانما أراد الخضوع والتواضع والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك * والعرش السرير *

وقال:(ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قدجعلها ربي حقا) وكان بين رؤيايوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة فانه ألقى فى الجب وهوابن سبع عشرة سنة ، ولقيه وهوابن سبع وتسعين سنة ، وعاش بعدجمع شمله ثلاثاوعشرين سنة ، وتوفى وله مائة وعشرون سنة ، وأوصى الى أخيه يهوذا ، وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة وقيل : إن يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه الى مصر ، وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة ، وكان مقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة ، وقيل غير ذلك والله أعلم *

ولما مات يعقوب أوصى الى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف فسار به الى الشام فدفنه عند أبيه ، ثم عاد الى مصر ، وأوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لماخرج ببنى اسرائيل، وولديوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتي موسى ؛ وولد لمنشا موسى قيل موسى بن عمران ، وزعم أهل التوراة انه موسى الخضر ، وولدله رحمة امرأة أيوب فى قول *

﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

قيل : ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم ، وقيل : هوشعيب بن ميكيل من ولد مدين ، وقيل : لم يكن شعيب من ولد ابراهيم ، وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ، ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنة لوط ، وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى (وإنا لنراك فينا ضعيفا) [1] أى ضرير البصر *

---

(١) العربية لاتساعد على هذا التفسير وليس فيها إطلاق الضعيف على الأعمى وانما أرادوا : لنراك فينا ضعيفا عن مقاومتنا فانه قد آمن به أناس قليلون جدا بدليل قولهم بعد ذلك ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز لان العزة لاتكون الا من قوة فهو بيان لقولهم : إنالنراك فينا ضعيفا . اه الادارة

Marfat.com

وكان النبي ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الانبياء» بحسن مراجعته قومه؛ وإن الله أرسله إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة شجر ملتف، وكانوا أهل كفر بالله، وبخس للناس فى المكاييل والموازين وافساد أموالهم، وكان الله وسع عليهم فى الرزق، وبسط لهم فى العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله؛ فقال لهم شعيب، (ياقوم! اعبدوا الله مالكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط)*

فلما طال تماديهم فى غيهم وضلالهم ولم يزدهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله إياهم إلا تماديا؛ ولما أراد اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ماذكره ابن عباس فى تفسير قوله تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم)، فقال: بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرابا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا، قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة * وقال قتادة: بعث الله شعيبا الى أمتين إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة وكانت الأيكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة، فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم نارا قال: فذلك قوله (فاخذهم عذاب يوم الظلة) *

وأما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهى الزلزلة فاهلكوا *

قال بعض العلماء: كان قوم شعيب عطلوا حداً فوسع الله عليهم فى الرزق، ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق فجعلوا كلما عطلوا حداً وسع الله عليهم فى الرزق حتى إذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرا لايستطيعون أن يتقارّوا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظله فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى إذا اجتمعوا اليها ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة *

وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال له: من حدثك ماعذاب يوم الظلة فكذبه، وقال مجاهد: عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب، وقال زيد بن أسلم: فى قوله تعالى (ياشعيب أصلواتك تامرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء)

Marfat.com

Marfat.com

قال : مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم *

﴿ قصة الخضر وخبره مع موسى ﴾

قال أهل الكتاب : ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب، والحديث الصحيح عن النبي ﷺ : ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ماذكره ، وكان الخضر ممن كان فى أيام افريدون الملك ابن اثغيان فى قول علماء أهل الكتاب الاول قبل موسى بن عمران * وقيل : انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان فى أيام ابراهيم الخليل ، وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم ذو القرنين ومن معه نخلد وهو حى عندهم الى الآن * وزعم بعضهم : انه كان من ولد من آمن مع إبراهيم وهاجر معه ، واسمه باليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، وكان أبوه ملكا عظيما * وقال آخرون : ذو القرنين الذى كان على عهد ابراهيم افريدون ابن اثغيان وعلى مقدمته كان الخضر * قال عبد الله بن شوذب : الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم * وقال ابن اسحق : استخلف الله على بني إسرائيل رجلا منهم يقال له : ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نبيا قال : واسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل : ارميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران ، وبين هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام ، وقول من قال : ان الخضر كان فى أيام افريدون وذى القرنين الأكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح أن موسى ابن عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله ﷺ كان أعلم الخلق بالكائن من الأمور فيحتمل أن يكون الخضر على مقدمة ذى القرنين قبل موسى وانه شرب من ماء الحياة فطال عمره ولم يرسل فى أيام ابراهيم * وبعث فى أيام ناشية بن أموص وكان ناشية هذا فى أيام بشتاسب بن لهراسب والحديث : مارواه أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال سعيد بن جبير : قلت لابن عباس : ان نوفا يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران قال : كذب عدو الله حدثنى أبيّ بن كعب عن النبى ﷺ قال : ان موسى قام فى بني اسرائيل خطيبا فقيل له : أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه ، فقال: يارب ! هل هناك أعلم منى ؟ قال : بلى عبد لى بمجمع البحرين قال : يارب ! كيف لى به قال : تأخذ حوتا فتجعله فى مكتل [1] فحيث تفقده فهو هناك ، فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت

---

(١) المكتل بكسر الميم الزنبيل وهو مايعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره اه مصباح *

هذا الحوت فاخبرني ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة فمن شرب منه خلد ولا يقارب شيء ميت، إلا حي ، فمس الحوت منه فحي ،و كان موسى راقداً واضطرب الحوت فى المكتل ، فخرج فى البحر فامسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سرباو كان لهما عجباً ، ثم انطلقا *

فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال: ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله ، فقال : (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ؟ فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال : ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) قال : يقصان آثارهما حتي أتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال : وأنى بارضنا السلام؟ قال : أناموسى قال: موسى بنى اسرائيل ؟ قال :نعم قال : يامو سى ! إنى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال لهموسى : هل أتبعك على أن تعلمنى مماعلمت رشدا؟ قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا؟ قال : ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا. *

قال : فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ثم ركبا سفينة ، فجاء عصفور ، فقعد على حرف السفينة ، فنقر فى الماء ، فقال الخضر لموسى: ماينقص علمى وعلمك من علم الله إلا مقدار مانقر هذا العصفور من البحر *

قال : فبيناهم فى السفينة فلم يفجأ موسى إلا وهو يوتد وتدا أو ينزع تختا منها ، فقال له موسى: حملنابغير نول فتخرقها لتغرق أهلها ؟! لقد جئت شيئا امرا ،قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا قال : وكانت الأولى من موسى نسيانا *

قال : فخرجا فانطلقا يمشيان فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ برأسه فقتله (فقال له موسى : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ؟ لقد جئت شيا نكرا قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال : ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما) فلم يجدا أحدا يطعمهما ولا يسقيهما (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه) ، فقال له موسى: لم

Marfat.com

يضيفونا ولم ينزلونا (لو شئت لاتخذت عليه اجرا) قال : (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) *

(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ، فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفى قراءة أبىّ سفينة صالحة *

(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً و كفرا ، فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما) *

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة و كان تحته كنز لهما و كان أبوهما صالحا) الى (مالم تسطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما *

قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر فقال : شرب الفتى من الماء فخلد فاخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها فى البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة *

الحديث يدل على أن الخضر كان قبل موسى وفى أيامه ، ويدل على خطأ من قال : انه أرميا لان أرميا كان أيام بختنصر ، وبين أيام موسى وبختنصر من المدة مالا يشكل على عالم بايام الناس ، فان موسي انما نبىء فى أيام منوجهر و كان ملكه بعد جده افريدون *

﴿ ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث فى أيامه ﴾

ثم ملك بعد افريدون بن اثغيان بن كاو : منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون و كان مولده بدنباوند ، وقيل بالرى فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفاً من طوج وسلم عميه ، ولما كبر منوجهر سار الى جده افريدون ، فتوسم فيه الخير ، وجعل له ما كان جعله لجده إيرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم أن منوجهر بن شجر بن إفريقش بن إسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية

وأبناء إسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنوّرا
اذا انتسبوا عدوا الصبهبد منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغر أبناء فارس * أب لا يبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكا إلا فى أولاد أفريدون ولا تقر بالملك لغيره *

Marfat.com

قلت والحق ماقاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعد أيامه ملوك الطوائف ، واذا كان منوجهر أيام موسى ، و كل مابين موسى وإسحق خمسة آباء معروفون ، ولم يزالوا بمصر ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس؟ ومن أين لجرير هذا العلم حتي يكون قوله حجة لاسيما وقد جعل الجميع أبناء إسحق ؟ *

قال هشام بن الكلبي : ملك طوج وسلم الأرض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة ، ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ، ثم وثب به ابن لطوج التركى على رأس ثمانين سنة ، فنفاه عن بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ، ثم أديل منه منوجهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة *

و كان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان ، وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب ، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وأمر أهلها بطاعته * ويقال : ان موسى ظهر فى سنة ستين من ملكه * وقال غير هشام : انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون وأخاه سلما ، ثم ان افراسياب ابن فشنج بن رستم بن ترك الذى ينسب اليه الأتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ، ثم اصطلحا أن يجعلا حد مابين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه ايرشى و كان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوقع بنهر بلخ[1] وصار النهر حد مابين الترك ولدطوج وعمل منوجهر *

﴿قلت﴾ وهذا من أعجب مايتداوله الفرس فى أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله؟! *

وقد ذكر ان منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهارا عظاما ، وأمر بعمارة الأرض * وقيل : ان الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه ، فوبخ قومه ، وقال لهم : أيها الناس ! انكم لم تلدوا الناس كلهم ؛ وانما الناس ناس ماناضلوا عن أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك إلا بتر ككم جهاد عدوكم ، وان الله أعطانا هذا الملك ليبلونا أنشكر أم نكفر ؟ فيعاقبنا فاذا كان غد فاحضروا * فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه فقام له الناس فقال : اقعدوا انما قمت لأسمعكم فجلسوا فقال : *

أيها الناس انما الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بد مما هو كائن ، وانه

---

(١) مبالغات فارسية وكفى

Marfat.com

لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوبا ، ولا أقوى من خالق، ولا أقدر ممن طلبته فى يده، ولا أعجز ممن هو فى يد طالبه ، وإن التفكر نور والغفلة ظلمة ، فالضلالة جهالة، وقد ورد الأول، ولابد للآخر من اللحاق بالأول . إن الله أعطانا هذا الملك فله الحمد ، ونسأله الهام الرشد والصدق واليقين ، وانه لابد أن يكون للملك على أهل مملكته حق ولأهل مملكته عليه حق . فحق الملك عليهم أن يطيعوه وينا صحوه ويقاتلوا عدوه ، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم فى أوقاتها إذ لا معول لهم إلا عليها ، وأنه خازنهم ؛ وحق الرعية على الملك أن ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على مالا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة أو تنقص من ثمارهم أن يسقط عنهم خراج مانقص ؛ وان اجتاحتهم مصيبة أن يعوضهم ما يقويهم على عمارتهم، ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر مالا يجحف بهم فى سنة أو سنتين ، ألا وإن الملك ينبغى أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يكون صديقا لا يكذب ، وأن يكون سخيا لا يبخل، وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة ، والخراج يأتيه فلا يستأثر على جنده ورعيته بما هم أهل له ، وان يكثر العفو فانه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو ، فان الملك ان يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى العقوبة ، ألا وان الترك قد طمعت فيكم فا كفونا فانما تكفون انفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة ، وأنا شريككم فى الرأى ، وانما لى من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم ألا وانما الملك ملك إذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك ، ألا وان اكمل الاداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة الى اليقين ، فمن قتل فى مجاهدة العدو رجوت له بفوز رضوان الله * وانما هذه الدنيا سفر لأهلها لا يحلون عقد الرحال إلا فى غيرها وهى خطبة طويلة *

ثم أمر بالطعام فا كلوا وشربوا وخرجوا وهم له شا كرون مطيعون وكان ملكه مائة وعشرين سنة *

وزعم ابن الكلبي ان الرائش واسمه الحرث بن قيس بن صيفى بن سبا بن يعرب بن قحطان ، وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر ، وانما سمى الرائش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمى الرائش ، ثم غزا الهند فقتل بها وأسر وغنم ورجع الى اليمن ، ثم سار على جبلى طيئ ، ثم على الانبار ، ثم على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف ، فدخل على الترك بأرض

Marfat.com

Marfat.com

أذربيجان[١] فقتل المقاتلة وسبي الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان باذربيجان *

ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار ، وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا ، وقد زعم أهل اليمن انه وجه ابنه العيد[٢] بن ابرهة فى غزواته الى ناحية من أقاصى المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمى ذو الاذعار ، فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا فى البلاد *

وانما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم ان الرائش كان أيام منوجهر وان ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس *

﴿ قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان فى أيامه من الأحداث ﴾

قيل : هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم، وولد لاوى ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة ، وولد قاهث للاوى وهو ابن ست وأربعين سنة . وولد لقاهث يصهر ، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة ، وكان عمره جميعه مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد موسى ولعمران سبعون سنة ؛ وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعا وثلاثين سنة ، وأم موسى يوحانذ[٣] ، واسم امرأته صفورا[٤] بنت شعيب النبي ، وكان فرعون مصر فى أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول ، وقيل : كانت من بنى اسرائيل *

فلما نودى موسى اعلم ان قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد[٥] بن مصعب مكانه، وكان عمره طويلا ، وكان أعتي من قابوس وأفجر ، وأمر بان يأتيه هو وهارون الرسالة، ويقال : إن الوليد تزوج آسية بعد أخيه ، ثم سار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون ، فكان من مولد موسى إلى أن أخرج بنى اسرائيل من مصر ثمانون سنة ، ثم سار الى التيه

---

(١) لم تكن اذربيجان من مجالات الترك فى القديم وانما كانت لهم فى عهد السلجوقيين ثم المغول ثم العثمانيين

(٢) فى الاصول التى بايدينا العيد بالياء المثناة التحتية والاشبه ان يكون بالباء الموحدة (٣) نطق اسمها بالعبرانية «يوكابد» ومعناه اسم الله عظم (٤) كذا بالأصل ولكنها فى التوراة صفورة فقرة ٢١ اصحاح ٢ خروج (٥) فرعون موسى على ماعينه كثير من علماء الآثار اليوم اسمه (ريان ابا) كما ذكر ذلك احمد بك نجيب

Marfat.com

بعد أن مضى وعبر البحر ، وكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان مابين مولد موسى الى وفاته مائة وعشرون سنة *

قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم فى بعض : إن الله تعالى لما قبض يوسف ، وهلك الملك الذى كان معه ، وتوارثت الفراعنة ملك مصر ، ونشر الله بنى إسرائيل لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتي كان فرعون موسى ، وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا ، واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب ، وكان سىء الملكة على بنى اسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولا ويسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يستنقذهم بلغ موسى الأشد وأعطاه الرسالة ، وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى انه رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فاحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل وأخربت بيوت مصر ، فدعا السحرة والحزاة[1] والكهنة ، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا : يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذى جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فامر أن لا يولد لبنى اسرائيل مولود إلا ذبح ويترك الجوارى ، وقيل : انه لما تقارب زمان موسى أتي المنجمون فرعون وحزاته اليه ، فقالوا : اعلم انا نجد فى علمنا ان مولودا من بني اسرائيل قد أظلك زمانه الذى يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك ، فامر بقتل كل مولود يولد فى بنى اسرائيل * وقيل : بل تذاكر فرعون وجلساؤه معا ما وعد الله عز وجل ابراهيم أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بني اسرائيل لينتظرون ذلك ، وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله إبراهيم ، فقال فرعون : كيف ترون ؟ فاجمعوا على أن يبعث رجالا يقتلون كل مولود فى بنى إسرائيل وقال للقبط : انظروا عمالكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بنى إسرائيل يلون ذلك فجعل بنى إسرائل فى أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل (ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ؛ وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن ، فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن ، وكانت المرأة تضع فتتقى بولدها القصب ، وقضى الله الموت فى مشيخة بنى اسرائيل ، فدخل رؤس القبط على فرعون وكلموه ، وقالوا :

---

(١) قال فى لسان العرب وللذى ينظر فى النجوم حزاء لانه ينظر فى النجوم واحكامها بظنه وتقديره فربما اصاب اه

ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا . تذبح الصغار وتفني الكبار ؟! فلو أنك كتبت تبقى من أولادهم فامرهم أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فلما كان فى تلك السنة التى تركوا فيها ولدهرون ، وولدموسى فى السنة التي يقتلون فيها وهى السنة المقبلة ، فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أى ألهمها (أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم) — وهو النيل — (ولا تخافى ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فلما وضعته أرضعته ، ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته فى اليم ، فلما توارى عنها أتاها إبليس فقالت فى نفسها : ما الذى صنعت بنفسى ؟ لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحبّ إلى من أن ألقيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه ، فلما ألقته (قالت لأخته) واسمها مريم (قصيه) يعنى قصى أثره (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) أنها أخته فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظن أن فيه مالا فلما فتح ونظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبته ، فلما أخبرت به فرعون وأتته به قالت هو (قرة عين لى ولك لا تقتلوه) ، فقال فرعون : يكون لك ، وأما أنا فلا حاجة لى فيه ، قال النبى ﷺ : والذى يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها ، وأراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، وقال إني أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل ، وان يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء فذلك قوله (وحرمنا عليه المراضع من قبل) فقالت أخته مريم :(هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟) فأخذوها وقالوا : ما يدريك ما نصحهم له ؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا فى ذلك فقالت : نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم فى قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته ، فانطلقت الى أمه فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما أعطته ثديها أخذ منها فكادت تقول : هذا ابني فعصمها الله ـ وانما سمى موسى لانه وجد فى ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا ـ فذاك قوله تعالى(فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن) وكان غيبته عنها ثلاثة أيام وأخذته معها إلى بيتها ، واتخذه فرعون ولدا فدعى ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته أمه الى آسية فأخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون. فلما أخذه اليه

Marfat.com

أخذ الغلام بلحيته فنتفها ، قال فرعون على بالذباحين يذبحونه هو هذا قالت آسية :(لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) انما هو صبي لا يعقل ، وانما فعل هذا من جهل ، وقد علمت انه ليس فى مصر أمرأة أكثر حليا مني أنا أضع له حليا من ياقوت وجمرا ،فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وان أخذ الجمر فانما هو صبى ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتا من جمر ، فجاء جبريل فوضع يده فى جمرة ، فأخذها فطرحها موسى فى فمه فأحرقت لسانه ، فهو الذى يقول الله تعالى : (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) فدرأت عن موسى بتلك القتل *

وكبر موسى ، وكان يركب مركب فرعون ، ويلابس ما يلابس ، ويدعى موسى بن فرعون ، وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطى يظلم اسرائيلياً خوفا منه ، ثم ان فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : فرعون قد ركب فركب موسي فى أثره فأدركه المقيل بارض يقال لها منف وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هى مصر يوسف الصديق وهى الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار - وقد أغلقت أسواقها - على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول : هذا إسرائيلى قيل : انه السامرى وهذا من عدوه يقول: من القبط ،فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فغضب موسى لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ، وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لا يعلمون أنه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع ، فلما اشتد غضبه وكزه (فقضي عليه قال : هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) قال : « (رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم) أوحى الله تعالى الى موسى وعزتى لو أن النفس التي قتلت أقرت لى ساعة واحدة انى خالق رازق » لأذقتك العذاب قال :« (رب بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين *فأصبح فى المدينة خائفا يترقب)أن يؤخذ ،(فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه) يقول يستعينه (قال له موسى إنك لغوى مبين) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر الى موسى وقد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الاسرائيلى خاف أن يقتله من أجل انه أغلظ له فى الكلام قال : (أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس؟ ان تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) فترك القبطى فذهب فافشي عليه ان موسى هو الذى قتل الرجل فطلبه فرعون وقال : خذوه فانه صاحبنا ،فجاء رجل فاخبره ، قال له: (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج) قيل: كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان

Marfat.com

Marfat.com

على بقية من دين ابراهيم عليه السلام و كان اول من آمن بموسى*

فلما أخبره خرج من بينهم (خائفاً يترقب قال : رب نجني من القوم الظالمين) وأخذ فى ثنيات الطريق ، فجاءه ملك على فرس وفى يده عنزة . وهى الحربة الصغيرة فلما رآه موسى سجد له من الفرق ، فقال له : لاتسجدلى ولـكن اتبعنى فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه اليها:(عسي ربي أن يهدينى سواء السبيل) فانطلق به الملك حتي انتهى به الى مدين فكان قد سار وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ، ولم يكن له قوة على المشى فما بلغ مدين حتى سقط خفّ قدمه *

(فلما وردماء مدين ـ قصد الماء ـ وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجدمن دونهم امرأتين تذودان) أى تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبي وقيل: ابنتا يثرون وهو ابن أخى شعيب ، فلما رآهما موسى سألهما (ما خطبكما ؟ قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا و كانتا انما تسقيان من فضول الحياض وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها ، فقال : (رب اني لما أنزلت إلىّ من خير فقير) قال ابن عباس:لقد قال موسى ذلك ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل الا أكله ، فلما رجع الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فأخبرتاه ، فاعاد إحداهما الى موسى تستدعيه فأتته وقالت له (ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) فقام معها فمشت بين يديه ، فضربت الريح ثوبها ، فحكى عجيزتها فقال لها : امش خلفى ودليني على الطريق فانا أهل بيت لاننظر فى اعقاب النساء ، فلما أتاه (وقص عليه القصص قال : لاتخف نجوت من القوم الظالمين)قالت أحدهما : — وهى التى احضرته — (ياأبت ! استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) قال لها أبوها : القوة قدر أيتها فما يدريك بأمانته ؟ فذكرت له ماأمرها به من المشى خلفه ، فقال له أبوها :(انى أريد أن أنكحك أحدى ابنتي هاتين على ان تأجرني) نفسك(ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك) فقال له موسى : (ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علىّ والله على مانقول وكيل) فاقام عنده يومه ، فلما أمسى أحضر شعيب العشاء، فامتنع موسى من الأكل، فقال : ولم ذلك ؟ قال : انا من أهل بيت لانأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا باسرها، فقال شعيب : ليس لذلك أطعمتك انما هذه عادتي وعادة آبائي فأكل ، واز دادت رغبة شعيب فى موسى ، فزوجه ابنته التي احضرته واسمها صفورا ، وأمرها ان تأتيه بعصا

Marfat.com

فاتته بعصا ، وكانت تلك العصا قد استودعها إياه ملك فى صورة رجل ، فدفعتها اليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والاتيان بغيرها فألقتها وأرادت ان تأخذ غيرها فلم تقع بيدها سواها وجعل يرددها وكل ذلك لايخرج فى يدها غيرها ، فأخذها موسى ليرعى بها ، فندم أبوها حيث أخذها وخرج اليه ليأخذها منه حيث هى وديعة ، فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه ، فحكما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك فى صورة آدمى ، فقضى بينهما ان يضعها موسى فى الارض ، فمن حملها فهى له ، فألقاها موسى ، فلم يطق أبوها حملها ، وأخذها موسى بيده ، فتركها له ؛ وكانت من عوسج لها شعبتان وفى رأسها محجن ؛ وقيل : كانت من آس الجنة حملها آدم معه ، وقيل فى أخذها غير ذلك *

وأقام موسى عند شعيب ، يرعى له غنمه عشر سنين وسار باهله فى زمن شتاء وبرد ، فلما كانت الليلة التى أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لايدرى أين يتوجه ؛ وكانت امرأته حاملا ، فاخذها الطلق فى ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق ، فأخرج زنده ليقدح نارا لاهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه ، فاصلد زنده فقدح حتى أعيا ، فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله (فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر) ، فان لم أجد خبرا (آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) - فحين قصدها رآها نورا ممتداً من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج ، وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهى تلتهب فى شجرة خضراء لاتزداد النار إلا عظما ولا تزداد الشجرة إلا خضرة *

فلما دنا منها استأخرت عنه ففزع ورجع ، (فنودى) منها ، فلما سمع الصوت استأنس فعاد ، فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن من الشجرة فى البقعة المباركة أن بورك من فى النار ومن حولها ياموسى إنى انا الله رب العالمين *

فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم انه ربه تعالى فخفق قلبه وكلّ لسانه وضعفت قوته وصار حياً كميت إلا أن الروح تتردد فيه فأرسل الله اليه ملكا يشد قلبه فلما ثاب اليه عقله نودى (اخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى) وانما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار مبت وقيل : لينال قدمه الأرض المباركة *

ثم قال له - تسكينا لقلبه - : (وما تلك بيمينك ياموسى ؟ قال : هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى) يقول : أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم (ولى فيها مآرب أخرى) احمل عليها المزود والسقاء ، وكانت تضيء لموسى فى الليلة المظلمة ، وكانت إذا أعوزه الماء

دلاها فى البئر فينال الماء ويصير فى رأسها شبه الدلو ، وكان إذا اشتهى فاكهة غرسها فى الأرض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها قال له :ألقها يا موسى فألقاها موسى فاذا هى حية تسعى عظيمة الجثة فى خفة حركة الجان *

فلما رآها موسى ولىّ مدبرا ولم يعقب فنودى : يا موسى لاتخف إنى لايخاف لدى المرسلون : أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى عصا ، وانما أمره الله بالقاء العصا حتى إذا ألقاها عند فرعون لايخاف منها فلما أقبل قال : خذها ولا تخف وأدخل يدك فى فيها ، وكان على موسى جبة صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب ، فنودى ألق كمك عن يدك فالقاه وأدخل يده بين لحييها فلما أدخل يده عادت عصا كما كانت لاينكر منها شيئا *

ثم قال له : أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء يعنى برصاً ، فادخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور ، ثم ردها فعادت كما كانت ، فقيل له : هذان برهانان من ربك إلى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين *قال(: رب ! إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى) أى يبين لهم عنى ماأ كلمهم به فانه يفهم عنى مالا يفهمون، قال : (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) *

فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا ، فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم ولايعرفونه فجاء هرون ، فسألها عنه ، فاخبرته انه ضيف فدعاه فأ كل معه وسأله هرون من أنت ؟ قال : أنا موسى فاعتنقا *

وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ، ثم قال : أجب ربك فيما كلمك ، فقال: (رب اشرح لى صدرى) الآيات فأمره بالمسير إلى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لايدرون مافعل حتى مر راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتي بلغهم خبر موسى بعد مافلق البحر فساروا اليه *

وأما موسى فانه سار إلى مصر ، وأوحى الله إلى هرون يعلمه بقفول موسى ويامره بتلقيه ، فخرج من مصر فالتقى به قال موسى ياهرون ! ان الله تعالى قد أرسلنا الى فرعون ، فانطلق معى اليه قال : سمعا وطاعة *

فلما جاء إلى بيت هرون وأظهر أنهما ينطلقان إلى فرعون سمعت ذلك ابنة هرون فصاحت أمهما ، فقالت : انشدكما الله أن لاتذهبا إلى فرعون فيقتلكما جميعا ، فاييا، فانطلقا

Marfat.com

اليه ليلا ، فضربا بابه ، فقال فرعون لبوابه : من هذا الذى يضرب بابي هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب وكلمهما ، فقال له موسى : إنا رسولا رب العالمين ، فاخبر فرعون فادخل اليه *

وقيل : ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان الدخول اليه ، فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فامر حينئذ فرعون بادخالهما *

فلما دخلا قال له موسى : إني رسول من رب العالمين فعرفه فرعون ، فقال له : (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) ؟ قال : (فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) - يعنى نبوة - (وجعلنى من المرسلين) فقال له فرعون : (ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) قد فتح فاه فوضع اللحى الاسفل فى الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه ؛ فخافه فرعون ، ووثب فزعا فأحدث فى ثيابه ؛ ثم بقى بضعاً وعشرين يوماً يجىء بطنه حتى كاد يهلك ؛ وناشده فرعون بربه تعالى أن يرد الثعبان ، فأخذه موسى فعاد عصا ، ثم أدخل يده فى جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ ، ثم ردها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ، ثم أخرجها الثانية لها نور ساطع فى السماء تكل منه الابصار قد أضاءت ما حولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ، ثم ردها موسى فى جيبه وأخرجها فاذا هى على لونها *

وأوحى الله تعالى إلى موسى وهرون ان : (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ، فقال له موسى : هل لك فى أن أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وأرد اليك لذة المناكح والمشارب والركوب فاذا مت دخلت الجنة وتؤمن بي ؟ فقال لا : حتي يأتى هامان ، فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى فعجزه ، وقال له : تصير تعبد بعد أن كنت تعبد ، ثم قال له : أنا أرد عليك شبابك ، فعمل له الوسمة ؛ فخضبه بها فهو أول من خضب بالسواد فلما رآه موسي هاله ذلك فاوحى الله اليه لا يهولنك ما ترى فلن يلبث إلا قليلا *

فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه ، فقال : ان هذا لساحر عليم وأراد قتله ، فقال

Marfat.com

سرمن آل فرعون :-واسمه حزقيل-(أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاء كم بالبينات:؟ وقال الملأ من قوم فرعون : أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) ، ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحرا ، وقيل اثنين وسبعين ، وقيل خمسة عشر ألفا ، وقيل ثلاثين ألفا فوعدهم فرعون واتعدوا يوم عيد كان لفرعون ، فصفهم فرعون وجمع الناس ، وجاء موسى ومعه أخوه هرون وبيده عصاه حتى أتي الجمع وفرعون فى مجلسه مع اشراف قومه ، فقال موسى للسحرة حين جاءهم : (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) ، فقال السحرة بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر ؟ ثم قالوا لنأتينك بسحر لم ترَ مثله ، (وقالوا : بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) ، فقال له : السحرة : (ياموسى إما ان تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال ، بل ألقوا فالقوا حبالهم وعصيهم) فاذا هى فى رأى العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ، فاوجس موسى خوفا . فأوحى الله اليه أن ألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا ، فالقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهى كالحيات فى أعين الناس ، فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيئا ، ثم أخذ موسى عصاه فاذا هى فى يده كما كانت ، وكان رئيس السحرة أعمى ، فقال له أصحابه : ان عصا موسى صارت ثعبانا عظيما وتلقف حبالنا وعصينا ، فقال لهم : ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الأول ، فقالوا لا ، فقال : هذا ليس بسحر ، فخر ساجدا وتبعه السحرة أجمعون ، (وقالوا : آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ، قال فرعون: آمنتم به قبل أن آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم فى جذوع النخل) . فقطعهم وقتلهم وهم يقولون : (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) فكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء *

وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه قيل : كان من بنى اسرائيل ، وقيل : كان من القبط ، وقيل : هو النجار الذى صنع التابوت الذى جعل فيه موسى وألقى فى النيل: فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه ، وقيل : أظهر ايمانه قبل ذلك ، وكان فرعون أرادقتل موسي ، (فقال :أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) : فلما أظهر إيمانه قتل وصلب مع السحرة *

وكان له امرأة مؤمنة تكتم ايمانها أيضا وكانت ماشطة ابنة فرعون ، فبينما هى تمشطها اذ وقع المشط من يدها ، فقالت : بسم الله ، فقالت ابنة فرعون : أبي قالت : لا بل

Marfat.com

Marfat.com

ربى وربك ورب ابيك، فاخبرت أباها بذلك، فدعا بها وبولدها، وقال لها من ربك؟ قالت: ربي وربك الله، فأمر بتنور نحاس فأحمى ليعذبها وأولادها، فقالت له:لى اليك حاجة قال: وما هى؟ قالت: تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال: ذلك لك؛ فأمر بأولادها فالقوا فى التنور واحدا واحدا؛ وكان آخر أولادها صبيا صغيرا؛ فقال: اصبرى ياأماه فأنك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها *

وكانت آسية امرأة فرعون من بني اسرائيل، وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر اليها وهى تعذب. فلما رأت الملائكة قوى إيمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى. فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة. قالت له آسية: الويل لك ما أجرأك على الله؟ فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذى اعترى الماشطة فقالت: ما بى جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربى وربك ورب العالمين. فدعا فرعون أمها. وقال لها: ان ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة. فاقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وأرادتها على موافقة فرعون فأبت وقالت أما أنأ كفر بالله فلا والله. فامر فرعون حتي مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت. فلما عاينت الموت قالت. (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) فكشف الله عن بصيرتها. فرأت الملائكة وما أعد لها من الكرامات. فضحكت. فقال فرعون: انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب ثم ماتت *

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف أن يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه، وقال لوزيره. ياهامان: ابن لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وانى لأظنه كاذبا فامر هامان بعمل الآجر وهو أول من عمله [1] وجمع الصناع وعمله فى سبع سنين، وارتفع البنيان ارتفاعاً لم يبلغه بنيان آخر، فشق ذلك على موسى واستعظمه، فأوحى الله اليه أن دعه ومايريد، فاني مستدرجه ومبطل ماعمله فى ساعة واحدة، فلما تم بناؤه أمر الله جبريل فخربه واهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل *

---

(١) فى التوراة ان بنى اسرائيل كانوا يسخرون فى عمل الطوب ومن عملهم مدينتا (مخازن فيثوم) و (رعمسيس) فقره ١١ من الاصحاح الاول من سفر الخروج و بعيد جداً انهم كانوا لايحرقون الطوب *

Marfat.com

فلما رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدة على بنى اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك ، وصاروا يكلفون بنى اسرائيل من العمل مالا يطيقونه ، وكان الرجال والنساء فى شدة وكانوا قبل ذلك يطعمون بنى اسرائيل اذا استعملوهم ، فصاروا لا يطعمونهم شيئاً فيعودون بأسوء حال يريدون يكسبون مايقوتهم فشكوا ذلك الى موسى ، فقال لهم : استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون *

فلما أبي فرعون وقومه إلا الثبات على الكفر تابع الله عليه الآيات فأرسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع فغرق كل شيء لهم فقالوا ياموسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم فقالوا مايسرنا أنا لم نمطر *

فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى أن يكشف مابهم ويؤمنون به فدعا الله ، فكشفه ، فلم يؤمنوا وقالوا قد بقى من زروعنا بقية *

فأرسل الله عليهم الدبا وهو القمل فأهلك الزروع والنبات أجمع ، وكان يهلك أطعمتهم ولم يقدروا أن يحترزوا منه فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا *

فأرسل الله عليهم الضفادع ، وكانت تسقط فى قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم ، فسألوا موسي أن يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا * فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دما ، وكان الفرعوني والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيأخذ الاسرائيلى ماء ويأخذ الفرعوني دماً ، وكان الاسرائيلى يأخذ الماء فى فمه فيمجه فى فم الفرعوني فيصير دماً فبقى ذلك سبعة أيام ، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا *

فلما يئس من إيمانهم ومن إيمان فرعون دعا موسى وأمن هرون ، فقال (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الأليم) فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ماعدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة والنخل والأطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت إحدى الآيات التي جاء بها موسى *

فلما طال الأمر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير بنى اسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة ، فسال موسى عنه فلم يعرفه الا امرأة عجوز فأرته مكانه فى النيل ، فاستخرجه موسى وهو فى صندوق مرمر ، فاخذه معه فسار

وامر بنى اسرائيل أن يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئا كثيرا وخرج موسى ببني اسرائيل ليلا والقبط لايعلمون ، وكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وهرون على مقدمتهم ، وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان * (فلما ترا أى الجمعان قال أصحاب موسى : إنا لمدركون) ياموسى ! أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا ، اما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ، وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى (كلا ان معى ربى سيهدين) *

وبلغ بنو اسرائيل إلى البحر وبقى بين أيديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك ؛ فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ، فقال كل سبط ، قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشباك ؛ فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتي خرجوا ؛ ودنا فرعون وأصحابه من البحر ، فرأى الماء على هيئته والطرق فيه ، فقال لأصحابه ألا ترون البحر قد فرق منى وانفتح لى حتى أدرك أعدائى ؟ فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى وديق [1] فشمت الحصن ريحها ، فاقتحمت فى أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، فأغرقهم وبنو إسرائيل ينظرون اليهم ، وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة [2] البحر فيجعلها فى فيه ، وقال : حين أدركه الغرق : آمنت انه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وغرق ، فبعث الله اليه ميكائيل يعيره ، فقال له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وقال جبريل للنبي ﷺ : لو رأيتني وأنا أدس من حمأة البحر فى فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها فلما نجا بنو إسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق ، فدعا موسى ،فاخرج الله فرعون غريقا ، فاخذه بنو اسرائيل يتمثلون به ، ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الأصنام ، فقالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك *

ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ، ولم يبق غير النساء والصبيان [3] والزمنى

---

(١) يقال لذوات الحافر اذا ارادت الفحل ودوق وودیق اه صحاح (٢) والحمأة والحمأطين اسود منتن اه مفردات الراغب (٣) هذه مبالغة فان عامة جند فرعون لا يبلغ ان يكون عشرين من كل مائة و يبقى بعدهم فى البلاد ثمانون فى المائة

Marfat.com

والمرضى والمشايخ والعاجزين، فدخلوا البلاد وغنموا الأموال. وحملوا ما أطاقوا وباعوا ماعجزوا عن حمله على غيرهم، وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه اذا خرج مع بنى اسرائيل منها، وأهلك الله عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون *

فلما أهلك الله فرعون وأنجى بنى اسرائيل قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذى وعدتنا، فسأل موسى ربه ذلك فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويطهر ثيابه، ويأتى الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوما أولها أول ذى القعدة وسار الى الجبل واستخلف أخاه هرون على بنى اسرائيل *

فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتسوك بعود خرنوب، وقيل تسوك بلحاء شجرة فأوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك؟ وأمره أن يصوم عشرة أيام أخرى فصامها وهى عشر ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ففى تلك الليالى العشر افتتن بنو اسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع إليهم موسى *

وكان السامرىّ من أهل باجرمى[1] وقيل من بنى اسرائيل، فقال هرون: يابنى اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة، فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه، ففعلوا ذلك، وجاء السامرى بقبضة من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلى عجلا جسدا له خوار[2] وقيل: إن الحلى ألقى فى النار فذاب فألقى السامرى ذلك التراب فصار الحلى عجلا جسداله خوار، وقيل: كان يخور ويمشى، وقيل: ما خار الا مرة واحدة ولم يعد؛ وقيل: ان السامرى صاغ العجل من ذلك الحلى فى ثلاثة أيام، ثم قذف فيه التراب، فقام له خوار، فلما رأوه قال لهم السامرى: هذا إلهكم وإله موسى فنسى موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه، فقال لهم هرون: ياقوم. انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى. فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم. فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله تعالى موسى. قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى؟ قال: هم أولاء على

---

(١) باجرمى بفتح الجيم وسكون الراء وميم والف مقصورة قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة اه مراصد الاطلاع: والبليخ نهر يصب فى الفرات تجاه ارض صفين الواقعة الشهيرة ضمن متصرفية دير الزور. الادارة (٢) الذى اعتقده انه اشترى بثمن الحلى عجلا جسداً اى لحما ودما. له خوار ومع هذا فانهم لغباوتهم وسخافة عقولهم وظهور انه عجل لا يتميز عن اى عجل آخر قد عبدوه وعكفوا عليه *

Marfat.com

أثرى وعجلت اليك ربي لترضى . قال فانا قدفتنا قومك من بعدك ياموسى وأضلهم السامرى . فقال موسي : يارب هذا السامرى قد أمرهم أن يتخذوا العجل ، من نفخ فيه الروح ؟ قال أنا قال فأنت اذن أضللتهم *

ثم إن موسى لما كلمه الله تعالى أحب أن ينظر اليه قال : (رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فتجلى الله تعالى للجبل فجعله دكا ، وخر موسى صعقا فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) ، وأعطاه الألواح فيها الحلال والحرام والمواعظ ، وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر اليه ، وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يوماً ثم يكشفها لما تغشاه من النور ، فلما وصل الى قومه ورأى عبادتهم العجل ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه قال : يا ابن أم ! لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى اني خشيت أن تقول : فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى ، فترك هرون ، وأقبل على السامرى ، وقال : ماخطبك ياسامرى ؟ قال : بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى . قال : فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس *

ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد ، وأحرقه ، وأمر السامرى فبال عليه وذراه فى البحر * فلما ألقى موسى الألواح ذهب ستة أسباعها وبقى سبع ، وطلب بنو إسرائيل التوبة فأبي الله أن يقبل توبتهم ، وقال لهم موسى : ياقوم ! إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذ كم العجل ، فتوبو إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاقتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه ، فكان من قتل من الفريقين شهيدا ، فقتل منهم سبعون ألفاً ، وقام موسى وهرون يدعوان الله فعفا عنهم ، وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم ، وأراد موسى قتل السامرى فأمره الله بتركه ، وقال : إنه سخى فلعنه موسى *

ثم إن موسى اختار من قومه سبعين رجلا من أخيارهم ، وقال لهم : انطلقوا معى الى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا ، وخرج بهم إلى طور سيناء للميقات الذى وقته الله له فقالوا : اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال : أفعل *

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشي الجبل كله ودخل فيه موسى وقال : للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل اليهم فقالوا لموسى : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة) فماتوا جميعا فقام موسى يناشد الله

Marfat.com

ويدعوه ويقول : يارب ! اخترت أخيار بنى اسرائيل وأعود اليهم وليسوا معى فلا يصدقونى ولم يزل يتضرع حتى رد الله اليهم أرواحهم فعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فقالوا : ياموسى ! أنت تدعو الله فلا تسأله شيئا إلا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء * وقيل : أمر السبعين كان قبل أن يتوب الله على بنى اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذروا قبل توبتهم وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضا والله أعلم *

ولما رجع موسى إلى بني اسرائيل ومعه التوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للاثقال والشدة التى جاء بها وأمر الله جبريل ، فقطع جبلا من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخاً فى فرسخ ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة ، وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر من خلفهم ، فقال لهم موسى : خذوا ما آتينا كم بقوة واسمعوا ، فان قبلتموه وفعلتم ماأمرتم به وإلا رضختكم بهذا الجبل ، وغرقتكم فى هذا البحر واحرقتكم بهذه النار ، فلما رأوا ان لامهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود ، فصارت سنة فى اليهود يسجدون على جانب وجوههم ، وقالوا : سمعنا وأطعنا *

ولما رجع موسى من المناجاة بقى أربعين يوما لا يراه أحد إلا مات ، وقيل مارآه الاعمى فجعل على وجهه ورأسه برنساً لئلا يرى وجهه *

ثم ان رجلا من بنى اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله وألقاه بوضع آخر ، ثم أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بنى اسرائيل ، فجحدوا فسأل موسى ربه ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ، فقالوا (أتتخذنا هزوا ؟ قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) المستهزئين ، فقالوا له : ماهى ؟ ولو ذبحوا بقرة ما لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، وانما كان تشديدهم لان رجلا منهم كان براً بأمه ، وكان له بقرة على النعت المذكور ، فنفعه بره بأمه ، فلم يجدوا على الصفة المذكورة إلا بقرته ، فباعها منهم بملء جلدها ذهبا[1] فلما سألوا موسى عنها (قال : انها بقرة لا فارض ولا بكر) يقول : لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين ، (قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال : انه يقول : انها بقرة صفراء فاقع [2] لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى : ان البقر تشابه علينا * قال : انه يقول : انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة

---

(١) هذه مبالغة على الطريقة الفارسية اه الادارة ، ولعل الاستاذ يشير الى من اعتنقوا اليهودية من ابناء فارس كوهب بن منبه (٢) يقال اصفر فاقع اذا كان صادق الصفرة كقوله اسود حالك *

Marfat.com

Marfat.com

لاشية فيها) يعنى لاعيب فيها وقيل ؛ لا بياض فيها ، قالوا (الآن جئت بالحق) وطلبوها فلم يجدوا إلا بقرة ذلك الرجل البار بأمه ، فاشتروها ، فغالى بها حتي أخذ ملء جلدها ذهبا ، فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها ؟ وقيل بغيره فحي وقال : قتلنى فلان ثم مات [1] *

﴿ ذكر أمر بنى اسرائيل فى التيه ووفاة هرون عليه السلام ﴾

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير ببنى اسرائيل الى أريحاء بلد الجبارين وهى أرض بيت المقدس ، فساروا حتى كانوا قريباً منهم ، فبعث موسى اثني عشر نقيبا من سائر أسباط بني اسرائيل ، فساروا ليأتوا بخبر الجبارين ، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له « عوج بن عناق » فأخذ الاثني عشر ، فحملهم وانطلق بهم الى امرأته ، فقال : انظرى الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون أن يقاتلونا وأراد أن يطأهم برجله ، فمنعته امرأته ، وقالت : اطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك ؛ فلما خرجوا قال بعضهم لبعض : إنكم إن أخبرتم بنى اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم ، فاكتموا الأمر عنهم ، وتعاهدوا على ذلك ، ورجعوا ، فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا [2] ختن موسى ولم يخبروا إلا موسى وهرون *

فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم (فقال لهم موسى : يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) ، قالوا : ياموسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون (قال رجلان) ، وهما يوشع وكالب (من الذين يخافون أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، قالوا : ياموسى . انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) فغضب موسى ، فدعا عليهم ، فقال (رب اني لاأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) وكانت عجلة من موسى ، فقال الله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض) فندم موسى حينئذ فقالوا له : فكيف لنا بالطعام ؟ فأنزل الله المنّ والسلوى * فاما المنّ فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الأشجار ، وقيل هو الترنجبين ، وقيل هو

---

(١) ليس فى التوراة شىء من قصة القتيل ولكنهم يجعلون ذبح بقرة حمراء سليمة من العيوب لم يعلها نير فتذبح وتحرق بكيفية خاصة وتكون ذبيحة عطية ولكن ما فى القرآن المهيمن على التوراة وغيرها هو الصحيح لاسواه

(٢) كذا فى الاصول : وفى تاريخ الطبرى يوفنة * وتقدم فى ترجمة منوحمير صحيفة ٩٢ وفى الطبرى لمنوشهر بدله *

الخبز الرقاق ، وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع * وأما السلوى فهو طائر يشبه السماني فقالوا : أين الشراب ؟ فأمر موسى (فضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) لكل سبط عين ، فقالوا : أين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام ، فقالوا أين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب ، ثم (قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال : أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم) *فلما خرجوا من التيه رفع عنهم المن والسلوى *

ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق [1] فوثب موسى عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله * وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة *

ثم ان الله أوحى الى موسى اني متوفى هرون ، فأت به جبل كذا و كذا ، فانطلقا نحوه ، فاذا هم فيه بشجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طيبة ، فلما رآه هرون أعجبه ، قال : ياموسى ! اني أريد أن انام على هذا السرير ، فقال له موسى ، ثم قال إني أخاف رب هذ البيت أن يأتى فيغضب على قال موسى : لاتخف أنا أكفيك ؟ قال: فنم معى فلما ناما أخذ هرون الموت ، فلما وجد حسه قال ، ياموسى ! خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء [2] ورجع موسى الى بنى اسرائيل ، فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا إياه :فقال : ويحكم افترون أنى أقتل أخى ؟ فلما أكثروا عليه صلى ودعا الله ، فنزل بالسرير حتى نظروا اليه مابين السماء والأرض ، فاخبرهم أنه مات ؛ وان موسى لم يقتله ، فصدقوه . وكان موته فى التيه *

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

قيل : بينما موسى عليه السلام يمشى ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة ، فالتزم موسى ، وقال لاتقوم الساعة وأنا ملتزم نبى الله فاستل موسى من تحت القميص وبقى القميص فى يدى يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص اخذه بنو اسرائيل وقالوا : قتلت نبى الله فقال : ماقتلته ولكنه استل مني فلم يصدقوه . قال فاذا لم

---

(١) خرافة ليس لها أصل (٢) لعمرى لاأدرى من اين جاءت هذه الخرافة؟!

Marfat.com

Marfat.com

تصدقونى فاخرونى ثلاثة ايام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فاتي كل رجل كان يحرسه فى المنام فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى فانا رفعناه الينا فتركوه *

وقيل: ان موسى كره الموت فأراد الله ان يحبب اليه الموت فأوحى الله إلى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح، ويقول له موسى: يانبي الله ماأحدث الله اليك؟ فقال له يوشع بن نون: يانبي الله ألم اصحبك كذا وكذا سنة؟ فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك؟ ولا يذكر له شيئا فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت *

وقيل: انه مر منفردا برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل مافيه من الخضرة والبهجة، فقال لهم يامﻻئكة الله! لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال: ان هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعا ولا مدخلا مثله فقالوا: أتحب أن يكون لك قال: وددت قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك وتنفس أسهل تنفس تتنفسه. فنزل فيه وتوجه الى ربه. ثم تنفس فقبض الله روحه. ثم سوت الملائكة عليه التراب *

وكان ﷺ زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله انما كان يستظل فى عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا الى الله تعالى * وقال النبي ﷺ: ان الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه، فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال: يارب أرسلتني الى عبد لايحب الموت، قال الله: ارجع له، وقل له: يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة، وخيره بين ذلك وبين أن يموت الآن، فأتاه ملك الموت وخيره، فقال له: فمابعد ذلك؟ قال: الموت قال: فالآن اذا فقبض روحه، وهذا القول صحيح قد صح النقل به[1] عن النبي ﷺ، فكان موته فى التيه أيضا. وقيل بل هو الذى فتح مدينة الجبارين على ما نذكره *

وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك فى ملك افريدون عشرون وفى ملك منوجهر مائة سنة. وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله الى ان قبضه فى ملك منوجهر ثم نبيء بعده يوشع بن نون فكان فى زمن منوجهر عشرين سنة وفى زمن افراسياب سبع سنين *

---

(١) ولكن بسند موقوف من طريق طاوس وبسند مرفوع من رواية همام بن منبه اخي وهب بن منبه كما ذكره العيني ومع هذا فالحديث ليس فيه فقأ عينه وانما فيه فصكه بدون فقأ كما فى البخارى فى آخر الصلاة وفى احاديث الانبياء

Marfat.com

﴿ ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين ﴾

لما توفى موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام نبياً إلى بنى اسرائيل ، وأمره بالمسير الى أريحاء مدينة الجبارين ، واختلف العلماء فى فتحها على يد من كان ، فقال ابن عباس : إن موسى وهرون توفيا فى التيه ، وتوفى فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون و كالب ابن يوفنا ، فلما انقضى أربعون سنة اوحى الله الى يوشع بن نون ، فأمره بالمسير اليها وفتحها ففتحها ومثله . قال قتادة والسدى وعكرمة * وقال آخرون : ان موسى عاش حتى خرج من التيه ، وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها ، وهو قول ابن اسحق * قال ابن اسحق : سار موسى بن عمران الى أرض كنعان لقتال الجبارين ، فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران * فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعورا [1] وهو من ولد لوط ، فقالوا له : إن موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا ، فادع الله عليهم ، وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم ، فقال لهم : كيف ادعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة ؟ فراجعوه فى ذلك وهو يمتنع عليهم فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا اليها أن تحسن لزوجها أن يدعو على نبي بنى اسرائيل فقالت له ، فى ذلك ، فامتنع فلم تزل به حتى قال : أستخير الله فاستخار الله تعالى فنهاه فى المنام ، فأخبرها بذلك ، فقالت : راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد اليه جواب ، فقالت : لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى أجابهم فركب حماراً له متوجها الى جبل مشرف على بنى اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم ، فما سار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتي قام فركبه . فسار به قليلا فبرك فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما اشتد ضربه فى الثالثة أنطقه الله ؛ فقال له : ويحك يا بلعم ؟ أين تذهب ؛ أما ترى الملائكة تردني ؟ فلم يرجع فأطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتي أشرف على بني اسرائيل ؛ فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه الى الدعاء لهم ، واذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له فى ذلك فقال : هذا شيء غلبنا الله عليه ، واندلع

---

(١) ذكرت مسألة بلعام لا فى دخول مدينة الجبارين ولكن قبلها حين جاء بالاق ببلعام ليدعو على بنى اسرائيل فدعالهم كما فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر عدد التوراة *

Marfat.com

لسانه فوقع على صدره ، فقال : الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة ؛ وأمرهم أن يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ، ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها ، وقال : ان زني منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ، ودخل النساء عسكر بني اسرائيل ، فأخذ زمرى بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة ، وأتى بها موسى ، فقال له أظنك تقول هذا حرام ؛ فوالله لانطيعك ، ثم أدخلها خيمته ، فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون ، وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائبا ، فلما جاء رأى الطاعون قد استقر فى بني إسرائيل ، وأخبر الخبر ، وكان ذا قوة وبطش ، فقصد زمرى ، فرآه وهو مضاجع المرأة ، فطعنهما بحربة فى يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك فى تلك الساعة عشرون ألفاً وقيل سبعون ألفاً فأنزل الله فى بلعم (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) *

ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحاء فى بنى اسرائيل ، فدخلها ، وقتل بها الجبارين ، وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب - فخشى أن يدركهم الليل فيعجزوه ؛ فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتي استأصلهم ودخلها موسى [1] فأقام بها ما شاء الله أن يقيم وقبضه الله اليه لايعلم بقبره أحد من الخلق *

وأما من زعم أن موسى كان قد تو فى قبل ذلك ، فقال : ان الله أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين ، فسار ببني اسرائيل ، ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعورا وكان يعرف الاسم الأعظم ، وساق من حديثه نحو ما تقدم * فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت ، فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد فى النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار ، فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه ، فلصقت يده فى يد من غل ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت ، فجعله فى القربان ، وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما *

وقيل بل حصرها ستة أشهر [2] فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا * ثم اجتمع جماعة

---

(١) الذى فى التوراة ان موسى لم يدخل أرض الموعد ولكنه وقف على الفسحة ونظر اليها فقط ثم مات قبل دخولها كما فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية (٢) الذى فى الاصحاح السادس من سفر يوشع ان الحصار كان ستة ايام وفى اليوم السابع سقط السور *

من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمر بهم يوشع ابن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشأم جميعه فصار لبنى اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا، وكان عمر يوشع مائة وستاً وعشرين سنة وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعا وعشرين سنة *

وأما من بقى من الجبارين فان إفريقش بن قيس بن صيفى بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجير، وأسكنهم إياها فهم البرابرة * وأقام من حمير فى البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم *

﴿ ذكر أمر قارون ﴾

وكان قارون [1] بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث؛ وقيل كان عم موسى والأول أصح * وكان عظيم المال كثير الكنوز، قيل: ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله؛ فوعظوه ونهوه، وقالوا له ماقص الله تعالى فى كتابه (لاتفرح ان الله لايحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لايحب المفسدين) فأجابهم جواب مغتر لحلم الله عنه، فقال إنما أوتيته يعنى المال والخزائن على علم عندى، قيل: على خبر ومعرفة منى، وقيل: لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ماأعطانى هذا فلم يرجع عن غيه، ولكنه تمادى فى طغيانه حتى خرج على قومه فى زينته، وهى انه ركب برذوناً أبيض بمراكب الأرجوان المذهبة، وعليه الثياب المعصفرة، وقد حمل معه ثلثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه، وبني داره وضرب عليها صفائح الذهب، وعمل لها بابا من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله *

وأمره الله تعالى بالزكاة، فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار، وعلى هذا من كل ألف شيء شيء. فلما عاد الى بيته وجده كثيرا، فجمع نفرا يثق بهم من بني اسرائيل، فقال: إن موسى أمركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تحضروا فلانة البغى فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم اليه * ثم أتي موسى فقال: إن قومك قد اجتمعوا لك

(١) هو الذى يذكر فى التوراة باسم قورح وقصته مذكورة فى الاصحاح السادس عشر من سفر العدد *

Marfat.com

Marfat.com

لتامرهم وتنهاهم ، فخرج اليهم ، فقال : من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زني وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة(١) وان كانت له امرأة رجمناه حتي يموت،فقال لهقارون: وان كنتأنت ؟ فقال : نعم قال : فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال : ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت ، قال لها موسى : أقسمت عليك بالذى أنزل التوراة ألا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت : لا كذبوا ولكن جعلوا لى جعلا على ان أقذفك فسجد ودعا عليهم ، فاوحى الله اليه مر الأرض بما شئت تطعك ؛ فقال : ياأرض خذيهم *

وقيل : ان هذا الامر بلغ موسى ، فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله اليه مر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى الى قارون ، فلما دخل عليه عرف الشر فى وجهه ، فقال له ياموسى ارحمنى ، فقال موسى : يا أرض خذيهم ، فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين ، وجعل يقول : ياموسى ارحمنى ، قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ، فلم يزل يستعطفه وهو يقول يا أرض خذيهم حتي خسف بهم ؛ فأوحى الله الى موسى ما أفظك ؟ أما وعزتي لو إياى نادى لاجبته . ولا أعيد الارض تطيع أحدا أبدا بعدك. فهو يخسف به كل يوم قامة . فلما أنزل الله نقمته حمد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا *

﴿ ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر ﴾

لما هلك منوجهر ملك فارس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الى مملكة الفرس واستولى عليها . وسار الى أرض بابل وأكثر المقام بها . وبمهرجان قذف وأكثر الفساد فى مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الانهار والقني. وقحط الناس سنة خمس من ملكه الى أن خرج عن مملكة فارس ، ولم يزل الناس منه فى أعظم البلية الى ان ملك زوبن طهماسب. وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب. ونفاه عن بلاده ، فأقام فى بلاد الترك عند ملك لهم يقال له (وامن) وتزوج ابنته.فولدت له زوبن طهماسب . وكان المنجمون قد قالوا لأبيها : ان ابنته تلد ولدا يقتله فسجنها . فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها *

---

(١) ليس الجلد من احكام التوراة ولكن ازانى حد ، القتل الا اذا كانا غير متزوجين فانه يعتبر نكاحهما شرعيا وليس للزوج ان يطلقها ويكون المهر لابى الفتاة خمسين من الفضة كذا فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر تثنية التوراة *

ثم ان منوجهر رضى عن طهماسب. وأحضره اليه فاحتال فى اخراج زوجته وابنه زوّ من محبسهما فوصلت اليه *

ثم ان زوّ فيما ذكر قتل جده وأمن فى بعض الحروب الترك. وطرد افراسياب التركى عن مملكة فارس حتى رده الى الترك بعد حروب جرت بينهما. فكانت غلبة افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة من لدن توفى منوجهر الى ان أخرجه عنها زوّ وكان اخراجه عنها فى زو زابان من شهرا بان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيدا، وجعلوه الثالث لعيدهم النوروز والمهرجان *

وكان زو محمودا فى ملكه محسنا إلى رعيته، وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده من مملكتهم؛ وبعمارة الحصون واخراج المياه التي غوروطرقها حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين، فعمرت البلاد فى ملكه وكثرت المعايش، واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب، وبنى عليه مدينة وهى التى تسمى العتيقة، وجعل لها طسوج. الزاب الأعلى وطسوج الزاب الأوسط. وطسوج الزاب الأسفل *

وكان أول من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وباصناف الاطعمة وأعطى جنوده ماغنم من الترك وغيرهم. وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدته ثلاث سنين، وكان كرشاسب ابن انوط وزيره فى ملكه ومعينه فيه * وقيل كان شريكه فى الملك والأول أصح، وكان عظيم الشأن فى فارس إلا انه لم يملك *

﴿ ذكر ملك كيقباذ ﴾

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقدر مياه الأنهار والعيون لشرب الارض، وسمى البلاد بأسمائها، وحدها بحدودها، وكور الكور، وبين حيز كل كورة، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند * وكان فيما ذكر كيقباذ حريصاً على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز * وقيل ان الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله، وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شىء من بلاده: وكان ملكه مائة سنة *

﴿ ذكر الاحداث فى بنى إسرائيل فى عهد زوّ و كيقباذ ونبوة حزقيل ﴾

لما توفى يوشع بن نون قام بأمر بنى اسرائيل بعده كالب بن يوفنا[1]، ثم حزقيل بن نورى، وهو الذى

(١) الذى فى النقرة ١٩ من الاصحاح ٣٤ من عدد التوراة كالب بن يفنة بفتح فضم فنون مشددة وكذا فى الطبرى *

Marfat.com

Marfat.com

يقال له:ابن العجوز. وانما قيل له ذلك. لان أمه سألت الله الولد، وقد كبرت فوهبه الله لها * وهو الذى دعا للقوم الموتي فأحياهم الله *

وكان سبب ذلك أن قرية يقال لها راوودان وقع بها الطاعون * فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية، فهلك أكثر من بقى بالقرية وسلم الآخرون، فلما ارتفع الطاعون رجعوا فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا، ولو صنعنا كما صنعوا بقينا، فوقع الطاعون من قابل؛ فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفاً، وقيل ثلاثة آلاف، وقيل أربعة آلاف، وقيل غير ذلك حتي نزلوا على ذلك المكان، فصاح بهم ملك فماتوا ونخرت عظامهم فمر بهم حزقيل، فلما رآهم جعل يتفكر فى بعثهم، فأوحى الله اليه أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم، فقيل: ناد، فنادى يا أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت أجسادا من عظام، ثم نادى يا أيتها العظام؟ ان الله أمرك أن تكتسى فألبست لحماً ودما وثيابها التي ماتت فيها، ثم نادى يا أيتها الأرواح! ان الله يأمرك أن تعودى الى أجسادك فعادت، وقامت الاجساد أحياء؛ وقالوا: حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون انهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدته فى بني اسرائيل [1]، وقيل: كانوا قوم حزقيل فلما أن ماتوا بكى حزقيل وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً فقال الله أتحب أن أحييهم؟ قال: نعم قال: فاني قد جعلت حياتهم اليك، فقال حزقيل: أحيوا باذن الله تعالى فعاشوا *

﴿ ذكر الياس عليه السلام ﴾

لما توفى حزقيل كثرت الأحداث فى بني اسرائيل، وتركوا عهد الله وعبدوا الأوثان فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبيا، وكان الأنبياء فى بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة، وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له أخاب [2] وكان يسمع منه ويصدقه * وكان الياس يقيم له أمره، وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه يقال له: بعل، فجعل الياس يدعوهم

---

(١) الذى فى التوراة ان الذين احياهم حزقيال عشرة آلاف (٢) ان بنى اسرائيل ظلوا بعد يوشع بن نون اربعمائة سنة ليس لهم ملك واول ملك فيهم شاول الذى هو طالوت وهذا قبل طالوت قطعا فكيف يكون من ملوكهم؟

Marfat.com

إلى الله وهم لا يسمعون الا من ذلك الملك ، وكان ملوك بني اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها ، فقال ذلك الملك الذى كان الياس معه والله ما أرى الذى تدعو اليه الا باطلا لأنى أرى فلانا وفلانا يعد ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الأوثان ، فلم يضرهم ذلك شيئا يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من دنياهم ومانرى لنا عليهم من فضل ؟ ففارقه الياس وهو يسترجع ، فعبد ذلك الملك الأوثان أيضاً *

وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم إيمانه ، وله بستان الى جانب دار الملك ، والملك يحسن جواره ، وللملك زوجة عظيمة الشر والكفر ، فقالت له ليأخذ بستان الرجل فلم يفعل ، فكانت تخلف زوجها اذا سار عن بلده وتظهر للناس ، فغاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد عليه أنه سب الملك ، فقتلته ؛ وأخذت بستانه ، فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره ، فقالت : فات أمره فأوحى الله إلى الياس يأمره أن يقول للملك وامرأته أن يرد البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما فى البستان ولم يتمتعا به إلا قليلا ، فأخبرهما الياس بذلك فلم يراجعا الحق *

فلما رأى الياس أن بني اسرائيل قد أبوا إلا الكفر والظلم دعا عليهم ، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ، فهلكت الماشية والطيور والهوامّ والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واستخفى الياس خوفاً من بني اسرائيل ، فكان يأتيه رزقه ، ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ـ به ضر شديد فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به واتبع الياس ، وكان معه وصحبه وصدقه ، وكان الياس قد كبر ، فأوحى الله اليه إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق من البهائم والدواب والطير وغيرها ، ولم يعص سوى بنى اسرائيل ، فقال الياس : أى رب : دعني أكن أنا الذى أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلهم يرجعون ، فجاء الياس اليهم ، وقال لهم : انكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم ، فان احببتم ان تعلموا ان الله ساخط عليكم بفعلكم ، وأن الذى أدعوكم اليه هو الحق ، فاخرجوا باصنامكم وادعوها ، فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون ، وان هى لم تفعل علتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرّج عنكم ، قالوا أنصفت فخرجوا بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم ، فقالوا : لا لياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم بالفرج وان يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ، ثم أرسل الله منها المطر فحييت بلادهم ، وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يراجعوا الحق ، فلما رأى ذلك الياس سأل الله أن يقبضه فيريحه منهم ، فكساه الله الريش وألبسه

Marfat.com

النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فصار ماكياً إنسياً سماويا أرضيا، وسلط الله على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتي بليت لحومهما[1] *

﴿ ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بنى اسرائيل ﴾

فلما انقطع الياس عن بنى اسرائيل بعث الله اليسع، فكان فيهم ماشاء الله، ثم قبضه الله وعظمت فيهم الأحداث، وعندهم التابوت[2] يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا هزم الله العدو، وكانت السكينة شبه رأس هر، فاذا صرخت فى التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح *

ثم خلف فيها ملك يقال له إيلاف، وكان الله يمنعهم ويحميهم؛ فلما عظمت أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا، فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا، فلما علم ملكهم ان التابوت أخذ مات كمدا ودخل العدو أرضهم وسبى وعاد، فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف، وكانوا يتمادون أحيانا فى غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم، فاذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر عدوهم، فكان هذا حالهم من لدن توفى يوشع بن نون إلى أن بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت *

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع الذى كان يلى أمر بنى إسرائيل بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إلى اشمويل أربعمائة سنة وستين سنة *

فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال: له كوشان فقهرهم وأذلهم ثماني سنين، ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتنيل، فقام بأمرهم أربعين سنة، ثم سلط عليهم ملك يقال له: عجلون فملكهم ثماني عشرة سنة، ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ، وقام بأمرهم ثمانين سنة * ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابين، فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بني أنبيائهم يقال لها دبورا، ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة * ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط

---

(١) حكاية البستان كانت بعد داود وسليمان وفى هذه القصة من الغرابة ما ينبغى عن التنبيه عليه. (٢) مسألة التابوت كانت فى زمن آخر القضاة وكانت علامة ملك طالوت الذى هو شاول *

فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالى ابن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفى * ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين ثم دبرهم بعده فولع بن فوّا ابنُ خال أبيمالخ: ويقال: انه ابن عمه ثلاثاً وعشرين سنة، ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة، ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بنى عمون ثمانى عشرة سنة، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين، ثم دبرهم بعده يتحسون سبع سنين. ثم بعده آلون عشر سنين. ثم بعده لترون ويسميه بعضهم عكرون ثماني سنين. ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة. ثم وليهم شمسون عشرين سنة. ثم بقوا بعده عشرين سنة بغير مدبر ولا رئيس * ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالى الكاهن. وفى أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت فى قول، فلما مضى من وقت قيامه أربعون سنة بعث اشمويل نبيا فدبرهم عشر سنين. ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم *

﴿ ذكر حال اشمويل وطالوت ﴾

كان من خبر اشمويل بن بالى ان بنى اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الأعداء وأخذ التابوت منهم، فصاروا بعده لا يلقون ملكا إلا خائفين. فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين، وكان ملكه مابين مصر وفلسطين فظفر بهم. فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه. وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها فى بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل فى ولدها فولدت غلاما سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائى (١) *

وسبب هذه التسمية انها كانت عاقرا وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الأولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما فسمته اشمويل * فلما كبر أسلمته فى بيت المقدس يتعلم التوراة، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه *

فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبريل وهو يصلى فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ،

---

(١) الذى فى فقرة ٢٠ من الاصحاح الاول من سفر صموئيل الاول. ودعت اسمه صموئيل قائلة لأنى من الرب سألته :

Marfat.com

فجاء اليه ، فقال ماتريد ؟ فكره أن يقول لم أدعك فيفزع ، فقال ارجع فنم ، فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء الى الشيخ فقال له: يابنى! عد فاذادعوتك فلا تجبني [1] فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل، وأمره بانذار قومه ، وأعلمه ان الله بعثه رسولا ، فدعاهم فكذبوه ، ثم أطاعوه ، وأقام يدبر أمرهم عشر سنين ، وقيل:أربعين سنة *

وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم فى بني اسرائيل حتي كادوا يهلكونهم . فلما رأى بنو اسرائيل ذلك (قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا ، قالوا : وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) ؟ فدعا الله فأرسل اليه عصا وقرنا فيه دهن ، وقيل له : ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا . وإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بني اسرائيل ، فادهن رأسه به وملكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا ، فلم يكونوا مثلها *

وكان طالوت دباغا ، وقيل كان سقاء يسقى الماء ويبيعه فضلّ حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذى فيه اشمويل دخل يسأله أن يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل فنش الدهن فقاسوه بالعصا ، فكان مثلها ، فقال لهم نبيهم (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وهو بالسريانية شاول بن قيس [2] بن أنمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق فقالوا له : ما كنت قط أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ، ولم يؤت طالوت سعة من المال فنتبعه فقال اشمويل : (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) فقالوا : إن كنت صادقا فأت بآية ، فقال(إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة) والسكينة رأس هر [3] وقيل طشت من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء ، وقيل غير ذلك * وفيه الألواح وهى من در وياقوت وزبرجد * وأما البقية فهى عصا موسى ورضاضة الألواح فحملته الملائكة وأتت به الى طالوت نهارا بين السماء والأرض والناس

---

(١) الذى فى الاصحاح ٣ فقرة ٩ من سفر صموئيل الأول هكذا : فقال عالى لصموئيل اذهب اضطجع ويكون اذادعاك تقول تكلم يارب لأن عبدك سامع (٢) فى الاصحاح التاسع من صموئيل الاول مايخالف هذا النسب بعض المخالفة (٣) التابوت كانت فيه التوراة وهى سكينة لهم وفيها اطمئنان انفسهم لارأس هر أوغيره وقصته : ان الفلسطينيين غلبوا بنى اسرائيل فى الحرب وأخذوا تابوت العهد وأدخلوه بيت إلههم « داجون» فكان فى كل ليلة يسقط الاله «داجون» وقطعت يده فضاق الفلسطينيون به وردوه كما سنبين فى الهامش *

Marfat.com

ينظرون (١) فأخرجه طالوت اليهم ؛ فأقروا بملكه ساخطين ، وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفاً ، *

فلما خرج قال لهم طالوت (ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني) وهو نهر فلسطين ، وقيل : الأردن — فشربوا منه إلا قليلا وهم أربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) لقيهم جالوت ، وكان ذا بأس شديد ، فلما رأوه رجع أكثرهم ، (وقالوا : لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) ولم يبق معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا :(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)*

وكان فيهم أيشا أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا ، و كان داود أصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام ، و كان قد قال لابيه ذات يوم ياأبتاه ! ماأرمى بقذافتي شيئا إلا صرعته . ، ثم قال له : لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم أخفه ، ثم أتاه يوما آخر فقال : إنى لأمشى بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل إلا سبح معى قال له : أبشر فان هذا خير أعطاكه الله ، فارسل الله الى النبي الذى مع طالوت قرنا فيه دهن وتنور من حديد فبعث به الى طالوت ، وقال له : إن صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلى حتي يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه إلى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل . ويدخل فى هذا التنور فيملؤه فدعا طالوت بنى اسرائيل . فجربهم فلم يوافقه منهم أحد . فأحضر داود من رعيه . فمر فى طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقان : خذنا ياداود تقتل بنا جالوت فأخذهن . فجعلهن فى مخلاته . وكان طالوت قد قال : من قتل جالوت زوجته ابنتي وأجريت خاتمه فى مملكتي *

فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتي ادهن منه ولبس التنور فملأه وكان داود مسقاما أزرق مصفارا فلما دخل فى التنور تضايق عليه حتي ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك ، وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها فى قذافته ورمى بها جالوت ، فوقع الحجر بين عينيه فثقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره ، فانهزم عسكر

---

(١) هذه خرافة ولكن الفلسطينيين من أهل غزة لقوا مشقة شديدة من وجود التابوت عندهم فوضعوه على عربة تجرها بقرتان وتركوهما فجاءتا بالتابوت ومعه هدية من الفلسطينيين وهي تماثيل من ذهب وبواسير من الذهب كما فى الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول *

جالوت باذن الله *

ورجع طالوت فأنكح ابنته داود واجرى خاتمه فى ملكه. فمال الناس إلى داود وأحبوه، فحسده طالوت وأراد قتله فعلم ذلك داود ففارقه، وجعل فى مضجعه زق خمر وسجاه، ودخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة خرقه فوقعت قطرة من الخمر فى فيه، فقال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر * فلما أصبح طالوت علم انه لم يصنع شيئا، فخاف داود أن يغتاله، فشدد حجابه وحراسه * ثم ان داود أتاه من المقابلة فى بيته وهو نائم، فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام، فقال: يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به وأردت قتله وظفر بي فكف عنى، وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به. وركب طالوت يوما فرأى داود، فركض فى أثره، فهرب داود منه واختفى فى غار فى الجبل فعمى الله أثره على طالوت *

ثم ان طالوت قتل العلماء حتي لم يبق أحد إلا امرأة كانت تعرف اسم الله الأعظم، فسلمها إلى رجل يقتلها فرحمها وتركها وأخفى أمرها * ثم إن طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، فكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى، ويقول أنشد الله عبدا علم لى توبة إلا أخبرنى بها، فلما أكثر ناداه منادمن القبور ياطالوت! أما رضيت قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا؟ فازداد بكاء وحزنا فرحمه الرجل الذى أمره بقتل تلك المرأة فقال له: إن دللتك على عالم لعلك تقتله؟ قال لا فاخذ عليه العهود والمواثيق، ثم أخبره بتلك المرأة، فقال: سلها هل لى من توبة؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة؟ فقالت: ماأعلم له من توبة ولكن: هل تعلمون قبر نبيّ؟ قالوا: نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع، فلما رآهم قال: مالكم؟ قالوا: جئنا نسألك هل لطالوت من توبة؟ قال: ماأعلم له توبة إلا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون فى سبيل الله حتي تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل، فعسى أن يكون له توبة ثم سقط ميتا، ورجع طالوت أحزن مما كان - يخاف أن لا يتابعه ولده - فبكى حتى سقطت أشفار عينيه؛ ونحل جسمه؛ فسأله بنوه عن حاله؛ فأخبرهم فتجهزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتي قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل *

وقيل: ان النبى الذى بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته اليسع * وقيل: اشمويل والله أعلم *

وكانت مدة ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة *

Marfat.com

﴿ ذكر ملك داود ﴾

هو داود بن إيشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام ابن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق ؛ وكان قصيراً أزرق قليل الشعر * فلما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود . فاعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم . وقيل: إن داود ملك قبل أن يقتل جالوت ، وسبب ملكه حينئذ أن الله أوصى الى اشمويل ليامر طالوت بغزو مدين وقتل من بها فسار اليها وقتل من بها إلا ماكهم فانه أخذه أسيرا . فأوحى الله إلى أشمويل قل لطالوت : آمرك بأمر تركته ؟ لأنزعن الملك منك ومن بنيك . ثم لايعود فيكم إلى يوم القيامة . وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار إلى جالوت فقتله والله أعلم*

فلما ملك بنى إسرائيل جعله الله نبيا وملكا . وأنزل عليه الزبور . وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها . وألان له الحديد . وأمر الجبال والطير يسبحون معه إذا سبح ، ولم يعط الله أحداً مثل صوته كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتي يأخذ بأعناقها وانها لمصيخة تسمع صوته * وكان شديد الاجتهاد ، كثير العبادة والبكاء ، وكان يقوم الليل ، ويصوم نصف الدهر ، وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف ، وكان يأكل من كسب يده *

وفى ملكه مسخ أهل أيلة قردة ، وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لايجىء اليهم منها شىء فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة ، وأجروا اليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يتحول الماء إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها فيأخذونها يوم الأحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة ، وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا *

﴿ ذكر فتنته بزوجة أوريا ﴾

ثم ان الله ابتلاه بزوجة أوريا ، وكان سبب ذلك أنه قد قسم زمانه ثلاثة أيام : يوما يقضى فيه بين الناس ، ويوما يخلو فيه للعبادة ، ويوما يخلو فيه مع نسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب ، فقال : أى رب ! أرى الخير قد ذهب آبائى به ، فأعطنى مثل ما أعطيتهم ، فأوحى الله اليه : ان آباءك ابتلوا ببلاء فصبروا . إبتلى ابراهيم بذبح ابنه ، وابتلى اسحق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف . فقال: رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطنى مثل ما أعطيتهم ، فأوحى الله اليه : إنك مبتلى فاحترس *

Marfat.com

Marfat.com

وقيل كان سبب البلية أنه حدث نفسه أنه يطيق أن يقطع يوما بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذى يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه وأقبل على العبادة، فاذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه، فاهوى ليأخذها، فطارت غير بعيد من غير أن ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهى تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه حسنها فلما رأت ظله فى الأرض جللت نفسها بشعرها، فاستترت به فزاده ذلك رغبة، فسأل عنها، فأخبر أن زوجها بثغر كذا، فبعث الى صاحب الثغر بأن يقدم أوريا بين يدى التابوت فى الحرب، وكان كل من يتقدم بين يدى التابوت لا ينهزم: إما أن يظفر أو يقتل ففعل ذلك به فقتل *

وقيل: إن داود لما نظر الى المرأة فاعجبته سأل عن زوجها فقيل انه فى جيش كذا، فكتب الى صاحب الجيش أن يبعثه فى سرية الى عدو كذا، ففعل ذلك، ففتح الله عليه، فكتب الى داود، فأمر داود أن يرسل أيضا الى عدو كذا أشد منه ففعل فظفر، فأمر داود أن يرسل الى عدو ثالث، ففعل فقتل أوريا فى المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهى أم سليمان فى قول قتادة *

وقيل: إن خطيئة داود كانت انه لما بلغه حسن امرأة أوريا فتمنى أن تكون له حلالا، فاتفق ان أوريا سار الى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ما وجده لغيره فبينما داود فى المحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب اذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله اليه من غير الباب فراعه ذلك فقالا: لا تخف نحن (خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال: أكفلنيها وعزنى فى الخطاب) أى قهرنى وأخذ نعجتى فقال للآخر ما تقول قال صدق انى أردت أن أكمل نعاجى مائة فأخذت نعجته فقال داود: اذا لا ندعك وذاك فقال الملك: ما أنت بقادر عليه قال داود: فان لم ترد عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأومأ الى انفه وجبهته قال: يا داود! أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته، ثم غابا عنه *

فعرف ما ابتلى به وما وقع فيه، فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها * وأدام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه، ثم نادى، يارب! قرح الجبين، وجمدت العين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته بشىء فنودى أجائع فتطعم؟ أم مريض فتشفى، أم مظلوم فتنصر؟ قال فنحب نحبة هاج ما كان نبت فعند ذلك قبل الله توبته

Marfat.com

واوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال : يارب ! كيف أعلم انك قد غفرت لى؟ وأنت حكم عدل لا تحيف فى القضاء اذا جاء أوريا يوم القيامة آخذ رأسه بيمينه تشخب أوداجه دما قبل عرشك يقول : يارب ! سل هذا فيما قتلني؟ فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوته وأستوهبك منه فيهبك لى فأهبه بذلك الجنة قال : يارب ! الآن علمت أنك قد غفرت لى قال : فما استطاع داود بعدها ان يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتي قبض *

ونقش خطيئته فى يده فكان اذا رآها اضطربت يده ؛ وكان يؤتى بالشراب فى الاناء ليشربه فكان يشرب نصفه أو ثلثيه ، فيذكر خطيئته ، فينتحب حتي تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ، ثم يملأ الأناء من دموعه وكان يقال : ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يجيء يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول : يارب ! ذنبي ذنبي قدمنى فيقدم فلا يأمن فيقول يارب أخرنى فلا يأمن *

وأزالت الخطيئة طاعة داود عن بنى اسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا [1] وأمه ابنة طالوت فدعى الى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس ، فحارب ابنه حتي هزمه ، ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله ياسره ولا يقتله ، وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله ، فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد *

﴿ ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام ﴾

قيل : أصاب الناس فى زمان داود طاعون جارف ، فخرج بهم الى موضع بيت المقدس ، وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه . فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى فى كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا ، وكان الشروع فى بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، وتوفى قبل أن يستتم بناءه وأوصى الى سليمان باتمامه [2] وقتل القائد الذى قتل أخاه ايشا بن داود *

فلما توفى داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ أمره ، فقتل القائد ، واستتم بناء المسجد بناه بالرخام ، وزخرفه بالذهب ، ورصعه بالجواهر ، وقوى على ذلك جميعه بالجن والشياطين *

---

(١) الذى فى العهد القديم ابشالوم كما فى الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثانى (٢) الذى فى كتب الانبياء ان داود جهز كل شيء لبناء الهيكل ولكن الله اخبره ان سليمان هو الذى يبنى البيت ففى الاصحاح الثامن من الملوك الأول فقرة ١٨ فقال الرب لداود أبى من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتا لاسمى قد أحسنت بكونه فى قلبك ١٩ إلا أنك أنت لا تبنى البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لاسمى *

فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيما وقرب قربانا فتقبله الله منه * وكان ابتداؤه أولا ببناء المدينة ، فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد * وقد أكثر الناس فى صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة إلى ذكره *

وقيل : إن سليمان هو الذى ابتدأ بعمارة المسجد ، وكان داود أراد أن يبنيه ، فاوحى الله اليه ان هذا بيت مقدس ، وانك قد صبغت يدك فى الدماء فلست ببانيه ، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء * فلما ملك سليمان بناه ثم إن داود توفى وكان له جارية تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم إلى عبادته فاغلقتها ليلة فرأت فى الدار رجلا فقالت : من أدخلك الدار * فقال : انا الذى أدخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال : أنت ملك الموت : قال نعم قال فهلا أرسلت إلى لأستعد للموت قال: قد أرسلت اليك كثيرا . قال : من كان رسولك ؟ قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك ؟ قال : ماتوا قال: فهم كانوا رسلى اليك لأنك تموت كما ماتوا ، ثم قبضه *

فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولدا فورثه سليمان دونهم * وكان عمر داود لما توفى مائة سنة صح ذلك عن النبى ﷺ و كانت مدة ملكه أربعين سنة *

﴿ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام﴾

لما توفى داود ملك بعده ابنه سليمان على بنى اسرائيل و كان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة ، وسأل الله أن يؤتيه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب له ، وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الانس والجن حتي يجلس *

وقيل : انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه ، وأعاده الله سبحانه اليه على ماذكره *

و كان أبيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض ، و كان أبوه يستشيره فى حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك : ماقصه الله فى كتابه فى قوله: (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث) الآية و كان خبره : ان غنما دخلت كرما ، فا كلت عناقيده وأفسدته ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان أو غير ذلك: أن يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى أن يعود كرمه الى حاله ، ثم

Marfat.com

ياخذ كرمه ، ويدفع الغنم الى صاحبها فامضى داود قوله، وقال الله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) *

قال بعض العلماء : فى هذا دليل على أن كل مجتهد فى الأحكام الفرعية مصيب ، فان داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال له الله تعالى: (وكلا آتينا حكما وعلما) * وكان سليمان يأكل من كسب يده ، وكان كثير الغزو ، وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون اليه ، ثم أمر الريح فحملته فسارت فى غدوته مسيرة شهر وفى روحته كذلك *

وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية ، وأعطاه الله انه لا يتكلم أحد بشىء إلا حملته الريح اليه فيعلم مايقول *

﴿ ذكر ماجرى له مع بلقيس ﴾

نذكر أولا ماقيل فى نسبها وملكها ثم ماجرى له معها فنقول : قد اختلف العلماء فى اسم آبائها فقيل : انها هى بلقمة ابنة أنيشرح بن الحرث بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ، وقيل : هى بلقمة ابنة الهدهاد وإسمه أنيشرح بن تبع ذى الادغار بن تبع ذى المنار بن تبع الرائش ، وقيل : فى نسبها غير ذلك ، ولا حاجة الى ذكره *

وقد اختلف الناس فى التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة فى عددهم والنقصان اختلافا لا يحصل الناظر فيه على طائل ، وكذا أيضا اختلفوا فى نسبها اختلافاً كثيرا *

وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن ، واسمها رواحة بنت السكر ، وقيل: اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني ، وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال: ليس فى الانس لى كفؤة فخطب إلى الجن فزوجوه (١) *

واختلفوا فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل: إنه كان لهجا بالصيد فربما صطاد الجن على صور الظباء فيخلى عنهن ، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك ، واتخذه صديقا فخطب ابنته فأنكحه على أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين (٢) الى عدن ، وقيل: ان أباها خرج يوماً متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على

---

(١) هذه خرافة لا شك فيها (٢) بفتح فسكون فكسر باعلى بلاد سعد من اليمن ، وقيل من أصقاع البحرين وهو المطلوب وتوجد يبرين قرية من قرى حلب قريبة من اعزاز

البيضاء فامر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فأفاقت فأطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فذعر منه ، فقال له : لا تخف أنا الحية التي أنجيتني، والأسود الذى قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتى ؛ وعرض عليه المال وعلم الطب فقال : أما المال فلا حاجة لى به وأما الطب فهو قبيح بالملك ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط أن لا يغير عليها شيئا تعمله ومتى غير فارقته ،فأجابه الى ذلك فحملت منه فولدت له غلاماً فألقته فى النار فجزع لذلك وسكت للشرط ، ثم حملت منه فولدت جارية فألقتها الى كلبة فأخذتها ، فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ، ثم انه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار اليه ليقاتله وهى معه فانتهى الى مفازة ، فلما توسطها رأى جميع مامعهم من الزاد يخلط بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فأيقنوا بالهلاك ، وعلموا أنه من فعال الجن عن أمر زوجته فضاق ذرعا عن حمل ذلك فأتاها وجلس وأومأ الى الارض وقال : يا أرض : صبرت لك على إحراق ابنى وإطعام الكلبة ابنتى ثم أنت الآن قد فجعتينا بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك ،فقالت المرأة:لو صبرت لكان خيراً لك وسأخبرك : ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم فى الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك فمر وزيرك ليشرب مابقى من الماء ويأكل من الزاد فامره فامتنع فقتله ، ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت: أما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيه وقد مات وأما ابنتك فهى باقية واذا بجويرية قد خرجت من الأرض وهى بلقيس وفارقته امرأته وسار الى عدوه فظفر به * وقيل :فى سبب نكاحه اليهم غير ذلك *

والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة *

وأما ملكها اليمن ، فقيل : ان أباها فوض اليها الملك ، فملكت بعده، وقيل : بل مات عن غير وصية بالملك لأحد ، فأقام الناس ابن أخ له ، و كان فاحشاً خبيثا فاسقا لا يبلغه عن بنت قيل [1] :ولا ملك ذات جمال إلا أحضرها وفضحها حتي انتهى الى بلقيس بنت عمه ، فأراد ذلك منها فوعدته أن يحضر عندها الى قصرها وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت : أما كان فيكم من يأنف لكريمته و كرائم عشيرته ؟ ثم أرتهم إياه قتيلا

(١) ففتح فسكون وبفتح فتشديد الياء مكسورة هومن ملوك حمير من كان دون الملك الأعلى يقول ماشاء فينفذ وهوكالو زير فى الاسلام كما فى فقه اللغة *

Marfat.com

وقالت : اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لانرضى بغيرك فملكوها *

وقيل : إن أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة يأخذبنات الأقيال والأعيان والأشراف وانها قتلته فملكها الناس عليهم *

وكذلك أيضا عظموا ملكها وكثرة جندها فقيل كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل،وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ، وكان لها اثنا عشر قائدا يقود كل قائد منهم اثنى عشر ألف مقاتل *

وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا : كان لها اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش فى كل جيش سبعون الف مبارز ليس فيهم الاأبناء خمس وعشرين سنة*

وما أظن الساعة راوى هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتي يعلم مقدار جهله، ولو عرف مبلغ العدد لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف ، فان أهل الأرض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد ، فكيف أن يكونوا أبناء خمس وعشرين سنة ؟ فياليت شعرى ! كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم؟ وكم تكون الرعية وأرباب الحرف، والفلاحة وغير ذلك؟وانما الجند بعض أهل البلاد، وان كان الحاصل من اليمن قد قل فى زماننا فان رقعة أرضه لم تصغر وهى لاتسع هذا العدد قياما كل واحد الى جانب الآخر *

ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التى تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلثمائة ألف اوقية من الذهب ، وقالوا : غير ذلك ، وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها فلا نطول بذكره *

وقد تواطؤا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال،واستهانوا بمايلحقهم من استجهال العقلاء لهم* وانما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهى الى الحق*

وأما سبب مجيئها إلى سليمان واسلامها ، فانه طلب الهدهد فلم يره ، وانما طلبه لأن الهدهد يرى الماء من تحت الأرض، فيعلم هل فى تلك الأرض ماء أم لا؟وهل هو قريب أم بعيد ؟ فبينما سليمان فى بعض مغازيه اذ احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعدبه ، فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره *

وقيل:بل نزلت الشمس الى سليمان ، فنظر ليرى من أين نزلت ؟ لان الطير كانت تظله فراى موضع الهدهد فارغا ، فقال : (لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان

Marfat.com

Marfat.com

مبين) .و كان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال الى الخضرة . فرأى فيه هدهدا . فقال له : أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا ؟ فقال له :ومن سليمان ؟ فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره . فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان: وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة (وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه ، و كان عرشها سريرا من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ، ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فأخبره بعذره فى تأخيره ، فقال له : اذهب بكتابي هذا ، فألقه اليها ؛ فوافاها وهى فى قصرها ، فالقاه فى حجرها ، فأخذته وقرأته وأحضرت قومها، وقالت :(إنى ألقى الىّ كتاب كريم : إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * أن لا تعلوا علىّ وائتوني مسلمين * قالت ياأيها الملأ أفتوني فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون * قالوا : نحن أولو قوة وأولو بأس شديد * والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين) * قالت : (إنى مرسلة اليهم بهدية) فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى ، وان لم يقبلها ، فهو نبى من الله ، فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسل . (أتمدوننى بمال ؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم) الى قوله (وهم صاغرون) فلما رجع الرسل اليها سارت اليه وأخذت معها الأقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لأصحابه : (أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ؟ قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) يعنى قبل أن تقوم فى الوقت الذى تقصد فيه بيتك للغداء ، قال سليمان : أريد أسرع من ذلك ، (فقال الذى عنده علم من الكتاب) - وهو آصف بن برخيا - و كان يعرف اسم الله الأعظم : (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) ، وقال له : انظر الى السماء وأدم النظر فلا ترد طرفك حتى أحضره عندك وسجد ودعا ، فراى سليمان العرش، قد نبع من تحت سريره ، فقال : (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر) اذ أتانى به قبل أن يرتد الىّ طرفى أم أكفر إذ جعل تحت يدى من هو أقدر مني على إحضاره فلما جاءت قيل : (أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو) ولقد تركته فى حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى ههنا ؟ فقال سليمان للشياطين : ابنوا لى صرحا تدخل علىّ فيه بلقيس ، فقال بعضهم: ان سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية أبدا و كانت امرأة شعراء الساقين ، فقال الشياطين : ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير بيض فبقى كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابق

صور دواب البحر من السمك وغيره ، وقعد سليمان على كرسى ، ثم أمر فادخلت بلقيس عليه ، فلما أرادت أن تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء ، فكشفت عن ساقيها لتدخل ؛ فلما رآها سليمان صرف نظره عنها ، (وقال : انه صرح ممرد من قوارير) فقالت : (رب إني ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فاستشار سليمان فى شىء يزيل الشعر ولا يضر الجسد ، فعمل له الشياطين النورة فهى أول ما عملت النورة *

ونكحها سليمان وأحبها حبا شديدا ، وردها الى ملكها باليمن ، فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام *

وقيل : انه أمرها أن تنكح رجلا من قومها فامتنعت وأنفت من ذلك فقال : لا يكون فى الاسلام الا ذلك ، فقالت : ان كان ولابد من ذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان ، فزوجه إياها ، ثم ردها الى اليمن ، وسلط زوجها ذا تبع على الملك ، وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذو تبع ، فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين ، ومراوخ ، وفليون ، وهنيدة وغيرها ، فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع ، وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان ، وقيل : بل بقيا * وقيل : ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر وأخفى قبرها *

﴿ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم فى داره وأخذ خاتمه وعوده اليه﴾

قيل ، سمع سليمان بملك فى جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شأنه ، وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم مافيها وغنم بنتا للملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه وأحبها حبا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكى فقال لها ويحك ماهذا الحزن والدمع الذى لا يرقأ ؟ قالت اني اذكر أبى وملكه وما أصابه فيحزننى ذلك : قال فقد ابدلك الله ملكا خيرا من ملكه وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ماترى فلو امرت الشياطين فصوروا صورته فى دارى أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ؛ فامر الشياطين ؛ فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيئا ، وألبستها ثيابا مثل ثياب أبيها ، وكانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى جواريها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية ويرحن ، فتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشىء من أمرها أربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا

Marfat.com

Marfat.com

وكان صديقا و كان لايردمن منازل سليمان آى وقت أراد من ليل او نهار سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا ، فأتاه ، فقال : يانبى الله ! قد كبرسني ودق عظمى وقد حان مني ذهاب بصرى ، وقد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه أنبياء الله وأثني عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض مايجهلون قال : افعل ، فجمع له سليمان الناس ، فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الأنبياء وأثنى عليهم حتى انتهى إلى سليمان فقال : ما كان أحلمك فى صغرك وأبعدك عن كل مايكره فى صغرك ؟ ثم انصرف فملىء سليمان غضبا فارسل اليه وقال له : يا آصف لما ذكرتنى جعلت تثني علىّ فى صغرى وسكت عما سوى ذلك فما الذى أحدثت فى آخر أمرى ؟ قال : ان غير الله ليعبد فى دارك أربعين يوما فى هوى امرأة قال : (إنا لله وإنا اليه راجعون) لقدعلمت انك ماقلت إلا عن شيء بلغك . ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المرأة وجواريها *

ثم أمر بثياب الطهارة فأتى بها — وهى ثياب تغزلها الأبكار اللائي لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم فلبسها وخرج إلى الصحراء وفرش الرماد ثم أقبل تائبا الى الله ، وتمعك فى الرماد بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا ، وبكى واستغفر يومه ذلك ، ثم عاد إلى داره وكانت أم ولد له لايثق إلا بها يسلم خاتمه اليها وكان لاينزعه إلا عند دخول الخلاء وإذا أراد أن يصيب امرأة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه فى خاتمه ، فدخل فى بعض تلك الأيام الخلاء وسلم خاتمه اليها ، فأتاها شيطان اسمه صخر الجنى [1] فى صورة سليمان ، فاخذ الخاتم وخرج إلى كرسى سليمان وهو فى صورة سليمان ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الانس والجن والطير ، وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته ، فقال : خاتمى فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان وأخذ خاتمه منى

---

(١) خرافة وأى خرافة ؟ ! اه . الادارة : بل دسيسة الحادية ار يدبها انتقاص الانبياء الكرام بجعل نبوتهم معلقة فى خاتم وعصى وغيرذلك وحاشا النبوة أن تكون من التفاهة بهذه الصورة المؤلة وكيف تمكن الشيطان من الدخول على نساء سليمان وان الطير تعكف عليه ؟ فكان على المغفلين الذين يعتقدون بذلك ان يعدوا الخاتم نفسه من الانبياء والرسل لأنه اجل قدراً من سليمان إذ أن سلطته به وبفقده أنكرته خادمته وقومه بل لامانع أن يكون الخاتم إلها خالقا لأن له من القدرة ماصير الشيطان رسولا تحف به الانس والجن والطيور عندما استطاع ان يضعه فى اصبعه * قاتل الله الكفرة وقاتل الله الحمق والمغفلين فقد تساهلوا فى نقل أمثال هذه الدسائس حتى صارت تدخل فى اعز الكتب وماذكره المصنف قدفنده الفخر الرازى فى تفسيره وابطله وذكر ماورده الاستاذ فيما يأتى وزاد عليه احتمال ان الابتلاء كان يتسلط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسى ثم ازال عنه الخوف اه

Marfat.com

وهو جالس على سريره ، فعرف سليمان خطيئته ، فخرج وجعل يقول لبني اسرائيل : انا سليمان فيحثون عليه التراب ، فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع احداهما بخبز ويأكل الأخرى فبقى كذلك أربعين يوما *

ثم إن آصف وعظماء بني اسرائيل أنكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان ، فقال آصف : يابنى اسرائيل ! هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان مارأيت ؟ قالوا : نعم قال : أمهلوني حتى أدخل على نسائه وأسألهن هل أنكرن ما أنكرنا منه ؟ فدخل عليهن وسألهن فذكرن أشدّ مما عنده ، فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون * ان هذا لهو البلاء المبين * ثم خرج الى بنى إسرائيل فاخبرهم فلما رأى الشيطان انهم قد علموا به طار من مجلسه فمر بالبحر ، فألقى الخاتم فيه ، فبلعته سمكة واصطادها صياد وحمل له سليمان يومه ذلك فأعطاه سمكتين تلك السمكة إحداهما ، فأخذها فشقها ليصلحها ويأكلها ، فرأى خاتمه فى جوفها فأخذه ، وجعله فى أصبعه ، وخر لله ساجدا وعكفت عليه الانس والجن والطير ، وأقبل عليه الناس ، ورجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ، وبث الشياطين فى احضار صخر الذى أخذ الخاتم ، فأحضروه ، فنقب له صخرة ، وجعله فيها ، وسد النقب بالحديد والرصاص وألقاه فى البحر ، وكان مقامه فى الملك أربعين يوما بمقدار عبادة الصنم فى دار سليمان *

وقيل : كان السبب فى ذهاب ملكه ان امرأة له كانت أبرّ نسائه عنده تسمى جرادة ولا يأتمن على خاتمه سواها ، فقالت له ان أخى بينه وبين فلان حكومة وأنا أحب أن تقضى له فقال : أفعل ولم يفعل فابتلى وأعطاها خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان فى صورته فاخذه ، وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم ، فقالت : ألم تأخذه ؟ قال : لا وخرج من مكانه تائها وبقى الشيطان أربعين يوما يحكم بين الناس ففطنوا له وأحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها (١) فطار من بين أيديهم وألقى الخاتم فى البحر فابتلعه حوت ، ثم إن سليمان قصد صيادا وهو جائع فاستطعمه وقال : أنا سليمان فكذبه وضربه فشجه فجعل ، يغسل الدم ، فلام الصيادون صاحبهم وأعطوه سمكتين إحداهما التى ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله اليه ملكه ، فاعتذروا اليه ؛ فقال : لا أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم ، وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك وهو أشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى : (قال. رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى

---

(١) وهل يعقل انهم يقوا ار بعين يوما لا يقرؤن التوراة واقل مافيها خمسة سبوت ؟ ان هذا لشىء عجاب اه الإدارة

Marfat.com

إنك انت الوهاب * فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد) * وقيل : فى سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم [1] *

﴿ذكر وفاة سليمان﴾

لما رد الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له (ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) وغير ذلك ،ويعذب من الشياطين من شاء ، ويطلب من شاء حتى اذا دنا أجله ، وكان عادته اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه . فيقول : ما اسمك؟فتقول : كذا فيقول : لاى شيء أنت؟فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو قد صلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت : الخرنوبة فقال لها لاى شيء؟ أنت قالت لخراب هذا البيت يعنى بيت المقدس ، فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حيّ أنت التي على وجهك هلاكى وخراب البيت وقلعها: ثم قال : اللهم اعم عن الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب *

وكان سليمان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى توفى فيها فبينما هو قائم يصلى متوكئا على عصاه أدركه أجله، فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم فى ذلك يعملون خوفاً منه ،فأكلت ، الارضة عصاه، فانكسرت فسقط فعلموا أنه قد مات وعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب (مالبثوا فى العذاب المهين) ومقاساة الاعمال الشاقة *

ولما سقط أراد بنو اسرائيل أن يعاموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا يوماً وليلة فأكلت منها فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا فى سنة [2] *

ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ، ولو

---

(١) الذى اعتقده ان ابتلاء سليمان كان بجلوس اخيه ايشالون على كرسى داود الذى كان يرشح له سليمان * وليس ببعيد ان ابتلاءه كان بالمرض حتى كان يجلس على الكرسى كأنه جسد لا حراك به اه الادارة: وهذا الوجه هو اختيار أبى مسلم الاصبهانى واستدل عليه بقول العرب للضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح .كذا فى تفسير الفخر الرازى والألوسى (٢) يفهم من هذا أن سليمان قد وقف سنة متكئا على العصى وهذا كلام لا تحصيل له ، والمعقول أنه مات ودفن ولا تعلم الجن بشأنه لانشغالهم بالأعمال فلما رأت الجن عصاه وقد اكلتها دابة الأرض علموا أنها لم تستعمل وعدم استعمالها دليل موت صاحبها *

Marfat.com

كنت تشربين الشراب لأتيناك بأطيب الشراب ، ولكنا سننقل لك الماء والطين فهم ينقلون اليها حيث كانت ألم تر الى الطين يكون فى وسط الخشبة ؟ فهو ماينقلونه لها [١] *

قيل : إن الجن والشياطين شكوا مايلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولى التجربة منهم ، وقيل كان إبليس — فقال لهم : ألستم تنصرفون بأحمال وتعودون بغير أحمال ؟ قالوا : بلى قال : فلكم فى كل ذلك راحة ، فحملت الريح الكلام فألقته فى أذن سليمان ، فأمر الموكلين بهم أنهم اذا جاؤا بالأحمال والآلات التى يبني بها الى موضع البناء والعمل يحملهم من هناك فى عودهم مايلقونه من المواضع التى فيها الأعمال ليكون أشق عليهم وأسرع فى العمل ، فاجتازوا بذلك الذى شكوا اليه حالهم فأعلموه حالهم ، فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتي مات * وكان مدة عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكه أربعين سنة *

﴿ ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ ﴾

لما توفى كيقباذ ملك بعده ابنه كيكاووس بن كينية بن كيقباذ ، فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له ، وكان يسكن بنواحى بلخ [٢] وولد له ولد سماه سياوخش وضمه إلى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب وكان أصبهبد سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فأحسن تربيته ، وعلمه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه ، فلما كمل ماأراد حمله إلى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى ، وكان أبوه كيكاووس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك ، وقيل : انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته إلى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد أن يخاطب أباه لينفذه إلى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته ففعل ذلك رستم ، فسيره أبوه وضم اليه جيشا كثيفا ، فسار إلى بلاد الترك للقاء افراسياب ، فلما سار إلى تلك الناحية

---

(١) وهذه خرافة لايصدقها إلا من سلبه الله نعمة العقل فالتبس عليه الأمر وأصبح يقلد كل شيء حتى أفسد نقله بهذه الأساطير فمن أين هم من قوله تعالى (ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) ؟ فهل يستثنون دابة الأرضة بعد أكلها العصى ؟ ويقولون أصبح رزقها على الجن لعمرى هذه للحماقة بعينها والجنون بحذافيره .

الادارة (٢) بفتح فسكون من اشهر بلاد خراسان المسماة اليوم افغان ولكنها فصلت عنها وأصبحت اليوم امارة صغيرة تحت سلطة الروس من جملة امارات تركستان

جرى بينهما صلح ، فكتب سياوخش إلى أبيه يعرفه ماجرى بينه وبين افراسياب من الصلح ، فكتب اليه والده يأمره بمناهضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح ، فاستقبح سياوخش الغدر وأنف منه فلم ينفذ ماأمره به ، ورأى أن ذلك من فعل زوجة والده ليقبح فعله ، فراسل افراسياب فى الأمان لنفسه لينتقل اليه ، فأجابه افراسياب إلى ذلك ، وكان السفير فى ذلك قيران بن وكسعان ، ودخل سياوخش إلى بلاد الترك ، فاكرمه افراسياب ، وأنزله وأجرى عليه ، وزوجه بنتا له يقال لها وسفافريد وهى أم كيخسرو فظهر له من أدب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ماخاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعى ابني افراسياب وأخيه كندوحسدا منهم لسياوخش فأمرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به ؛ وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو فطلبوا الحيلة فى اسقاط مافى بطنها فلم يسقط . فانكر قيران الذى كان أمان سياوخش على يده قتله وحذر عاقبته والأخذ بثاره من والده كيكاووس ومن رستم ، وأخذ زوجة سياوخش اليه لتضع مافى بطنها ويقتله ، فلما وضعت رق قيران لها وللمولود ولم يقتله وستر أمره حتى بلغ ، فسير كيكاووس الى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه اليه *

وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا ، وهو أوّل من لبسه ، ودخل على كيكاووس ، فقال له : ماهذا ؟ فقال : ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد *

ثم ان كيكاووس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس اصبهبد اصبهان لمحاربة افراسياب ، فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا ، واثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش *

وزعمت الفرس : ان الشياطين كانت مسخرة له ، وانها بنت له مدينة طولها فى زعمهم ثلثمائة فرسخ ، وبنوا عليها سورا من صفر ، وسورا من شبه[1] وسورا من فضة ، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض ، وان كيكاووس لايأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل الى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها ، فقتل كيكاووس جماعة من رؤسائهم * وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين : انما سخر له فعل

---

(١) قال ابن السكيت الشبه — بكسر فسكون — اللاطون وانشد :

تدين لمزرور الى جنب حلقة من الشبه سواها برفق طبيبها

أبوز يد جمعها أشباه . صاحب العين هو النحاس يصبغ فيصفر . وانما قيل له ذلك لانه يشبه بالذهب اه

«ج ١٢ ص ٢٥ مخصص»

Marfat.com

الشياطين بأمر سليمان بن داود ، و كان مظفرا لايناوئه أحد من الملوك الاظهر عليه ، فلم يزل كذلك حتي حدثته نفسه بالصعود الى السماء، فسار من خراسان الى بابل و أعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتي بلغوا السحاب، ثم سلبهم الله تلك القوة فسقطوا وهلكوا وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ *

وهذا جمعيه من أكاذيب الفرس الباردة *

ثم ان كيكاووس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه و كثرت الخوارج عليه وصاروا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى *

ثم غزا بلاد اليمن، وملكها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش فلما ورد اليمن خرج اليه ذو الأذعار ، و كان قد أصابه الفالج فلم يكن يغزو فلما وطىء كيكاووس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره، وظفر بكيكاووس، فأسره؛ واستباح عسكره وحبسه فى بئر وأطبق عليه ، فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كيكاووس وأخذه وأراد ذو الأذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ، ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعود الى بلاد الفرس فاخذه وأعاده الى ملكه ، فأقطعه كيكاووس سجستان وزابلستان وهى أعمال غزنة (١) وأزال عنه اسم العبودية ثم توفى كيكاووس و كان ملكه مائة وخمسين سنة *

﴿ ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس ﴾

لما مات كيكاووس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس وأمه وسفافريد ابنة افراسياب ملك الترك ؛ فلما ملك كتب إلى الاصبهبدين جميعهم أن يأتوا بعساكرهم جميعا ، فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس ، وأمره بدخول بلاد الترك ، وأن لايمر بقرية ولا مدينة لهم إلا قتل كل من فيها إلا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فرود بن سياوخش، كان أبوه قد تزوج أمه فى بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها ، فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود . فبلغ خبره كيخسرو . فعظم عليه وكتب إلى عم له كان مع طوس يأمره بالقبض على طوس وارساله مقيداً والقيام بأمر الجيش . ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر اليه فاقتتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا إلى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك . فأمر بجمع العساكر جميعها وان لايتخلف أحد . فلما اجتمعوا أعلمهم

(١) هى ولاية من ولاية الافغان وكانت قديما عاصمتها منها السلطان محمود الغزنوى

Marfat.com

انه يريد قصد بلاد الترك من اربعة وجوه. فسير جودرز فى أعظم العساكر وامره بالدخول إلى بلاد الترك بما يلى بلخ وأعطاه درفش كابيان وهو العلم الأكبر الذى لهم ؛ وكانوا لا يرسلونه إلا مع بعض أولاد الملوك لأمر عظيم ، وسير عسكرا آخر من ناحية الصين ؛ وسير عسكرا آخر مما يلى الخزر ، وعسكرا آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها وأخربتها لاسيما جودرز فانه قتل وأخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه فى طريقه فوصل اليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب واثخن فيهم ، ورآه قد قتل خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا ، وأسر ثلاثين ألفا وغنم مالا يحد ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وطراخنته فعظم جودرز عنده وشكره وأقطعه أصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا وأخربوا وانهم هزموا لافراسياب عسكرا بعد عسكر فكتب اليهم ان يجدوا فى محاربتهم ويوافوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من طراخنته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه فسقط فى يديه ولم يكن بقى عنده من أولاده إلا ولده شيده فوجهه فى جيش نحو كيخسرو فسار اليه واقتتلوا قتالا شديدا أربعة أيام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون وأدركوا ابن افراسياب فقتلوه وسمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فأقبل فيمن عنده من العساكر ، فلقى كيخسرو فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله ، واشتد الأمر فانهزم افراسياب وكثر القتل فى الترك فقتل منهم مائة ألف ، وجد كيخسرو فى طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى بلغ أذربيجان ، فاستتر ؛ وظفر به وأتي به إلى كيخسرو * فلما حضر عنده سأله عن غدره بأبيه فلم يكن له حجة ولا عذر ، فأمر بقتله فذبح كما ذبح سيا وخش * ثم انصرف من أذربيجان مظفرا منصورا فرحا *

فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده أخوه كى سواسف ، فلما توفى ملك بعده ابنه جرزاسف وكان جبارا عاتياً *

فلما فرغ كيخسرو من الأخذ بثار أبيه واستقر فى ملكه زهد فى الدنيا وترك الملك وتنسك ، واجتهد أهله وأصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل ، فقالوا له : فاعهد إلى من يقوم بالملك بعدك فعهد إلى لهراسب وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم فلا يدرى ما كان منه ولا اين مات ، وبعض يقول غير ذلك ، وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب *

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر امر بنى اسرائيل بعد سليمان ﴾

قيل : ثم ملك بعد سليمان على بني اسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم افترقت ممالك بني اسرائيل بعد رحبعم فملك أفيا[1] بن رحبعم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الأسباط وذلك ان سائر الأسباط ملكوا عليهم يوربعم بن بايعا عبد سليمان بسبب القربان الذى كانت جرادة زوجة سليمان فيما زعموا قربته فى داره للصنم فتوعده الله تعالى أن ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك أفيا بن رحبعم ثلاث سنين ثم ملك آسا بن أفيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملكهما إحدى وأربعين سنة ، وكان رجلا صالحا ، وكان أعرج *

﴿ ذكر محاربة آسا بن أفيا ورزح الهندى ﴾

قيل كان أسا بن أفيا رجلا صالحا ، وكان ابوه قد عبد الأصنام ودعا الناس إلى عبادتها فلما ملك ابنه أسا أمر مناديا فنادى : ألا ان الكفر قد مات وأهله ، وعاش الايمان وأهله فليس كافر فى بني إسرائيل يطلع رأسه بكفر الا قتلته ؛ فان الطوفان لم يغرق الدنيا وأهلها ، ولم يخسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلى الأرض الا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته ، وشدد فى ذلك ، فأتي بعضهم ممن كان يعبد الأصنام ويعمل بالمعاصى إلى أم آسا الملك وكانت تعبد الأصنام فشكوا اليها فجاءت اليه ونهته عما كان يفعله وبالغت فى زجره فلم يصغ إلى قولها بل تهددها على عبادة الأصنام وأظهر البراءة منها ، فحينئذ أيس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا إلى الهند ، وكان بالهند ملك يقال له : رزح ، وكان جبارا عاتيا عظيم السلطان قد أطاعه أكثر البلاد ؛ وكان يدعو الناس إلى عبادته ، فوصل اليه أولئك النفر من بنى إسرائيل وشكوا اليه ملكهم ؛ ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها وأطمعوه فيها ، فأرسل الجواسيس فاتوه باخبارها فلما تيقن الخبر جمع العساكر وسارا الى الشام فى البحر[2] وقال له بنو اسرائيل : ان لآسا صديقا ينصره ويعينه قال : فاين آسا وصديقه من كثرة عساكرى وجنودى ؟ وبلغ خبره الى آسا فتضرع الى الله تعالى ، وأظهر الضعف والعجز عن الهندى ، وسأل الله النصرة عليه ،

---

(١) الذى فى الاصحاح ١٥ من سفر الملوك الاول ابيام (٢) سفر الملك الهندى الى فلسطين لا يعرف فى التاريخ الصحيح ولا فى كتب الأنبياء وانما كانت الحرب بين آساو بعشا ملك اسرائيل وفى اخبار الأيام الثانى فى الاصحاح الرابع عشر محاربة آسا لزارح الكوشى وكان جاء فى ألف ألف وهى فى نظرى حكاية خرافية .

فاستجاب الله له وأراه فى المنام أنى ساظهر من قدرتى فى رزح الهندى وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمكم أموالهم حتى يعلم أعداؤك ان صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده ، ثم سار رزح حتى أرسى بالساحل (١) وسار إلى بيت المقدس ، فلما صار على مرحلتين منه فرّق عساكره فامتلأت منهم تلك الأرض وملأت قلوب بنى إسرائيل رعبا ، وبعث آسا العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يسمع بمثله ، وسمع الخبر بنو إسرائيل ، فصاحوا وبكوا ، وودّع بعضهم بعضا وعزموا على أن يخرجوا الى رزح ويستسلموا اليه وينقادوا له ، فقال لهم ملكهم : إن ربي قد وعدني بالظفر ولا خلف لوعده فعاودوا الدعاء والتضرع ففعلوا ودعوا جميعهم وتضرعوا ، فزعموا أن الله أوحى اليه يا آسا أن الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذى أكفيك عدوك فانه لا يهون من توكل علىّ ولا يضعف من تقوى بى وقد كنت تذكرنى فى الرخاء فلا أسلمك فى الشدة ، وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائى ، فاستبشر وأخبر بني اسرائيل * فأما المؤمنون فاستبشروا ، واما المنافقون فكذبوه *

وأمره الله بالخروج الى رزح فى عساكره فخرج فى نفر يسير فوقفوا على رابية من الأرض ينظرون إلى عساكره ؛ فلما رآهم رزح احتقرهم واستصغرهم وقال : انما خرجت من بلادى وجمعت عساكرى وأنفقت أموالى لهذه الطائفة ؛ ودعا النفر من بنى إسرائيل الذين قصدوه والجواسيس الذين أرسلهم ليختبروا له ، وقال كذبتموني وأخبرتمونى بكثرة بنى إسرائيل حتي جمعت العساكر وفرقت أموالى ، ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل إلى آسا يقول له : أين صديقك الذى ينصرك ويخلصك من سطوتى ؟ فاجابه ! آسا ياشقى ! انك لا تعلم ما تقول أتريد أن تغالب الله بقوتك أم تكاثره بقلتك وهو معى فى موقفى هذا ولن يغلب أحد كان الله معه وستعلم مايحل بك فغضب رزح من قوله وصف عساكره ، وخرج إلى قتال آسا ، وأمر الرماة فرموهم بالسهام ، فبعث الله من الملائكة مددا لبني اسرائيل فاخذوا السهام ، ورموا بها الهنود ، فقتلت كل انسان منهم نشابته ، فقتل جميع الرماة فضج بنو إسرائيل بالتسبيح والدعاء ، وتراءت الملائكة للهنود * فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب فى قلبه وسقط فى يده ونادى فى عساكره يأمرهم بالحملة عليهم ، ففعلوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده ونسائه * فلما رأى ذلك ولّى هاربا وهو يقول قتلنى صديق آسا ، فلما رآه آسا مدبرا قال : اللهم انك ان لم تهلكه استنفر علينا نائبه وبلغ رزح ومن معه إلى البحر فركبوا السفن ،

---

(١) اى ساحل لفلسطين ترسو فيه سفن الهند ؟

Marfat.com

فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم آجمعين *

ثم ملك بعد آسا ابنه سافاط [١] الى أن هلك خمسا وعشرين سنة *

ثم ملكت عزليا [٢] بنت عمرم أخت أخزيا و كانت قتلت أولاد ملوك بني اسرائيل ولم يبق منهم إلا يواش بن أخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه و كان ملكها سبع سنين *

ثم ملك يواش أربعين سنة ، ثم قتله أصحابه وهو الذى قتل جدته *

ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ، ويقال له : غوزيا الى أن توفى اثنتين وخمسين سنة *

ثم ملك يوثام بن عوزيا الى أن توفى ست عشرة سنة *

ثم ملك حزقيا بن أحاز الى أن توفى فيقال: انه صاحب شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع الى ربه فزاده ، وأمر شعيا باعلامه ذلك * وقيل : ان صاحب شعيا فى هذه القصة اسمه صدقيا [٣] على مايرد ذكره *

﴿ ذكر شعيا والملك الذى معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب الى بني اسرائيل ﴾

قيل : كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ما ذكر فى القرآن (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار و كان وعداً مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا [٤]) فكثر فى بنى اسرائيل الأحداث والذنوب و كان الله يتجاوز عنهم متعطفا عليهم ، و كان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم ان ملكا منهم يقال له صدقيا [٥] و كانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده ويوحى اليه مايريد ولم يكن لهم غير شريعة التوراة فلما ملك صدقيا بعث الله تعالى اليه شعيا ، وهو الذى بشر بعيسى ومحمد عليه السلام [٦] فلما قارب أن ينقضى ملكه عظمت الأحداث فى بنى اسرائيل

---

(١) هو بهوشافاط (٢) عثلياوهى ام أخزيا بن بهرام (٣) الذى فى الاصحاح التاسع والعشرين من أخبار الايام الثانى انه حزقيا (٤) راجع من الاصحاح ٢٨ إلى آخر الاصحاح ٣٠ من سفر التثنية (٥) قد علمت فى آخر الفصل السابق انه حزقيا (٦) تراجع الاصحاحات ٩ و ٢٦ و ٣٥ و ٤٢ و ٤٣ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ و ٦٥ وكلها رموز واشارات الى رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

Marfat.com

Marfat.com

فأرسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل فى عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس ، وأحاط به ، وملك بنى اسرائيل مريض فى ساقه قرحة ، فأتاه النبى شعيا ، وقال له : ان الله يأمرك أن توصى و تعهد فانك ميت فأقبل الملك على الدعاء والتضرع ، فاستجاب الله له فأوحى الله الى شعيا أنه قد زاد فى عمر الملك صدقيا[1] * خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب * فلما قال له ذلك زال عنه الألم وجاءته الصحة * ثم ان الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكا صاح بهم فماتوا غير ستة نفر منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر فى قول بعضهم ، فخرج صدقيا وبنو اسرائيل الى معسكرهم ، فغنموا مافيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه ، فأرسل الطلب فى أثره فوجدوه ومعه أصحابه ؛ فأخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه [2] فقال لسنحاريب : كيف رأيت صنع ربنا بك ؟ فقال : قد أتانى خبر ربكم ونصره إياكم فلم أسمع ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ، ثم سجنهم فأوحى الله الى شعيا يأمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فأطلقهم ، فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم ، وبقى بعد ذلك سبع سنين ثم مات *

وقد زعم بعض أهل الكتاب : ان بني اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له : كفرو و كان بختنصر ابن عمه و كاتبه ، وان الله أرسل عليهم ريحا فأهلكت جيشه ، وأفلت هو و كاتبه ، وان هذا البابلى قتله ابن له ، وان بختنصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذى قتله ، وان سنحاريب سار بعد ذلك و كان ملكه بنينوى [3] وغزا مع ملك أذربيجان يومئذ بنى اسرائيل ، فأوقع بهم ، ثم اختلف سنحاريب وملك أذربيجان وتحاربا حتي تفانا عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا امامعهم *

وقيل : كان ملك سنحاريب الى أن توفى تسعا وعشرين سنة ، و كان ملك بني اسرائيل الذى حصره سنحاريب حزقيا ، فلما توفى حزقيا ملك بعده ابنه منشا [4] خمسا وخمسين سنة ثم ملك بعده أمون الى أن قتله أصحابه ثنتى عشرة سنة *

ثم ملك ابنه يوشيا ـ الى أن قتله فرعون مصر الأجدع إحدى وثلاثين سنة *

ثم ملك بعده ابنه ياهو أحاز بن يوشيا فعزله فرعون الأجدع واستعمل بعده يوياقيم بن

---

(١) عرفت قريبا انه حزقيا (٢) ليس فى سفر أخبار الأيام مايفيد اسر احد منهم ولكنهم رجعوا الى بلادهم فقتله أولاده وعبارة فقرة ٢٠ اصحاح ٣٢ من أخبار الأيام الثانى : فرجع بخزى الوجه الى أرضه ولما دخل بيت إلهه قتله هناك بالسيف الذين خرجوا من احشائه . (٣) مدينة على شاطىء دجلة الشرقى تسمى الآن الموصل العتيقة راجع صحيفة ٥ (٤) فى اخبار الايام منسى بالسين المهملة المشددة *

Marfat.com

ياهو أحاز، ووظف عليه خراجا يحمله اليه ، وكان ملكه اثنتى عشرة سنة *

ثم ملك بعده ابنه يوياحين [1] فغزاه بختنصر، وأشخصه الى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه* وملك بعده يقونيا ابن عمه [2] وسماه صدقيا، وخالفه فغزاه وظفر به، وحمله الى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه ، وخرب بيت المقدس والهيكل، وسبي بنى اسرائيل ،وحملهم الى بابل فمكثوا الى أن عادوا اليه على مانذكره ان شاء الله * وكان جميع ملك صدقيا إحدى عشرة سنة *

وقيل:ان شعيا أوحى الله اليه ليقوم فى بني اسرائيل يذكرهم بما يوحى الله على لسانه لما كثرت فيهم الأحداث ففعل ، فعدوا عليه ليقتلوه ، فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له ، فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بني اسرائيل ، فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه فى وسطها *

وقيل فى أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به*

﴿ ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت ﴾

قد ذكرنا أن كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد إلى ابن عمه لهراسب بن كيوخى بن كيكاووس فهو ابن ابن كيكاووس ، فلما ملك اتخذ سريرا من ذهب وكلله بأنواع الجواهر،وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ ، وسماها الحسناء ،ودون الدواوين،وقوى ملكه بانتخابه الجنود . وعمر الأرض وجبى الخراج لأرزاق الجند ، واشتدت شوكة الترك فى زمانه ، فنزل مدينة بلخ لقتالهم ، وكان محمودا عند أهل مملكته ، شديد القمع لاعدائه المجاورين له ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة ، عظيم البنيان ، وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل اليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج ، وكاتبوه بالتمليك هيبة له وحذرا منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب فى الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة *

وملك بعده ابنه بشتاسب وفى أيامه ظهر زرادشت بن سقيمان الذى ادعى النبوّة وتبعه المجوس . وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض

---

(١)هو يهو ياكين كما فى فقرة ٨ من الاصحاح ٣٦ من اخبار الأيام الثانى (٢) الفقرة ١٠ من اصحاح ٣٦ من سفر اخبار الايام الثانى:وملك صدقيا اخاه على يهوذا واورشليم *

تلامذة أرميا النبي خاصا به فخانه وكذب عليه ، فدعا الله عليه، فبرص ولحق ببلاد اذربيجان وشرع بها دين المجوس *

وقيل : إنه من العجم وصنف كتاباً وطاف به الارض فما عرف أحد معناه ، وزعم أنها لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا ، فسار من أذربيجان الى فارس ، فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه ، فسار الى الهند ، وعرضه على ملوكها * ثم أتي الصين والترك فلم يقبله أحد ؛ وأخرجوه من بلادهم، وقصد فرغانة فأراد ملكها أن يقتله، فهرب منها وقصد بشتاسب ابن لهراسب فأمر بحبسه فحبس مدة *

وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير؛ ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند بمعنى تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من خبار القرون الماضية و كتب الأنبياء ، وفى كتابه : تمسكوا بما جئتكم به الى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر يعني ، محمدا ﷺ وذلك على رأس ألف سنة وستمائة سنة [1] وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ، ثم يذكر عند أخبار سابور ذى الأكتاف أن من جملة الاسباب الموجبة لغزوة العرب هذا القول والله أعلم *

ثم أن بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ ، فلما قدم عليه شرع له دينه فأعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه : وقتل منهم خلقا كثيرا حتى قبلوه ودانوا به *

وأما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان ، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه وبيده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه ، وانه اتبعه الملك ودان بدينه ، وبني بيوت النيران فى البلاد وأشعل من تلك النار فى بيوت النيران ، فيزعمون أن النيران التى فى بيوت عباداتهم من تلك الى الآن *

و كذبوا فان النار التى للمجوس طفئت فى جميع البيوت لما بعث الله محمدا ﷺ على ما نذكره إن شاء الله تعالى *

و كان ظهور زرادشت بعد مضى ثلاثين سنة من ملك بشتاسب ، وأتاه بكتاب زعم أنه وحى من الله تعالى ، و كتب فى جلده اثني عشر ألف بقرة حفرا ، ونقشا بالذهب ، فجعله بشتاسب فى موضع باصطخر ، ومنع من تعليمه العامة ، وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون

---

(١) هذا لا يكون لانه اذا كان من تلاميذ ارميا، فيكون ذلك فى أيام سبى بابل او بعد ذلك بقليل وسبى بابل كان فى القرن السادس قبل الميلاد والنبى صلى الله عليه وسلم جاء فى القرن السابع بعده ومدة ذلك الف ومأتا سنة أو أقل *

Marfat.com

بدين الصابئة ، وسيرد باقى أخباره *

﴿ ذكر مسير بختنصر (١) الى بنى إسرائيل ﴾

قد اختلف العلماء فى الوقت الذى أرسل فيه بختنصر على بنى اسرائيل فقيل : كان فى عهد أرميا النبى، ودانيال، وحنانيا، وعزاريا ، وميشائيل ؛ وقيل : انما أرسله الله على بنى اسرائيل لما قتلوا يحيى (٢) بن زكريا . والاول أكثر *

وكان ابتداء أمر بختنصر ماذكره سعيد بن جبير قال : كان رجل من بني إسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) قال : أى رب أرني هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى إسرائيل على يده، فأرى فى المنام مسكينا يقال له : بختنصر ببابل، فسار على سبيل التجارة إلى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتي دلوه على بختنصر فأرسل من يحضره فرآه صعلوكا مريضاً ، فقام عليه فى مرضه يعالجه حتي برأ فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر ، فقال له بختنصر ، وهو يبكى ، فعلت معى مافعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلى : بلى تقدر عليه تكتب لى كتابا إن ملكت أطلقتنى، فقال : أتستهزىء بي ؟ فقال انما هذا أمر لامحالة كائن *

ثم ان ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام ، فأرسل انسانا يثق به ليتعرف له أخباره وحال من فيه ، فسار اليه ومعه بختنصر فقير لم يخرج إلا للخدمة ، فلما قدم الشام رأى أكبر بلاد الله خيلا ورجالا وسلاحا ، ففت ذلك فى ذرعه فلم يسأل عن شيء وجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام ، فيقول لهم مايمنعكم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها مادون بيت مالها شيء فكلهم يقول له : لانحسن القتال ولا نراه ، فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل وأرسل بختنصر الى الملك يطلب اليه أن يحضره ليعرفه جلية الحال ، فأحضره فأخبره بما كان جميعه *

ثم ان الملك أراد أن يبعث عسكرا الى الشام أربعة آلاف راكب جريدة واستشار فيمن يكون عليهم فأشاروا ببعض أصحابه ، فقال لا بل بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ، ثم أن لهراسب استعمله أصبهبد على مابين

---

(١) قال فى القاموس وبخت نصر بالتشديد اصله بوخت ومعناه ابن ، ونصر كبقم صنم اه (٢) غلط فاضح على التاريخ فان بخت نصر ولى الملك سنة ٦٠٦ قبل ميلاد المسيح ، ويحيى قتل بعد الميلاد فى العقد الثالث منه اى فى سنة ثمان وعشرين تقريبا *

Marfat.com

الأهواز الى أرض الروم من غرب دجلة ،وكان السبب فى مسيره الى بنى اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس فعاد عنهم وأخذ رهائنهم ،فلما عاد من القدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل على ملكهم الذى صالح بختنصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا،فلما سمع بختنصر بقتل الرهائن الذين معه عاد الى القدس فأخربه ،وقيل:ان الذى استعمله انما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب ،وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر عمرا طويلا ،فأرسل بهمن رسلا الى ملك بنى اسرائيل ببيت المقدس فقتلهم الاسرائيلى فغضب بهمن من ذلك ،واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره فى الجنود الكثيرة فعمل بهم مانذكره *هذه الأسباب الظاهرة *

وانما السبب الكلى الذى أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره،وكانت سنة الله تعالى فى بني اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا أرسل معه نبياً يرشده ويهديه الى أحكام التوراة ،فلما كان قبل مسير بختنصر اليهم كثرت فيهم الأحداث والمعاصى ،وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم فبعث الله اليه أرميا قيل هو الخضر عليه السلام، فأقام فيهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن المعاصى ويذكر لهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يرعووا فأمره الله أن يحذرهم عقوبته وانهم إن لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها فأرسل الله اليه لأقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ،ويضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم،ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب ، يهلك بنى اسرائيل وينتقم منهم ويخرب بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه ، وتضرع الى الله فى رفع ذلك عنهم فى أيامه ، فأوحى الله اليه وعزتى لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتي يكون الأمر من قبلك فى ذلك ففرح أرميا وقال لا والذى بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر بهلاك بني اسرائيل أبدا ،وأتي ملك بني اسرائيل فأعلمه بما أوحى اليه فاستبشر وفرح ، ثم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين ولم يزدادوا إلا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حيث لم يكونوا هم يتذكرون ، فقال لهم ملكهم يابنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم ينتهوا ، فألقى الله فى قلب بختنصر أن يسير الى

Marfat.com

بني اسرائيل ببيت المقدس فسار فى العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء ،وبلغ ملك بنى اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبي ، فما حضر عنده قال له ياأرميا أين ماز عمت ان ربك أوحى اليك أن لايهلك بيت المقدس حتي يكون الأمر منك ؟ فقال أرميا: إن ربي لايخلف الميعاد وأنابه واثق فلما قرب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله إهلاكهم أرسل الله ملكا فى صورة آدمى الى أرميا ، وقال له استفته ، فأتاه وقال له يا أرميا أنا رجل من بني اسرائيل أستفتيك فى ذوى رحمى وصلت أرحامهم بما أمرني الله به وأتيت اليهم حسنا وكرامة فلا تزيدهم كرامتى إياهم إلا سخطالى وسوء سيرة معى فأفتني فيهم ، فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصله،فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام فى تلك الصورة ، فقال له أرميا أما طهرت أخلاقهم وما رأيت منهم ماتريد؟فقال والذى بعثك بالحق ماأعلم كرامة يؤتيها أحد من الناس الى ذوى رحمه إلا وقد آتيتها اليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا إلا سوء سيرة، فقال ارجع إلى أهلك وأحسن اليهم فقام الملك من عنده فلبث أياما ، ونزل بختنصر على بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل، وقال ملكهم لأرميا :أين ماوعدك ربك ؟ فقال إني بربى واثق ،ثم ان الملك الذى أرسله الله يستفتي أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس ، فقال مثل قوله الاول وشكا أهله وجورهم،وقال له:يانبي الله كل شيء كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان فيه سخطى وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى ، فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتد عليهم غضبي ، وإنما غضبت اليوم لله وأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإنى أسألك بالله الذى بعثك بالحق إلا مادعوت الله عليهم أن يهلكوا ، فقال أرميا ياملك السموات والأرض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم ، فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه ، وقال : ياملك السموات والأرض ياأرحم الراحمين أين ميعادك أيارب الذى وعدتنى به ؟فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ماأصابهم إلا بفتياك التي أفتيت رسولنا فاستيقن انها فتياه ، وان السائل كان من عند الله،وخرج أرميا حتى خالط الوحش،ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بنى اسرائيل حتي أفناهم ، وخرب بيت المقدس وأمر جنوده فحملوا التراب وألقوه فيه حتي ملؤه ثم انصرف راجعا الى

Marfat.com

بابل وأخذ معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فاجتمعوا واختار منهم مائة ألف صبى فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه ، وكان من أولئك الغلمان دانيال ، النبى وحنانيا ، وعزاريا ، وميشائيل * وقسم بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا ، وأقر بالشام ثلثا ؛ وسبي ثلثا *

ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذى رؤى بفلوات الأرض والبلدان ، ثم أن بختنصر عاد الى بابل وأقام فى سلطانه ما شاء الله ان يقيم ، ثم رأى رؤيا فبينما هو قد أعجبه مارأى اذ رأى شيئاً انساه ما رأى ، فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ، وقال : أخبرونى عن رؤيا رأيتها فانسيتها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم ، فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه ، وسألوه أن يعلمهم اياها ، فأعلمهم الذى سألهم عنه ، فجاؤا الى بختنصر ، فقالوا رأيت تمثالا قال : صدقتم ، قالوا : قدماه وساقاه من نحار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد فبينما أنت تنظر اليه قد أعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته ، وهى التي أنستك الرؤيا ، قال صدقتم فما تأويلها ؟ قالوا أريت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا من بعض ؛ وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض ، وبعضهم أشد ، وكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد ، ثم كان فوق النحاس الفضة وهى أفضل من ذلك وأحسن ، ثم كان فوقها الذهب وهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد وهو ملكك فهو أشد الملك وأعز وكانت الصخرة التي رأيت — ان ارسل الله ملكا من السماء فدق ذلك جميعه — نبيا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر اليه ، فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وادناهم واستشارهم فى أمره ، فحسدهم أصحابه وسعوا بهم اليه ، وقالوا عنهم ماأوحشه منهم ، فأمر فحفر لهم اخدودا وألقاهم فيه وهم ستة رجال والتى معهم سبعا ضاريا ليأ كلهم ، ثم قال أصحاب بختنصر انطلقوا فلنأ كل ولنشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم أحدا ، ووجدوا معهم رجلا سابعا ، فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة ، فلطم بختنصر لطمة فمسخه ، وصار فى الوحش فى صورة أسد وهو مع ذلك يعقل مايعقله الانسان ، ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه ، فلما عاد الى ملكه كان دانيال واصحابه أكرم الناس عليه ، فعاد الفرس وسعوا بهم الى بختنصر

Marfat.com

وقالوا له فى سعايتهم : ان دانيال اذا شرب الخمر لايملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما وأحضره عنده ، وقال للبواب : انظر أول من يخرج ليبول فاقتله وان قال لك أنا بختنصر فقل له كذبت. بختنصر أمرني بقتلك واقتله ، فحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من الجمع بختنصر،فقام مدلا انه الملك لئلا يقدم أحد عليه. وكان ذلك ليلا فلما رآه البواب شد عليه ليقتله . فقال له أنا بختنصر فقال: له كذبت إن بختنصر أمرنى بقتلك وقتله *

وقيل فى سبب قتله : إن الله أرسل عليه بعوضة فدخلت فى منخره وصعدت الى رأسه، فكان لايقر ولا يسكن حتي يدق رأسه فلما حضره الموت قال لأهله: شقوا رأسى فانظروا ماهذا الذى قتلني ؟ فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بأم رأسه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر، لما تجبر قتله بأضعف مخلوقاته ، تبارك الذى بيده ملكوت كل شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد* وأما دانيال فانه أقام بأرض بابل،وانتقل عنها ومات،ودفن بالسوس[1] من أعمال خوزستان *

ولما أراد الله تعالى أن يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد مات ، فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة فى قول بعض أهل العلم . وملك بعده ابن له يقال له . والمردج فملك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له : بلتاصر [2] سنة ، فلما ملك تخلط فى أمره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ماذكرناه ، واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقى ثلاثين سنة ، ثم عزله واستعمل مكانه أخشويرش فبقى أربع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه كيرش العلمى وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية ، وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما ، فسألوه أن يأذن لهم فى الخروج الى بيت المقدس ، فقال لو كان بقى منكم ألف نبي مافارقتكم ،وولى دانيال القضاء وجعل اليه جميع أمره ، وأمره أن يقسم ماغنمه بختنصر من بنى إسرائيل عليهم ، وأمرهم بعمارة بيت المقدس ، فعمر فى أيامه وعاد اليه بنو اسرائيل وهذه المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر ، وكان

---

(١) يزعم الناس أنه مدفون بالاسكندرية وله هناك مقام ومسجد وهو خطأ لان دانيال مولود فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد ومات فى القرن السادس ، وبناء الاسكندرية فى أواخر القرن الرابع أى بعد سنة ٣٣٣ قبل الميلاد (٢) الذى فى الفقرة الاولى من الاصحاح السابع من سفر دانيال أنه بيلشاصر *

Marfat.com

ملت كيرش اثنتين وعشرين سنة *

وقيل : إن الذى أمر بعود بنى إسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب ، وكان قد بلغه خراب بلاد الشام ، وانها لم يبق بها من بنى إسرائيل أحد فنادى فى أرض بابل من شاء من بني إسرائيل أن يرجع الى الشام فليرجع ، وملك عليهم رجلا من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ،فرجعوا وعمروه ، وكان أرميابن حزقيا من سبط هرون ابن عمران ، فلما وطىء بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل وسباهم وقد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل أقبل أرميا على حمار له معه عصير عنب وفى يده سلة تين ، فرأى بيت المقدس خرابا ، فقال : (أني يحيي هذه الله بعد موتها * فأماته الله مائة عام) ،ثم أمات حماره وأعمى عنه العيون ، فلما أن عمر بيت المقدس أحيا الله من أرميا عينيه ، ثم أحيا جسده وهو ينظر اليه ، وقيل له : (كم لبثت ؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم) ، قيل : (بل لبثت مائة عام ، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) ويتغير ، (وانظر الى حمارك) ، فنظر الى عظام حماره وهى تجتمع بعضها الى بعض ؛ ثم كسى لحما، ثم قام حيآباذن الله ونظر الى المدينة وهى تبنى ، وقد كثر فيها بنو إسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد ، وكان عهدها خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير ، فلما رآها عامرة (قال :أعلم إن الله على كل شىء قدير) *

وقيل : إن الذى أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيراً ، فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها : هذا منزل عزير ؟ قالت نعم وبكت ، وقالت : ما أرى أحدا يذكر عزيرا غيرك ، فقال : أنا عزير، فقالت : إن عزيرا كان مجاب الدعوة ،فادعو الله لى بالعافية، فدعا لها فعاد بصرها ، وقامت ومشت فلما رأته عرفته ، وكان لعزير ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله أولاد شيوخ ؛ فذهبت اليهم الجارية ، وأخبرتهم به فجاؤا، فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت فى ظهره *

وقيل : إن عزيرا كان مع بنى إسرائيل بالعراق فعاد إلى بيت المقدس ، فجدد لبني إسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ، ولم يكن معهم التوراة لأنها كانت قد أخذت فيما أخذ وأحرقت وعدمت ،وكان عزير قد أخذ مع السبي ، فلما عاد عزير الى بيت المقدس مع بنى إسرائيل جعل يبكى ليلا ونهارا وانفرد عن الناس فبينما هو

Marfat.com

Marfat.com

كذلك فى حزنه إذ أقبل اليه رجل وهو جالس ، فقال ياعزير ما يبكيك ، فقال : أبكى لأن كتاب الله وعهده الذى كان بين أظهرنا انعدم ، قال : فتريد أن يرده الله عليكم ، قال : نعم ، قال : فارجع وصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان ، ففعل عزير ذلك ، وأتي المكان فانتظره ، وأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ، وكان ملكا بعثه الله فى صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى إسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فأحبوه حبا شديدا لم يحبوا شيئا قط مثله وأصلح أمرهم وأقام عزير بينهم ثم قبضه الله اليه على ذلك وحدثت فيهم الأحداث حتى قال بعضهم عزير ابن الله ولم يزل بنو إسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتي غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة ؛ وقد اختلف العلماء فى أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافا كثيرا تركنا ذكره اختصارا *

﴿ ذكر غزو بختنصر العرب ﴾

قيل : أوحى الله الى برخيا بن حنانيا يأمره أن يقول لبختنصر ليغز العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم ، فقال برخيا لبختنصر ما أمر به فابتدأ بمن فى بلاده من تجار العرب فاخذهم وبني لهم حران بالنجف ، وحبسهم فيه ، ووكل بهم وانتشر الخبر فى العرب ، فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فانزلهم السواد فابتنوا الأنبار ، وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلا حياة بختنصر ، فلما مات انضموا الى أهل الأنبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والانبار * وسار الى العرب بنجد والحجاز ، فاوحى الله إلى برخيا وأرميا يأمرهما أن يسيرا إلى معدّ ابن عدنان (١) ، فيأخذاه ويحملاه إلى حران ، وأعلمهما انه يخرج من نسله محمد ﷺ الذى يختم به الأنبياء ، فسارا تطوى لهما المنازل والأرض حتى سبقا بختنصر إلى معد فحملاه إلى حران فى ساعتهما ولمعد حينئذ اثنتا عشرة سنة ، وسار بختنصر فلقى جموع العرب فقاتلهم فهزمهم ، وأكثر القتل فيهم ، وسار إلى الحجاز ، فجمع عدنان العرب ، والتقى هو وبختنصر بذات عرق ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم عدنان وتبعه بختنصر إلى حصون

(١) تفيد عبارة المؤلف ان معد بن عدنان كان موجودا فى عهد بختنصر وهذا بعيد لانه يقتضى ان يتناسل عشرون طبقة فى الف ومائتى سنة و يلزم منه أن لا يولد للرجل إلا بعد مضى ستين سنة من عمره على توالى عشرين شخصا ولا يخفى ما فيه *

Marfat.com

هناك ، واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه ، فكمن بختنصر كمينا وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف ، فنادوا بالويل ، ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان ، فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الأنبياء حتى أتى مكة ، فاقام اعلامها وحج وحج معه الأنبياء ، وخرج معد حتي أتي ريشوب وسأل عمن بقى من ولد الحرث بن مضاض الجرهمى ، فقيل له : بقى جوشم بن جلهمة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد *

﴿ ذكر بشتاسب والحوادث فى ملكه وقتل أبيه لهراسب ﴾

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه ، وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب ؛ وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته : ثم انه ارسل إلى ملك الترك واسمه خرزاسف - وهو أخو افراسياب - وصالحه ، واستقر الصلح على أن يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك . فلما جاء زرادشت إلى بشتاسب واتبعه على ماذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك ، وقال أنا أعين لك طالعاً تسير فيه إلى الحرب فتظفر وهذا أول وقت وضعت فيه الاختبارات للملوك بالنجوم ، وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فاجابه بشتاسب الى ذلك ، فأرسل إلى الدابة التى بباب ملك الترك وإلى الموكل بها فصرفها ؛ فغضب ملك الترك وأرسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ زرادشت اليه وإن لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته ، فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا . فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا . ومر وا منهزمين . وعاد بشتاسب الى بلخ ، وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله ، وكان أعظم الناس غناء فى هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب ، فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار ، وقالوا : يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ؛ ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان ؛ وسار الى جبل يقال له طمبدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسب ببلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه ، فبلغت الأخبار الى ملك الترك خرزاسف ، فلما تحققه جمع عساكره وحشد وسار الى بلخ ؛ وانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته ، ولما

Marfat.com

بلغ بلخ ملكها . وقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة . وأحرق الدواوين . وهدم بيوت النيران . وأرسل السرايا الى البلاد فقتلوا وسبوا وأخربوا ، وسبى ابنتين لبشتاسب إحداهما خمانى ، وأخذ علمهم الأكبر المعروف بدرفش كابيان ، وسار متبعا لبشتاسب ، وهرب بشتاسب من بين يديه ، فتحصن بتلك الجبال مما يلى فارس ، وضاق ذرعا بما نزل به *

فلما اشتدعليه الأمر أرسل إلى ابنه اسفنديار مع عالمهم جاماسب فاخرجه من محبسه واعتذر اليه ، ووعده أن يعهد اليه بالملك من بعده ؛ فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند وبات ليلته مشغولا بالتجهز ، وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم ، والتقوا واقتتلوا واحتدم الحرب وحمى الوطيس ، وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فأثر فيه ووهنه ، وتابع الحملات وفشا فى الترك أن اسفنديار هو المتولى لحربهم فانهزموا لايلوون على شيء ، وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كابيان ، فلما دخل على ابيه استبشر به ، وأمره باتباع الترك ، ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله ، ويقتل من الترك من أمكنه قتله ، وأن يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم . فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى وأخرب . وبلغ مدينتهم العظمى . ودخلها عنوة . وقتل الملك واخوته ومقاتلته . واستباح أمواله ، وسبى نساءه . واستنقذ أختيه ودوّخ البلاد . وانتهى إلى آخر حدود بلاد الترك . وإلى التبت . وأقطع بلاد الترك . وجعل كل ناحية إلى رجل من وجوه الترك بعد أن أمنهم . ووظف عليهم خراجا يحملونه كل سنة إلى أبيه بشتاسب . ثم عاد إلى بلخ : فحسده أبوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك وأسر ذلك فى نفسه . وأمره بالتجهز والمسير إلى قتال رستم الشديد بسجستان . وقال له : هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لان الملك كيكاووس . أعتقه فأقطعه إياها وقد ذكرنا ذلك فى ملك كيكاووس وكان غرض بشتاسب أن يقتله رستم أو يقتل هو رستم فانه كان أيضا شديد الكراهة لرستم . فجمع العساكر وسار إلى رستم لينزع سجستان منه فخرج اليه رستم وقاتله . فقتل اسفنديار قتله رستم ، ومات بشتاسب وكان ملكه مائة سنة واثنتى عشرة سنة ، وقيل مائة وعشرين سنة ، وقيل مائة وخمسين سنة ، وقيل : انه جاءه رجل من بني اسرائيل زعم انه نبي أرسل اليه واجتمع به ببلخ فكان يتكلم بالعبرى وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه ، وجاماسب العالم هو حاضر معهم

Marfat.com

يترجم ايضا عن الاسرائيلى ، وكان بشتاسب ومن قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت *

﴿ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاووس إلى أيام بهمن بن اسفنديار﴾

قد مضى ذكر الخبر عمن زعم ان كيكاووس كان فى عهد سليمان بن داود ، وقد ذكرنا من كان فى عهد سليمان من ملوك اليمن ، والخبر عن بلقيس بنت اليشرح ، وصار الملك بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذى يقال له : انعم الانعامة * قال أهل اليمن انه سار غازيا نحو المغرب حتي بلغ واديا يقال له وادى الرمل ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى اليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذا انكشف الرمل ، فامر رجلا يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا ، فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس فصنع * ثم نصب على صخرة على شفير الوادى ، وكتب على صدره بالمسند : هذا الصنم لياسر انعم الحميرى ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب ؛ وقيل ان وراء ذلك الرمل قوما من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) والله أعلم[1] *

ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد ابن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذى المنار بن الرائش بن قيس بن صيفى ابن سبأ ، وكان يقال له الزائد ، وكان تبع هذا فى أيام بشتاسب واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص متوجها من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرائش حتي خرج على جبلى طيء ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلا فأقام بمكانه ، فسمى ذلك المكان بالحيرة وخلف به قوما من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحرث بن كعب وإياد ، ثم توجه الى الموصل ثم الى أذربيجان ، فلقى الترك فهزمهم فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، ثم عاد الى اليمن فهابته الملوك وأهدوا اليه ، وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى ما لم ير مثله ؛ فقال للرسول كل هذا فى بلدكم ؛ فقال أكثره من بلد الصين . ووصف له بلد الصين فخلف ليغزونها . فسار بحمير حتى أتي الى الركايك وأصحاب القلانس السود . ووجه رجلا

---

(١) ماتقدم من الصنم ومن قوم موسى خرافة ظاهرة *

Marfat.com

من أصحابه يقال له ثابت، نحو الصين فى جمع عظيم. فأصيب، فسار تبع حتي دخل الصين. فقتل مقاتلتها واكتسح ما وجد فيها. وكان مسيره ومقامه ورجعته فى سبع سنين، ثم انه خلف بالتبت اثنى عشر ألف فارس من حمير، فهم أهل التبت. ويزعمون أنهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكر *

وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من أخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ما وجدنا مختصرا *

﴿ ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خماني ﴾

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه ارد شير بهمن بن اسفنديار، وكان مظفرا فى مغازيه، وملك أكثر من أبيه، وقيل انه ابتنى بالسواد مدينة وسماها أياوان ارد شير، وهى القرية المعروفة بهمينا بالزاب الأعلى، وابتنى بكور دجلة الابلة، وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه، فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز، وبهمن هو أبو دارا الأكبر. أبو ساسان أبي ملوك الفرس الاحرار اردشير بن بابك وولده وأم دارا خمانى ابنة بهمن فهى أخته وأمه. وغزا بهمن رومية[1] الداخلة فى ألف ألف مقاتل. وكان ملوك الارض يحملون اليه الأتاوة. وكان أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا. وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب. وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود. وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة. وقيل ثمانين سنة. وكان متواضعا مرضيا فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله خادم الله السائس لاموركم *

ثم ملكت بعده ابنته خماني ملكوها حبا لأبيها ولعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهر زاد، وقيل: انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقد التاج له فى بطنها ويؤثره بالملك، ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا فى بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك، فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنما وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه، وهلك بهمن وابنه دارا فى بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها، فأنفت من إظهار ذلك، وجعلته فى تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته فى نهر الكر من اصطخر، وقيل بنهر بلخ، وسار التابوت الى طحان من اهل اصطخر، ففرح لما فيه من الجوهر، فحضنته امرأته، ثم ظهر أمره حين شب،

(١) هذا غير معقول

فأقرت خماني باساءتها ، فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون أبناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر ، و كانت قدأوتيت ظفرا ، وأغزت الروم ، وشغلت الأعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج ، و كان ملكها ثلاثين سنة ، وقيل : إن خماني أم دارا حضنته حتي كبر [1] فسلمت الملك اليه ، وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم *

ونرجع الى ذكر بني اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرمها ومدة من كان فى أيامهم من ملوك الفرس * قدذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بنى اسرائيل الذين كان بختنصر سباهم ، و كان ذلك فى أيام كيرش بن اخشويرش ، وملكه ببابل من قبل بهمن وأربع سنين بعد وفاته فى ملك ابنته خماني ، و كانت مدةخراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة ؛ كل ذلك فى أيام بهمن بعضه ، وفى أيام ابنته خماني بعضه ، وقيل : غير ذلك ، وقد تقدم ذكر الاختلاف * وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب وأنكر عليه قوله ولم يملك كيرش منفردا قط ، ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزير و كان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس اما رجل منهم واما رجل من بنى اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم لسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا و كان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة *

﴿ ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر و كيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين ﴾

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار و كان يلقب جهرا زاد يعنى كريم الطبع ، فنزل ببابل ، و كان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه الخراج ، وبنى بفارس مدينة سماها دارا بجرد وحذف [2] دواب البرد ورتبها ، و كان معجبا بابنه دارا ، ومن حبه له سماه باسم نفسه ، وصير له الملك بعده و كان ملكه اثنتين وعشرين سنة *

ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا وهى مشهورة الى الآن واستوزر إنسانا لا يصلح لها فأفسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره ، واستوحش منه الخاصة والعامة ، و كان شابا غرا جميلا حقودا جبارا سىء السيرة فى رعيته ، و كان ملكه أربع عشرة سنة *

---

(١) هذا هو المعقول (٢) قال فى المصباح وحذف بالتثقيل مبالغة وكل شىء اخذت من نواحيه حتى سويته فقد حذفته تحذيفا *

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر الاسكندر ذى القرنين ﴾

كان فيلفوس (١) أبو الاسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى، فصالح دارا على خراج يحمله اليه فى كل سنة فلما هلك فيلفوس ملك بعده ابنه الاسكندر، واستولى على بلاد الروم أجمع، فقوى على دارا فلم يحمل اليه من الخراج شيئا و كان الخراج الذى يحمله بيضا من ذهب فسخط عليه دارا و كتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم و كتب اليه انه صبى وانه ينبغى له أن يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به فى وثاق، وان عدة جنوده كعدة حب السمسم الذى بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ماذكر فى كتابه اليه من إرساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملقى الكرة الى الصولجان واحترازه إياها؛ ويشبه الأرض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه، وتيمنه بالسمسم الذى بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحرافة، وبعث اليه بصرة فيها خردل وأعلمه فى ذلك أن مابعث به اليه قليل ولكنه مر حريف وان جنوده مثله فلما وصل كتابه الى دارا تأهب لمحاربته *

وقد زعم بعض العلماء بأخبار الأولين أن الاسكندر الذى حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه، وان أباه دارا الاكبر (٢) كان تزوج أم الاسكندر وهى ابنة ملك الروم، فلما حملت اليه وجد نتن ريحها وسهكها فأمر أن يحتال لذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر، فغسلت بمائها فأذهب ذلك كثير من نتنها ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها فردها الى أهلها، وقد علقت منه، فولدت فى أهلها غلاما، فسمته باسم الشجرة التي غسلت بمائها مضافا الى اسمها، وقد هلك أبوها، وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذى كان يؤديه جده الى دارا فأرسل يطلبه، و كان بيضا من ذهب، فأجابه: أنى قد ذبحت الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فان أحببت وادعناك وان أحببت ناجزناك، ثم خاف الاسكندر من الحرب فطلب الصلح، فاستشار دارا أصحابه فأشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم

---

(١) كذا فى الطبرى وصححه الاستاذ فيلبس (٢) اغرب مافى هذه الحكاية ان الاسكندر معروف النسب وكأن الفرس عز عليهم أن يقهر ملكهم رجل من غيرهم فخلقوا هذه الحكاية ليكون الغالب والمغلوب منهم *

عليه ، فعند ذلك ناجزه دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكمهما على الفتك بدارا فاحتكما شيئا ولم يشترطا أنفسهما *

فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه فى الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ، ولحقه الاسكندر وهو بآخر رمق ، وقيل : بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همذان حبا للراحة من ظلمه ، وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بامر الأسكندر ، وكان قد أمر الاسكندر مناديا ينادى عند هزيمة عسكر دارا أن يؤسر دارا ولا يقتل ، فأخبر بقتله فنزل اليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه فى حجره وقال له : انما قتلك أصحابك وانى لم أهم بقتلك قط ، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف ويا ملك الملوك وحر الأحرار عن هذا المصرع فأوص بما أحببت ، فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقى أحرار فارس ويأخذ له بثأره ممن قتله ، ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبي دارا ، وقال لهما إنكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد أن وفى لهما بما ضمن لهما ، وقال : ليس ينبغى أن يستبقى قاتل الملوك إلا بذمة لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلى الخزر ، وقيل : ببلاد الجزيرة عند دارا ، *

وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع ، وملك فارس مجتمعا فتفرق *

وحمل الاسكندر كتبا وعلوما لأهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقله الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر أخو دارا لأبيه *

واما الروم وكثير من أهل الأنساب فيزعمون أنه الاسكندر بن فيلفوس ، وقيل فيلبوس بن مطريوس ، وقيل ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومى ابن ليطى بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل بن رومى ابن الاصفر بن اليفز بن العيص بن إسحق بن ابراهيم *

فجمع بعد هلك دارا ملك دارا ؛ فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة ، وعرض جنده فوجدهم على ماقيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل ، منهم من جنده ثمانمائة الف رجل ، ومن جند دارا ستمائة ألف رجل ؛ وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران ، وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ، واستعمل على مملكة فارس رجالا ، وسار قدما إلى أرض الهند ، فقتل ملكها وفتح مدنها ، وخرب بيوت الأصنام ، وأحرق كتب علومهم

ثم سار منها إلى الصين فلما وصل اليها آتاه حاجبه فى الليل ، وقال : هذا رسول ملك الصين فاحضره ، فسلم وطلب الخلوة . ففتشوه فلم يروا معه شيئا فخرج من كان عند الاسكندر فقال : أنا ملك الصين جئت أسألك عن الذى تريده فان كان مما يمكن عمله عملته وتركت الحرب . فقال له الاسكندر : ما الذى آمنك مني ؟ قال : علمت انك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا ذحل وأنت تعلم انك ان قتلتني لم يكن قتلى سببا لتسليم أهل الصين ملكى اليك ، ثم انك تنسب إلى الغدر فعلم انه عاقل ، فقال له : أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال : قد أجبتك ولكنك اسألني كيف حالى ؟ قال : قل كيف حالك ؟ قال أكون اول قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس ، قال : فان قنعت منك بارتفاع سنتين ، قال : يكون حالى أصلح قليلا قال : فان قنعت منك بارتفاع سنة ، قال : يبقى ملكى وتذهب لذاتي ، قال : وأنا أترك لك مامضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك ؟ قال . يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لى والثلث للعسكر والثلث لك . قال : قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد . وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح *

فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر . فركب الاسكندر والناس ، فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج ، فقال له الاسكندر أغدرت ؟ قال : لا ولكنى أردت أن تعلم أني لم أطعك من ضعف ولكنى لما رأيت العالم العلوى مقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك ، فقال له الاسكندر : لا يسلم مثلك الجزية فما رأيت بيني وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك ، فقال له ملك الصين : فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه ، وسار الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الارضين فى الشرق والغرب وملك التبت وغيرها *

فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال ، وملك تلك البلاد ودان له من بها من الأمم المختلفة الى أن اتصل بديار يأجوج ومأجوج ، وقد اختلفت الاقوال فيهم ، والصحيح انهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون ماقدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم

Marfat.com

فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا اليه من شرهم كما أخبر الله عنهم فى قوله ،(ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) وهما جبلان متقابلان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج إلا من الفرجة التي بينهما ، فلما بلغ الى تلك وقارب السدين (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا * قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ * قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) يقول مامكنى ربى فيه خير من خرجكم ولكن أعينونى بالقوة والقوة الفعلة والصناع والآلة التي يبنى بها ، فقال: (آتوني زبر الحديد) أى قطع الحديد فأتوه بها فحفر الأساس حتي بلغ الماء ؛ ثم جعل الحديد والحطب صفوفا بعضها فوق بعض (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وهما جبلان أشعل النار فى الحطب ؛ فحمى الحديد وأفرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب ، فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد ، فبقى كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد ، وجعل أعلاه شرفا من الحديد ، فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى : (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) *

فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلى القطب الشمالى والشمس جنوبية ، فلهذا كانت ظلمة وإلا فليس فى الأرض موضع إلا تطلع الشمس عليه أبدا ، فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخلد [1] فسار فيها ثمانية عشر يوما ، ثم خرج ولم يظفر بها ، وكان الخضر [2] على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها والله أعلم *

ورجع الى العراق فمات فى طريقه بشهرزور بعلة الخوانيق ، وكان عمره ستا وثلاثين سنة فى قول ، ودفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجوهر ، وطلى بالصبر لئلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية *

وكان ملكه أربع عشرة سنة ، وقتل دارا فى السنة الثالثة من ملكه ، وبنى اثنتي عشرة مدينة منها أصبهان وهى التى يقال لها جى ، ومدينة هراة ، ومرو ؛ وسمرقند ، وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبأرض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية *

فلما مات الاسكندر أطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم

---

(١) ان معرفة ان العين عين خلد لا تكون الا عن تجربة وان ناساشر بوا منها فخلدوا هذا لم يرو ولم يسمع *

(٢) فى اعتقادى ان الخضر — بالروايات المذاعة — شخص فرضى كابى زيد السروجى فى مقامات الحريرى *

Marfat.com

Marfat.com

فكان يجمعهم و يستريح الى كلامهم فوقفوا عليه ، فقال كبيرهم : ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا ووضع يده على التابوت ، وقال : أصبح آسر الأسراء أسيرا ؛ وقال آخر : هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤه ، وقال آخر ما أزهد الناس فى هذا الجسد ؟ وما أرغبهم فى التابوت ؟ وقال آخر : من أعجب العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون مغترون ، وقال آخر : هذا الذى جعل أجله ضمارا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك ؟ بل هلا خففت من أملك بالامتناع من وفور أجلك ؟ وقال آخر : أيها الساعى المنتصب جمعت ماخذلك عند الاحتياج اليه فغودرت عليك أوزاره ، وقارفت آثامه ، فجمعت لغيرك واثمه عليك ، وقال آخر قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر ، وقال آخر : رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك ، وقال آخر : رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم ، وقال آخر : كم أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت ؟ ! وقال آخر : وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرنى أن لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك ، وقال آخر : هذا يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا ، وأدبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك ، وقال آخر : ياعظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب ، وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب ، وقال آخر : يامن ضاقت عليه الأرض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك بما احتوى عليك منها ؟ وقال آخر : اعجبوا ممن كان هذا سبيله كيف شهر نفسه بجمع الأموال الحطام البائد والهشيم النافد ؟ وقال آخر : أيها الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد ، وقال آخر : انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى ، وقال آخر : يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت ؟ وقال آخر : قد رأيتم هذا الملك الماضى فليتعظ به هذا الملك الباقى ، وقال آخر : إن الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت ؛ وقال آخر : سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته ، وقال آخر : مالك لا تقلّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الأرض ؟ بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذى أنت فيه ؟ وقد كنت ترغب عن رحب البلاد ، وقال آخر : ان دنيا يكون هذا فى آخرها فالزهد أولى

أن يكون فى أولها . وقال صاحب ماندته: قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم . وقال صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرنى بالادخار فالى من أدفع ذخائرك ؟ وقال آخر : هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها فى سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك فى الطلب . وقالت زوجته روشنك : ما كنت أحسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذى سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكاس الذى شرب به ليشربه الجماعة . وقالت أمه حين بلغها موته : لئن فقدت من ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره *

﴿ فهذا كلام الحكماء ، فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتها ﴾*

ومن حيل الاسكندر فى حروبه أنه لما حارب دارا خرج إلى بين الصفين وأمر مناديا فنادى : يامعشر الفرس قد علمتم ما كتبتم الينا وما كتبنا اليكم من الأمان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فانه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا *

ومن حيله انه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتي ألفتها ، ثم عاد إلى الهند . فخرج اليهم ملك الهند . فأمر الاسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت . وجرت على العجل إلى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار فى تلك الفيلة . فلما حميت انكشف أصحابه عنها ، وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت ، وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها *

ومن حيله انه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأقوات . وبها عيون ماء فعاد عنها فأرسل اليها قوما على هيئة التجار . ومعهم أمتعة يبيعونها . وأمرهم بمشترى الطعام والمغالاة فى ثمنها . فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا . ففعلوا ذلك وهربوا اليه ، فانفذ السرايا الى سواد تلك المدينة ، وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به ، فسار الاسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه *

وكتب إلى أرسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة ، وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة ، فكتب اليه ارسطاطاليس فهمت كتابك فان ماذكرت من بعد هممهم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس . والغدر من دناءة النفس وخبثها . وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه فى معيشته واخصصه بحسان النساء ، فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة .

Marfat.com

وإياك والقتل فانه زلة لاتستقال. وذنب لايغفر. وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما أحسن العفو من القادر. وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة. ولا تؤثر نفسك على أصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة *

و كتب الى أرسطاطاليس أيضا لماملك بلاد فارس يذكر له أنه رأى بايران شهر رجالا ذوى رأى وصرامة وشجاعة وجمال وأنساب رفيعة، وانه انما ملكهم بالحظ والانفاق،و انه لايأمن ـ ان سافر عنهم ففارقهم ـ وثوبهم وانه لا يكفى شرهم الا ببوارهم* فكتب اليه قد فهمت كتابك فى رجال فارس: فاما قتلهم فهو من الفساد والبغى الذى لا يؤمن عاقبته ولو قتلتهم لاثبت أهل البلد أمثالهم، وصار جميع أهل البلد أعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم فى غير حرب، واما اخراجك اياهم من عسكرك فمخاطرة بنفسك وأصحابك ولكنى أشير عليك برأى هو أبلغ من القتل وهو أن تستدعى منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه، فتتفرق كلمتهم؛ ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك، ويرون أنفسهم صنيعتك [1] ففعل الاسكندر ذلك، فهم ملوك الطوائف، وقيل فى ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله *

﴿ ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر ﴾

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندروس، فابي واختار العبادة فملكت اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس، وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة، ثم ملك بعده

---

(١) وهذه خطة المستعمرين اليوم تماما. فمن أغرب التقسيمات الحاضرة ان بلاد الشام قسمت بعد الحرب العظمى بين الانكليز وفرنسا، فالانكليز قسموا سهمهم الى حكومتين: امارة الشرق العربى اوشرق الأردن وعاصمتها عمان، وحكومة فلسطين وعاصمتها القدس ولغاتها الرسمية العربية والانكليزيه والعبرية* والافرنسيون قسموا نصيبهم الى دول كثيرة: دولة دمشق، دولة حلب، دولة لبنان الكبير، دولة العلويين — أى اللاذقية —، سنجق اسكندرونة المستقل وان جرابلس وجبل الاكراد لهما ادارة خاصة بل ان بعض المناطق تمثل برج بابل اذ تقبل الحكومة فى سجلاتها — بصورة رسمية — العربية والافرنسية والتركية والكردية واما الارمنية فانها الآن غير رسمية ولا يبعد ان يحدثوا دولا اخرى و يقبلوا لغات غير المذكورات فى هذه المقاطعة التى مجموع سكانها نحو ثلاثة ملايين. ومع الاسف فهذا التقسيم بعينه جار فى أفريقية والهند والمستعمرات الأخرى يكثر النزاع و يشتد التنافس فيستحل الاستعمار وتقوى مخالبه مادامت التفرقة والتنافس رائجين رغم العلم بانهما الداء الوحيد الذى مزق الشرق. واضعف قواه الهائلة. الادارة *

Marfat.com

بطليموس فيلادلفوس وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس او رغاطس أربعا وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس فيلا فطر احدى وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس أبيفانس اثنتين وعشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس أو رغاطس تسعا وعشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس ساطر سبع عشرة سنة، ثم ملك بعده بطليموس الاخشدر احدى عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده بطليموس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين، ثم ملكت بعده كيلو بطره سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء* وهؤلاء كلهم من اليونان*

وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس أكاسرة وملوك الروم قياصرة ، وقد ذكر بعض العلماء أن بطليموس صاحب المجسطى وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك ، وانما كان أيام ملوك الروم على ماذكره إن شاء الله تعالى *

ثم ملك الشام فيما بعد كيلو بطره ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين ، ثم ملك بعده أغسطوس ستا وخمسين سنة ، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وقيل : كان بين مولده وقيام الاسكندر ثلاثمائة سنة وثلاث سنين *

﴿ ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف ﴾

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف ، وقد تقدم ذكر السبب فى تمليكهم ، وقيل : كان السبب فى ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ، ووصل الى ما أراد كتب الى أرسطاطاليس الحكيم : إني قد وترت جميع من فى بلاد المشرق وقد خشيت أن يتفقوا بعدى على قصد بلادنا وإيذاء قومنا وقد هممت أن أقتل أولاد من قتلت من الملوك وألحقهم بآبائهم فما ترى ؟ فكتب اليه : إنك ان قتلت أبناء الملوك أفضى الملك الى السفل والانذال ، والسفل إذا ملكوا قذروا ، واذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا ، وما يخشى من معرتهم أكثر ، والرأى أن تجمع أبناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلدا واحدا و كورة واحدة ، فان كل واحد منهم يقوم فى وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده ، فتتولد العداوة بينهم ، فيشتغل بعضهم ببعض، فلا يتفرغون الى من بعد عنهم [1] *

---

(١) وهذه الوصية نفذها الانكليز فى الهند فملوا فيه من الامارات عدداً كثيراً و بدؤا بها فى البلاد العربية الادارة

Marfat.com

فعندها قسم الاسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلد انهم النجوم والحكمة ، وكان من حالهم بعد الاسكندر ما ذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قصد اليونان ، *

وكان أرسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم ، وكان الاسكندر يصدر عن رأيه ، وأخذ الحكمة عن أفلاطون تلميذ سقراط ، وسقراط تلميذ أوسيلاوس فى الطبيعيات دون غيرها — ومعناه رأس السباع — : وكان أوسيلاوس تلميذ انكساغورس إلا أن أرسطاطا ليس خالف أستاذه فى عدة مسائل فلما قيل له فى ذلك ، قال : أفلاطون صديق والحق صديق إلا أن الحق أولى بالصداقة منه *

وقد اختلف العلماء فى الملك الذى كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل ، فقال هشام بن الكلبى وغيره ملك بعد الاسكندر بلاقس سلبقيس ، ثم انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية ؛ وكان فى أيدى هؤلاء الملوك سواد الكوفة أربعا وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس *

﴿ ذكر ملك اشك بن أشكان ﴾

ثم خرج رجل يقال له أشك وهو من ولد دارا الأكبر وكان مولده ومنشاه بالرى فجمع جمعا كبيرا وسار يريد أنطيخس وزحف اليه أنطيخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل أنطيخس وملك أشك السواد وصار بيده من الموصل الى الرى وأصبهان ، وعظمته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدءوا به فى كتبهم وسموه ملكا من غير أن يعزل أحدا منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن أشك *

﴿ ذكر ملك جوذرز ﴾

ثم ملك بعد سابور جوذرز اشكان وهو الذى غزا بنى اسرائيل فى المرة الثانية ، وسبب تسليط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل * وقيل : إن الذى غزا بنى اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم ، فقتلهم وسباهم ، وخرب بيت المقدس ، وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثار أنطيخس ، وملك بابل حينئذ بلاش ابو أردوان الذى قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه

Marfat.com

كل ملك من ملوك الطوائف الى بلاش، من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته؛ فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل، فولى عليهم صاحب الحضر، وكان له ما بين السواد والجزيرة، فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذى هيج الروم على بناء القسطنطينية، ونقل الملك من رومية اليها، وكان الذى أنشأها قسطنطين الملك: وهو أول من تنصر من ملوك الروم: وأجلى من بقى من بني اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم: وأخذ الخشبة التى يزعمون انهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم. وأدخلوها خزائنهم وهى عندهم الى اليوم * ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير بن بابك: ولم يبين هشام مدة ملكهم *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس: ملك بلادهم بعد الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف، وكان ملكهم مائتي سنة: وقيل: كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن أشكان عشرين سنة: ثم ابنه سابور ستين سنة وفى احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: وان تيطوس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بنحو من أربعين سنة، فملك المدينة قتل وسبى وأخرب المدينة * ثم ملك جوذرز بن اشغان الاكبر عشر سنين * ثم ملك بيرن الاشغاني احدى وعشرين سنة * ثم ملك جوذرز الاشغاني تسعا وثمانين سنة * ثم ملك نرسى الاشغاني أربعين سنة * ثم ملك هرمز الاشغانى سبع عشرة سنة * ثم ملك اردوان لاشغاني اثنتين وعشرين سنة * ثم ملك كسرى الاشغانى أربعين سنة * ثم ملك بلاش الاشغاني أربعا وعشرين سنة * ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة * ثم ملك اردشير بن بابك *

وقال بعضهم: ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الاسكندر المملكة بينهم، وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ماخلا السواد فانه كان أربعا وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر فى يد الروم: وكان فى ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال وأصبهان، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد، وكانوا ملوكا عليها وعلى الماهات والجبال؛ وأصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده؛ ولذلك قصد لذكرهم فى كتب سير

Marfat.com

الملوك فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم ، فكانت مدة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة، وقيل :ثلاثمائة وأربعا وأربعين سنة. وقيل: خمسمائة وثلاثا[1] وعشرين سنة والله أعلم*

فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ، ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد أشك بن جزه وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب فى قول ، وبعض الفرس زعم ان أشك بن دارا قال بعضهم :أشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاووس و كان ملكه عشرين سنة ، ثم ملك بعده أشك ابنه احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنه ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ، ثم ملك ابنه تيرى إحدى وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه جوذرز الأصغر تسع عشرة سنة، ثم ابنه نرسة[2] أربعين سنة، ثم ملك هرمز بن بلاش بن أشكان سبع عشرة سنة ثم أردوان الأكبر بن أشكان اثنتي عشرة سنة ثم كسرى بن أشكان أربعين سنة ثم أردوان الأصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة و كان أعظم ملوك الأشكانية وأظهرهم وأعزهم قهر للملوك ،ثم ملك أردشير بن بابك وجمع مملكة الفرس على مانذكره ان شاء الله *وقد عد بعضهم فى أسماء الملوك غير ماذكرنا لاحاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ماقيل عند ملك أردشير بن بابك *

﴿ ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى ابن مريم ويحيي بن زكريا عليهم السلام ﴾

انما جمعنا هذين الأمرين العظيمين فى هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول: كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود ، و كان آل ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم و كان متزوجا بحنة بنت فاقوذ و كان زكريا بن برخيا متزوجا بأختها إيشاع ، وقيل : كانت إيشاع أخت مريم بنت عمران و كانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هى فى ظل شجرة أبصرت طائرا يزق فرخا له فاشتهت الولد فدعت الله أن يهب لها ولدا ونذرت ان يرزقها ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فحررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو وكان النذر المحرر عندهم أن يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتي يبلغ الحلم . فاذا بلغ خير فان أحب أن يقيم فيها أقام وان أحب أن يذهب ذهب حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الأناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض

(١) هذا هو القول المرضى لان الاسكندر مات فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وقيام اردشير بن بابك وازالته ملوك الطوائف كان سنة ٥٣٣٠ قبل الميلاد (٢) و يقال ترمسى*

Marfat.com

Marfat.com

والأذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذ هى أنثي فقالت عند ذلك (رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها (وإني سميتها مريم) وهى بلغتهم العبادة ثم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يلون من بيت المقدس مايلى بنوشيبة من الكعبة فقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا أنا أحق بها لان خالتها عندى فقالوا لكنا نقترع عليها فألقوا أقلامهم فى نهر جار قيل هو نهر الأردن فألقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فأخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيي ، واسترضع لها حتي كبرت فبني لها غرفة فى المسجد لايرقى اليها إلا بسلم ،ولا يصعد اليها غيره و كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فيقول : أنى لك هذا ؟ فتقول : هو من عند الله *

فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رآى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف ، فقال : ان الذى فعل هذا بمريم قادر على أن يصلح زوجتى حتى تلد ، (فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) ، فبينما هو يصلى فى المذبح الذى لهم ، فاذا هو برجل شاب هو جبريل ففزع زكريا منه ، فقال له (ان الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله) يعنى عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويحي أول من آمن بعيسى وصدقه ؛ وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهى حامل بعيسى ، فقالت لها يامريم أحامل أنت ؟ فقالت : لماذا تسألينى ؟ قالت : لما أنى أرى مافى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه ، وقيل : صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى يحي ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم ، قال الله تعالى (لم نجعل له من قبل سميا) وقال تعالى (والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) قيل : أوحش ما يكون ابن آدم فى هذه الأيام الثلاثة فسلمه الله تعالى من وحشتها ، وانما ولد يحي قبل المسيح بثلاث سنين (١) . وقيل : بستة أشهر ، وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان (قال : رب أني يكون لى ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر) وكان عمره اثنتين وتسعين سنة ، وقيل : مائة وعشرين سنة . وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة . فقيل له : (كذلك الله يفعل

(١) فى الاصحاح الأول من انجيل لوقا مايفيد أنهما كانتا حاملتين معا *

Marfat.com

مايشاء) وانما قال ذلك استخباراً هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها لا إنكارا لقدرة الله تعالى (قال : رب اجعل لى آية قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) قال : أمسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية، والرمز الاشارة فلما ولد رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع . مقرون الحاجبين . دقيق الصوت قويا فى طاعة الله مذكان صبيا، قال الله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) قيل : انه قال له يوما الصبيان امثاله : يايحى اذهب بنا نلعب ، فقال لهم ماللعب خلقت ، وكان يأكل العشب وأوراق الشجر ، وقيل كان يأكل خبز الشعير، ومر به إبليس ومعه رغيف شعير ، فقال : أنت تزعم أنك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير، فقال : يحيي ياملعون هو القوت ، فقال إبليس : ان الأقل من القوت يكفى لمن يموت ، فأوحى الله اليه اعقل مايقول لك *

ونبيء صغيرا فكان يدعو الناس إلى عبادة الله ، ولبس الشعر ، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أينما جنه الليل أقام ، ولم يكن له عبد ولا أمة واجتهد فى العبادة ، فنظر يوماً الى بدنه وقد نحل . فبكى . فأوحى الله اليه يايحي أتبكى لما نحل من جسمك . وعزتى وجلالى لو اطلعت فى النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر . فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه . وبدت أضراسه للناظرين . فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه . وأقبل زكريا ومعه الأحبار . فقال : يابني مايدعوك إلى هذا قال : أنت أمرتنى بذلك حيث قلت : ان بين الجنة والنار عقبة لايجوزها إلا البكاؤن من خشية الله . فقال : فابك واجتهد إذن . فصنعت له أمه قطعتي لبد على خديه توارى أضراسه . فكان يبكى حتي يبلهما . وكان زكريا إذا أراد أن يعظ الناس نظر فان كان يحي حاضرا لم يذكر جنة ولا نارا * .

وبعث الله عيسى رسولا نسخ بعض أحكام التوراة . فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الأخ . وكان لملكهم واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فنهاه يحي عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها قالت لها إذا سألك الملك ماحاجتك ؟ فقولى : أن تذبح يحي بن زكريا . فلما دخلت عليه وسألها ماحاجتك؟ قالت: أريد أن تذبح يحي بن زكريا[1]

---

(١) الذى فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى والاصحاح الثالث من انجيل لوقا ان هيرودس لما تزوج هيرودیا امرأة فيلبس اخيه اعترض عليه يحي فحبسه وفى حفلة ولادة هيرودس رقصت ابنته فارضته وارضت الحاضرين فوعدها بانفاذ ما تطلب فكفته — بناء على ايعاز والدتها — بقطع رأس يحي ووضعه فى طبق فامر بقطع رأسه فى السجن وهو كاره ولكن فعل تنفيذا لوعده *

Marfat.com

فقال : سلى غير هذا قالت : ما أسالك غيره ، فلما أبت دعا بيحي ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عيني ، فصعدت الى سطح قصرها ، فسقطت منه الى الأرض ولها كلاب ضارية تحته ؛ فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهى تنظر ، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر ؛ فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلى حتي بعث الله بختنصر عليهم (١) فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم ، فألقى الله فى قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن ، فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم *

وقال السدى نحو هذا غير انه قال أراد الملك أن يتزوج بنت امرأة له ، فنهاه يحي عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحي ، فأرسل اليه فقتله ، وأحضر رأسه فى طست وهو يقول له لاتحل لك ، فبقى دمه يغلى فطارح عليه تراب حتي بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر فى جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم ، فأراد الرجوع فأتته امرأة من بنى اسرائيل ، فقالت : بلغنى أنك تريد العود قال نعم ؛ قد طال المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم ، فقالت إن فتحت لك المدينة أتقتل من آمرك بقتله وتكف اذا أمرتك ؟ قال : نعم قالت : اقسم جندك أربعة أقسام على نواحى المدينة ، ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ، وقولوا اللهم إنا نستفتحك على دم يحي بن زكريا ففعلوا فخرب سور المدينة فدخلوها فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحي بن زكريا حتي يسكن ، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فأمرته بالكف وكف *

وخرب بيت المقدس ، وأمر أن تلقى فيه الجيف ، وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بنى اسرائيل منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت ، فكان دانيال أكرم الناس عليه ، فحسدهم المجوس وسعوا بهم الى بختنصر وذكر نحو ما تقدم من إلقائهم الى السبع ونزول الملك عليهم ، ومسخ بختنصر ومقامه فى الوحش سبع سنين *

وهذا القول ومالم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو الذى خرب بيت المقدس ، وقتل بنى اسرائيل عند قتلهم يحي بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ ، وأهل العلم بامور الماضين ، وذلك أنهم أجمعون مجمعون على أن بختنصر غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا فى عهد أرميا بن حلقيا ، وبين عهد أرميا وقتل يحي أربعمائة سنة وإحدى

(١) تخريب ما بعده تخريب نينوى بختنصر الذى فى سنة ٦٠٦ قبل الميلاد من يحي الذى ولد فى أول عام للميلاد ؟ *

وستون سنة (١) عند اليهود والنصارى ويذكرون أن ذلك فى كتبهم وأسفارهم مبين، وتوافقهم المجوس فى مدة غزو بختنصر بني إسرائيل الى موت الاسكندر وتخالفهم فى مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيي ، فيزعمون أن مدة ذلك كانت إحدى وخمسين سنة *

وأما ابن إسحق فانه قال : الحق أن بني اسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا، ثم عادوا يحدثون الأحداث ويعود الله سبحانه وتعالى عليهم ، ويبعث فيهم الرسل ، ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيي وعيسى ابن مريم عليهم السلام فقتلوا يحيي وزكريا ، فابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له : جودرس، فسار اليهم حتي دخل عليهم الشام ، فلما دخل عليهم بيت المقدس قال : لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل : اني كنت حلفت لئن أنا ظفرت ببنى اسرائيل لأقتلنهم حتي تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد من أقتله ، وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم حتي يبلغ ذلك منهم ، فدخل نبوزاذان المدينة ، فأقام فى المدينة التي يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى ، فقال يابني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى ؟ فقالوا هذا دم قربان لنا لم يقبل فلذلك هو يغلى فقال : ما صدقتمونى الخبر فقالوا : انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رءوسهم فلم يهدأ فامر بسبعمائة من علمائهم ، فذبحوا على الدم فلم يهدأ *

فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم : يابنى اسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم فى الارض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أدع منكم نافخ نار ولا ذكرا الا قتلته ، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر ، وقالوا : هذا نبي كان ينهانا عن كثير ما يسخط الله ويخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه ؛ فقال : ما كان اسمه، قالوا: يحيي ابن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم ، وخر ساجدا،وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة واخرجوا من ههنا من جيش جودرس ، ففعلوا وخلا فى بني اسرائيل ، ثم قال للدم : يا يحيي قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان

(١) بل أكثر من خمسمائة سنة *

Marfat.com

القتل ، وقال : آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره *
ثم قال لبنى اسرائيل ان جودرس أمرنى ان أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم فى عسكره ، ولست أستطيع ان أعصيه قالوا افعل فأمرهم ان يحفروا حفيرة ، وأمر بالخيل ، والبغال والحمير ، والبقر ، والغنم ، والابل فذبحها حتي كثر الدم وأجرى عليه ماء ، فسال الدم فى العسكر ، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فالقوا فوق المواشى ، فلما نظر جودرس الى الدم قد بلغ عسكره أرسل الى نبوزاذان أن ارفع القتل عنهم ؛ فقد انتقمت منهم بما فعلوا ، وهى الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببنى اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ (وقضينا الى بني إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوّا كبيرا * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وعسى من الله حق ، وكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده ، ثم رد الله سبحانه لهم الكرة ، ثم كانت الوقعة الأخيرة جودرس وجنوده ، وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى (وليتبروا ما علوا تتبيرا [1]) : وزعم بعض أهل العلم : ان قتل يحيي كان أيام أردشير [2] بن بابك وقيل : كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم *

﴿ ذكر قتل زكريا ﴾

لما قتل يحيي وسمع أبوه بقتله فرّ هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار ، فارسل الملك فى طلبه ، فمر زكريا بالشجرة ، فنادته هلمّ الىّ يانبي الله فلما أتاها انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقى فى وسطها ، فأتي عدو الله إبليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ، ثم لقى الطلب فأخبرهم ، فقال لهم : ماتريدون ؟ فقالوا نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها قالوا : لانصدقك : قال فان لى علامة تصدقونى بها فأراهم طرف ردائه ، فأخذوا الفؤس وقطعوا الشجرة اثنتين

---

(١) ان الذى خرب بيت المقدس الخراب الثانى هو طيطوس الرومانى *
(٢) هذا خطأ فان اردشير وحد المملكة الفارسية سنة ٢٣٠ قبل ميلاد المسيح *

Marfat.com

Marfat.com

وشقوها بالمنشار فمات زكريا فيها، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم به منهم * وقيل ان السبب فى قتله أن إبليس جاء الى مجالس بني اسرائيل، فقذف عز كريا بمريم وقال لهم : ما أحبلها غيره، وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوه فهرب وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم (١) *

﴿ ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره ﴾

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف ، قالت المجوس : كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل (٢) وبعد إحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين ، وقالت النصارى: ان ولادته كانت لمضى ثلثمائة وثلاث وستين سنة (٣) من وقت غلبة الاسكندر على أرض بابل ، وزعموا أن مولد يحيي كان قبل مولد المسيح بستة أشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة، وقيل عشرين ، وأن عيسى عاش الى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة ، وان يحيي قتل قبل أن يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة *

وقد ذكرنا حال مريم فى خدمة الكنيسة وكانت هى وابن عمها يوسف بن يعقوب ابن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة ، وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك ، وقالت النصارى : إن مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها إلا انه لم يقربها إلا بعد رفع المسيح (٤) والله أعلم *

وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة ، فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها ، فقالت ليوسف : ليذهب معها إلى الماء ، فقال : عندى من الماء

---

(١) دخول زكريا عليه السلام الشجرة لا اصل له وانما هو محض افتراء اه واى فائدة لدخوله فى الشجرة وبقاء طرف ردائه عرضة لنظر طالبيه ؟ وهذه بلاشك دسيسة لاعظام مقام ابليس حيث أفسد المعجزة وقتل نبى الله زكريا عليه السلام والعجب من ايراد أمثال هذه المنكرات فى الكتب الاسلامية . الادارة (٢) هذا غلط والصحيح ان ذلك كان بعد الاسكندر بأكثر من ثلثمائة سنة (٣) وهذا أيضا غلط لان المدة اقل من ذلك بقليل (٤) هذا يخالف ما فى انجيل مرقس اصحاح ٦ فقرة ٣ ونصها . أليس هذا هو النجار بن مريم واخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ اوليست اخواته ههنا عندنا؟ وفى انجيل متى اصحاح ١٢ فقر ٤٦ وفيما هو يكلم الجموع اذا امه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه ٤٧ فقال له واحد هوذا امك واخوتك واقفون خارجا طالبين ان يكلموك ٤٨ فاجاب وقال للقائل له من هى أمى ؟ ومن هم اخوتى ؟ ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمى واخوتى

ما يكفينى إلى غد، فأخذت قلتها وانطلقت وحدها حتي دخلت المغارة، فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها (بشرا سويا)، فقال لها: يامريم ان الله قد بعثني اليك (لأهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مطيعا لله، وقيل: هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلا، (قال: انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا، قالت: أني يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) أى زانية، (قال: كذلك قال ربك) الى قوله (أمرا مقضيا)*

فلما قال: ذلك استسلمت لقضاء الله، فنفخ فى جيب درعها، ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح، وملأت قلتها، وعادت، وكان لا يعلم فى أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار. وكان معها - وهو أول من أنكر حملها. فلما رأى الذى بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط. واذا أراد أن يبرئها رأى الذى بها. فلما اشتد ذلك عليه كلمها. فكان أول كلامه لها أن قال لها: انه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على أن أميته وأكتمه فغلبنى. فقالت: قل قولا جميلا. فقال: حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد بغير ذكر؟ قالت له: نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر؟ ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحدة منها وحده أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر، قال يوسف: لا أقول هكذا، ولكنى أقول: إن الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون، قالت له ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شيء من الله لا يسعه أن يسالها عنه لما رأى من كتمانها له، وقيل إنها خرجت الى جانب الحجرات لحيض أصابها، فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران، فلما طهرت اذا برجل معها وذكر الآيات، فلما حملت أتتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا إني حبلى، فقالت لها مريم وأنا أيضا حبلى، قالت امرأة زكريا: فاني وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وولدت امرأة زكريا يحيي وقد اختلف فى مدة حملها، فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى، وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره، وقيل ستة أشهر، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى: (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) عقبه بالفاء*

Marfat.com

Marfat.com

فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقى فأتت أقصاه (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت) وهى تطلق من الحبل إستحياء من الناس(ياليتني مت قبل هذاو كنت نسيامنسيا) تعني نسى ذكرى وأثرى فلا يرى لى أثر ولا عين قالت مريم : كنت اذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه فى بطنى (فناداها) جبرائيل(من تحتها)أى من أسفل الجبل (لاتحزنى قدجعل ربك تحتك سريا)وهو النهر الصغير أجراه تحتها فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادى جبرائيل ومن فتحهاقال : إنه عيسى انطقه الله (وهزى اليك بجذع النخلة) كان جذعا مقطوعا فهزته فاذاهو نخلة وقيل : كان مقطوعافلما أجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب فقيل لها :(وهزى اليك بجذع النخلة) فهزته فتساقط الرطب فقال لها (فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) وكان من صام فى ذلك الزمان لايتكلم حتى يمسى *

فلما ولدته ذهب إبليس فأخبر بنى اسرائيل أن مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتدون بدعوتها ، (فأتت بهقومها تحمله) ، وقيل . إن يوسف النجار تركها فى مغارة أربعين يوما، ثم جاء بها الى أهلها ، فلما رأوها قالوا لها : (يامريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) فما بالك أنت ؟ وكانت من نسل هرون أخى موسى كذا قيل *

قلت : إنها ليست من نسل هرون إنما هى من سبط يهوذ بن يعقوب من نسل سليمان ابن داود ، وانما كانوا يدعون بالصالحين ، وهرون من ولد لاوى بن يعقوب *

قالت لهم ماأمرها الله به بعد ذلك . فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام (أشارت اليه) فغضبوا ، وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها ، (قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا)؟ فتكلم عيسى ، فقال : (إني عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا)فكان أول ماتكلم به العبودية ليكون أبلغ فى الحجة على من يعتقد أنه إله ، وكان قومهاقد أخذوا الحجارة ليرجموها ، ،فلما تكلم ابنها تركوها ، ثم لم يتكلم بعدها حتي كان بمنزلة غيره من الصبيان ، وقال بنو اسرائيل : ما أحبلها غير زكريا فانه هو الذى كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ، ففر منهم ، ثم أدركوه ، فقتلوه ،:وقيل فى سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره *

وقيل : إنه لما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك ، فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوك وولدك ؛ فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى أرض مصر فلما وصلا الى تخوم مصر أدركها المخاض فلما وضعت وهى محزونة قيل لها (لاتحزني) الآية. الى إنسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك فى الشتاء ، وأصبحت الأصنام منكوسة على رؤسها ، وفزعت الشياطين فجاؤا الى إبليس ، فلما رأى جماعتهم سألهم فأخبروه ، فقال قد حدث فى الأرض حادث ، فطار عندذلك وغاب عنهم ، فمر بالمكان الذى ولدفيه عيسى ، فرأى الملائكة محدقين به ، فعلم أن الحدث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى ، فعادالى أصحابه وأعلمهم بذلك ، وقال لهم : ما ولدت امرأة إلا وأنا حاضر وإنى لأرجو أن أضل به أكثر ممن يهتدى ، واحتملته مريم الى أرض مصر ، فمكث اثنتى عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبيها *

قلت والقول الأول فى ولادته بأرض قومها للقرآن أصح لقول الله تعالى (فأتت به قومها تحمله) وقوله (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) وقيل : إن مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهى الربوة التي ذكرها الله تعالى ، وقيل الربوة دمشق ، وقيل بيت المقدس ، وقيل غير ذلك ، فكان سبب ذلك الخوف من ملك بنى اسرائيل ، وكان من الروم واسمه هيردوس ، فان اليهود أغروه بقتله ، فساروا الى مصر ، وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى أن مات ذلك الملك وعادوا الى الشام ، وقيل : ان هيردوس لم يرد قتله ولم يسمع به إلا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله أعلم *

﴿ ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته ﴾

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان ، وكانت داره يأوى اليها الفقراء والمساكين فسرق له مال فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم ، فلما رأى عيسى حزن أمه قال : أتريدين ان أدله على ماله؟ قالت : نعم قال إنه أخذه الأعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الأعمى المقعد فاخذه ، فقيل للأعمى ليحمل المقعد فاظهر العجز ، فقال له المسيح : كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال فاعترفا وأعاداه ، ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك . فلما رآه عيسى دخل بيتا للدهقان فيه صفان من جرار . فأمر عيسى بيده على افواهها وهو يمشى . فامتلأت شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة . وكان فى الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما كانوا يأكلون . قال وهب : بينما عيسى يلعب مع

Marfat.com

الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله. فالقاه بين رجلي المسيح متلطخا بالدم فانطلقوا به الى الحاكم في ذلك البلد، فقالوا قتل صبيا، فسأله الحاكم، فقال ما قتلته فأرادوا أن يبطشوا به. فقال ائتوني بالصبي حتى أسأله من قتله. فتعجبوا من قوله وأحضروا عنده القتيل، فدعا الله فأحياه، فقال: من قتلك، فقال قتلني فلان يعني الذي قتله. فقال بنو اسرائيل للقتيل: من هذا. قال هذا عيسى ابن مريم، ثم مات الغلام من ساعته *

وقال عطاء: سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده. فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة، فقال للمسيح هذه ثياب مختلفة الألوان. وقد جعلت في كل ثوب منها خيطا على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتي أعود من حاجتي هذه فاخذها المسيح وألقاها في جب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال: أين هي؟ قال في هذا الجب قال كلها؟ قال نعم قال لقد أفسدتها على أصحابها وتغيظ عليه فقال له المسيح: لا تعجل وانظر اليها وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه، فتعجب الصباغ منه، وعلم أن ذلك من الله تعالى *

ولما عاد عيسى وأمه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة، وبها سميت النصارى. فأقام الى أن بلغ ثلاثين سنة. فأوحى الله اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى، ويداوي المرضى والزمني والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به. وأحبه الناس، وكثر أتباعه، وعلا ذكره *

وحضر يوما طعام بعض الملوك، وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص، فقال الملك من أنت؟ قال أنا عيسى ابن مريم، فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من أصحابه، فكانوا الحواريين. وقيل: ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره وأصحاب له: وقيل: كانوا صيادين: وقيل قصارين، وقيل ملاحين والله أعلم، وكانت عدتهم اثني عشر رجلا، وكانوا اذا جاعوا أو عطشوا قالوا ياروح الله قد جعنا وعطشنا، فيضرب يده الى الأرض. فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وما يشربون. فقالوا: من أفضل منا؟ اذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا. فقال: أفضل منكم من يأكل من كسب يده. فصاروا يغسلون الثياب بالأجرة *

ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صور من الطين صورة طائر. ثم نفخ فيه فيصير طائرا باذن الله، قيل هو الخفاش. وكان غالب على زمانه الطب. فأتاهم. بما أبرأ

الأكمه والأبرص وأحيا الموتى تعجيزا لهم * فمن أحياه عازر . وكان صديقا لعيسى. فمرض فارسلت أخته الى عيسى أن عازر يموت . فسار اليه وبينهما ثلاثة أيام. فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام . فأتي قبره فدعا له فعاش وبقى حتى ولدله * وأحيا امرأة وعاشت وولد لها .وأحيا سام بن نوح كان يوما مع الحواريين يذكر نوحا والغرق والسفينة ، فقالوا : لو بعثت لنا من شهد ذلك فأتي تلاً ، وقال : هذا قبر سام بن نوح. ثم دعا الله فعاش .وقال: قد قامت القيامة . فقال المسيح . لا ولكن دعوت الله فأحياك، فسألوه فأخبرهم ، ثم عاد ميتا * وأحيا عزيرا النبي قال له بنو إسرائيل : أحى لنا عزيرا والا أحرقناك ، فدعا الله فعاش ، فقالوا : ما تشهد لهذا الرجل ؟ قال أشهد انه عبد الله ورسوله* وأحيا يحي بن زكريا * وأحيا غير من ذكرناه ، وكان يمشى على الماء[1] *

﴿ ذكر نزول المائدة ﴾

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة ، وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له :ياعيسى(هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) ؟ فدعا عيسى ؛ فقال : (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) ، فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأ كلون منها ولا تنفد ،فقال لهم : إنها مقيمة مالم تدخروا منها فما مضى يومهم حتي ادخروا ، وقيل : أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتي وضعوها بين أيديهم ، فأ كل منها آخر الناس كما أ كل أولهم ، وقيل كان عليها من ثمار الجنة ، وقيل : كانت تمد بكل طعام إلا اللحم ، وقيل : كانت سمكة فيها طعم كل شيء فلما أ كلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد أنك رسول الله ، ثم تفرقوا ، فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده ، وقالوا سحر أعينكم ، فافتتن بعضهم وكفر ، فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا *

وقيل : كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى ، وقال : اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحها، فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟، فقال المسيح

---

(١) فى هذا الباب اتى المؤلف بقليل من الحق وكثير من الباطل الذى لم يؤيد بخبر صحيح *

Marfat.com

لامن طعام الدنيا ولا من طعام الأخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته ، فقال لهم : كلوا مما سألتم ، فقالوا له : كل أنت يا روح الله ، فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها ، فدعا المرضى والزمني والفقراء ، فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبعوا وهى بحالها لم تنقص ، فصح المرضى والزمني ، واستغنى الفقراء ، ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها *

وقيل : إنها نزلت أربعين يوما كانت تنزل يوما وتنقطع يوما ، وأمر الله عيسى أن يدعو اليها الفقراء دون الأغنياء ، ففعل ذلك ، فاشتد على الأغنياء وجحدوا نزولها وشكوا فى ذلك وشككوا غيرهم فيها ، فأوحى الله إلى عيسى انى شرطت أن أعذب المكذبين عذابا لاأعذب به أحدا من العالمين ، فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا ، فاصبحوا خنازير ، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى ، وبكوا ، وبكى عيسى على الممسوخين ، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا [1] *

﴿ ذكر رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أمه وعوده إلى السماء ﴾

قيل : ان عيسى استقبله ناس من اليهود ، فلما رأوه قالوا : قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وأمه ، فسمع ذلك ودعا عليهم ، فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير ، فلما رأى ذلك رأس بنى اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله ، فاجتمعوا عليه ؛ فسألوه ؛ فقال يامعشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل ، فأدخله فى خوخة الى بيت فيها روزنة [2] فى سقفها ، فرفعه الى السماء من تلك الروزنة ، فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله ، فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح ، فخرج اليهم ، فظنوه عيسى ، فقتلوه وصلبوه *

وقيل : ان عيسى قال لأصحابه أيكم يحب ان يلقى عليه شبهى وهو مقتول ؟ فقال رجل منهم : أنا ياروح الله فألقى عليه شبهه فقتل وصلب * وقيل : ان الذى شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلى اسمه يوشع أيضا *

---

(١) مسألة المائدة وهى الخمسة الارغفة والسمكتين مذكورة فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى والسادس من مرقس والتاسع من لوقا (٢) هى الكوة اه قاموس *

Marfat.com

وقيل : لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعاما ،فقال: اجضروني الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم ،وقام يخدمهم ، فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه ، فتعاظموا ذلك وكرهوه ، فقال من يرد علىّ الليلة شيئا مما أصنع فليس مني فأقروه حتى فرغ من ذلك ، ثم قال : أما ماخدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن بي أسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض ، وأما حاجتى التى أستعينكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتي ما يستطيعون الدعاء ، فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لى ليلة ؟ قالوا : والله ما ندرى مالنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء حيل بيننا وبينه ، فقال : يذهب بالراعى ويفترق الغنم وجعل ينعى نفسه ، ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة ،وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون أحد الحواريين ،وقالوا هذا صاحبه *

واختلف العلماء فى موته قبل رفعه الى السماء ،فقيل :رفع ولم يمت ، وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعه ولما رفع الى السماء قال الله له انزل فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد ، وقال : ما أنا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثا ، فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك ،وأتي أحد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما ، فأتي معهم الى البيت الذى فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذى دلهم عليه ، فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا ، فهلا تنجى نفسك : وهو يقول أنا الذى دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها *

وقيل : ان اليهود لما دلهم عليه الحوارىّ اتبعوه وأخذوه من البيت الذى كان فيه ليصلبوه ، فاظلمت الأرض ، وأرسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذى دلهم عليه ، فاخذوه ليصلبوه ، فقال : أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه ، فقتلوه وصلبوه عليها [1] *

---

(١) هذا هو الوجه المرضى والذى ذكره برنابا حوارى المسيح فى الفصل السابع عشر بعد المائتين من انجيله وماعداه من الروايات باطل *

Marfat.com

ورفع الله المسيح اليه بعد أن توفاه ثلاث ساعات، وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعه ثم قال له ، انزل الى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام ، فاشتعل الجبل حين هبط نورا وهى[1] عند المصلوب تبكى ، ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون ، فقال : ماشأنكما تبكيان ؟ قالتا : عليك ، قال : اني رفعني الله اليه ولم يصبنى إلا خير ، وإن هذا شيء (شبه لهم) وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض رسلا عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش والبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، وطار مع الملائكة فهو معهم ، فصار إنسيا ملكيا سماويا أرضيا ، فتفرق الحواريون حيث أمرهم ، فتلك الليلة التى أهبطه الله فيها هى التي تدخن فيها النصارى *

وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم ، فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس ، وكانوا تحت يده ، وكان صاحب وثن ، فقيل له: إن رجلا كان فى بني إسرائيل ، وكان يفعل الآيات من إحياء الموتي وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب ، فعدوا عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، فقال الملك : ويحكم ما منعكم أن تذكروا هذا من أمره : فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدى اليهود وسألهم عن دين عيسى ، فأخبروه ، وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذى شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التى صلب عليها فاكرمها وصانها ، وعدا على بني إسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة * فمن هناك كان أصل النصرانية[2] فى الروم ، وقيل: كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الأعظم الملقب قيصر واسمه طيباريوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأياما *

﴿ ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد ﷺ ﴾

زعموا ان ملك الشام جميعه صار بعد طيباريوس الى ولده جايوس : وكان ملكه اربع سنين ، ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده

---

(١) لم تكن امه هى التى تبكى عند القبر او موضع الصلب ولكنها مريم المجدلية ومريم الأخرى اخت مرثا وهى مريم ام يعقوب يراجع اصحاح ٢٠ من يوحنا واصحاح ٢٤ لوقا واصحاح ٦ مرقس واصحاح ٢٨ متى

(٢) اصل النصرانية فى الروم الحواريون الذين ذهبوا الى بلادهم ونشروا الدين بينهم *

Marfat.com

Marfat.com

نيرون الذى قتل بطرس وبولس فصلبهما منكسين أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده بوطلايس أربعة أشهر ، ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذى وجه ابنه طيطوس إلى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني اسرائيل غضبا للمسيح[1] ثم ملك ابنه طيطوس ، ثم ملك أخوه دومطيانوس ست عشرة سنة ، ثم ملك بعده ناروا س ست سنين، ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة . ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ، ثم ملك من بعده انطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة . ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ، ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك من بعده فرطينا جوس ستة أشهر ثم ملك بعده سيواروش، أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده انطينانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين . ثم ملك من بعده انطينانوس أربع سنين وفى ملكه مات جالينوس الطبيب ، ثم ملك الخسندروس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك مكسيمانوس ثلاث سنين ، ثم ملك جورديانوس ست سنين . ثم فيلفوس سبع سنين ، ثم ملك داقيوس ست سنين ؛ ثم ملك قالوس ست سنين ، ثم ملك والريانوس وقالينوس خمس عشرة سنة ، ثم ملك قلوديوس سنة . ثم ملك قريطاليوس شهرين . ثم مالك أورليانوس خمس سنين ، ثم ملك طيقطوس ستة أشهر . ثم ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوما ثم ملك فرويوس ست سنين ، ثم ملك دقلطيانوس ست سنين ، ثم ملك مخسيميانوس عشرين سنة ، ثم قسطنطين ثلاثين سنة . ثم ملك يليانوس سنتين ، ثم ملك يويانوس سنة، ثم ملك والنطيانوس وغرطيانوس عشر سنين، ثم ملك خرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة ، ثم ملك تيداسيس الأكبر سبع عشرة سنة ، ثم ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة . ثم ملك تيداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ، ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ؛ ثم ملك لاوست عشر سنين ، ثم ملك زانون ثمانى عشرة سنة ، ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة . ثم ملك يوسطنيانوس تسع سنين ، ثم ملك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة ، ثم ملك يوسطينس اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك طيباريوس ست سنين ثم مريقيش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ، ثم ملك فوقا الذى قتل سبع سنين وستة أشهر ،

---

(١) لم يكن ذلك غضبا للمسيح ولكن اليهود طمعوا فى ان يتحرروا من ربقة الرومان فجاء اليهم وقتلهم وهدم هيكلهم وخرب بيت المقدس وشتتهم فى بقاع الارض وقد ألف فى ذلك احد قوادهم كتابا هو عمدة المؤرخين فى شأنهم واسمه يوسفوس وكان قائد فرقة فى جهة رفح *

ثم هرقل الذى كتب اليه النبى ﷺ ثلاث سنين *

فمن لدن عُمرَ البيتَ المقدس بعد أن أخربه بختنصر الى الهجرة على قولهم الف سنة ونيف ، ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة ، فمن ذلك من وقت ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثلثمائة سنة وثلاث سنين ؛ ومن مولده الى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر. هذا الذى ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم ، وقد أخلى ذكرهم عن شىء من الحوادث التي كانت فى أيامهم ، وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ ، وخالفه فى كثير منها ، ووافقه فى الباقى مع مخالفة الاسم وأضاف الى أسمائهم ذكر شىء من الحوادث فى أيامهم وأنا أذكره مختصراً إن شاء الله *

﴿ ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الأولى الصابئون ﴾

ذكر غير واحد من علماء التاريخ أن الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير ، والاسرائيليون يدعون أن صوفير هو الأصغر ابن نفر بن عيص بن إسحق بن ابراهيم وكانوا ينزلون رومية قبل غلبتهم على اليونان ، وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابئين . فكان أول ملوكهم برومية غاليوس ؛ وكان ملكه الاني عشرة سنة ؛ وقيل : كان ملك قبله روملس وأرمانوس وهما بنياها واليهما نسبت وأضيف الروم إليها ، وإنما غاليوس أول من يعد فى التاريخ لشهرته ، ثم ملك بعده يوليوس أربع سنين وأربعة أشهر ، ثم ملك أوغسطس — ومعناه الصباء — وهو أول من سمى قيصر ، وتفسير ذلك انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهى حامل به فاخرج من بطنها ثم صار ذلك لقبا لملوكهم ، وكان ملكه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر ، وأكثر المؤرخين يبتدئون باسمه لأنه أول من خرج من رومية ، وسير الجنود برا وبحرا ، وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم ، وقتل كيلوبطرة آخر ملوكهم ، واستولى على الاسكندرية ونقل مافيها إلى رومية ، وملك الشام ، واضمحل ملك اليونانيين ودخلوا فى الروم ، واستخلف على البيت المقدس هيردوس بن انطيقوس ، ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح ، وهو الذى بنى قيصارية *

ثم ملك بعده طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة ، وهو الذى بنى مدينة طبرية فأضيفت

Marfat.com

اليه وعربها العرب : وفى ملكه رفع المسيح عليه السلام . وملك بعد رفعه ثلاث سنين * ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين . وهو الذى قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدى . وهما من الحواريين ، وقتل خلقا من النصارى ، وهو أول الملوك من عباد الأصنام قتل النصارى ، ثم ملك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة ، وفى ملكه حبس شمعون الصفا ، ثم خلص شمعون من الحبس وسار إلى أنطاكية فدعا إلى النصرانية ثم سار إلى رومية فدعا أهلها أيضا فأجابته زوجة الملك ، وسارت إلى البيت المقدس ، وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها ، وكانت فى أيدى اليهود فأخذتها وردتها إلى النصارى ، ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وفى آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفى أيامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف ، وهو أول الأساقفة بالبيت المقدس فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب فدفنوها ، وفى أيامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا فى صورة الأرض ، ثم ملك بعده غلباس سبعة أشهر ، ثم ملك أوثون ثلاثة أشهر ، ثم ملك بيطاليس أحد عشر شهرا ، ثم ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر ، وفى أيامه خالف أهل البيت المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من أهلها من اليهود والنصارى وعمهم الأذى فى أيامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة أشهر ، وفى أيامه أظهر مرقيون مقالته بالاثنين وهما الخير والشر وبعد ثالث بينهما واليه تنسب المرقونية وهو من أهل حران ثم ملك ذو مطيانش بن أسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة أشهر ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا الحوارى كاتب الانجيل الى جزيرة فى البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة وخمسة أشهر ، ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة ، وفى السادسة من ملكه توفى يوحنا كاتب الانجيل بمدينة أفسوس ، ثم ملك أيليا اندريانوس عشرين سنة وقتل من اليهود والنصارى خلقا كثيرا لخلاف كان منهم عليه وأخرب البيت المقدس وهو أخر خرابه ، فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمره أيضا وسماه أيليا فبقى الاسم عليه فكان قبل ذلك يسمى أورشلم . وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان * وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان عالى البنيان فهدم من أعلاه كثير . وهو باق الى يومنا هذا وهو سنة ثلاث وستمائة ، وقد رأيته وهو محكم البناء ولا أدرى كيف نسب الى داود وقد بي بعده بدهر طويل على أني سمعت بالبيت المقدس من جماعة يذكرون أن

Marfat.com

داود بناه وكان يتفرغ فيه لعبادته *

وفى أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت *

ثم ملك انطنينس بيوس اثنتين وعشرين سنة وفى أيامه كان بطليموس صاحب المجسطى والجغرافيا وغيرهما. وقيل: إنه من ولد قلوديوس، ولهذا قيل له القلودى نسبة اليه وهو السادس من ملوك الروم *

ودليل كونه فى هذا الزمان، وليس من ملوك اليونان، أنه ذكر فى كتاب المجسطى أنه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر، وكان من ملك بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يوما، ومن قتل دارا الى زوال ملك كيلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة، ومدة غلبة أوغسطس الى أنطنينوس مائة وسبع وستون سنة فمذ ملك بختنصر الى أدريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريبا، وهذا موافق لما حكاه بطليموس *

قال: ومن زعم أن ابن كيلو بطرة آخر ملوك اليونانيين، فقد أبطل ذكر هذا بعض العلماء بالتاريخ وعدملوك اليونان وذكر مدة ملكهم على ما قال* وأما أبو جعفر الطبرى فانه ذكر فى مدة ملكهم مائتى سنة وسبعا وعشرين سنة على ما تقدم ذكره *

ثم ملك بعده مرقص، ويسمى أورليوس تسع عشرة سنة، وفى ملكه أظهر ابن ديصان مقالته، وكان أسقفا بالرها وهو من القائلين بالاثنين. ونسب الى نهر على باب الرها يسمى ديصان وجد عليه منبوذا، وبنى على هذا النهر كنيسة *

ثم ملك قومودوس اثنتي عشرة سنة، وفى أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس القلودىّ، وكان دين النصرانية قد ظهر فى أيامه. وذكرهم فى كتابه فى جوامع كتاب أفلاطون فى السياسة *

ثم ملك برطينقش ثلاثة أشهر * ثم ملك يوليانوس شهرين * ثم ملك سيوارس سبع عشرة سنة، وشمل اليهود والنصارى فى أيامه القتل والتشريد، وبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما سماه هيكل الآلهة * ثم ملك أنطونيوس ست سنين * ثم ملك مقرونيوس سنة وشهرين * ثم ملك أنطونيوس الثانى أربع سنين * ثم ملك الاكصندروس ويلقب بامياس ثلاث عشرة سنة * ثم ملك مقسميانوس ثلاث سنين * ثم ملك مقسموس

Marfat.com

ثلاثة أشهر * ثم ملك غرديانوس ست سنين * ثم ملك فيلبوس ست سنين وتنصر وترك دين الصابئين ، وتبعه كثير من أهل مملكته ، واختلفوا لذلك ، وكان فيمن خالفه بطريق يقال له داقيوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك، ثم ملك بعده فيلبس داقيوس سنتين، وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار فى جبل شرقى مدينة أفسوس ، وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة *

وهذا باطل لأنه على هذا السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتى سنة وخمس عشرة سنة ، وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلاثمائة سنين (وازدادوا تسعا) ، فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ؟ فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة ؛ وقد ذكرنا أن من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتى سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبى عليهما الصلاة والسلام إلا أن هذا الناقل قد ذكر أن غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما تراه مذكورا ، وفيه مخالفة للقرآن ؛ ولولا نص القرآن لكان استقام له مايريد *

ثم ملك بعده غليوس سنتين وكان شريكه فى الملك يوليانوس ملك خمس عشرة سنة * ثم ملك قلوديوس ثم ملك ابنه أورليانوس ست سنين * ثم ملك طافسطوس وأخوه فورس تسعة أشهر * ثم بروبس تسع سنين * ثم ملك قاروس سنتين وخمسة أشهر * ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة * ثم ملك مقسيمانوس وشاركه مقسمطيوس ؛ ثم اقتتل فاقتسم الملك فملك الأب على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم ؛ وملك الابن رومية وما اتصل بها من أرض الفرنج ، وملكا تسع سنين وتملك معهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد بوز نطيا وما يليها وهى نواحى القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ * ثم مات قسطنس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بأمه هيلانا وهو الذى تنصر *

قال ومن أول ملوك الروم الى ههنا كانوا شبيهين بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم فى ملوك الطوائف وانما الذى يعول عليه من قسطنطين الى هرقل الذى بعث محمد ﷺ فى أيامه ولقد صدق قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف ولهذه العلة لم يذكر الطبرى أصحاب الكهف فى زمان أى الملوك كانوا وانما ذكرناه نحن لما فى أيام

Marfat.com

الملوك من الحوادث [1] *

﴿ الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة ﴾

ثم ملك قسطنطين المعروف بأمه هيلانا فى جميع بلاد الروم ، وجرى بينه وبين مقسيمانوس وابنه حروب كثيرة ، فلمامات استولى على الملك وتفرد به ، وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر وهو الذى تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتي قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا فى سبب تنصره ، فقيل : إنه كان به برص وأرادوا نزعه ، فاشار عليه بعض وزرائه ممن كان يكتم النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ، ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته، فقوى بهم وقهر من خالفه ، وقيل : إنه سير عساكر على أسماء أصنامهم فانهزمت العساكر، وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين ، فقال له : وزيره يكتم النصرانية فى هذا وأزرى بالأصنام ، وأشار عليه بالنصرانية فأجابه فظفر ودام ملكه ، وقيل غير ذلك * وهو الذى بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بمكانها الآن اختاره لحصانته ، وهى على الخليج الآخذ من البحر الأسود إلى بحر الروم . والمدينة على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والاندلس ، والروم تسميها استنبول يعنى مدينة الملك ، ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنودس [2] الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه الاجتماع، فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا ؛ فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر اسقفا متفقين غير مختلفين، فحرموا له اريوس الاسكندراني الذى يضاف اليه الاريوسية من النصارى ، ووضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن ، وكان رئيس هذا الجمع بطرق الاسكندرية *

وفى السنة السابعة من ملكه صارت أمه هيلانا الرهاوية ، كان أبوه سباها من الرها ، فاولدها هذا الملك ، فسارت إلى البيت المقدس ، وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها ، وجعلت ذلك اليوم عيدا فهو عيد الصليب ، وبنت الكنيسة المعروفة بقمامة ، وتسمى القيامة وهى إلى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى ، وقيل كان مسيرها بعد ذلك لأن ابنها دان بالنصرانية فى قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه وفى

---

(١) معلوم ان أسماء الملوك المذكورين فى هذا الباب والذى قبله محرفة عن اصلها الرومانى كما هى عادة العرب فى الاسماء التى ينقلونها الى لغتهم وان تصحيح كل اسم — كما هو فى لغته — يطول (٢) كانت فى الأصول السنهودس واصلحها الأستاذ السنودس بلاهاء *

Marfat.com

السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها كنيسة حمص وكنيسة الرها وهى من العجائب *

ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعا وعشرين سنة بعهد من أبيه اليه ، وسلم اليه القسطنطينية ، وإلى أخيه قسطنس انطاكية والشام ومصر والجزيرة ، وإلى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة ؛ وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لاخيهما قسطنطين *

ثم ملك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين . وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفى ذلك فلما ملك أظهرها . وخرب البيع . وقتل النصارى ، وهو الذى سار إلى العراق أيام سابور ابن اردشير فقتل بسهم غرب * وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذى الأكناف ، وهو بعد سابور بن اردشير * ثم ملك بعده يونيانوس سنة أظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطيوش اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر * ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر * ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين *

ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة * وفى ملكه كان السنودس الثاني بمدينة القسطنطينية . اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفا لعنوا مقدونس وأشياعه وكان فيه بطارق الاسكندرية ، وبطارق انطاكية ، وبطارق البيت المقدس * والمدن التي يكون فيها كراسى البطارق أربع : إحداها رومية وهى لبطرس الحوارى ، والثانية الاسكندرية وهى لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة ، والثالثة القسطنطينية ؛ والرابعة انطاكية وهى لبطرس أيضا * ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف * ثم ملك بعده إرقاديوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة * ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ، ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنودس الثالث بمدينة أفسوس وحضر هذا المجمع مائة أسقف ، وكان سببه ماظهر من نسطورس بطارق القسطنطينية ، وهو رأس النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم ، فلعنوه ونفوه ، فسار الى صعيد مصر ، فأقام ببلاد اخميم ، ومات بقرية يقال لهاسيصلح وكثر أتباعه ، وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ، ثم دثرت مقالته الى أن أحياها برصوما مطران نصيبين قديما *

ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف كتاب نهاية الاقدام فى الأصول ومصنف

Marfat.com

كتاب الملل والنحل فى ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون ، وهذا تفرد به ولا أعلم له فى ذلك موافقا *

ثم ملك بعده مرقيان ست سنين ، وفى أول سنة من ملكه كان السنودس الرابع على سقرس بطرق القسطنطينية اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا ، وفى هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى * ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة * ثم ملك ليون الصغير سنة ، وكان يعقوبى المذهب * ثم ملك زينون سبع سنين وكان يعقوبيا فزهد فى الملك ، فاستخلف ابناً له ، فهلك ، فعاد الى الملك * ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة ، وكان يعقوبي المذهب ؛ وهو الذى بني عمورية ، فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفى بالنفقة على بنائها وفضل منه شىء بنى به بيعا وديرة * ثم ملك يوسطين سبع سنين ، وأكثر القتل فى اليعقوبية * ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة ، وبنى بالرها كنيسة عجيبة ، وفى أيامه كان السنودس الخامس بالقسطنطينية ، فحرموا أدريحا أسقف منبج لقوله بتناسخ الأرواح فى أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه ؛ وفى أيامه كان بين اليعاقبة والملكية ببلاد مصر فتن ، وفى أيامه ثار اليهود بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وبنى الملك من البيع والدير شيئاً كثيرا * ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة ، وفى أيامه كان كسرى أنوشروان * ثم ملك طبار يوس ثلاث سنين وثمانية أشهر ، وكان بينه وبين أنوشروان ، مراسلات ومهادات . وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه * ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر ، وفى أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماه يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى وأحدث رأيا يخالف من تقدمه ، وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم يعرف الآن منهم أحد (١) وهذا موريق هو الذى قصده كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام

---

(١) لعل ذلك فى زمن المؤلف بحيث انهم تمزق شملهم ولم يبق منهم ما يصل خبره اليه بسبب ضعفهم بل هذا كان قبل وضع لبنان تحت حماية فرنسا فى سنة ١٢٨٢ هجرية الموافق ١٨٦٦ ميلادية — وذلك بسبب مذبحة وقعت بين المسلمين والنصارى فى الشام — اما بعده فقد اشتد ساعدهم بفرنسا وكثروا وازداد عددهم واصبحوا يزيدون على مائة الف وبعد انتهاء الحرب الكبرى واحتلال فرنسا سورية من بلاد الشام باسم الانتداب فقد جعلت لبنان حكومة على حدة لما ذكرنا ذلك فى صحيفة (١٦٥) ومعظم المستخدمين فى هذه الحكومة الجديدة المسيحية من المارون ولهم بطريركية خاصة مقرها بكركى وكل مفوض افرنسى يأتى الى بلاد الشام فهو مكلف بزيارته رسميا ليعمل له قداس ويصلى له وذلك لان الفظائع الافرنسية التى تزداد كل يوم فى البلاد الشامية لا بد لها من ستار يخفف ويلات

Marfat.com

Marfat.com

جوبين ، فزوجه ابنته ، وأمده بعساكره . وأعاده الى ملكه على مانذكره ان شاء الله * ثم ملك بعده فوقاس . وكان من بطارقة موريق فوثب به فاغتاله فقتله . وملك الروم بعده ، وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر ، ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل ، فلما بلغ ذلك إبرويز غضب، وسير الجنود الى الشام ومصر ، فاحتوى عليهما ، وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا ،وسيرد ذلك عند ذكر ابرويز * ثم ملك هرقل ، وكان سبب ملكه أن عساكر الفرس لما فتكت فى الروم ساروا حتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها وكان هرقل يحمل الميرة فى البحر الى أهلها . فحسن موقع ذلك من الروم، وبانت شهامته وشجاعته ، وأحبه الروم فحملهم على الفتك بفوقاس . وذكرهم سوء آثاره ، ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل*

﴿ ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة ﴾

فاولهم هرقل قد ذكر سبب ملكه ، وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة . وقيل : إحدى وثلاثين سنة ، وفى أيامه كان النبي ﷺ . ومنه ملك المسلمون الشام * ثم ملك بعده ابنه قسطنطين ، وقيل : هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصوارى إن شاء الله ، وفى أيامه كان السنودس السادس على لعن رجل يقال له قورس الاسكندرى خالف الملكية ووافق المارونية * ثم ملك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة فى خلافة على عليه السلام ومعاوية * ثم ملك هرقل الاصغر ابن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر * ثم ملك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك * ثم ملك اسطينان المعروف بالأخرم تسع سنين أيام عبدالملك . ثم خلعه الروم؛ وخرموا أنفه . وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر . واستنجده فلم ينجده ، فانتقل الى ملك برجان * ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين أيام عبدالملك . ثم ترك الملك وترهب * ثم ملك السمين المعروف بالطرسوسى سبع سنين . فقصده اسطينان ومعه برجان . وجرى بينهما حروب كثيرة . وظفر به اسطينان ، وخلعه ، وعاد الى ملكه ،

مشهدها المؤلم فهى تريد ان تجعل لها أعوانا ينشرون دعايتها او ينقلون لها الأخبار بسبب النعرة الدينية التى اتخذتها وفى الحقيقة لولا التعصب لفسد عملها كله لما ترتكب من المظالم وانواع الاستبداد الذى لا يسلم منه احد ممن تحت نفوذها وان كان بعض الشر أهون من بعض فالشر يؤلم صاحبه مهما كان نوعه . الادارة *

Marfat.com

فكان ذلك ايام الوليد بن عبدالملك ، واستقر اسطينان ، وكان قدشرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة ، فعسف الروم وقتل بهاخلقا كثيرا . فاجتمعوا عليه وقتلوه ، فكان ملكه الثانى سنتين ونصفا . وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك * ثم ملك نسطاس بن فيلفوس ، وكان فى أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه * ثم ملك تيدوس المعروف بالأردني فى أيام سليمان بن عبدالملك أيضا . وهو الذى حصره مسلمة بن عبدالملك * ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين لضعفه عن الملك ، وضمن أليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فملكوه ، فكان ملكه ستا وعشرين سنة ، ومات فى السنة التى بويع فيها الوليد ابن يزيد بن عبد الملك * ثم ملك بعده ابنه قسطنطين إحدى وعشرين سنة ، وفى أيامه انقرضت الدولة الأموية ، وتوفى لعشر سنين مضت من أيام المنصور * ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام المنصور ، وتوفى فى خلافة المهدى * ثم ملك بعده ريني امرأة اليون بن قسطنطين ، ومعها ابنها قسطنطين بن اليون ، وهى تدبر الأمر بقية أيام المهدي والهادى وصدراً من خلافة الرشيد ، فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه [1] وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهادنت الرشيد * ثم ملك بعدها نقفور أخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور ابن استبراق وكنت قد رأيته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتي رأيت رجلا زعم أن اسمه نقفور بفتح القاف *

وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده وهو أول من فعل ذلك فى الروم ولم يكن يعرف قبله * وكانت ملوك الروم قبل نقفور تحلق لحاها وكذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور * وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية فكتب نقفور من فلان ملك الروم ، وقال : لست ملك النصرانية كلها ، وكانت الروم تسمى العرب سارقيوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم إسمعيل فنهاهم عن ذلك ، وجرى بين نقفور وبين برجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها *

ثم ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه اليه ، وكان ملكه شهرين * ثم ملك بعده ميخائيل

(١) اى سملت عينه *

Marfat.com

ابن جرجس وهو ابن عم نقفور ، وقيل ابن استبراق، وكان ملكه سنتين فى أيام الأمين وقيل أكثر من ذلك ؛ فوثب به اليون المعروف ، بالبطريق وغلب على الأمر وحبسه * ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر ، فوثب به أصحاب ميخائيل فى خلاص صاحبهم وقتل اليون ، ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل الى الملك ، وقيل : إنه كان قد ترهب أيام اليون ، وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين ، وقيل : أكثر من ذلك * ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة ، وهو الذى فتح زبطرة ، وسار المعتصم بسبب ذلك ، وفتح عمورية ، وكان موته أيام الواثق * ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة ، وكانت أمه تدبر الملك معه ، وأراد قتلها فترهبت ، وحرج عليه رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل فيمن عنده من أسارى المسلمين ، فظفر به ميخائيل فقتل به ، ثم خرج عليه بسيل الصقلبي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين * ثم ملك بعده بسيل الصقلبى عشرين سنة أيام المعتز والمهتدى وصدرا من أيام المعتمد ، وكانت أمه صقلبية فنسب اليها *

وقد غلط حمزة الأصفهانى فيه ، فقال عند ذكر ميخائيل : ثم انتقل الملك عن الروم وصار فى الصقلب فقتله بسيل الصقلبى ظنا منه أن أباه كان صقلبيا *

ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكتفى وصدرا من أيام المقتدر ، وقيل : إن وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين * ثم ملك أخوه الاسكندروس سنة وشهرين ، ومات بالدبيلة ، وقيل : إنه اغتيل لسوء سيرته * ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبى ، وتولى الأمر له بطريق البحر واسمه أرمانوس وشرط على نفسه شروطا : منها أنه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده فلم يمض غير سنتين حتي خوطب هو وأولاده بالملوك ، وجلس مع قسطنطين على السرير ، وكان له ثلاثة من الولد فخصى أحدهم ، وجعله بطرقا ليأمن من المنازعة فان البطرق يحكم على الملك ، فبقى على حاله الى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة ، فاتفق ابناه مع قسطنطين الملك على إزالة أبيهما ؛ فدخلا عليه وقبضاه وسيراه الى دير له فى جزيرة بالقرب من القسطنطينية ، وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوما ، وأرادا الفتك به ، فسبقهما الى ذلك وقبض عليهما وسيرهما الى جزيرتين فى البحر ، فوثب أحدهما بالموكل به ، فقتله أخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه ، وارسلوا راسه الى قسطنطين الملك ، فجزع لقتله ، وأما

ارمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ، ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والقاهر والراضى والمستكفى وبعض أيام المطيع ، ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين ابن أندرونقس ، وكان أبوه قد توجه الى المكتفى سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتوفى ، فهرب ابنه هذا على طريق أرمينية وأذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق كثير وكثر أتباعه ، فسار الى القسطنطينية ، ونازع الملك قسطنطين فى ملكه وذلك سنة إحدى وثلثمائة ، فظفر به الملك فقتله ، وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهى كرسى ملك الافرنج ، وتسمى بالملك ، ولبس ثياب الملوك ، وكان قبل ذلك يطيع ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم ، فلما كان سنة أربعين وثلثمائة قوى ملك رومية ، فخرج عن طاعته ، فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الافرنج ؛ فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الروم ، وعادت الى القسطنطينية منكوبة فكفف حينئذ قسطنطين عن معارضته ، ورضى بالمسالمة ، وجرى بينهما مصاهرة ، فزوج قسطنطين ابنه أرمانوس بابنة ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على بعض بلاد الأندلس على ما نذكره ، وكأخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام ، والبيت المقدس على ما نذكره ، وفى آخر الأمر ملكوا القسطنطينية سنة إحدى وستمائة على ما نذكره ان شاء الله *

ومما ينبغى أن يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم البجناك والبختي وغيرهما ، وقصدوا مدينة للروم قديمة تسمى وليدر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وحصروها ، فبلغ خبرهم الى أرمانوس فسير اليهم عسكرا كثيفا فيهم من المتنصرة اثنا عشر ألفا ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة ، وخربوها بعد أن أكثروا القتل فيها والسبى والنهب ، ثم ساروا الى القسطنطينية وحصروها أربعين يوما ، وأغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ، ثم عادوا راجعين *

﴿ ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة ﴾

قال ابن الكلبى لما مات بختنصر انضم الذين أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار ، وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا واهلها بالأنبار لا يطلع عليهم قادم من العرب ، فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، ومزقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف الشام ؛ وأفلت منهم قبائل حتى

Marfat.com

Marfat.com

نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الأزد، وكان الذين أقبلوا، من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم ابن تيم بن أسد بن وبرة بن قضاعة، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم فى جماعة من قومهم، والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قبيص بن معدّ بن عدنان فى قبيص كلها، ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمى بن اياد بن نزار بن معدّ بن عدنان وغيره من إياد، فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب، وتحالفوا على التنوخ وهو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتساعد، فصاروا يدا واحدة، وضمهم اسم تنوخ، وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم، ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن أوس الازدى الى التنوخ معه، وزوجه أخته لميس فتنخ جذيمة، وكان اجتماعهم أيام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الأرض *

قال: ثم تطلعت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا فى ان يغلبوا الأعاجم فيما يلى بلادالعرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف، فاجمعوا على المسير الى العراق، فكان أول من تطلع منهم الحيقاد بن الحنق فى جماعة من قومه وأخلاط من الناس، فوجدوا الأرمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الأردوانيين وهم ملوك الطوائف، وهو ما بين نفز وهى قرية من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم * والأرمانيون من بقايا إرم فلهذا سموا الأرمانيين وهم نبط السواد، ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الأنبار على ملك الأرمانيين وطلع نمارة ومن معه الى نفز على ملك الأردوانيين؛ وكانوا لايدينون للأعاجم حتى قدمها تبع وهو أسعد أبو كرب بن مليكيكرب فى جيوشه، فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع، ثم رجع اليهم فأقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل *

ونزلت تنوخ من الأنبار الى الحيرة فى الأخبية لايسكنون بيوت المدر، وكان اول من ملك منهم مالك بن فهم، وكان منزله مما يلى الأنبار ثم مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الأزدى، ثم مات فملك بعده جذيمة الأبرش بن فهم، وقيل: ان جذيمة من العادية الأولى من بني دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم *

Marfat.com

﴿ ذكر جذيمة الأبرش ﴾

قال : وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية ، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برص فكنت العرب عنه ، فقيل : الوضاح والأبرش إعظاما له ، وكان منازله مابين الحيرة. والأنبار . وبقة . وهيت. وعين التمر واطراف البر إلى العمير. وخفية ، وتجبي اليه الأموال وتفد اليه الوفود ، وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم من اليمامة ، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبى كرب قد أغار عليهم ، فعاد بمن معه وأصاب حسان سرية لجذيمة فاجتاحها ؛ وكان له صنمان يقال لهما الضيرتان . وكانت اياد بعين أباغ فذكر لجذيمة غلام من لخم فى أخواله من اياد يقال له عدى بن نصر بن ربيعة له جمال وظرف ، فغزاهم جذيمة ، فبعثت اياد من سرق صنميه وحملهما إلى اياد ، فأرسلت اليه ان صنميك أصبحتا فينا زهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزو نادِ فعناهما اليك ، قال : وتدفعون معهما عدىّ بن نصر فأجابوه الى ذلك ، وأرسلوه مع الصنمين ، فضمه الى نفسه وولاه شرابه ، فأبصرته رقاش أخت جذيمة فعشقته وراسلته ليخطبها الى جذيمة ؛ فقال لا أجترىء على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه ، فاسقه صرفا ، واسق القوم ممزوجا ، فاذا أخذت الخمر فيه ، فاخطبني اليه فلن يردك ، فاذا زوجك فأشهد القوم ، ففعل عدى ما أمرته ، فأجابه جذيمة وأملكه اياها ، فانصرف اليها ، فاعرس بها من ليلته وأصبح بالخلوق ، فقال له جذيمة وأنكر مارأى به . ماهذه الآثار ياعدى ؟ قال : آثار العرس قال : أى عرس ؟ قال : عرس رقاش قال : من زوجكها ويحك ؟ قال : الملك ، فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدى فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر ، فأرسل اليها جذيمة

خبرينى وأنت لاتكذبينى أبحرّ زنيت أم بهجين ؟
أم بعبد فأنت أهل لعبد ؟ أم بدون فأنت أهل لدون ؟

فقالت : لابل أنت زوجتني امرءاً عربيا حسيبا ولم تستأمرني فى نفسى ، فكفّ عنها وعذرها ورجع عدىّ إلى اياد ، فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين ، فرمى به فتي منهم فيما بين جبلين فتكسرقمات ، فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا * فلما ترعرع وشب ألبسته وعطرته وأزارته خاله ، فلما رآه أحبه وجعله مع ولده ، وخرج جذيمة متبديا بأهله وولده فى سنة خصيبة ، فأقام فى روضة ذات زهر وغدر ، فخرج ولده وعمرو

Marfat.com

معهم يجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خباها ، فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول

هذا جناى وخياره فيه * إذ كل جان يده فى فيه

فضمه جذيمة اليه و التزمه ، وسر بقوله ، وأمر فجعل له حلى من فضة وطوق ، فكان أول عربي ألبس طوقا ، فبينما هو على أحسن حالة اذ استطارته الجن ، فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ، ثم أقبل رجلان من بلقين قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا فنزلا منزلا ومعهما قينة لهما تسمى أم عمرو ، فقدمت طعاما ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتي عريان قد تلبد شعره وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، فجلس ناحية عنهما . ومد يده يطلب الطعام فناولته القينة كراعا فأكلها ، ثم مد يده ثانية ، فقالت : «لا تعط العبد الكراع فيطمع فى الذراع» فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها وأوكت زقها ، فقال عمرو بن عدى :

صددت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا

وماشرُّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فسألاه عن نفسه ، فقال : ان تنكرانى وتنكرا نسبى ، فانني أنا عمرو بن عدى ابن تنوخية اللخمى وغدا ما تريانى فى نمارة غير معصى ، فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله ، وألبساه ثيابا ، وقالا : ما كنا لنهدى لجذيمة أنفس من ابن أخته ، فخرج به الى جذيمة فسر به سرورا شديدا ، وقال : لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عينى وقلبي الى الساعة ، وأعادوا عليه الطوق فنظر اليه ، وقال : « كبر عمرو عن الطوق » وأرسلها مثلا ، وقال لمالك وعقيل : ما حكمكما ؟ قالا : حكمنا منادمتك مابقينا وبقيت فهما ندمانا جذيمة اللذان يضربان مثلا *

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقى من عاملة العمالقة فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره ، وعاد جذيمة سالما ، وملكت بعد عمرو ابنته الزبّاء واسمها نائلة ، وكان جنود الزبّاء بقايا العماليق وغيرهم . وكان لها من الفرات الى تدمر ، فلما استجمع لها أمرُها واستحكم ملكها اجتمعت لغزو جذيمة تطلب بثار أبيها فقالت لها أختها ربيبة - وكانت عاقلة - إن غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال ، وأشارت بترك الحرب وإعمال الحيلة ،

Marfat.com

فاجابتها الى ذلك و كتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها ، و كتبت اليه انها لم تجد ملك النساء إلا قبحا فى السماع وضعفا فى السلطان ، وانها لم تجد لملكها ولا لنفسها كفؤاً غيره ، فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخف مادعته اليه وجمع اليه ثقاته وهو «بيقة» من شاطىء الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه واستشارهم فأجمع رأيهم على أن يسير اليها ويستولى على ملكها و كان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم ، وكان سعد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا و كان أديبا حازما ناصحا لجذيمة قريبا منه فخالفهم فيما أشاروا به عليه وقال : « رأى فاتر وعدو حاضر » فذهبت مثلا وقال لجذيمة : اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها ، فلم يوافق جذيمة ماأشار به قصير ، وقال له : لا ولكنك امرؤ « رأيك فى الكن لا فى الضح » فذهبت مثلا ، ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى ، فاستشاره ، فشجعه على المسير ، وقال : ان نمارة قومى مع الزباء فلو رأوك صاروا معك فأطاعه ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » وقالت العرب : « بيقة أبرم الأمر » فذهبتا مثلا ، واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وعمرو ابن عبد الجن على خيوله معه ؛ وسار فى وجوه أصحابه ، فلما نزل الفرضة قال لقصير : ما الرأى ؟ قال « بيقة ترك الرأى » فذهبت مثلا ، واستقبله رسل الزباء بالهدايا والألطاف ، فقال ياقصير : كيف ترى ، قال « خطر يسير وخطب كبير » فذهبت مثلا ، وستلقاك الخيول فان سارت أمامك فان المرأة صادقة ، وان أخذت جنبيك وأحاطت بك ، فان القوم غادرون ، فاركب العصا . و كانت فرسا لجذيمة لاتجارى ، فاني راكبها ومسايرك عليها ؛ فلقيته الكتائب فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها ، فقال : « ويل أمه حزما على متن العصا » * فذهبت مثلا « وقال : « ماضل من تجرى به العصا » فذهبت مثلا وجرت به الى غروب الشمس ، ثم نفقت ، وقد قطعت أرضا بعيدة ، فبنى عليها برجا يقال له برج العصا ، وقالت العرب : « خير ماجاءت به العصا » مثل تضرب به ، وسار جذيمة ، وقد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء ، فلما رأته تكشفت فاذا هى مظفورة الأسب - والأسب بالباء الموحدة هو شعر الاست - وقالت له ، ياجذيمة « ادأب عروس » ترى ؟ فذهبت مثلا فقال : « بلغ المدا وجف الثرى وأمر غدر أرى » فذهبت مثلا ، فقالت له « أما إلهى مابنا من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس » فذهبت مثلا وقالت له : أنبئت أن دماء الملوك شفاء من الكلب ؟ ثم أجلسته على نطع وأمرت

بطست من ذهب فاعدّ له، وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها، ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست ، وقد قيل لها : ان قطر من دمه شيء فى غير الطست طلب بدمه ، و كانت الملوك لاتقتل بضرب الرقبة إلا فى قتال تكرمة للملك . فلماضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه فى غير الطست ، فقالت : لاتضيعوا دم الملك، فقال جذيمة : « دعوا دماضيعه أهله » فذهبت مثلا ؛ فهلك جذيمة وخرج قصير من الحى الذين هلكت العصابين أظهرهم حتي قدم على عمرو بن عدى وهو بالحيرة فوجده قداختلف هو وعمرو بن عبدالجن، فأصلح بينهما وأطاع الناس عمرو بن عدى ، وقال له قصير : تهيأ واستعد ولاتطل دم خالك فقال : « كيف لى بها ؟ وهى أمنع من عقاب الجو » فذهبت مثلا، و كانت الزباء سألت كهنة عن أمرها وهلاكها فقالوا لها نرى هلاكك بسبب عمرو بن عدى ولكن حتفك بيدك، فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ، ثم قالت : ان فجأنى أمر دخلت النفق الى حصنى ، ودعت رجلا مصورا حاذقا ، فأرسلته الى عمرو بن عدى متنكرا ، وقالت له صوره جالسا وقائما ومنفصلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه ، ثم أقبل الىّ ففعل المصور ما أوصته الزباء ، وعاد اليها ، وأرادت ان تعرف عمرو بن عدى فلا تراه على حال الا عرفته وحذرته . وقال قصير لعمرو : أجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى واياها ، فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، فقال قصير : « خل عنى اذا وخلاك ذم » فذهبت مثلا ،فقال عمرو : فانت أبصر فجدع قصير أنفه ودق بظهره ، وخرج كأنه هارب وأظهر أن عمرا فعل ذلك به ، وسار حتى قدم على الزباء ، فقيل لها : إن قصيرا بالباب فأمرت به ، فأدخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب،فقالت: « لامرّ ما جُدع قصيرٌ أنفه»فذهبت مثلا قالت : ما الذى أرى بك ياقصير ؟ قال زعم عمرو أنى غدرت خاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ،ففعل بي ماترين ، فاقبلت اليك وعرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك ، فأكرمته ،وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملك ، فلما عرف أنها قد استرسلت اليه ؛ ووثقت به قال لها : ان لى بالعراق أموالا كثيرة ولى بها طرائف وعطر . فابعثينى لأحمل مالى . وأحمل اليك من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين أرباحا وبعض مالا غنى للملوك عنه . فسرحته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عيرا فسار حتي قدم العراق.وأتي عمرو بن عدى متخفيا وأخبره الخبر ، وقال جهزنى بالبر والطرف وغير ذلك لعل الله

Marfat.com

Marfat.com

يمكنك من الزباء، فتصيب ثارك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزَّباء فعرضه عليها فاعجبها وسرها وازدادت به ثقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به فى المرة الأولى، فسار حتى قدم العراق، وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه، ثم عاد الثالثة فأخبر عمرا الخبر، وقال: اجمع لى ثقات أصحابك وجندك وهيىء لهم الغرائر وهو أول من عملها وحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين وجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال له: اذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الزباء تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا قريبا من الزباء تقدم قصير اليها فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها أن تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل وهو أول من فعل ذلك فخرجت الزباء فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الأرض فقالت ياقصير *

ما للجمال مشيها وئيداً ؟ * أجندلا يحملن أم حديدا ؟
أم صرفانا باردا شديدا ؟ * أم الرجال جثما قعودا ؟ (١)

ودخلت الابل المدينه؛ فلما توسطتها انيخت، وخرج الرجال من الغرائر، ودل قصير عمرا على باب النفق، وصاحوا بأهل المدينة، ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو على باب النفق. وأقبلت الزباء تريد الخروج من النفق، فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق فعرفته. (٢) بالصورة التي عملها المصور. فمصت سما كان فى خاتمها. فقالت: « بيدى لا بيد عمرو » فذهبت مثلا. وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها؛ وأصاب ما أصاب من المدينة (٣). ثم عاد إلى العراق *

---

(١) قوله ام الرجال جثما قعودا ؟ قالها قصير فى نفسه لانها لم تكن تعلم ان الرجال فى الغرائر (٢) لا لزوم لفناء فعرفته (٣) هذه المدينة تقع على الفرات من جانبيه وهى على خط ٣٨ طولا و ٣٥ عرضا اى شرقى صفين وغربى ديز الزور على مرحلة منها فاما التى فى الجهة الجنوبية اى الشامية فتسمى حلبية اوصور الكفر وهى بسفح جبل الحمة مبنية على طرز يشبه السفينة ولا تزال الحد الآن صالحة للسكنى ولم يذهب منها الا أبوابها ولكنها تبعد عن الطريق فلا يعلم بها إلا أهل تلك القرى المجاورين لها واما التى فى الجهة الشمالية اى الجزيرة فتسمى زلبية وهذه لوقوعها فى ارض سهلة توجهت عليها الفرات فهدمتها ولكن انقاضها لا تزال موجودة واما النفق الذى يصل المدينتين ببعضهما فقد ذهب ولم يبق الا آثار ذهبت بمدحكم العثمانيين لها من قبل السردار عمر باشا سنة ١٢٨٠ هجرية الادارة *

وصار الملك بعد جذيمة لابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو ابن الحرث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم ، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات [1] وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل مائة

(١) والى هذه الوقعة أشار ابن دريد فى مقصورته بقوله :

واخترم الوضاح من دون التى املها سيف الحمام المنتضى
وقد سما عمرو الى اوتاره فاحتط منها كل عالى المنتهى
فاستنزل الزباء قسرا وهى من عقاب لوح الجو أعلى منتمى

وكذلك عدى بن زيد فقد فصل الحادثة بقوله .

ابدلت المنازل ام عفينا تقادم عهدها ام قد بلينا

الى أن قال :

الا يا أيها المثرى المرجى المتسمع بخطب الاولينا؟
دعا (بالبقة) الامراء يوما (جذيمة) ينتحى عصبا ثبينا
فطاوع أمرهم وعصا (قصيرا) وكان يقول لو تبع اليقينا
ودست فى صحيفتها اليه ليملك بضعها ولان تدينا
ففاجأها وقد جمعت فيوجا على ابواب حصن مصلتينا
فاردته ورغب النفس يردى و يبدى للفتى الحين المبينا
وحدثت (العصا) الانباء عنه ولم أر مثل فارسها هجينا
وقددت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا
ومن حذر اللاوم والمخازى وهن المندبات لمن منينا
اطف لانفه الموسى (قصير) ليجدعه وكان به ضنينا
فاهواه لمارنه فاضحى طلاب الوتر مجدوعا مشينا
وصادفت امرءاً لم تخش منه غوائله وما أمنت امينا
فلما ارتد منها ارتد صلبا يجر المال والصدر الضغينا
اتتها العيس تحمل مادهاها وقنع فى المسوح الدارعينا
ودس لها على الأنفاق (عمراً) بشكته وما خشيت كمينا
فجللها قديم الاثر عضباً يصك به الحواجب والجبينا
فاضحت من خزائنها كأن لم تكن (زباء) حاملة جنينا

وقال المخبل وهو ربيعة بن عوف السعدى .

يا عمرو الى قد هويت جماعكم ولكل من يهوى الجماع فراق
بل كم رأيت الدهر زايل بينه من لا يزايل بينه الاخلاق
طابت به (الزبا) وقد جعلت لها دوراً ومشربة لها أنفاق
حملت لها (عمراً) ولا بخشونة من آل دومة رسلة معناق
حتى تفرعها بابيض صارم عضب يلوح كأنه مخراق

Marfat.com

وثمانى عشرة سنة منها أيام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة. وأيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وأشهر، وأيام ابنه سابور بن اردشير ثمان سنين وشهران * وكان منفردا بملكه يغزو المغازى ولا يدين لملوك الطوائف إلى أن ملك أردشير بن بابك أهل فارس[1] ولم يزل الملك فى ولده إلى أن كان آخرهم النعمان بن المنذر الى أيام ملوك كندة على مانذكره ان شاء الله، وقيل فى سبب مسير ولد نصر بن ربيعة الى العراق غير ماتقدم. وهو رؤيا رآها ربيعة وسيرد ذكرها عند أمر الحبشة ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر طسم وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف ﴾

كان طسم بن لوذ بن أزهر بن سام بن نوح وجديس بن عامر بن أزهر بن سام ابنى عم، وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوّا وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيرا، وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عملیق، وكان ظالما قد تمادى فى الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها: فخاصمته الى عملیق وقالت أيها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتي اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه منى رها ويتركني بعده ورها، فقال زوجها: أيها الملك انها أعطيت مهرها كاملا ولم أصب منها طائلا إلا وليداً خاملا فافعل ما كنت فاعلا. فامر الملك بالغلام فصار فى غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة *

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأنفذ حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعاً * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم وإنى بعثرتى * وأصبح بعلى فى الحكومة نادما

فلما سمع عملیق قولها، أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتي يفترعها، فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا، ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهى عفيزة بنت عباد أخت الأسود، فلما أرادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عملیق لينالها قبله ومعها الفتيان، فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها، فخرجت الى قومها فى دمائها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم يبين، وهى فى أقبح منظر تقول *

---

(١) وحد أردشير بن بابك الملكة الفارسية سنة ٢٣٠ بعد الميلاد المسيحى *

Marfat.com

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس ؟
يرضى بذا يا قوم بعل حر؟ * أهدى وقد أعطى وثيق المهر؟

وقالت أيضا لتحرض قومها*

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم ؟ * وأنتم رجال فيكم عدد النمل؟
وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة * جهارا وزفت فى النساء الى بعل ؟
ولو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لانقر لذا الفعل
فموتوا براما أوأميتوا عدوكم * وذبوا[1] لنار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الأذى * وللموت خير من مقام على الذل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لاتعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلما سمع أخوها الأسود قولها، وكان سيدا مطاعا قال لقومه: يامعشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى داركم إلا بملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا، ولو امتنعنا لانتصفنا منه، فأطيعونى فيما آمركم فانه عز الدهر، وقد حمى جديس لما سمعوا من قولها، فقالوا نطيعك. ولكن القوم أكثر منا قال: فانى أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه، فاذا جاءوا يرفلون فى الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم، فقالوا: افعل فصنع طعاما فأكثر وجعله بظاهر البلد، ودفن هو وقومه سيوفهم فى الرمل، ودعا الملك وقومه. فجاءوا يرفلون فى حللهم، فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم من الرمل، وقتلوهم، وقتلوا ملكهم، وقتلوا بعد ذلك السفلة *

ثم إن بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن. فاستنصروه. فسار الى اليمامة. فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم: ان لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث. وإنى أخاف ان تنذر القوم بك. فمر أصحابك. فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه. فأمرهم حسان بذلك. فنظرت اليمامة. فأبصرتهم، فقالت لجديس: لقد سارت اليكم حمير قالوا: وما ترين؟ قالت أرى رجلا فى شجرة

---

(١) لعله اودبوا من الدبيب *

Marfat.com

Marfat.com

معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها، وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم. وابي حسان باليمامة ففقأ عينها. فاذا فيها عروق سود. فقال: ماهذا؟ قالت: حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الأثمد، وكانت أول من اكتحل به، وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها فى أشعارهم *

ولما هلكت جديس هرب الأسود قاتل عمليق الى جبلى طيء، فأقام بهما وذلك قبل أن تنزلهما طيء، وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن، وهو الآن لمراد وهمدان، وكان يأتي الى طيء بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم، ولم يعلموا من أين يأتي، ثم إنهم اتبعوه يسيرون بسيره حتي هبط بهم على أجا وسلمى جبلى طيء وهما بقرب فيد فرأوا فيه النخل والمراعى الكثيرة، ورأوا الاسود بن عفار، فقتلوه، وأقامت طيء بالجبلين بعده فهم هناك الى الآن وهذا أول مُخرَجهم اليهما (١) *

---

(١) ولكنهما أصبح يطلق عليهما جبل حائل تسمية له باسم واد يقع بينهما كما قاله الكابي مستدلا بقول امرىء القيس:

ابت اجاء ان تسلم العام ربها فمن شاء فليهض لها من مقاتل
تبيت لبونى بالقرية امنا واسرحهما غبا بأكناف حائل
بنو ثعكل جيرانها وحماتها وتمنع من رجال سعد ونائل

و يطلق عليه جبل شمر أيضا لأن هذا الفريق المهاجر من طيء صار يطلق عليه عشيرة شمر وامراؤها عائلة الجرباء ينتمون للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ولهم ميزة فى الأحكام تدل على صحة ذلك فان القاتل منهم لا يقتل ولا يجلى من أرضه ولا زالت لهذه الكلمة الى سنة ١١٧٠ فهاجر من حائل نجد رئيسها فارس الجرباء الأكبر لاتفاقه مع الدولة العثمانية ونائبها سليمان الشاوى امير العبيد ولوقائع حربية اضطرته لذلك ثم جاء الى الجزيرة مع قليل من أتباعه و بسبب شيخ طيء الذى يقطن مع عشيرته اراضى نصيبين استطاع السكنى فى الخابور ثم اجتمع عليه المهاجرون من شمر حتى كثروا فحقدت عليهم عشيرة العبيد حسداً وارادت اخراجهم كما اخرجت قبلهم عشيرة الموالى التى كانت تحكم تلك الجهات فاشعلوا بلاسبب مشروع نار الحرب كانوت نتيجتها الغلبة لشمر فأخرجوا العبيد وألجؤهم الى محل من جزيرة ابن عمر لا يزال يسمى جزيرة العبيد ثم احتلت شمر الجرباء الجزيرة والموصل ومازالوا فيها و يبلغ عددهم نحو مائة الف نسمة وهؤلاء غير الفريق الذى فى سواد العراق فانه يسمى شمر طروقة وغير الذين بقوا فى نجد: وهم شمر عبدة فقد صار امرهم الى آل الرشيد وكان النزاع بينهم وبين آل السعود مستمرا والحرب سجال الى ان قتل محمد الرشيد سنة ١٣٣٨ هجرية فتم لآل السعود الاستيلاء على جميع نجد وتولى أمرها عبد العزيز ابن عبد الرحمن السعود وتسمى بالسلطان وصار يطلق الآن عليها سلطنة نجد الادارة *

﴿ ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف ﴾

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس . ويقال دقيانوس، وكانوا بمدينة للروم اسمها أفسوس ، وملكهم يعبد الأصنام، وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) والرقيم خبرهم كتب فى لوح وجعل على باب الكهف الذى أووا اليه ، وقيل : كتبه بعض أهل زمانهم ، وجعله فى البناء ، وفيه أسماؤهم ، وفى أيام من كانوا ، وسبب وصولهم الى الكهف ، وقيل كتبه الملك الذى ظهر عليهم . وبنى الكنيسة عليهم، وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم ، وقال : أنا من القليل الذين يعلمونهم ، وقال ابن اسحق : كانوا ثمانية فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهم ، وكانوا من الروم ، وكانوا يعبدون الأوثان ، فهداهم الله ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام ، وزعم بعضهم أنهم كانوا قبل المسيح ، وان المسيح أعلم قومه بهم ، وأن الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح ، والأول أصح *

وكان سبب إيمانهم أنه جاء حوارى من أصحاب عيسى الى مدينتهم ، فأراد أن يدخلها ، فقيل له : ان على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها ، وأتى حماما قريبا من المدينة، فكان يعمل فيه ، فرأى صاحب الحمام البركة ، وعلقه الفتية ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض ويخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام ، فعيره الحوارى فاستحيا ، ثم رجع مرة أخرى ، فعيره فسبه وانتهره ، ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا فى الحمام ، فقيل للملك : ان الذى بالحمام قتلهما ، فطلب فلم يوجد ، فقيل : من كان يصحبه ، فذكر الفتية : فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم فى زرع له ، فذكروا له أمرهم ، فسار معهم ، وتبعهم الكلب الذى له حتى آواهم الليل الى الكهف ، فقالوا : نبيت ههنا حتى نصبح ، ثم نرى رأينا . فدخلوه ، فرأوا عنده عين ماء وثمارا . فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء . فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ، ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الأرض أجسادهم ، وكانت الشمس تطلع عليهم . وسمع الملك دقيانوس خبرهم ، فخرج فى أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف ، وأمر أصحابه بالدخول اليهم وإخراجهم فكلما أراد رجل أن يدخل أرعب ، فعاد ، فقال بعضهم : أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم ؟ قال : بلى قال : فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ، ففعل ، فبقوا زمانا بعد زمان *

Marfat.com

ثم ان راعيا أدركه المطر . فقال : لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمى فيه ، ففتحه فرد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا . فبعثوا أحدهم بورق ليشترى لهم طعاما واسمه تمليخا. فلما أتي باب المدينة رأى ما أنكره حتي دخل على رجل . فقال : بعنى بهذه الدراهم طعاما . فقال : فمن أين لك هذه الدراهم ؟قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس فلما أصبحنا أرسلوني لأشترى بهم طعاما ، فقال : هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني ، فرفعه الى الملك ، وكان ملكا صالحا . فسأله عنها ، فأعاد عليه حالهم . فقال الملك وأين أصحابك ؟ قال انطلقوا معى ، فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل الى أصحابي قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا ظنا منهم ان دقيانوس قدعلم بهم فدخل عليهم ، وأخبرهم الخبر ، فسجدوا شكرا لله ، وسألوه أن يتوفاهم . فاستجاب لهم ، فضرب على آذنه وآذانهم ، وأراد الملك الدخول عليهم ، فكانوا كلما دخل عليهم رجل أرعب فلم يقدروا أن يدخلوا عليهم ؛ فعاد عنهم ، فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها *

قال عكرمة : لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا ، وكان قد اختلف أهل مملكته فى الروح والجسد وبعثهما ، فقال قائل : يبعث الله الروح دون الجسد ، وقال قائل : يبعثان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح ، وسأل الله أن يبين له الحق ، فبعث الله أصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض : قد أغفلنا هذه الليلة عن العبادة . فقاموا الى الماء وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والأشجار قد يبست ، فقال بعضهم لبعض : ان امرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الأشجار يبست فى ليلة واحدة ، والتى الله عليهم الجوع . فقالوا : أيكم يذهب إلى المدينة ؟ (فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) ، فدخل أحدهم يشترى الطعام ، فلما رأى السوق عرف طرقها ، وأنكر الوجوه ، ورأى الايمان ظاهرا بها . فأتي رجلا يشترى منه ، فانكر الدراهم ، فرفعه إلى الملك ، فقال الفتي : أليس ملككم فلان ؟ فقال الرجل : لا بل فلان ، فعجب لذلك ، فلما أحضر عند الملك أخبره بخبر أصحابه ، فجمع الملك الناس ، وقال لهم إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ، وان الله قد بعث لكم آية ، هذا الرجل من قوم فلان يعنى الملك الذى مضى ، فقال الفتى انطلقوا بي الى أصحابى فركب الملك و الناس معه ، فلما انتهى الى الكهف قال الفتي للملك : ذروني اسبقكم إلى أصحابى أعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم وأصواتكم فيظنوكم دقيانوس ، فقال : افعل فسبقهم

Marfat.com

الى اصحابه و دخل على أصحابه فأخبرهم الخبر فعلموا حينئذ مقدار لبثهم فى الكهف، و بكوا فرحا. ودعوا الله أن يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم، فماتوا لساعتهم. فضرب الله على آذانه وآذانهم معه *

فلما استبطؤه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لاينكرون منها شيئا غير انها لاأرواح فيها فقال الملك: هذه آية لكم، ورأى الملك تابوتا من نحاس مختوما بخاتم ففتحه، فرأى فيه لوحامن رصاص مكتوبا فيه أسماء الفتية، وأنهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا: هذا شأنهم *

فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم هذه الآية للبعث، ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح *

وقيل: أن الملك ومن معه دخلوا على الفتية، فرأوهم أحياء مشرقة وجوهُهم وألوانهم لم تبل ثيابُهم، وأخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس، واعتنقهم الملك، وقعدوا معه يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له: نستودعك الله، ورجعوا إلى مضاجعهم كما كانوا فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب، فلما نام رآهم فى منامه، وقالوا: إنا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليه نصير، فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب، فحجبهم الله بالرعب، وبني الملك على باب الكهف مسجدا، وجعل لهم عيدا عظيما، واسماء الفتية مكسلمينا، وتمليخا، ومرطوس، ونيرويس، وكسطومس، ودينموس، وريطوفس وقالوس، ومحسيلمينيا وهذه تسعة أسماء وهى أتم الروايات والله أعلم، وكلبهم قطمير (١) *

﴿ ذكر يونس بن متي (٢) ﴾

وكان أمره من الأحداث أيام ملوك الطوائف، قيل: لم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى ابن مريم ويونس ابن متى وهى أمه. وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى (٣) وكان قومه يعبدون الأصنام؛ فبعثه الله اليهم بالنهى عن عبادتها والأمر بالتوحيد، فأقام فيهم ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم، فلم يؤمن غير رجلين، فلما أيس من

---

(١) فى الطبرى مخالف لما هنا وهاك سرد اسمائهم: مكسلينا، محسلينا، يمليخا، مرطوس، كسوطونس، بيرونس، رسمونس، بطونس، قالوس (٢) ويسمى فى العهد القديم اى التوراة يونان ابن امتاى وله سفر خاص وهو عبارة عن اربعة اصحاحات تشتمل على ثمانية واربعين فقرة تبين دعوته الى اهل نينوى من الموصل ثم وقوعه فى البحر واستظلاله فى اليقطين (٣) وهى الموصل القديمة راجع صفحة (٥ و ١٤٤) من هذا الجزء *

Marfat.com

إيمانهم دعا عليهم : فقيل له : ماأسرع مادعوت على عبادى ؟ ارجع اليهم فادعهم أربعين يوما فدعاهم سبعة وثلاثين يوماً فلم يجيبوه ، فقال لهم : إن العذاب يأتيكم الى ثلاثة أيام، وآية ذلك أن ألوانكم تتغير ، فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم ،فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبافانظروا فان يبت فيكم فأمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا أن العذاب يصبحكم ، فلما كانت ليلة الأربعين أيقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين أظهرهم ، فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم خرج عليهم غيم أسود هائل يدخن دخانا شديدا، ثم نزل الى المدينة فاسودت منه سطوحهم ، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك ، فطلبوا يونس، فلم يجدوه ، فألهمهم الله التوبة ، فأخلصوا النية فى ذلك ، وقصدوا شيخاً، وقالوا له : قد نزل بنا ماترى ، فما نفعل ؟ فقال : آمنوا بالله وتوبوا وقولوا : ياحىُّ ياقيوم، ياحى حين لاحى ، ياحى محيي الموتي ، ياحى لا إله إلا أنت ، فخرجوا من القرية الى مكان رفيع فى براز من الأرض وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عجوا الى الله واستقالوه وردوا المظالم جميعا حتي ان كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده الى صاحبه ، فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الأربعاء ، وقيل : للنصف من شوال يوم الأربعاء ، وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتي مر به مار ، فقال : مافعل أهل القرية ، فقال : تابوا الى الله. فقبل منهم وأخر عنهم العذاب ، فغضب يونس عندذلك ، فقال : والله لاأرجع كذاباً ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعد ماغشيهم (إلا قوم يونس)، ومضى مغاضبا لربه وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر، ولذلك نهى النبى ﷺ أن يكون مثله، فقال الله تعالى (ولاتكن كصاحب الحوت) ولما مضى ظن أن الله لا يقدر عليه أى يقضى عليه العقوبة. وقيل يضيق عليه الحبس ، فسار حتى ركب فى سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح ، وقيل : بل وقفت فلم تسر فقال مَن فيها هذا بخطيئة أحدكم ، فقال يونس هذا بخطيئتى فألقونى فى البحر ، فأبوا عليه حتي أفاضوا بسهامهم، فساهم فكان من المدحضين فلم يلقوه، وفعلوا ذلك ثلاثا ولم يلقوه، فألقى نفسه فى البحر وذلك تحت الليل ، فالتقمه الحوت فأوحى الله الى الحوت أن يأخذه، ولا يخدش له لحما ولا يكسر له عظما ، فأخذه وعاد الى مسكنه من البحر ، فلما انتهى إليه سمع يونس حساقال : فى نفسه ماهذا ؟ فأوحى الله اليه فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دوابّ البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : ربنا نسمع

صوتا ضعيفا بارض غريبة ، فقال: ذلك عبدى يونس عصاني فحبسته فى بطن الحوت فى البحر ، فقالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد له كل يوم عمل صالح ؟ فشفعوا له عند ذلك (فنادى فى الظلمات) ظلمة البحر ،وظلمة بطن الحوت ،وظلمة الليل (أن لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين) وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فانزل الله فيه (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) ألقى على جانب البحر وهو كالصبى المنفوس، ومكث فى بطن الحوت أربعين يوما،وقيل: عشرين يوما،وقيل ثلاثة أيام [1] وقيل:سبعة ايام والله أعلم *

وأنبت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يتقطر اليه من اللبن ، وقيل : هيا الله له أروية وحشية ، فكانت ترضعه بكرة وعشية حتي رجعت اليه قوته ، وصار يمشى فرجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها [2] فعاتبه الله وقيل له : أتبكى وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف وزيادة أردت أن تهلكهم؟ *

ثم ان الله أمره أن يأتي قومه فيخبرهم أن الله قد تاب عليهم ، فعمد اليهم فلقى راعيا فسأله عن قوم يونس ، فأخبره أنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم قال : فاخبرهم أنك قد لقيت يونس ، قال : لا أستطيع إلا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه ، والبقعة التى كانا فيها ، وشجرة هناك ، وقال : كل هذه تشهد لك ، فرجع الراعى الى قومه ، فأخبرهم أنه رأى يونس فهموا به ، فقال : لا تعجلوا حتي أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التى لقى فيها يونس فاستنطقها فشهدت له ، وكذلك الشاة والشجرة ، وكان يونس قد اختفى هناك ، فلما شهدت الشاة قالت لهم إن أردتم نبى الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه ، فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه ، وأدخلوه المدينة بعد امتناع، فمكث مع أهله وولده أربعين يوماً ، وخرج سائحا ، وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعى فاقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ، ثم ان يونس أتاهم بعد ذلك *

---

(١) وهو يقارب ما فى آخر فقرة ١٧ من الاصحاح الأول من سفر يونان ونصها : فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال (٢) وهذا يوافقه ما فى آخر سفره ولكنه لم يذكر العدد الثابت بقول الله تعالى : (وارسلناه الى مائة الف او يزيدون) — ١٤٧ سورة الصافات * بل ذكر فى فقرة ١٠ من الاصحاح الرابع : فقال الرب انت شفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة كانت و بنت ليلة هلكت ١١ افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها اكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم و بهائم كثيرة *

Marfat.com

وقال ابن عباس وشهر بن حوشب : كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت ، وقالا : كذلك أخبر الله تعالى فى سورة الصافات فانه قال : (فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) وقال شهر : إن جبريل أتى يونس فقال له : انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم العذاب . فانه قد حضرهم قال : ألتمس دابة قال : الأمر أعجل من ذلك قال : ألتمس حذاء . قال : الأمر أعجل من ذلك . قال : فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال : فساهموا فسهم فجاءت الحوت فنودى الحوت إنا لم نجعل يونس من رزقك إنما جعلناك له حرزا ، فالتقمه الحوت . وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على ابلة ثم انطلق به على دجلة حتي ألقاه بنينوى *

﴿ ومما كان من الأحداث أيام ملوك الطوائف ﴾

إرسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة أنطاكية ، وكانوا من الحواريين أصحاب المسيح أرسل أولا اثنين ، وقد اختلف فى أسمائهما . فقدما أنطاكية فرأيا عندها شيخا يرعى غنما ، وهو حبيب النجار فسلما عليه ، فقال : من أنتما؟ قالا : رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله تعالى ، قال : معكما آية . قالا : نعم نحن نشفى المرضى ونبرىء الأكمه والأبرص باذن الله ، قال حبيب : ان لى إبنا مريضا مذ سنين ، وأتي بهما منزله ، فمسحا ابنه ، فقام فى الوقت صحيحا ، ففشا الخبر فى المدينة ، وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى ، وكان لهم ملك اسمه أنطيخس يعبد الأصنام ، فبلغ اليه خبرهما فدعاهما ، فقال : مَن أنتما ؟ قالا رسولا عيسى ندعوك الى الله تعالى ، قال : فما آيتكما ، قالا : نبرىء الأكمه والأبرص ونشفى المرضى باذن الله فقال : قوما حتى ننظر فى أمركما . فقاما . فضربهما العامة ، وقيل : إنهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك ، فخرج الملك يوما ، فكبرا وذكرا الله ، فغضب وحبسهما ، وجلد كلّ واحد منهما مائة جلدة *

فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريين لينصرهما . فدخل البلد متنكرا ، وعاشر حاشية الملك . فرفعوا خبره الى الملك . فأحضره ، ورضى عشرته ، وأنس به ، وأكرمه ، فقال له يوما : أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين فى السجن ، وضربتهما حين دعواك الى دينهما . فهل كلمتهما ؟ وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك ، قال : فان رأى الملك أن يحضرهما حتي نسمع كلامهما ، فدعاهما الملك ، فقال لهما شمعون : من أرسلكما ؟ قالا : الله الذى خلق كل شىء ولا شريك له ؛ قال : فصفاه وأوجزا ،

Marfat.com

Marfat.com

قالا : إنه يفعل مايشاء ويحكم مايريد،قال شمعون:فما آيتكما ، قالا : ماتتمناه فامر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضعهما كاللحمة ؛ فما زالا يدعوان ربهما حتي انشق موضع البصر وأخذا بندقتين من الطين . فوضعاهما فى حدقتيه ، فصارتا مقلتين يبصر بهما ، فعجب الملك لذلك ؛ فقال : ان قدر إلهكما الذى تعبدانه على إحياء ميت آمنا به و بكما ، قالا : ان إلهنا قادر على كل شيء .فقال الملك ، ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام ، فلم ندفنه حتي يرجع أبوه وهو غائب ، فأحضر الميت وقد تغيرت ريحه ، فدعوا الله تعالى علانية ، وشمعون يدعو سرا ، فقام الميت ، فقال لقومه : إنى مت مشركا وأدخلت فى أودية من النار ، وأنا أحذركم ما أنتم فيه ، ثم قال ، فتحت أبواب السماء فنظرت ،فرأيت شابا حسنَ الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة ، فقال الملك ، ومن هم ؟ فقال : هذا وأومأ الى شمعون وهذان و أشار اليهما ، فعجب الملك فحينئذ دعا شمعونُ الملكَ الى دينه ، فآمن قومه ، و كان الملك فيمن آمن و كفر آخرون *

وقيل : بل كفر الملك ، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل ، فبلغ ذلك حبيبا النجار ، وهو على باب المدينة .فجاء يسعى اليهم فيذكرهم ويدعوهم الى طاعة الله وطاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) وهو شمعون فأضاف الله تعالى الارسال الى نفسه ، وانما أرسلهم المسيح لأنه أرسلهم باذن الله تعالى ، فلما كذبهم أهل المدينة حبس الله عنهم المطر ، فقال أهلها للرسل : (إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) بالحجارة ، وقيل : لنقتلنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) ، فلما حضر حبيب وكان مؤمنا يكتم إيمانه ،و كان يجمع كسبه كلَّ يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه ، فقال : (ياقوم اتبعوا المرسلين) ، فقال قومه : وأنت مخالف لربنا ومؤمن بالهؤلاء .فقال :(ومالى لاأعبد الذى فطرني واليه ترجعون ؟) فلما قال ذلك قتلوه ، فأوجب الله له الجنة ؛ فذلك قوله تعالى (قيل: ادخل الجنة ؛ قال : ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلني من المكرمين) ، وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا [1] *

---

(١) يوجد الآن بأقصى أنطاكية من جهة الشرق غار يسمى غار حبيب النجار وذلك لأن البلدة واقعة على سفح جبل اللكام المسمى الآن جبل حبيب النجار وهذا الغار مسكن طبيعى و يقولون : انه كان محل سكنى حبيب النجار ومن هناك جاء للمدينة يسعى . وأما قبره فهو مع قبر الرسول الثالث المعزز الاثنين فى وسط المدينة فى الطرف الشرقى من جامع حبيب النجار الشهير وتشتمل عليه قبة الجامع الا ان مدخله من باب ملاصق للمسجد و ينزل نحو عشرين درجة حتى يجد قبرين أحدهما مستقبل القبلة واظنه قبر حبيب النجار والثانى متوجه للشرق وهو قبر

Marfat.com

﴿ ومما كان من الأحداث شمسون ﴾

وكان من قرية من قرى الروم[1] قد آمن وكانوا يعبدون الأصنام ؛ وكان على أميال من المدينة، وكان يغزوهم وحده، ويقاتلهم بلحى جمل، فكان إذا عطش انفجر له من الحجر الذى فيه ماء عذب ، فيشرب منه ، وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شىء ، فجعلوا لامرأته[2] جعلا لتوثقه لهم ؛ فأجابتهم إلى ذلك ؛ فأعطوها حبلا وثيقا ، فتركته حتى نام وشدت يديه ؛ فاستيقظ وجذبه ، فسقط الحبل من يديه ، فأرسلت اليهم ، فاعلمتهم ، فارسلوا إليها بجامعة من حديد ، فتركتها فى يديه وعنقه وهو نائم ، فاستيقظ وجذبها ، فسقطت من عنقه ويديه فقال لها فى المرتين : ماحملك على ماصنعت ؟ فقالت : أريد أن أجرب قوتك وما رأيت مثلك فى الدنيا فهل فى الأرض شىء يغلبك قال : نعم شىء واحد فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها ويحك لا يضبطنى إلا شعرى[3] . فلما نام أوثقت يديه بشعر رأسه . وكان كثيرا . فأرسلت اليهم . فجاؤا فأخذوه . فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه . وأقاموه للناس . وجاء الملك لينظر اليه . وكانت المدينة على أساطين . فدعا اللهَ شمسونُ عليهم . فأمر أن يأخذ

الرسول الثالث ، وسبب هذا الانخفاض على مايقولون كثرة الزلازل التى تقع فى أنطاكية وبجوارها فى ضمن الجامع حجرة تسمى مدفن الاثنين والقبر ان متوجهان للقبلة وعلى سطح الأرض . وان انطاكية واقعة بين جبل اللكام ونهر العاصى فاذا عبرت النهر من جسرها التاريخى — المبنى قبل الاسلام — تجد أمامك فى جهة الغرب ربوة تسمى تل جبريل يقولون انه صاح باهل المدينة من هناك واصبحت الربوة مقبرة للمسلمين وباعلاها قبر استاذ الاساتذة المرحوم الحاج عبد الصمد الرواندزى المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية وهو الناشر للعلم فى تلك الاطراف فان جميع من فى انطاكية من العلماء الأجلاء الكثيرين هم تلامذة له رأسا أو بالواسطة ولم يبق من تاليفه الا رسالة فى علم الكلام طبعت فى حياته سنة ١٣٠٣ تسمى البصائر . ولكن اثناء ثورة انطاكية سنة ١٣٣٨ احتل الجيش الافرنسى تلك البقعة الطاهرة واتخذها معقلا يصوب منه المدافع على أنطاكية بشكل همجى ولا تزال الآثار موجودة فى الجامع الكبير وجامع الشيخ على والجامع الجديد حيث تشوهت منارته الجميلة وجامع حبيب النجار والمدارس العديدة واثناء وجودهم هدموا المقابر التى هى عبارة عن حجرة على رأس الميت يكتب فيها اسمه وتاريخ وفاته و بمدترك فرنسا ذلك المحل لعدم لزومه اصبح الناس يضعون لقبورهم اشارات تقريبية . الادارة (١) شمسون هو ابن منوح من صرعة ومن عشيرة الدانيين فهو اسرائيلى لا رومى كما فى الاصحاح الثالث عشر من سفر القضاة *

(٢) تقول التوراة إن المرأة لم تكن زوجة له بل هى زانية اسمها دليلة من وادى سورق كما فى الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة (٣) الذى فى الفقرة ١٧ وما بعدها من الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة انها اذا حلقت شعر رأسه تفارقه قوته لانه نذر الله من بطن أمه *

Marfat.com

عمودين من عُمد المدينة فيجذبهما ليردااليه بصره وما أصابوا من جسده وجذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدما، وكان شمسون أيام ملوك الطوائف (١) *

﴿ ومما كان من الأحداث أيضا جرجيس ﴾

قيل : كان بالموصل ملك يقال له دازانه . وكان جبارا عاتيا ، وكان جرجيس رجلا صالحا من أهل فلسطين يكتم إيمانه مع أصحاب له صالحين ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فاخذوا عنهم ، وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة ، وربما نفد ماله فى الصدقة ، ثم يعود يكتسب مثله؛ ولولا الصدقة لكان الفقر أحبَّ اليه من الغني ، وكان يخاف بالشام أن يفتتن عن دينه فقصد الموصل ومعه هدية لملكها لئلا يجعل لأحد عليه سبيلا، فجاءه وحين قدجاءه أحضر عظماء قومه وأوقد نارا وأعدّ أصنافا من العذاب وأمر بصنم له يقال له أفلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقى فى النار *

فلما رأى جرجيس مايصنع استعظمه ، وحدث نفسه بجهاده ، فعمد الى المال الذى معه فقسمه فى أهل ملته ، وأقبل عليه وهو شديد الغضب ، فقال له ، اعلم أنك عبد مملوك لاتملك لنفسك شيئا ولا لغيرك شيئا ، وان فوقك ربا هو الذى خلقك ورزقك ، فاخذ فى ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه فأجابه الملك بان يسأله من هو ومن أين هو؟ فقال جرجيس : أنا عبد الله وابن أمته من التراب خلقت واليه أعود فدعاه الملك الى عبادة صنمه ، وقال له لو كان ربك ملك الملكوت لرؤى عليك أثره كما ترى على من حولى من ملوك قومى فاجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد أفلون الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى من رب العالمين ، أم تعبد الذى قامت بأمره السموات والأرض أم تعبد طرفلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام ، فانه كان آدمياً يأكل ويشرب فأكرمه الله بأن جعله انسيا ملكيا أم تعبد عظيم قومك مخليطيس أيضاً ؟ وماقال بولايتك عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وماخصه الله به من الكرامة، فقال له الملك: انك أتيتنا بأشياء لانعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس ان كان صنمك هو الذى رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت وإلا فاخسأ أيها الملعون *

---

(١) كان شمسون قبل طالوت وداود فهو قبل ملوك الطوائف بما ت السنين اى انه سنة ١١٢٠ قبل ميلاد المسيح

Marfat.com

فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بأمشاط الحديد حتى تقطع لحمه وعروقه ، وينضح بالخل والخردل فلم يمت ، فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحميت حتى صارت نارا ثم سمر بها رأسه فسال دماغه فحفظه الله تعالى؛ فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله نارا ، ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه ، وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب ؟ قال : ان إلهى حمل عني عذابك وصبرني ليحتج عليك فأيقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه ، فاجمع رأيه على أن يخلده فى السجن فقال الملأ من قومه : انك ان تركته فى السجن طليقا يكلم الناس ويميل بهم عليك ، ولكن يعذب بعذاب يمنعه من الكلام ،فامر به فبطح فى السجن على وجهه،ثم أوتد فى يده ورجليه أوتادا من حديد ، ثم أمر باسطوان من رخام حمله ثمانية عشر رجلا فوضع على ظهره فظل يومه ذلك تحت الحجر ، فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد بالملائكة ، فاول ماجاءه الوحى قلع عنه الحجر ونزع الأوتاد وأطعمه وأسقاه وبشره وعزاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له : الحق بعدوك فجاهده فانى قد ابتليتك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات فى كل ذلك أرد اليك روحك ، فاذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك إلا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه الى الله فقال له : أجرجيس ؟ قال نعم قال : مَن أخرجك من السجن ؟ قال : أخرجنى مَن سلطانه فوق سلطانك فملىء غيظا ودعا باصناف العذاب ومدوه بين خشبتين ووضعوا على راسه سيفا ، ثم أشروه حتي سقط بين رجليه وصار جزلتين ، ثم قطعوهما قطعاً وكان له سبعة أسد ضارية فى جب ، فالقوا جسده اليها ، فلما رأته خضعت برؤسها وقامت على براثنها لاتالو أن تقيه الأذى الذى تحتها فظلت يومها تحته ميتا وكان أول ميتة ذاقها *

فلما ادركه الليل جمع الله جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب ، فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم فى عيد لهم صنعوه فرحا بموت جرجيس ، فلما نظروا اليه مقبلا قالوا : ما أشبه هذا بجرجيس ، قال الملك هو هو ، قال جرجيس : أنا هو حقا بئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فرد الله روحى الىّ هلموا الى عذاب هذا الرب العظيم الذى أراكم قدرته . فقالوا ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه فجمعوا مَن ببلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك لكبيرهم : أعرض علىّ من سحرك ما يسرى به عني فدعا بثور فنفخ

فى آذنيه فاذاهو ثوران ودعا ببذر فبذر وحرث وزرع وحصد ودق وذرى وطحن وخبز وأكل فى ساعته ، فقال له الملك : هل تقدر أن تمسخه كلبا ؟ قال : ادع لى بقدح من ماء فأتي به فنفث فيه الساحر ، ثم قال لجرجيس : اشربه فشربه جرجيس حتي أتي على آخره فقال له الساحر : ماذا تجد : قال : ما أجد إلا خيرا كنت عطشان فلطف الله بي فسقانى ، وأقبل الساحر على الملك وقال : لو كنت تقاسى جبارا مثلك لغلبته إنما تقاسى جبار السماء والأرض ، وكانت أتت جرجيس امرأة من الشام وهو فى أشد العذاب ، فقالت له : انه لم يكن لى مال إلا ثور أعيش به من حرثه فمات وجئتك لترحمني ، وتسأل الله أن يحيي ثورى ، فأعطاها عصا ، وقال : اذهبي الى ثورك فاضربيه بهذه العصا . وقولى له. احى باذن الله ، فأخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقيه [1] وشعر ذنبه فجمعتها ، ثم قرعتها بالعصا وقالت : ماأمرها به جرجيس ، فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر ماقال قال رجل من أصحاب الملك ، وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا منى قالوا نعم ، قال : انكم قد وضعتم أمره على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل ، فهل رأيتم ساحرا قط قدر على أن يدفع عن نفسه الموت أم أحيا ميتا وذكر الثور واحياءه ؟ فقالوا له : ان كلامك كلام رجل قد أصغى اليه ، فقال : قد آمنت به وأشهد الله انى برىء مما تعبدون ، فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر ، فقطعوا لسانه بالخناجر فلم يلبث أن مات ، وقيل : أصابه الطاعون فاعجله قبل ان يتكلم وكتموا شانه ، فكشفه جرجيس للناس ، فاتبعه أربعة آلاف وهو ميت ، فقتلهم الملك بانواع العذاب حتى أفناهم ، وقال له رجل من عظماء أصحاب الملك : ياجرجيس انك زعمت ان إلهك يبدأ الخلق ثم يعيده . واني سائلك أمرا ان فعله إلهك آمنت به وصدقتك وكفيتك قومى : هذا تحتنا أربعة عشر منبرا ومائدة واقداح وصحاف من خشب يابس ، وهو من أشجار شتي ، فادع ربك أن يعيدها خضرا كما بدأها يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره ، قال جرجيس : قد سألت أمرا عزيزا علىّ وعليك وانه على الله يسير ، ودعا الله فمابرحوا حتى اخضرت وساخت [2] عروقها وتشعبت ونبت ورقها وزهرها حتي عرفوا كل عود باسمه ، فقال الذى سأله ، هذا ، أنا أتولى عذابه فعمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوف ، ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ، وأدخل جرجيس فى وسطها ، ثم أوقد تحت الصورة النار حتي التهبت وذاب

---

(١) تثنية روق وهو القرن (٢) من باب قال و باع وهو مثل الغرق فى الماء و بمعنى خسف . مصباح*

Marfat.com

كل شيء فيها واختلط ومات جرجيس فى جوفها *

فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما . وأظلم مابين السماء والأرض وبقوا أياما متحيرين . فارسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة . فلما أقلها ضرب بها الأرض ففزع من روعتها كلُّ من سمعها . وانكسرت . وخرج منها جرجيس حيا *

فلما وقف وكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر مابين السماء والأرض قال له عظيم من عظمائهم : ادعو الله بأن يحيي موتانا من هذه القبور . فأمر جرجيس بالقبور فنبشت وهى عظام رفات . ثم دعا فما برحوا حتي نظروا إلى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير ، فقال له جرجيس : متي مت ؟ فقال : فى زمان كذا وكذا فاذا هو أربعمائة عام . فلما رأى ذلك الملك قال : لم يبق من عذابكم شيء إلا وقد عذبتموه وأصحابه إلا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا إلى بيت عجوز فقيرة . وكان لها ابن أعمى أبكم مقعد فحصروه فيه فلا يصل اليه طعام ولا شراب . فلما جاع قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذى يحلف به مالنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فالتمس لك شيئا . فقال لها : هل تعبدين الله ؟ قالت لا : فدعاها فآمنت وانطلقت تطلب له شيئا وفى بيتها دعامة خشبة يابسة تحمل خشب البيت . فدعا الله فاخضرت تلك الدعامة . وأنبتت كل فاكهة تؤكل وتعرف . فظهر للدعامة فروع من فوق البيت تظله وما حوله . وعادت العجوز وهو يأكل رغدا . فلما رأت الذى فى بيتها قالت : آمنت بالذى أطعمك فى بيت الجوع ، فادع هذا الرب العظيم ان يشفى ابنى قال : أدنيه مني فأدنته فبصق فى عينيه فأبصر ، ونفث فى أذنيه . فسمع قالت له أطلق لسانه ورجليه قال لها أخريه فان له يوما عظيما . ورأى الملك الشجرة . فقال أرى شجرة ما كنت أعهدها قالوا تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت أن تعذبه بالجوع ، وقد شبع منها وأشبعت العجوز ، وشفى لها ابنها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة أن تقطع ، فلما هموا بقطعها أيبسها الله وتركوها . وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأمر بعجل فاوقر اسطوانا . وجعل فى أسفل العجل خناجر وشفارا ، ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها ، فانقطع ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعه فاحرقت حتي صارت رمادا . وبعث بالرماد مع

Marfat.com

رجال فذروه فى البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يابحر: إن الله يأمرك أن تحفظ مافيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده، فأرسل الرياح فجمعته كما كان قبل أن يذروه والذين ذروه قيام لم يبرحوا *

وخرج جرجيس حيا مغبرا، فرجعوا ورجع معهم وأخبروا خبر الصوت والرياح، فقال له الملك: هل لك فيما هو خير لى ولك؟ ولولا أن يقال انك غلبتني لآمنت بك، ولكن اسجد لصنمى سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك، فطمع جرجيس فى اهلاك الصنم حين يراه وإيمان الملك عند ذلك، فقال له أفعل خديعة منه وادخلني على صنمك أسجد له وأذبح، ففرح الملك بذلك وقبل يده ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليلته عنده، ففعل، فأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس، فلما جاء الليل قام يصلى ويقرأ الزبور، وكان حسن الصوت فلما سمعته امرأة الملك استجابت له وآمنت به. وكتمت إيمانها *

فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها، وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتتن وطمع فى الملك بعد الملك، فخرجت تحمل ابنها على عاتقها فى أغراضها توبخ جرجيس، فلما دخل بيت الأصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس اليه، فدعا ابنها فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط، ثم نزل عن عاتق أمه يمشى على قدميه سويين وما وطئ الأرض قط، فلما وقف بين يدى جرجيس قال له: ادع لى هذه الأصنام وهى على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج اليه فلما انتهت اليه ركض برجله الأرض فخسف بها وبمنابرها؛ فقال له الملك ياجرجيس خدعتنى وأهلكت أصنامى، فقال له: فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنعت منى *

فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعددت عليهم أفعال جرجيس، وقالت: ماتنتظرون من هذا الرجل الادعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم. فقال الملك ما أسرع ما أضلك هذا الساحر * ثم أمر بها فعلقت على خشبة؛ ثم مشط لحمها بمشاط الحديد، فلما آلمها العذاب قالت لجرجيس ادع الله أن يخفف عنى الألم، فقال انظرى فوقك فنظرت فضحكت، فقال لها الملك ما يضحكك؟ قالت أرى على رأسى ملكين معهما تاج من حلى الجنة ينتظرون خروج روحى ليزينانى به ويصعدان بها الى الجنة *

Marfat.com

فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء، وقال: اللهم أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء؛ وهذا آخر أيامى فأسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك مالا قبل لهم به، فأمطر الله عليهم النار فأحرقتهم. فلما احترقوا بحرها عمدوا اليه فضربوه بالسيوف فقتلوه. وهى القتلة الرابعة. فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الارض وجعل عاليها سافلها فلبثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن. وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك[1] *

﴿ذكر خالد بن سنان العبسى﴾

وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى، قيل: كان نبيا، وكان من معجزاته أن نارا ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها، وهو يقول بددا بددا. كل هاد مؤد الى الله الأعلى. لأدخلنها وهى تلظى، ولأخرجن منها وثيابى تندى، ثم انها طفئت وهو فى وسطها فلما حضرته الوفاة قال لأهله اذا دفنت فانه ستجىء عانة من حمير يقدمها عير أقمر فيضرب قبرى بحافره، فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني، فانى سأخبركم بجميع ما هو كائن، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال، فأرادوا نبشه فكره ذلك بعضهم قالوا: نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بأنا نبشنا ميتالنا تتركوه، فقيل: ان النبي ﷺ قال فيه «ذلك نبي ضيعه قومه»[2] وأتت ابنته النبى ﷺ فآمنت به *

كذا قيل: انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبي ﷺ يكون بعد اجتماع الملك لأردشير بن بابك بدهر طويل؛ ونرجع الى أخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ، ونقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الأشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى *

﴿ذكر طبقات ملوك الفرس﴾

الطبقة الأولى الفيشداذية ملوك الأرض بعد جيومرث أو شهنج؛ وملك فيشداذ اربعين سنة — ومعني فيشداذ أول حاكم — ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين

---

(١) ما ارى امر جرجيس — بالصورة التى يقولها — الا خرافة من الخرافات *

(٢) والى هذا يشير أبو العلاء المعرى فى قوله

وخالد بن سنان ليس ينقصه من قدره الكون فى حى أضاعوه

Marfat.com

سنة ، ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ، ثم ملك بيوراسف بن أروندا سف ألف سنة ، ثم ملك أفريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ، ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ، ثم ملك افراسياب التركى اثنتى عشرة سنة ، ثم ملك زوُ بن تهماسف ثلاث سنين ، ثم ملك كرشاسب تسع سنين *

﴿ الطبقة الثانية الكيانية ﴾

ثم ملك كيقباذ مائة وستا وعشرين سنة ، ثم ملك كيكاووس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة ، ثم ملك كى لهراسب مائة وعشرين سنة ، ثم ملك كى بشتاسب مائة وعشرين سنة ، ثم ملك كى بهمن مائة واثنتي عشرة سنة ؛ ثم ملك خماني جهرازاد ثلاثين سنة ، ثم ملك أخوها دارا بن بهمن اثنتى عشرة سنة ، ثم ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة وهو الذى أخذ الاسكندر الملكَ منه ، وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة *

﴿ الطبقة الثالثة الأشغانية ﴾

وهم الذين استولوا على العراق والجبال ، وكان سائر ملوك الطوائف يعظمونهم * فأول ملوك الأشغانيين أيام ملوك الطوائف أشك ملك اثنتين وخمسين سنة ، ثم ملك ابنه شابور بن أشك أربعا وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه جوذرز بن شابور وهو الذى غزا بني إسرائيل بعد قتل يحي بن زكريا خمسين سنة ، ثم ملك ابن أخيه ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ، ثم ملك جوذرز بن ويجن تسع عشرة سنة ؛ ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ، ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ، ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربعا وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه أردوان بن بلاش خمسا وخمسين سنة * وقد ذكر بعضهم أنه ملك بعد هرمزان بن بلاش أردوان الأكبر اثنتي عشرة سنة ، وقيل فى عدد ملوك الطوائف غير ذلك — والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم فى أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف ، وملك افراسياب التركى — لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه *

﴿ الطبقة الرابعة الساسانية ﴾

فأولهم أردشير بن بابك *

﴿ ذكر أخبار أردشير بن بابك وملوك الفرس ﴾

Marfat.com

قيل : لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل فى قول النصارى وأهل الكتاب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة. وفى قول المجوس مائتان وست وستون، وثب أردشير ابن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك ابن اسفنديار بن بشتاسب . وقيل فى نسبته غير ذلك يريد الأخذ بثار الملك دارا بن دارا ورد الملك الى أهله والى ما لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد * وَذكر أن مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها طيروده من رستاق اصطخر و كان جده ساسان شجاعا مغرى بالصيد، وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجبين ، و كان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نارهيد ، فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير ، و كان ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجبين يقال له جوزهر ، و كان له خصى اسمه تيرى قد صيره إرجبذ ابدارا بجرد فلما أتى لأردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر ، وساله أن يضمه الى تيرى ليكون ربيباله وارجبذ ابعده فى موضعه فاجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتبناه *

فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر وحسن قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده، وأنه يملك فازداد فى الخير، ورأى فى منامه ملكا جلس عند رأسه ، فقال له ان الله يملكك البلاد فقويت نفسه قوة لم يعهدها، و كان أول مافعل أنه سار إلى موضع من دارا بجرد يسمى خوبا بان ، فقتل ملكها واسمه قاسين ، ثم سار الى موضع يقال له كوسن ، فقتل ملكها واسمه منوجهر ، ثم الى موضع يقال له لزويز فقتل ملكها واسمه دارا ، وجعل فى هذه المواضع قوما من قبله ، وكتب الى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بجوزهر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ تاجه ، وكتب الى أردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله فى تتويج ابنه سابور بتاج جوزهر ، فمنعه من ذلك وهدده فلم يحفل بابك بذلك وهلك فى ثلاثة أيام فتوج سابور بن بابك بالتاج، وملك مكان أبيه ، و كتب الى أردشير يستدعيه فامتنع فغضب سابور وجمع جموعا وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنا منه ، فأخذوا التاج والسرير وسلموه إلى أردشير فتتوج ؛ وافتتح أمره بجد وقوة ، وجعل له وزيرا ، ورتب موبذموبذان ، وأحس من اخوته وقوم كانوا معه بالفتك به ؛ فقتل جماعة كثيرة منهم ، وعصى عليه أهل دارا بجرد ؛ فعاد إليهم فافتتحها وقتل

Marfat.com

جماعة من أهلها ، ثم سار الى كرمان و بها ملك يقال له بلاش، فاقتتلا قتالا شديداً وقاتل أردشير بنفسه وأسر بلاش ، فاستولى على المدينة ، وجعل فيها ابنا له اسمه أردشير أيضا* و كان فى سواحل بحر فارس ملك اسمه اسيون يعظم ، فسار اليه أردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالا عظيمة و كتب إلى جماعة من الملوك : منهم مهرك صاحب ابرساس من أردشير خرة يدعوهم إلى الطاعة فلم يفعلوا ، فسار اليهم فقتل مهرك . ثم سار إلى جور فأسسها وبنى الجوسق المعروف بالطربال وبيت نار هناك *

فبينما هو كذلك اذ ورد عليه رسول أردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم . فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردى من أذنلك فى التاج والبلاد ؟ ومن أمرك ببناء المدينة ؟ وأعامه انه قد وجه اليه ملك الأهواز ليأتيه به فى وثاق . فكتب اليه : ان الله حباني بالتاج وملكني البلاد وأنا أرجو أن يمكنني منك فأبعث برأسك الى بيت النار الذى أسسته وسار أردشير نحو اصطخر . وخلف وزيره ابرسام باردشير خرة فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب ابرسام بموافاة ملك الاهواز وعوده منكوبا . ثم سار الى أصبهان فملكها ، وقيل : ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نير وفر صاحب الأهواز ، وسار الى أرّجان والى ميسان وطاسار ، ثم الى سرق . فوقف على شاطئ دجيل . فظفر بالمدينة . وابتنى مدينة سوق الأهواز . وعاد الى فارس بالغنائم . ثم عاد من فارس الى الأهواز على طريق خرة و كازرون ، وقتل ملك ميسان ، وبنى هناك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى أردوان يؤذنه بالحرب ويقول له : ليعين موضعا للقتال ، فكتب اليه أردوان اني أوافيك فى صحراء هرمزجان لانسلاخ مهر ماه فوافاه أردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه أردوان وملك الأرمانيين . و كانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على أردشير و حارباه وهما متساندان يقاتله هذا يوما وهذا يوما فاذا كان يوم بابا ملك الأرمانيين لم يقم له أردشير واذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير فصالح أردشير بابا ملك الأرمانيين على أن يكف عنه ويفرغ أردشير لأردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمى أردشير شاهنشاه * ثم سار الى همذان فافتتحها ، والى الجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ففتحها عنوة ، وسار الى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطىء دجلة قبالة طيسفون وهى المدينة التى فى شرق المدائن مدينة غربية وسماها به أردشير ، وعاد من السواد الى اصطخر ، وسار منها الى سجستان ، ثم الى جرجان ،

Marfat.com

ثم الى نيسابور. ومرو، و بلخ ،وخوارزم ، وعاد الى فارس ونزل جور ، فجاءه رسل ملك كوسان،وملك طوران ؛وملك مكران بالطاعة،ثم سار من جور الى البحرين. فاضطر ملكها الى أن رمى نفسه من حصنه فهلك،وعاد الى المدائن فتوّج ابنه سابور بتاجه فى حياته،وبنى ثمان مدن:منها مدينة الخط بالبحرين،ومدينة بهرسير مقابل المدائن،و كان اسمه به أردشير فعربت به سير وأردشير خرة هى مدينة فيروز أباذ سماها عضد الدولة بن بويه كذلك؛و بنى بكرمان مدينة أردشير أيضا فعربت بردشير. وبني بهمن أردشير على دجلة عند البصرة و البصريون يسمونها بهمن شير وفرات ميسان أيضا ، وبني رامهرمز بخوزستان ، وبنى سوق الأهواز، وبالموصل بودر أردشير وهى حرة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لا ترد له راية، ومدّن المدن ، و كور الكور ، ورتب المراتب ، وعمر البلاد ، و كان ملكه من قتله أردوان الى أن هلك أربع عشرة سنة ،وقيل : أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، ولما استولى أردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام فى مملكته فخرج من كان منهم من قضاعة الى الشام ، ودان له أهل الحيرة والأنبار ، وقد كانت الحيرة والانبار بنيتا زمن بختنصر فخربت الحيرة لتحول أهلها الى الانبار وعمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدى ، فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفة ونزلها أهل الاسلام *

﴿ذكر ملك سابور بن أردشير بن بابك﴾

ولما هلك أردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور ، و كان أردشير قد أسرف فى قتل الأشكانية حتي أفناهم بسبب أليته التي آلاها جده ساسان بن أردشير بن بهمن فانه اقسم انه إن ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل أشك بن حرة أحدا ، وأوجب ذلك على عقبه ، فكان أول من ملك من عقبه أردشير فقتلهم جميعا نساءهم ورجالهم ، غير أن جارية وجدها فى دار المملكة فأعجبته و كانت ابنة للملك المقتول ، فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها أبكر أم ثيب ؟ فأخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فعلقت منه فلما أمنت منه بحبلها أخبرته أنها من ولد أشك فنفر منها ، ودعا هرجد بن أسام، و كان شيخا مسنا فاخبره الخبر ، وقال له ليقتلها ليبر قسم جده ، فاخذها الشيخ ليقتلها . فأخبرته انها حبلى ، فأتي بالقوابل فشهدن بحبلها . فأودعها سربا من الأرض ، ثم قطع مذاكيره ووضعها فى حق وختم عليه ، وحضر عند الملك ، فقال : مافعلت ؟ فقال :

Marfat.com

استودعتها بطن الأرض ودفع الحق اليه ، وسأله أن يختمه بخاتمه ، ويودعه بعض خزائنه ففعل ، ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ أن يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير ، فاخذله الطالع ؛ وسماه شاه بور ؛ ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أول من تسمى بهذا الاسم . وبقى أردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذى عنده الصبى يوما ، فوجده محزونا ، فقال له مايحزن الملك فقال ضربت بسيفى مابين المشرق والمغرب حتي ظفرت وصفالى ملك آبائى ، ثم أهلك وليس لى عقب فيه ، فقال له الشيخ سرك الله أيها الملك وعمرك لك عندى ولد طيب نفيس فادع لى بالحق الذى استودعتك أرك برهان ذلك فدعا اردشير بالحق وفتحه ، فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتابا فيه لما أخبرتنى ابنة أشك التى علقت من ملك الملوك حين أمر بقتلها ، لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الأرض كما أمر وتبرأنا اليه من أنفسنا لئلا يجد علينا سبيلا ، فأمره أردشير أن يجعل مع سابور مائة غلام ، وقيل ألف غلام من أشباهه فى الهيئة والقامة ، ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زى ، ففعل الشيخ ، فلما نظر اليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ، ثم أعطوا صوالجة وكرة فلعبوا بالكرة وهو فى الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان أن يدخلوه ، وأقدم سابور من بينهم ، ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه أنه ابنه فقال له أردشير : مااسمك قال : شاه بور ، فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده ؛ وكان عاقلا بليغا فاضلا ، فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرق الأموال على الناس من قرب ومن بعد وأحسن اليهم ، فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك . وبني مدينة نيسابور ، ومدينة سابور بفارس ، وبنى فيروز سابور وهى الأنبار ، وبنى جنديسابور ؛ وقيل : إنه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ، ثم أتاه من ناحية خراسان مااحتاج الى مشاهدته فسار اليها وأحكم أمرها ، ثم عاد الى نصيبين فزعموا أن سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبي وغنم . وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها فالوقية ، وقدوقية ، وحاصر ملكا للروم بأنطاكية فاسره وحمله وجماعة كثيرة معه فأسكنهم مدينة جنديسابور *

﴿ ذكر خبر مدينة الحضر ﴾

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له

Marfat.com

الساطرون (١) وكان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاعة، وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وانه تطرق بعض السواد (٢) اذ كان سابور بخراسان. فلما عاد سابور أخبر بما كان منه، فسار اليه وحاصره أربع سنين، وقيل: سنتين (٣) لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه، وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فخاضت؛ فأخرجت الى ربض المدينة، وكذلك كان يفعل بالنساء، وكانت من أجمل النساء، وكان سابور من أجمل الناس، فرأى كل واحد منهما صاحبه، فتعاشقا فأرسلت اليه، ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة؟، فقال: أحكمك وأرفعك على نسائي، فقالت: عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم أرسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب، وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل، وتداعت المدينة، فدخلها عنوة، وقتل

---

(١) وهو الذى يقول فيه أبو دؤاد الايادي:

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون

وقال أيضا فيه عدى بن زيد العبادى

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كلـ * ـساً فللطير فى ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون وباد الـ * ـملك عنه فبابه مهجور

واراد بالخابور الخابور الفوقانى الذى هو فوق نصيبين غير الخابور التحتانى الذى منبعه رأس العين ويصب فى الفرات عند قرقيسية المشهورة الآن فى البصيرة شرقى دير الزور ونحو عشرين ميلا اه الادارة

(٢) والى هذه يشير شاعرهم عمرو بن الة القضاعى بقوله:

لقيناهم بجمع من علاف وبالخيل الصلادمة الذكور

فلاقت فارس منا نكالا وقتلنا هرابذ شهر زور

ذلفنا للأعاجم من بعيد بجمع كالجزيرة فى السعير . الادارة

(٣) قوله «سنتين» هو الموافق لما فى شعر الأعشى بقوله:

ألم تر للحضر اذ أهله بنعمى وهل خالد من نعم؟

اقام به شاهبور الجنو دحولين يضرب فيه القدم

فما زاده ربه قوة ومثل محاوره لم يقم

فلما رأى ربه فعله أتاه طروقا فلم ينتقم

وكان دعا قومه دعوة هلموا الى أمركم قد صرم

فموتوا كراما باسيافكم أرى الموت يجشمه من جشم .الادارة

Marfat.com

الضيزن وأصحابه ، فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم،وأخرب المدينة[١] واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر ،فلم تزل ليلتها تتضور ، فالتمس مايؤذيها ، فاذا ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكن بطنها فقال لها : ما كان يغذوك به أبوك ؟ قالت بالزبد،والمخ ،وشهد الأبكار من النحل، وصفو الخمر فقال : وأبيك لأنا أحدث عهدا وآثر لك من أبيك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا[٢].وقد أكثر الشعراء ذكر الضيزن فى أشعارهم *

وفى أيام سابور ظهر ماني[٣] الزنديق، وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية .وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما ، وقيل: احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام *

﴿ ذكر ملكِ ابنهِ هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ﴾

وكان يشبه فى خلقه بأردشير غير لاحق به فى تدبيره ، وكان من البطش والجراءة على أمر عظيم ،وكانت أمه من بنات مهرك الملك الذى قتله أردشير وتتبع نسله فقتلهم لان المنجمين أخبروه أنه يكون من نسله من يملك ، فهربت أمه الى البادية ، وأقامت عند بعض الرعاء ، وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش ، وارتفعت له الأخبية التي فيها أم هرمز ، فقصدها وطلب الماء . فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا . فلم يلبث أن حضر الرعاء فسألهم سابور عنها .فقال بعضهم: إنها ابنته فتزوجها . وسار بها الى منزله وكسيت ونظفت . فأرادها فامتنعت عليه مدة . فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك. فاخبرته أنها ابنة مهرك . وأنها تفعل ذلك ابقاء عليه من أردشير . فعاهدها على ستر أمرها . ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صار له سنون . فركب أردشير يوما الى منزل ابنه سابور

---

(١) ولاتزال خربة حتى الآن وقد رثاها عمرو بن الة الذى كان مع الضيزن بقوله:

الم يحزنك والأنباء تنمى بما لاقت سراة بنى عبيد ؟
ومصرع ضيزن وبنى أبيه واحلاس الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من اواسى الحصن صخرا كأن ثفاله زبر الحديد

فمن هذا تعلم أن سابور هدم الحصن لا أن الحمامة كانت سبب هدمه لان الشاعر ممن حضر الوقعة .اه الادارة

(٢) والى هذا يشير الشاعر :

اقفر الحصن من نضيرة فالمر باع منها فجانب الثرثار

(٣) المانوية يقولون باله الخير واله الشر وكان مانى يريد أن يمزج المانوية بالمسيحية ويوجد من هذا المزيج دينا جديدا

Marfat.com

لشيء أراد ذكره له. فدخل منزله مفاجأة. فلما استقر خرج هرمز وبيده صولجان. وهو يصيح فى أثر الكرة *

فلما رآه أردشير أنكره. ووقف على المشابه التى فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وأمور غيرها. فاستدناه أردشير. وسأل عنه سابور فخرج مفكرا على سبيل الاقرار بالخطأ. وأخبر أباه أردشير الخبر فسر. وأخبره أنه قد تحقق الذى ذكره المنجمون فى ولد مهرك. وان ذلك قدسلى ما كان فى نفسه وأذهبه *

فلما ملك سابور ولى هرمز خراسان. وسيره اليها فقهر الأعداء. واستقل بالأمر فوشى به الوشاة الى سابور أنه على عزم أن يأخذ الملك منه، وسمع هرمز بذلك، فقيل: انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه بما بلغه، وأنه فعل ذلك إزالة للتهمة لان رسمهم أنهم كانوا لايملكون ذا عاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا، وأرسل الى هرمز يعلمه ماناله لذلك، وعقد له على الملك وملكه، ولما ملك عدل فى رعيته، وكان صادقا وسلك سبيل آبائه وكور كورة رامهرمز، وكان ملكه سنة وعشرة أيام *

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور ﴾

وكان حليما متأنيا حسن السيرة، وقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلق على باب من أبواب جنديسابور يسمى باب ماني. وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وكان عامل سابور بن أردشير وابنه هرمز، وبهرام بن هرمز بعد ملك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمرو بن عدى، يقال له امرؤ القيس الكندى وهو أول من تنصر من آل نصر ابن ربيعة وعمال الفرس، وعاش ملكا فى عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة منها فى زمن سابور بن أردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا، وفى زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام، وفى زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وفى زمن بهرام بن بهرام ابن هرمز ثماني عشرة سنة *

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ﴾

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالأمور، فلما عقد له التاج وعدهم بحسن السيرة، واختلف فى سني ملكه فقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة والله أعلم *

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور ﴾

فلما عقد التاج على رأسه دعا العظماء فأحسن الرد ، وكان قبل أن يفضى اليه الأمر مملكا على سجستان وكان ملكه أربع سنين *

﴿ ذكر مالك نرسى بن بهرام ﴾

وهو اخو بهرام الثالث ، فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الأشراف والعظماء فدعوا له فوعدهم خيرا . وسار فيهم بأعدل السيرة ، وقال : لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا ، وكان ملكه تسع سنين *

﴿ ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز ﴾

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته . فأعلمهم أنه قد علم بما كانوا يخافون من شدة ولايته ، وأن الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقة ورأفة ، وساسهم أرفق سياسة ؛ وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ؛ ثم هلك ولا ولد له فشق ذلك على الناس ، فسألوا عن نسائه فذكر لهم أن بعضهن حبلى ، وقيل : إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل ، وولدت المرأة سابور ذا الأكتاف ، وكان ملك هرمز ست سنين وخمسة أشهر ، وقيل : سبع سنين وخمسة أشهر ، وأسماء الملوك من سابور بن أردشير الى ههنا لم يحذف ، منها شيء *

﴿ ذكر ملك ابنه سابور ذى الأكتاف ﴾

وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ، قيل ملك بوصية أبيه له ، فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره فى الآفاق ، وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه فى ملك أبيه ، وسمع الملوك أن ملك الفرس صغير فى المهد ، فطمعت فى مملكتهم الترك والعرب والروم ، وكانت العرب أقرب الى بلاد فارس ، فسار جمع عظيم منهم فى البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل أردشير خرة ، وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم ، وأكثروا الفساد ، وغلبت إياد على سواد العراق ، وأكثروا الفساد فيهم . فمكثوا حينا لا يغزوهم أحد من الفرس لصغر ملكهم ؛ فلما ترعرع سابور ، وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه أنه سمع فى البحر ضوضاة وأصواتا ، فسأل عن ذلك ، فقيل : ان الناس يزدحمون فى الجسر الذى على

Marfat.com

دجلة مقبلين ومدبرين ، فامر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك ، فلما بلغ ست عشرة سنة ، وقوى على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختل من أمرهم وأنه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الأعداء فدعا له الناس ، وسألوه أن يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد ، فابى واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازدياد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الابقاء على أحد من العرب ، وقصد بلاد فارس فأوقع بالعرب وهم غارون فقتل وأسر وأكثر ، ثم قطع البحر الى الخط فقتل من بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة ، وسار الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الأرض ، وأباد عبدالقيس وقصد اليمامة ، وأكثر فى أهلها القتل وغوّر مياه العرب ، وقصد بكر او تغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى وغور مياههم ، وسار الى قرب المدينة ففعل كذلك ، وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل الى أن هلك ، فسموه سابور ذا الأكتاف لهذا *

وانتقلت إياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد ، فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادى معهم فكتب الى إياد *

سلام فى الصحيفة من لقيط * الى مَن بالجزيرة من إياد
بأن الليثَ كسرى قد أتاكم * فلا يشغلكم سوق النفاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائبَ كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا *

أبلغ إيادا وخلل فى سراتهم * انى أرى الرأى ان لم أعص قد نصعا

وهى قصيدة مشهورة من أجود ماقيل فى صفة الحرب[1] فلم يحذروا وأوقع بهم

---

(١) منها فى التحريض على المقارعة والثبات فى الحرب قوله .

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا كى ينال الأمن من فزعا
هيهات مازالت الأموال مذأبدت لاهلها ان اصيبوا مرة تبعا

ومنها فى انتخاب القائد وتدبير الحرب قوله

وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترفا إن رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به جزعا
مازال يحلب هذا الدهر اشطره يكون متبعا طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم السن لاقحما ولاضرعا

* الادارة

سابور وأبادهم قتلا إلاّ من لحق بأرض الروم فهذا فعله بالعرب *

وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين ، وهو أول من تنصر من ملوك الروم ، ونحن نذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله . ومات قسطنطين ، وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فملكوا . وملكت الرومُ عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس ، وكان على ملة الروم الأولى ، ويكتم ذلك فلما ملك أظهر دينه ، وأعاد ملةَ الروم ، وأخرب البيع . وقتل الأساقفة . ثم جمع جموعا من الروم والخزر ، وسار نحو سابور ، واجتمعت العرب للانتقام من سابور . فاجتمع فى عسكر اليانوس منهم خلق كثير ، وعادت عيون سابور اليه ، فاختلفوا فى الأخبار ، فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحوَ الروم . فلما قرب من يوسانوس وهو على مقدمة اليانوس اختفى ، وأرسل بعض من معه إلى الروم ، فأخذوا وأقر بعضهم على سابور ، فأرسل يوسانوس اليه سرا ينذره ، فارتحل سابور الى عسكره وتحارب هو والعرب والروم . فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وملكت الروم مدينة طيسفون وهى المدائن الشرقية ، وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه . وكتب سابور الى جنوده وقواده يعلمهم مالقى من الروم والعرب ويستحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعاد واستنقذ مدينة طيسفون ونزل اليانوس مدينة بهرسير ، واختلف الرسل بينهما فبينما اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميه ، فقتله ، فسقط فى أيدى الروم ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس ، فطلبوا من يوسانوس أن يملك عليهم فلم يفعل وأبى الا أن يعودوا إلى النصرانية ، فاخبروه أنهم على ملته ، وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس فملك عليهم ، وأرسل سابور إلى الروم يتهددهم ويطلب الذى ملك عليهم ليجتمع به ، فسار اليه يوسانوس فى ثمانين رجلا ، فتلقاه سابور وتساجدا وطعما ، وقوى سابور أمر يوسانوس بجهده ، وقال للروم : انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما أن تعطونا قيمة ماأهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين ، وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها فدفعوها اليهم وتحول أهلها عنها ، فحول اليها سابور اثني عشر ألف بيت من أهل اصطخر وأصبهان وغيرها ، وعادت الروم الى بلادها . وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير *

وقيل : ان سابور سار الى حد الروم وأعلم أصحابه انه على قصد الروم مختفيا لمعرفة أحوالهم وأخبار مدنهم ، وسار اليهم فجال فيهم حينا ، وبلغه أن قيصر أولم وجمع الناس

Marfat.com

Marfat.com

فحضر بزى سائل لينظر الى قيصر على الطعام . ففطن به وأخذ ، وأدرج فى جلد ثور ، وسار قيصر بجنوده الى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال ، فقتل وأخرب حتى بلغ جنديسابور ، فتحصن أهلها وحاصرها ، فبينما هو يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سبي الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القد الذى عليه زيتا كان بقربهم ، ففعلوا ولان الجلد وانسل منه ، وسار إلى المدينة وأخبر حراسها فأدخلوه . فارتفعت أصوات أهلها . فاستيقظ الروم . وجمع سابور من بها وعبأهم وخرج إلى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم ، واسر قيصر وغنم أمواله ونساءه وأثقله بالحديد ، وأمره بعمارة ما أخرب ، وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبنى به ماهدم المنجنيق من جنديسابور ، وان يغرس الزيتون مكان النخل ، ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيك علينا فأقام مدة : ثم غزا فقتل وسبي سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها ايران شهر سابور ؛ وبنى مدينة نيسابور بخراسان فى قول ، وبالعراق بزرج سابور ، وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة ، وهلك فى أيامه امرؤ القيس بن عمرو بن عدى عامله على العرب . فاستعمل ابنه عمرو بن امرىء القيس فبقى فى عمله بقية ملك سابور ، وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور ، وكانت ولايته ثلاثين سنة *

وأما سبب تنصر قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضح كبير فارادت الروم خلعه وترك ماله عليه فشاور نصحاءه ، فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلعك وانما تحتال عليهم بالدين ، وكانت النصرانية قد ظهرت وهى خفية ، وقالوا له : استمهلهم حتى تزور البيت المقدس فاذا زرته دخلت فى دين النصرانية ، وحملت الناس عليه فانهم يعترفون فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين الا نصروا ففعل ذلك فأطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير ، وأقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظفر بهم فقتلهم ، فأحرق كتبهم وحكمتهم ، وبنى القسطنطينية ونقل الناس اليها ، وكانت أمية دار ملكهم ، وبقى ملكه عليه ، وغلب على الشام وكان الأكاسرة قبل سابور ذى الأكتاف ينزلون طيسفون وهى المدينة الغربية من المدائن . فلما نشا سابور بنى الايوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك وهو باق إلى الآن ونحن فى سنة خمس وعشرين وستمائة[1] *

---

(١) ولا تزال منه بقية بالقرب من بغداد شرقيه بمحل يسمى (سلمان باك) — اى الطاهر — ويقولون ان سلمان الفارسى دفن هناك وله مزار معروف ونحن الآن فى سنة ثمان وار بعين وثلثمائة وألف . الادارة *

﴿ذكر ملك أردشير بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن سابور بن أردشير بن بابك اخى سابور﴾

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم خلقا كثيرا فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه *

﴿ذكر ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف﴾

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه اليه ، وكتب الى العمال بالعدل والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته ، وأطاعه عمه المخلوع وأحبته رعيته، ثم ان العظماء و أهل الشرف قطعوا أطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتلته . و كان ملكه خمس سنين *

﴿ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذى الأكتاف﴾

و كان يلقب كرمان شاه لان أباه ملكه كرمان فى حياته ، فكتب الى القواد كتابا يحثهم على الطاعة ، و كان محمودا فى أموره ، وبني بكرمان مدينة ، وثار به ناس من الفتاك فقتله أحدهم بنشابة ، و كان ملكه احدى عشرة سنة *

﴿ ذكر ملك يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف ﴾

ومن أهل العلم من يقول: إن يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور لابنه ، و كان فظا غليظا ذاعيوب كثيرة ، يضع الشيء فى غير مواضعه ؛ كثير الرزيئة فى الصغائر ، واستعمل كل ماعنده فى المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجهات الشر وعجب به ، و كان علقا سيء الخلق لايغفر الصغيرة من الزلات ، ولا يقبل شفاعة أحد من الناس ، وان كان قريبا منه ، كثير التهمة ولا يأتمن أحدا على شيء ولم يكن يكافىء أحدا على حسن البلاء ، وان هو أولى الخسيس من العرف استعظمه ، واذا بلغه أن أحدا من أصحابه صافى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته ، و كان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب ، وقد مهر فى صنوف من العلم، واستوزر نرسى حكيم زمانه ، و كان فاضلا قد كمل أدبه ولقبه هزار بيده فامل الناس أن يصلح نرسى منه، فكان ماأملوه بعيدا ، فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هابته الأشراف والعظماء ، وحمل على الضعفاء فأكثر من سفك الدماء ، فلما ابتليت الرعية به شكوا مانزل بهم منه الى الله تعالى وسألوه تعجيل انقاذهم منه فزعموا أنه كان بجرجان فرأى ذات يوم فى قصره فرسا غائرا لم ير مثله ، فاخبر

Marfat.com

Marfat.com

به ، فامر أن يسرج ويلجم ويدخل عليه ، فلم يقدر أحد على ذلك فاعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده وأسرجه . فلما رفع ذنبه ليثفره[1] رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه ، وملأ الفرس فروجه جريا ولم يعلم له خبر ، وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما *

وأما العرب فقيل: إنه لما هلك عمرو بن امرىء القيس البدء[2] ابن عمرو بن عدى فى عهد سابور استخلف سابور على عمله أوس بن قلام وهو من العماليق ، فملك خمس سنين وقتل فى عهد بهرام بن سابور ، فاستخلف بعده فى عمله امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس البدء فبقى خمسا وعشرين سنة ، وهلك أيام يزدجرد الأثيم فاستخلف بعده فى عمله ابنه النعمان ، وأمه شقيقة ابنة أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو صاحب الخورنق وسبب بنائه له ان يزدجر الأثيم كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل برى صحيح ، فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناله ، وأمره باخراجه الى بوادى العرب ، وكان الذى بني الخورنق رجلا اسمه سنمار ، فلما فرغ من بنائه تعجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرى لعملته يدور مع الشمس ، فقال : وانك لتقدر على ماهو أفضل منه ثم أمر به فالقى من رأس الخورنق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور فى أشعارها [3] وغزا النعمان هذا الشام مرارا ، وأكثر المصائب فى أهلها : وسبي وغنم ، وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لاحداهما دوس[4] وهى لتنوخ ، وللأخرى الشهباء وهى لفارس ، فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب *

ثم أنه جلس يوما فى مجلسه من الخورنق ، فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين

---

(١) أى ليضع السير الذى فى مؤخر السرج تحت ذنب الفرس اه (٢) فى النسخ المطبوعة الكندى وهو خطأ وصوابه البدء: اه : الادارة (٣) كقول ابى الطمحان القينى

جزاء سنمار جزاها وربها و باللات والعزى جزاء المكفر

وقول سليط بن سعد

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقول يزيد بن اياس النهشلى

جزى الله كما لا بأسوء فعله جزاء سنمار جزاء موفرا . الادارة

(٤) لعله دوسير معربة من دوشير ومعناها اسدين كما فى الاوقيانوس ترجمة القاموس التركية لأحمد عاصم العينى

والانهار فى يوم من أيام الربيع ، فاعجبه ذلك ، فقال لوزيره : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ قال : لالو كان يدوم ، قال : فما الذى يدوم ، قال : ماعند الله فى الآخرة ، قال : فبم ينال ذلك ؟ قال : بتركك الدنيا وعبادة الله . فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح ، وخرج هاربا لايعلم به ، فاصبح الناس ، فلم يروه ، وكان ملكه الى أن تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر ، من ذلك فى أيام يزد جردخمس عشرة سنة ، وفى زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة[1] وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره *

﴿ ذكر ملك بهرام بن يزد جرد الأثيم ﴾

لما ولد يزدجرد بهرام جور اختار لحضانته العرب ، فدعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب . فسار به المنذر . واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الأشراف منهن عربيتان وعجمية . فأرضعنه ثلاث سنين . فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدّبين . فعلموه الكتابة والرمى والفقه بطلب من بهرام بذلك . وأحضر حكيما من حكماء الفرس ، فتعلم ووعى كل ماعلمه بأدنى تعليم . فلما بلغ اثنتى عشرة سنة تعلم كل ماأفيد وفاق معلميه . فامرهم المنذر بالانصراف ، وأحضر معلمى الفروسية فأخذعنهم كل ماينبغى له ثم صرفهم ثم أمر فأحضرت خيل العرب للسباق ، فسبقها فرس أشقر للمنذر ، وأقبل باقى الخيل بداد ، فقرب المنذر الفرس بيده اليه ، فقبله وركبه يوما للصيد ، فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها ، واذاهو بأسد قد أخذ عيرا منها ، فتناول ظهره بفيه ، فرماه بهرام بسهم ، فنفذ فى الاسد والعير ، ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه ، فرآه من معه فعجبوا منه ، ثم أقبل على الصيد واللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر ، فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لايملكوا أحدا من ذرية يزدجرد لسوء سيرته ، فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوئه فى العرب وتخلقه باخلاقهم ، ولأنه من ولد يزدجرد ، وملكوا

---

(١) والى ذلك يشير عدى بن زيد العبادى .

وتفكر رب الخورنق اذ اشـ ... ـرف يوما وللهدى تبصير
سره حاله وكثرة ماي ... ـلك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وماغبـ ... ـطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامـ ... ـة وارتهم هناك القبور
ثم اضحوا كأنهم ورق جـ ... ـف فألوت به الصبا و الدبور

Marfat.com

Marfat.com

رجلا من عقب أردشير بن بابك يقال له كسرى ، فانتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام ، فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب ، وعرفهم إحسان والده اليهم ، وشدته على الفرس ، وأخبرهم الخبر ، فقال المنذر : لا يهولنك ذلك حتي ألطف الحيلة فيه . وجهز عشرة آلاف فارس ؛ ووجههم مع ابنه النعمان الى طيسفون ، وبهرسير مدينتي الملك ، وأمره أن يعسكر قريباً منهما ويرسل طلائعه اليهما ، وأن يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ، ففعل ذلك ، وأرسل عظماء فارس حوابى صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان ، فلما ورد حوابي ؛ قال له الق الملك بهرام ، فدخل عليه ، فراعه مارأى منه ، فأغفل عن السجود دهشا ، فعرف بهرام ذلك ، فكلمه ووعده أحسن الوعد ورده الى المنذر ، وقال له : أجبه ، فقال له : ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه ، فلما سمع حوابي مقالة المنذر وتذكر مارأى من بهرام علم ان جميع من تشاور فى صرف الملك عن بهرام محجوج ، فقال للمنذر: سر الى مدينة الملوك وتجمع إليك الأشراف والعظماء وتشاوروا فى ذلك فلن تخالفوا ما تشير به ، وسار المنذر بعد عود حوابى من عنده بيوم فى ثلاثين ألفاً من فرسان العرب الى مدينتى الملك بهرام فجمع الناس ، وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر ، وتكلم عظماء الفرس ، فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله واخراب البلاد ، وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده ، فقال بهرام : لست أكذبكم ، ومازلت زاريا عليه ذلك ، ولم أزل أسأل الله أن يملكنى لأصلح ما أفسد ، ومع هذا فاذا أتي على ملكى سنة ، ولم أف بما أعدت برأت من الملك طائعاً وأناراض بأن تجعلوا التاج وزينة الملك بين أسدين ضاريين ، فمن تناولهما كان الملك له ، فأجابوه الى ذلك ، ووضعوا التاج والزينة بين أسدين وحضر موبذموبذان فقال بهرام : لكسرى دونك التاج والزينة ، فقال كسرى أنت أولى لأنك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب ، فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر اليه أحد الأسدين ، فوثب بهرام فعلا ظهره ، وعصر جنبي الأسد بفخذيه ، وجعل يضرب رأسه بالجرز [1] الذى معه ، ثم وثب الاسد الآخر عليه ، فقبض أذنيه بيده ، ولم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الآخر الذى تحته حتى دمغهما ، ثم قتلهما بالجرز الذى معه [2] وتناول بعد ذلك التاج والزينة ، فكان اول من أطاعه كسرى ، وقال جميع من حضر : قد أذعنا لك ورضينا بك ملكا ، وان

---

(١) هو عمود من حديد (٢) وهذه تضاف الى خرافات الفرس وغلوهم فى الاكاذيب والمبالغة . الادارة *

Marfat.com

العظماء والوزراء والأشراف سألوا المنذر ليكلم بهرام فى العفو عنهم ، فسال المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه ، وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة ، وأمر أن يلزم رعيته راحة ودعة ، وجلس للناس يعـدهم بالخير ، ويأمرهم بتقوى الله ، ولم يزل مـدة ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتي طمع فيه من حوله من الملوك فى بلاده ، وكان أول من سبق الى قصده خاقان ملك الترك ، فانه غزاه فى مائتى ألف وخمسين ألفا من الترك ، فعظـم ذلك على الفرس ، ودخل العظماء على بهرام وحذروه قتمادى فى لهوه ، ثم تجهز وسار إلى أذر بيجان ليتنسك فى بيت نارها ويتصيد بأمنيته فى سبعة رهط من العظماء وثلثمائة من ذوى الباس والنجدة واستخلف أخاه نرسى ، فما شك الناس فى انه هرب من عدوه ، فاتفق رأى جمهورهم على الانقياد الى خاقان وبذل الخراج له خوفا على نفوسهم وبلادهم ، فبلغ ذلك خاقان فأمن ناحيتهم ، وسار بهرام من أذر بيجان إلى خاقان فى تلك العدة ، فثبت للقتال ، وقتل خاقان بيده ، وقتل جنده ، وانهزم من سلم من القتل ، وأمعن بهرام فى طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبي ، وعاد وجنده سالمون ، وظفر بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزبانا ، وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين ، وجعلوا بينهم حداً لا يعدونه وأرسل إلى ماوراء النهر قائدا من قواده ، فقتل وسبي وغـنم * وعاد بهرام إلى العراق ، وولى أخاه نرسى خراسان . وأمره أن ينزل مدينة بلخ * واتصل به أن بعض رؤساء الديلم جمـع جمعاً كثيرا وأغار على الرىّ وأعمالها فغنم وسبي وخرب البلاد ، وقـد عجز أصحابه فى الثغر عن دفعه ، وقد قرروا عليهم أتاوة يدفعونها اليه ، فعظم ذلك عليه وسير مرزبانا الى الرىّ فى عسكر كثيف ، وأمره أن يضع على الديلمى من يطمعه فى البلاد ، ويغريه بقصدها ، ففعل ذلك فجمع الديلمى جموعه وسار إلى الرى ، فأرسل المرزبان إلى بهرام جور يعلمه خبره فـكتب اليه يأمره بالمسير نحو الديلمى والمقام بموضع سماه له ، ثم سار جريدة فى نفر من خواصه ، فأدرك عسكره بذلك المكان والديلمى لا يعلم بوصوله وهو قـد قوى طمعه لذلك . فعبي بهرام أصحابه وسار نحو الديلم ، فلقيهم وباشر القتال بنفسه ، فأخذ رئيسهم أسيرا . وانهزم عسكره . فأمر بهرام بالنداء فيهم بالأمان لمن عاد اليه ، فعاد الديلم بجميعهم ، فأمنهم ولم يقتل منهم أحدا ، وأحسن اليهم ، وعادوا إلى أحسن طاعة ، وأبقى على رئيسهم ، وصار من خواصه * وقيل : كانت هذه الحادثة قبـل حرب الترك والله أعلم *

ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام، فبنيت له هى ورستاقها،واستوزر نرسى فاعلمه انه ماض الى الهند متخفيا ، فسار الى الهند وهو لا يعرفه أحد غير ان الهند يرون شجاعته وقتله السباع ، ثم إن فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه،فسمع الملك خبره، فأرسل معه من يأتيه بخبره ، فانتهى بهرام والهندى معه الى الأجمة فصعد الهندى شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج وله صوت شديد . فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب ، ووقذه بالنشاب وأخذ مشفره . ولم يزل يطعنه حتي أمكن من نفسه،فاحتز رأسه وأخرجه . وأعلم الهندى ملكهم بما رأى فاكرمه وأحسن اليه وسأله عن حاله . فذكر ان ملك فارس سخط عليه ، فهرب الى جواره ، وكان لهذا الملك عدو فقصده . فاستسلم الملك وأراد أن يطيع ويبذل الخراج ، فنهاه بهرام وأشار بمحاربته . فلما التقوا قال لأساورة الهندى : احفظوا لى ظهرى،ثم حمل عليهم.فجعل يضرب فى أعراضهم ويرميهم بالنشاب حتي انهزموا.وغنم أصحاب بهرام ما كان فى عسكر عدوه فاعطى بهرام الديبل ومكران ، وأنكحه ابنته فامر بتلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا * وأغزى نرسى بلاد الروم فى أربعين ألفا ، وأمره أن يطلب ملك الروم بالأتاوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما أراد الى بهرام وقيل : انه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه الى بلاد اليمن ، ودخل بلاد السودان ، فقتل مقاتلهم ، وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته . ثم إنه فى آخر ملكه خرج الى الصيد فشد على عنز فامعن فى طلبه فارتطم فى جب ، فغرق ، فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع ، وأمرت باخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدروا عليه ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما،وقيل: ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر أبو جعفر فى اسم بهرام جور ان أباه أسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم ،وذكر عند يزجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرىء القيس ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا أنه لم ينسب كل قول الى قائله *

﴿ ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور ﴾

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر أباه ومناقبه ، وأعلمهم أنهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته فى مصالحهم وكيد أعدائهم ، وانه قد استوزر نرسى صاحب أبيه وعدل فى رعيته وقمع أعداءه وأحسن الى جنده . وكان له ابنان يقال لاحدهما

Marfat.com

Marfat.com

هرمز وللاخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على الملك بعد هلاك ابيه يزدجرد ، فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة ، واستنجد ملكهم ؛ فأمده بعد أن دفع اليه الطالقان، فاقبل بهم فقتل أخاه بالرى وكانا من أم واحدة . وقيل : لم يقتله وانما أسره وأخذ الملك منه ، وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد فوجه اليهم نرسى فى العدة التى أنفذه أبوه فيها فبلغ ارمانية . وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر ، وقيل تسع عشرة سنة *

﴿ ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد أن قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته ﴾

ولما ظفر فيروز بأخيه وملك أظهر العدل وأحسن السيرة وكان يتدين إلا أنه كان محدوداً مشؤوماً على رعيته ، وقحطت البلاد فى زمانه سبع سنين متوالية . وغارت الأنهار والقني . وقل ماء دجلة ، ومحلت الأشجار . وهاجت عامة الزروع فى السهل والجبل من بلاده . وماتت الطيور والوحوش وعلم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد، فكتب إلى جميع رعيته انه لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤنة . وتقدم اليهم بأن كل من عنده طعام مذخور يواسى به الناس، وأن يكون حال الغني والفقير واحدا، وأخبرهم أنه ان بلغه أن إنساناً مات جوعا بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم . وساس الناس سياسة لم يعطب أحد جوعا ماخلا رجلا واحدا من رستاق أردشيرخرة ، وابتهل فيروز الى الله بالدعاء فأزال ذلك القحط ، وعادت بلاده الى ما كانت عليه ، فلما حي الناس والبلاد وأثخن فى أعدائه سار مريدا حرب الهياطلة ، فلما سمع أخشنوار ملكهم خافه ، فقال له بعض أصحابه : إقطع يدى ورجلى وألقنى على الطريق وأحسن إلى عيالى لأحتال على فيروز ، ففعل ذلك (١) واجتاز به فيروز، فسأله عن حاله ، فقال له : إنى قلت لاخشنوار لاطاقة لك بفيروز ففعل بي هذا . وإني أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهى أقرب ، فاغتر فيروز بذلك ، وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتي اذا علم أنهم لايقدرون على الخلاص أعلمهم حاله ، فقال أصحاب فيروز لفيروز : حذرناك فلم تحذر فليس إلا التقدم على كل حال فتقدموا أمامهم فوصلوا الى عدوهم وهم هلكى عطشى وقتل العطش منهم كثيرا فلما أشرفوا على تلك الحال صالحوا أخشنوار على أن يخلى

---

(١) هذا هو حب الامة والوطنية الحقيقية ولقد افتدى بقصير فى عمله . فلعل المسلمين عامة والعرب منهم خاصة يسلكون هذا المنهج النافع . الادارة *

سبيلهم الى بلادهم على أن يحلف له فيروز أنه لايغزو بلاده فاصطلحا ، و كتب فيروز كتاباً بالصلح وعاد ، فلما استقرفى مملكته حملته الأنفة على معاودة أخشنوار فنهاه وزراؤه عن نقض العهد ، فلم يقبل وسار نحوه ، فلما تقاربا أمر أخشنوار فحفر خلف عسكره خندقاً عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه بخشب ضعيف وتراب ، ثم عاد وراءه ، فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه ، فهلكوا وعاد أخشنوار الى عسكر فيروز ، وأخذ كل مافيه ، وأسر نساءه وموبذان موبذ ، ثم استخرج جثة فيروز ومن سقط معه ، فجعلها فى النواويس*

وقيل : ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذى حفره أخشنوار ولم يكن مغطى عقد عليه قناطر ، وجعل عليها أعلاماً له ولأصحابه يقصدونها فى عودهم ، وجاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه أخشنوار بالعهود التى بينهما وحذره عاقبة الغدر فلم يرجع فنهاه أصحابه فلم ينته فضعفت نياتهم فى القتال ، فلما أبي إلا القتال رفع أخشنوار نسخة العهد على رمح ، وقال : اللهم خذ بما فى هذا الكتاب وقلده بغيه فقاتله ، فانهزم فيروز وعسكره فضلوا عن مواضع القناطر ، فسقطوا فى الخندق ، فهلك فيروز وأكثر عسكره ، وغنم أخشنوار أموالهم ودوابهم وجميع مامعهم ، وغلب أخشنوار على عامة خراسان ، فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا ، وكان فيهم عظيما وخرج كالمحتسب ، وقيل: بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار ، وكان له سجستان ، فلقى صاحب الهياطلة فاخرجه من خراسان ،واستعاد منه كل ما أخذ من عسكر فيروز مما هو فى عسكره موجوداً من السبي وغيره ، وعاد الى بلاده ، فعظمته الفرس الى غاية لم يكن فوقه إلا الملك ،وكانت مملكة الهياطلة طخارستان ، فكان فيروز قد أعطى ملكهم لما ساعده على حرب أخيه الطالقان؛ وكان ملك فيروز ستا وعشرين سنة وقيل إحدى وعشرين سنة *

﴿ ذكر الأحداث فى العرب أيام يزدجرد وفيروز ﴾

كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم ، و كان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر الكندى سيد كندة ، فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر وزوجه ابنة أخيه حسان ، ولم يطمع فى التزوج الى ذلك البيت أحدمن العرب ، فولدت الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب ، وإنما ملكوه لأن أولادعمرو كانوا صغارا ، و كان الجن قبل ذلك قداستهامت تبع بن حسان

Marfat.com

Marfat.com

وكان عبد كلال على دين النصرانية الأولى ويكتم ذلك، ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو أعلم الناس بما كان قبله. فملك اليمن، وهابته حمير. فبعث ابن أخته الحرث ابن عمرو بن حجر فى جيش الى الحيرة، فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة، فقاتله. فقتل النعمان وعدة من أهل بيته، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط. فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندى ما كانوا يملكون قاله بعضهم *

وقال ابن الكلبى: ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعاً وأربعين سنة من ذلك فى زمن بهرام جور ثمانى سنين، وفى زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة، وفى زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة، ثم ملك بعده الأسود بن المنذر عشرين سنة منها فى زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين، وفى زمن بلاش بن فيروز أربع سنين، وفى زمن قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر أبو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس وأخذ بلاده وانقرض ملك أهل بيته، وذكر فيما تقدم: أن المنذر بن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذى جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس، ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو *

وسبب هذا ان أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحد مانقل اليه من غير تحقيق، وقيل غير ذلك وسنذكره فى مقتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس فى أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا ابنجد على العرب وأما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها إلى أن ملك قباذ الفرس وأزالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندى على الحيرة، ثم أعاد أنوشروان الحيرة الى اللخميين على مانذكره إن شاء الله تعالى *

﴿ ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد ﴾

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش، وجرى بينه وبين أخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك، فلما ملك بلاش أكرم سوخرا وأحسن اليه لما كان منه، ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة، وكان لا يبلغه أن بيتا خرب وجلا أهله إلا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتي لا يضطروا إلى مفارقة أوطانهم، وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن، وكان ملكه أربع سنين *

Marfat.com

﴿ ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد ﴾

وكان قباذ قبل أن يصير الملكُ اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على اخيه بلاش، فمرّ فى طريقه بحدود نيسابور ومعه جماعة من أصحابه متنكرين؛ وفيهم زرمهر بن سوخر فتاقت نفسه الى النكاح. فشكا ذلك الى زرمهر، وطلب منه امرأة، فسار الى امرأة صاحب المنزل. وكان من الأساورة، وكان له بنت حسناء، فخطبها منها وأطمعها وزوجها، فزوجا فدخل بها قباذ من ليلته. فحملت بأنوشروان، وأمر لها بجائزة سنية وردها، وسألتها أمها عن قباذ وحاله، فذكرت أنها لاتعرف من حاله شيئاً غير أن سراويله منسوجة بالذهب، فعلمت انه من أبناء الملوك، ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على أخيه فأقام عنده أربع سنين وهو يعده؛ ثم أرسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل عنها. فأحضرت ومعها أنوشروان، وأعلمته أنه ابنه وورد الخبر اليه بذلك المكان أن أخاه بلاش قد هلك؛ فتيمن بالمولود؛ وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك، واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وتولى سوخرا الأمر فمال الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك؛ فكتب الى سابور الدارى وهو أصبهبد ديار الجبل؛ ويقال للبيت الذى هو منه مهران فاستقدمه ومعه جنده، فتقدم اليه فأعلمه عزمه على قتل سوخرا؛ وأمره بكتمان ذلك؛ فأتاه يوماً سابور وسوخرا عند قباذ فالقى فى عنقه وهقا[1] وأخذه وحبسه، ثم خنقه قباذ، وأرسله الى أهله. وقدم عوضه سابور الدارى، وفى أيامه ظهر مزدك وابتدع؛ ووافق زرادشت فى بعض ماجاء به، وزاد ونقص وزعم أنه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس فى الأموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لايكون لأحد على أحد فضل فى شىء البتة فكثر أتباعه من السفلة والاغتام[2] فصاروا عشرات ألوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا فى الأموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقباذ اليوم نوبتى من امرأتك أم أنوشروان فأجابه إلى ذلك فقام أنوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجليه

---

(١) الوهق محركة ويسكن حبل يرمى فى انشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان جمعه أوهاق اه قاموس

(٢) قال فى لسان العرب ورجل أغتم وغتمى لايفصح شيئا وامرأة غتماء وقوم غتم وأغتام *

وشفع اليه حتي لايتعرض لأمه وله حكمه فى سائر ملكه فتركها وحرم ذباحة الحيوان وقال : يكفى فى طعام الانسان ماتنبته الأرض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن ، فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لايعرف ولده والولد لايعرف أباه ،فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبذان موبذ والعظماء وخلعوه وملكوا عليهم أخاه جاماسب وقالوا له : إنك قد أثمت باتباعك مزدك وبما عمل أصحابه بالناس وليس ينجيك إلا إباحة نفسك ونسائك وأرادوه على أن يسلم نفسه اليهم ليذبحوه ويقربوه الى النار ، فامتنع من ذلك فحبسوه وتركوه لا يصل اليه أحد ، فخرج زرمهر بن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا ، وأعاد قباذا الى ملكه ،وأزال أخاه جاماسب ثم ان قباذا قتل بعد ذلك زرمهر * وقيل : لما حبس قباذ وتولى أخوه دخلت أخت لقباذ عليه كأنها تزوره ، ثم لفته فى بساط وحمله غلام . فلما خرج من السجن سأله السجان عما معه . فقالت : هو مرحل[1] كنت أحيض فيه , فلم يمس البساط ، فمضى الغلام بقباذ ، وهرب قباذ فلحق بملك الهياطلة يستجيشه *فلما صار بايران شهر وهى نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهى أم كسرى أنو شروان ، فكان نكاحه إياها فى هذه السفرة لا فى تلك فى قول بعضهم ،وعاد ومعه أنو شروان ،فغلب أخاه جاماسب على الملك ، وكان ملك جاماسب ست سنين *

وغزا قباذ بعد ذلك الروم . ففتح مدينة آمد ، وبنى مدينة أرّجان ومدينة حلوان ومات ، فملك ابنه كسرى أنو شروان بعده ، فكان ملك قباذ مع سني أخيه جاماسب ثلاثا وأربعين سنة ، فتولى أنو شروان ما كان أبوه أمر له به ، وفى أيامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده ، فبلغت الدينور[2] فوجه قباذ قائدا من عظماء قواده فى اثني عشر الفا ، فوطىء بلاد اران ، وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان ، ثم إن قباذا لحق به فبنى بارّان مدينة البيلقان ومدينة البرذعة وهى مدينة الثغر كله وغيرهما .وبقى الخزر ، ثم بنى سد اللان

---

(١) المرحل ضرب من برود اليمن سمى مرحلا لان عليه تصاوير رحل اه لسان العرب ولكن هذا لا يوافق مابعده وماقبله من أنه بساط ولعله رحال ،قال فى اللسان : الرحال الطنافس الحيرية ،ومنه قول الاعشى

ومصاب غادية كأن تجارها نشرت عليه برودها ورحالها . الادارة

(٢) دينور قال ابن السمعانى فى الأنساب بكسر الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الدال والواو فى آخرها راء بلدة من بلاد الجبل قرب قرميين ،ونقل الهورينى فى تعليقاته على القاموس مايأتى : قوله والدينور بكسر الدال وفتح النون كذا ضبطه ابن خلكان ، وضبطه السمعانى وغيره بفتح الدال وضم النون وفتحهما أيضا اه الادارة

فيما بين أرض شروان وباب اللان ، وبنى على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الأبواب *

﴿ ذكر حوادث العرب أيامَ قباذ ﴾

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندى العرب ، وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس كما ذكرناه بعث اليه قباذ أنه قد كان بيننا و بين الملك الذى كان قبلك عهد وأحب لقاءك ، و كان قباذ زنديقاً [1] يظهر الخير و يكره الدماء و يدارى أعداءه ، فخرج اليه الحرث والتقيا واصطلحا على أن لايجوز الفرات أحد من العرب ، فطمع الحرث الكندى ، فأمر أصحابه أن يقطعوا الفرات و يغيروا على السواد . فسمع قباذ فعلم أنه من تحت يد الحرث ، فاستدعاه فحضر ، فقال له : ان لصوصاً من العرب صنعت كذا و كذا ، فقال : ماعلمت ولا أستطيع ضبط العرب إلا بالمال والجنود ، وطلب منه شيئا من السواد فأعطاه ستة طساسيج .[2] وأرسل الحرث بن عمرو الى تبع ، وهو باليمن يطمعه فى بلاد العجم فسار تبع حتى نزل الحيرة . وأرسل ابن أخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ ، فحاربه فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمراً الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد ، وقال : أيكما سبق الى الصين فهو عليها ؛ وكان كل واحد منهما فى جيش عظيم يقال كانا فى ستمائه ألف وأربعين ألفا . وأرسل ابن أخيه يعفر الى الروم ؛ فنزل على القسطنطينية فأعطوه الطاعة والاتاوة ، ومضى الى رومية فحاصرها ، فأصاب من معه طاعون . فوثب الروم عليهم فقتلوهم ، ولم يفلت منهم أحد ، وسار شمر ذو الجناح الى سمرقند ، فحاصرها فلم يظفر بها ، وسمع أن ملكها أحمق ، وان له ابنة وهى التى تقضى الأمور ، فأرسل اليها هدية عظيمة ؛ وقال لها انى انما قدمت لأتزوج بك ومعى أربعة آلاف تابوت مملوءة ذهبا وفضة أنا أدفعها اليك وأمضى الى الصين ؛ فان ملكت كنت امرأتى وان هلكت كان المال لك ، فلما بلغتها الرسالة قالت . قد أجبته فليبعث المال فأرسل أربعة آلاف تابوت فى كل تابوت رجلان ، ولسمرقند أربعه أبواب ، ولكل باب ألفا رجل ، وجعل العلامة بينهم أن يضرب بالجرس ، فلما دخلوا البلد صاح شمر

---

(١) هذه العبارة موجودة أيضا بالحرف فى تاريخ ابن خلكان فليت شعرى مامعنى وصفه بالزندقة وهو يكره الدماء ؟ الا أن تكون مداراته للاعداء بسبب ضعفه جعلت الفرس تصفه بذلك غيرة على امتها لما غلبتهم العرب فى زمانه . الادارة (٢) جمع طسوج كسفود الناحية اه قاموس *

Marfat.com

فى الناس وضرب بالجرس ، فخرجوا ، وملكوا الأبواب ، ودخل المدينة فقتل أهلها ، وحوى ما فيها ، وسار الى الصين ؛ فهزم الترك . ودخل بلادهم ولقى حسان بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين . فأقاما بها حتي ماتا . وكان مقامهما فيما قيل: احدى وعشرين سنة ، وقيل : عادا فى طريقهما حتي قدما على تبع بالغنائم والسبي والجواهر ، ثم انصرفوا الى بلادهم ، ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازياً بعده ، وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة ،وقيل: تهود *

قال ابن اسحق : كان تبع الأخر وهو تبان أسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على المدينة ، وكان حين مر بها فى بدايته لم يهج أهلها ، وخلف عندهم ابنا له ، فقتل غيلة ، فقدمها عازما على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو بن الظلة أحد بني عمرو بن مبذول من بني النجار وخرجوا لقتاله ، وكانوا يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا ، فبينما هو على ذلك اذ جاءه حبران من بنى قريظة عالمان ، فقالا له : قد سمعنا ماتريد أن تفعل ، وانك ان أبيت الا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال : ولم ذلك ؟ فقالا : انها مهاجر نبي من قريش تكون داره . فانتهى عما كان يريد ، وأعجبه ماسمع منهما فاتبعهما على دينهما ، واسمهما كعب وأسد ، وكان تبع وقومه أصحاب أوثان ، وسار من المدينة إلى مكة ، وهى طريقه فكسا الكعبة الوصائل والملاء ، وكان أول من كساها ، وجعل لها بابا ومفتاحا ، وخرج متوجها إلى اليمن ، فدعا قومه إلى اليهودية ، فأبوا عليه حتي حاكموه الى النار ، وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يزعمون تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فقال لقومه أنصفتم ، فخرج قومه بأوثانهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار ، فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران تعرق جباههما لم يضرهما ، فأطبقت حمير على دينه ، وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفى وكان كاهنا ، فقال له تبع : هل تجد لقوم ملكا يوازى ملكى ؟ قال : لا الا لملك غسان قال : فهل تجد ملكا يزيد عليه ؟ قال أجده لبار مبرور ، ورائد بالقهور ، ووصف فى الزبور ، وفضلت أمته فى السفور ، يفرج الظلم بالنور ، أحمد النبي طوبى لأمته حين يجيء ، أحد بني لؤى . ثم أحد بني قصى ، فنظر تبع فى الزبور فاذا هو يجد صفة النبي ﷺ ، ثم ملك بعد تبع هذا وهو تبان أسعد

Marfat.com

أبو كرب بن ملكيكرب ربيعة بن نصر اللخمى [1] فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن إلى حسان بن تبان أسعد ، فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساجرا ولا عائفا إلا أحضره ، وقال لهم : رأيت رؤيا هالتني فأخبروني بتأويلها ، فقالوا : اقصصها علينا ، فقال : ان أخبرتكم بها لم أطمئن الى خبركم بتأويلها ، فلما قال ذلك : قال له رجل منهم : ان كان الملك يريد ذلك فليبعث الى سطيح وشق [2] فهما يخبرانك عما سألت ، واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن غسان ، وكان يقال له الذئبي نسبة الى ذئب بن عدى * وشق بن مصعب بن يشكر بن أنمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق *

فلما قدم عليه سطيح سأله عن رؤياه وتأويلها ، فقال : رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض بهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ، قال له الملك : ماأخطأت منها شيئا فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من جيش ، ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن مابين أبين الى جرش ، قال الملك : وأبيك ياسطيح ان هذا لغائظ موجع فمتى يكون ؟ أفى زماني أم بعده ؟ قال : بل بعده بحين ستين سنة أو سبعين يمضين من السنين ، قال هل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومن الذى يلى ذلك ؟ قال : يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن ، قال : فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع قال بل ينقطع يقطعه نبي زكى ، يأتيه الوحى من العلى وهو رجل من ولد غالب ابن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر ، قال وهل للدهر من آخر ، قال نعم : يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرنا ياسطيح ، قال نعم ، والشفق والغسق والفلق إذا انشق ان ما نبأتك به لحق ، ثم قدم عليه شق فقال : ياشق إنى رأيت رؤيا هالتنى ، فأخبرنى عنها وعن تاويلها وكتمه ماقال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان ، قال نعم : رأيت جمجمة

---

(١) لاأعرف ان لحميا ملك اليمن وسيأتى المؤلف على نقض هذا القول وتكذيبه (٢) ملأ أصحاب الأخبار والسير الدنيا كلاما بشأن شق وسطيح و ينسبون اليهما تفسير كل حلم وتأويل كل رؤيا قدمت اوحدثت فجعلوهما قبل هبوط الحبشة الى اليمن وجعلوهما على عهد ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خلط فاضح وماأظنهما الا شخصين فرضيين كأبى الفتح الاسكندرى وابى زيد السروجى *

Marfat.com

خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة ، فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت شيئا فما تاويلها ،قال أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان ، وليملكن مابين أبين الى نجران ، قال الملك وأبيك ياشق ان هذا لغائظ فمتى هو كائن ؟ قال : بعدك بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان،و يذيقهم أشد الهوان، وهو غلام ليس بدني ولامزن ، يخرج من بيت ذى يزن ، قال فهل يدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل .بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل.قال: وما يوم الفصل ؟ قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى من السماء بدعوات ، و يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجتمع فيه الناس للميقات *

فلما فرغ من مسألتهما جهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم؛فمن بقية ربيعة ابن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ذلك الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن أبي كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير أن حسان سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل*

فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلموا أخاه عمراً فى قتل حسان وتمليكه ، فأجابهم الى ذلك إلاما كان من ذى رعين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذورعين الى صحيفة فكتب فيها

ألامن يشترى سهراً بنوم * سعيد من يبت قرير عين

وأما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم ختمها وأتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو

يا عمرو لاتعجل علىّ منيتي * فالملك تاخذه بغير حشود

فابي إلا قتله فقتله بموضع رحبة مالك [1] فكانت تسمى فرضة نعم فيما قيل *

---

(١) وهى واقعة على ضفة الفرات اليمنى على درجة ٣٩ ونصف طولا شرقى قرقيسية وقد بنيت مدينة تسمى الميادين تقع بين الفرات و بين الرحبة وأصبح يطلق على تلك الكورة عنوان الميادين وهى من أعمال متصرفية دير الزور* والرحبة قلعة عظيمة تشبه قلعة حلب إلا أن معظم مدينة الميادين كانت بيوتها مبنية من الأحجار التى قلعوها من الرحبة لانه لاتوجد سلطة تحفظ الآثار أو تحتفظ بها . اه الادارة

Marfat.com

ثم عاد الى اليمن فمنع النوم منه فسأل الأطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قائل منهم ماقتل أحد أخاه أو ذا رحم بغياً الامنع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كلّ منْ أشار عليه بقتل أخيه حتي خلص الى ذى رعين فلما أراد قتله قال ان لى عندك براءة قال وماهى ؟ قال أخرج الكتاب الذى استودعتك فأخرجه فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك فتفرقت حمير عند ذلك *

قلت هذا الذى ذكره أبو جعفر من قتل قباذ بالرى، وملك تبع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش وفساده أشهر من أن يذكر ، فلولا أننا شرطنا أن لاتترك ترجمة من تاريخه الاونأتى بمعناها من غير إخلال بشيء لكان الاعراض عنه أولى. ووجه الغلط فيه أنه ذكر أن قباذاً قتل بالرى[1] ولاخلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قباذامات حتف أنفه فى زمان معلوم، وكان ملكه مدة معلومة كما ذكرناه قبل . ولم ينقل أحد أنه قتل الا فى هذه الرواية ، ولما مات ملك ابنه كسرى أنو شروان بعده وهذا أشهر من قفانبك . ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباذ الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده؟ وتمكن فى الملك حتى أطاعه ملوك الأمم ، وحملت الروم اليه الخراج ، ثم ذكر أيضا أن تبعا وجه ابنه حسان الى الصين ، وشمراً الى سمرقند وابن أخيه الى الروم ، وانه ملك القسطنطينية . وسار الى رومية فحاصرها ، فياليت شعرى ماهو اليمن وحضر موت

---

(١) قال ابن خلدون فى تاريخه ووطئ أرض العراق فى ملك الطوائف وعميل الطوائف يومئذ خرداد ابن سابور فلقى ملكا من ملوك الطوائف اسمه قباذ وليس قباذ بن فيروز فانهزم قباذ وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز ، وفى ذلك يقول تبع أبو كرب:

إذ حسينا جيادنا من دماء ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
واستبحنا بالخيل خيل قباذ وابن اقليد جاءنا مصفودا
وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا

وقال أيضا

لست بالتبع اليمانى ان لم تركض الخيل فى سواد العراق
او تؤدى ربيعة الخرج قسراً لم يعقها عوائق العواق : اه

فعلى هذا لاحاجة لهذا التحامل من المؤلف إذ لامانع أن يغزو تبع العراق ويقتل قباذاً أحد ملوك الطوائف ولاشك أن اليمن هى أعظم فى الحقيقة مما ينظر اليه المؤلف وان تحقيق ابن خلدون قد كشف الغطاء وابان لك أن المقتول ليس الملك الأعظم وان الغزوة كانت فى سواد العراق لا فى فارس كما تفيده الأبيات . اه الادارة

Marfat.com

حتى يكون بهما من الجنود وما يكون بعضهم فى بلادهم لحفظها، وجيش مع تبع، وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين فى كثرة عساكره ومقاتلته. وجيش مع ابن أخيه تبع يلقى به مثل كسرى ويهزمه، ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند فى كبرها وعظمها وكثرة أهلها، وجيش مع يعفر يسير بهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية، والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينية أو مايجاورها واليمن من أقل بلادهم عددا وجنودا فلم يقدروا على ذلك، فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع؛ هذا مما تأباه العقول وتمجه الأسماع، ثم انه قال: ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباذ يعني أيام ابنه أنوشروان ولا خلاف أن مولد النبي ﷺ كان فى زمن أنوشروان وكان ملكه سبعاً وأربعين سنة، ولا خلاف أيضاً ان الحبشة لما ملكت اليمن انقرضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم ذا نواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذى نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته، وكان ملكهم اليمن أيام قباذ، وكيف يمكن أن يكون ملك الحبشة الذى هو مقطوع به أيام قباذ ويكون تبع هو الذى ملك اليمن قد قتل قباذا وملك بلاده قبل أن تملك الحبشة اليمن هذا مردود محال وقوعه، وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة، وقيل: أكثر من ذلك وكان انقراض ملكهم فى آخر ملك أنوشروان، والخبر فى ذلك مشهور، وحديث سيف ذى يزن فى ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة فى يد الفرس الى أن ملكه المسلمون فكيف يستقيم أن ينقضى ملك تبع الذى هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة فى ملك أنوشروان، وكان ملكه نيفا وأربعين سنة، وهذا أعجب أن مدة بعضها سبعون سنة تنقضى قبل مضى نيف وأربعين سنة. ولو فكر أبو جعفر فى ذلك لاستحيا من نقله *

وأعجب من هذا أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمى وهذا ربيعة هو جد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة وكان ملك عمرو الحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضاً أيام أردشير وبين أردشير وقباذ ما يقارب عشرين ملكا، وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل؟ ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويلا فيه ثم ماقنع بذلك حتى قال بعد أن قص مسير تبع وقتل قباذ

Marfat.com

وملك البلاد، واما ابن إسحق فانه قال:ان الذى سار الى المشرق من التبابعة هو تبع الأخير و يعني بقوله تبع الأخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولو ن : إن الذى ملك البلاد المشرقية لما توفى ملك بعده عدة تبابعة ؛ ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم، وخرجت الى اليمن ؛ فليت شعرى اذا كان هذا تبع فى أيام قباذ فلا شك أن تبعا الأخير الذى أخذ منه اليمن يكون فى زمن بنى أمية . ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بني العباس ؛ ويكون أول الاسلام من ثلثمائة سنة من ملكهم أيضا مما بعدها حتى يستقيم هذا القول *

ثم انه قال: إن عمر بن طلحة الأنصارى خرج الى تبع وعمر هذا قيل : إنه أدرك النبي ﷺ شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر ؛ ومن الدليل على بطلانه أيضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس مازالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم فى حروبهم كنتم أقل الأمم وأذلها وأحقرها والعرب تقرّ لهم بذلك، فلو كان ملك تبع قريب العهد لقالت العرب اننا بالأمس قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها للفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لاتقر بذلك لافى قديم الزمان ولا فى حديثه ، فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذى هو آدم فى قول بعضهم الى أن جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف ، و كان لملوك الفرس طرف من البلاد فى ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا فى تبع الذى سار وملك البلاد اختلافا كثيرا ، فقيل شمر ابن افريقش ، وقيل تبع أسعد وأنه بعث الى سمرقند شمرا ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التي لاطائل فيها ؛ وهذا القدر كاف فى كشف الخطأ فيه *

﴿ ذكر ملك لخنيعة (١) ﴾

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة تنوف ذو شناتر فملكهم فى قول ابن اسحق، فقتل خيارهم ؛ وعاث ببيوت اهل المملكة منهم و كان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط ، فكان اذا سمع بغلام من أبناء الملوك أنه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه فى مشربة لئلا يملك بعد ذلك ،

(١) ذكره فى القاموس فى مادة شفتر لخنيعة بالتاء الفوقية ،وفى مادة النخع لخنيعة *

Marfat.com

ثم يطلع الى حرسه وجنده قد أخذ سوا كا فى فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ، ثم يخلى سبيله فيفضحه *

﴿ ذكر ملك ذى نواس وقصة أصحاب الأخدود ﴾

كان من أبناء الملوك ذرعة ذونواس بن تبان أسعد بن كرب ، و كان صغيرا حين أصيب أخوه حسان . فشب غلاما جميلا ذا هيئة فبعث اليه لختيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره فأخذ سكيناً لطيفا فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به فى المشربة قتله ذونواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله فى كوة مشربته التي يطلع منها ثم أخذ سوا كه فجعله فى فيه ثم خرج فقالوا له : ذو نواس رطب أم يباس ؟ فقال : سل يحماس[1] استرطبان ذو نواس لابأس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لختيعة مقطوع فخرجت حمير والحرس فى أثر ذى نواس حتي أدركوه فملكوه حيث أراحهم من لختيعة واجتمعوا عليه وكان يهودياً وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن التامر وكان أصل النصرانية بنجران *

قال وهب بن منبه : ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون ، و كان رجلا صالحاً مجتهداً زاهدا فى الدنيا مجاب الدعوة ، و كان سائحاً لا يعرف بقرية إلا خرج منها الى غيرها . و كان لايأكل إلا من كسب يده ، و كان يعمل الطين . و يعظم الأحد لا يعمل فيه شيئا ، و يخرج الى الصحراء يصلى جميع نهاره . فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن به رجل اسمه صالح ، فأحبه حباً شديداً ، و كان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرج مرة يوم الأحد الى الصحراء ، واتبعه صالح وفيميون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً ، وقام فيميون يصلى . فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه تنين[2] ، فلما رآه فيميون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه . فخاف على فيميون ، فصاح يافيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى أمسى وعرف أن صالحاً عرفه ، فكلمه صالح وقال له : يعلم الله أني ما أحببت شيئا حبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت ، قال افعل ، فلزمه صالح ، و كان اذا ماجاءه العبد به ضر شفى اذا دعا له ، واذا دعى الى أحد به ضر لم يأته و كان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فجعل ابنه فى حجرة ألقى عليه ثوباً ، ثم قال لفيميون قد أردت أن تعمل فى بيتي عملا ،

---

(١) كذا فى النسخ وفى الطبرى نحماس بالحاء المعجمة (٢) اى حية عظيمة *

Marfat.com

فانطلق اليه لاشارطك عليه ، فانطلق معه . فلمادخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه أن يدعوله ، فدعا له فابصر ، وعرف فيميون أنه قدعرف بالقرية ، فخرج هو وصالح ، ومر بشجرة عظيمة بالشام ، فناداه رجل ، وقال مازلت أنتظرك لاتبرح حتى تقوم علىّ فانى ميت قال فمات فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ؛ وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران ، وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كلّ سنة تعاق عليها كل ثوب حسن وحلى جميل فعلقوا عليها يوماً ، فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل صالحا فكان فيميون اذا قام من الليل يصلى فى بيته استسرج له البيت حتي يصبح من غير مصباح فلما رأى سيده ذلك أعجبه ، فسأله عن دينه فأخبره ، وعاب دين سيده ؛ وقال له لودعوت إلهى الذى أعبد لأهلك النخلة ، فقال : افعل فانك ان فعلت دخلنا فى دينك وتركنا مانحن عليه ، فصلى فيميون ودعا الله تعالى ، فأرسل الله عليها ريحا فجففتها وألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران*

وقال محمد بن كعب القرظى كان أهل نجران يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها ساحر كان أهل نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر . فلما نزلها فيميون وهو رجل كان يعبد الله على دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، فاذا عرف فى قرية خرج منها الى غيرها ، وكان مجاب الدعوة يبرىء المرضى وله كرامات ، فوصل نجران ، فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر ، فأرسل التامر ابنه عبدالله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيميون ، فرأى ما أعجبه من صلاته ، فجعل يجلس اليه ويستمع منه فأسلم معه ووحد الله تعالى وعبده ؛ وجعل يسأله عن الاسم الأعظم . وكان يعلمه فكتمه إياه وقال : لن تحتمله ؛ والتامر يعتقد أن ابنه يختلف الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنّ عليه بالاسم الأعظم عمد الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم ألقاها فى النار واحداً واحدا حتي اذا ألقى القدح الذى عليه الاسم الاعظم وثب منها فلم تضره شيئا فأخذه وعاد الى صاحبه فأخبره الخبر ، فقال له : أمسك على نفسك وما أظن أن تفعل ، فكان عبدالله لايلقى أحدا اذا أتي نجران به ضر الا قال : ياعبدالله أدخل فى دينى حتي أدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق أحد من

Marfat.com

Marfat.com

أهل نجران ممن به ضر إلا أتاه واتبعه ، ودعا له فعوفى ، فرفع شأنه الى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت علىّ أهل قريتي وخالفت دينى لأمثلن بك ، فقال : لاتقدر على ذلك ، فجعل يرسله إلى الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس ، فأرسله الى مياه نجران وهى بحور لايقع فيها شيء إلاهلك ، فيلقى فيها فيخرج ليس به باس فلما غلبه ، قال عبدالله بن التامر :انك لاتقدر على قتلى حتي توحد الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتنى ، فوحد الله الملك ، ثم ضربه بعصا بيده فشجه شجة غير كبيرة فقتله فهلك الملك مكانه ، واجتمع أهل نجران على دين عبدالله بن التامر * قال : فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ، ثم دعاهم الى اليهودية ، وخيرهم بينها و بين القتل ، فاختاروا القتل ، فخدلهم الأخدود ، فحرق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل قريبا من عشرين ألفا ،وهم الذين أنزل الله فيهم (قتل أصحاب الأخدود) *

وقال ابن عباس : كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له : ذونواس ، واسمه يوسف ابن شرحبيل وكان قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة ، وكان له ساحر حاذق ، فلما كبر قال للملك : اني كبرت فابعث الىّ غلاما أعلمه السحر ، فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله ابن التامر ليعلمه ، فجعل يختلف الى الساحر وكان فى طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فأعجبه أمره ، فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم ضربه وقال له: ما الذى حبسك ؟ واذا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فيضربه أبوه ويقول: ما الذى أبطأ بك؟ فشكا الغلام ذلك الى الراهب ، فقال له : اذا أتيت المعلم ، فقل حبسني أبي ، واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم ، وكان فى ذلك البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس ، فمر بها الغلام فرماها بحجر ، وقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحبّ اليك من أمر الساحر فاقتلها ، فلما رماها قتلها ، وأتي الراهب فاخبره ، فقال له الراهب ان لك لشانا وانك ستبتلى ، فان ابتليت فلا تدلن علىّ ، وصار الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويشفى الناس ، وكان للملك ابن عم أعمى ، فسمع بالغلام وقتل الحية ، فقال : ادع الله أن يرد علىّ بصرى ، فقال الغلام : ان رد الله عليك بصرك تؤمن به؟ قال نعم ، قال : اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره ، فعاد بصره ، ثم دخل على الملك ، فلما رآه تعجب منه وسأله فلم يخبره وألح عليه ، فدله على الغلام ، فجيء به ؛ فقال له : لقد بلغ من سحرك ما أرى ، فقال : أنا لاأشفى أحدا انما يشفى الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب ، فجيء به فقيل :

Marfat.com

ارجع عن دينك ، فابي فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين . ثم جىء بابن عم الملك فقال : ارجع عن دينك فابى فشقه قطعتين ، ثم قال للغلام : ارجع عن دينك فابي ، فدفعه الى نفر من أصحابه وقال:اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال : اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ، ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال : كفانيهم الله فغاظه ذلك وأرسله فى سفينة الى البحر ليلقوه فيه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك ، فقال : اقتلوه بالسيف ، فضربوه فنبا عنه ، وفشا خبره فى اليمن ، فاعظمه الناس وعلموا أنه على الحق فقال الغلام للملك : انك لن تقدر على قتلى الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول : بسم الله رب الغلام ، ففعل ذلك فقتله ، فقال الناس : آمنا برب الغلام فقيل: للملك قد نزل بك ماتحذر ، فاغلق أبواب المدينة وخد أخدودا وملأه نارا وعرض الناس ، فمن رجع عن دينه تركه ، ومن لم يرجع ألقاه فى الأخدود فاحرقه * وكانت امرأة مؤمنة ، وكان لها ثلاثة بنين أحدهم رضيع ، فقال لها : الملك ارجعى والا قتلتك أنت وأولادك ، فابت فالقى ابنيها الكبيرين فأبت ، ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع ، قال لها الصغير : ياأماه لاترجعى عن دينك لابأس عليك ، فالقاه وألقاها فى أثره * وهذا الطفل أحد من تكلم صغيرا *

قيل : حفر رجل خربة بنجران فى زمن عمر بن الخطاب فرأى عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة فى رأسه ، فاذا رفعت عنها يده جرت دما واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فامر بتركه على حاله *

﴿ ذكر ملك الحبشة اليمن ﴾

قيل : لما قتل ذونواس من قتل من أهل اليمن فى الأخدود لأجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذى نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب الى النجاشى ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم ، فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره . فارسل معه ملك الحبشة سبعين ألفاً وأمر عليهم رجلا يقال له أرياط وفى جنوده أبرهة الأشرم ، فساروا فى البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذو نواس جنوده فاجتمعوا ولم يكن حرب غير أنه ناوش شيئا من قتال ، ثم انهزموا

Marfat.com

ودخلها أرياط ، فلما رأى ذونواس مانزل به و بقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ، ووطىء أرياط اليمن فقتل ثلثَ رجالها ،و بعث الى النجاشى بثلث سباياهم ، ثم أقام بها وأذل أهلها *

وقيل : إن الحبشة لما خرجوا الى المندب من أرض اليمن كتب ذو نواس الى أقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كلُّ رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها على عدة من الابل ولقى الحبشة ، وقال : هذه مفاتيح خزائن الأموال باليمن فهى لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك ،وساروا معه الى صنعاء ، فقال لكبيرهم : وجه أصحابك لقبض الخزائن ، فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح ، و كتب الى الأقيال بقتل كل ثور أسود ، فقتلت الحبشة ولم ينج منهم إلا الشريد *

فلما سمع النجاشى جهز اليهم سبعين ألفاً مع أرياط والأشرم ، فملك البلاد وأقام بها سنين ، ونازعه أبرهة الأشرم و كان فى جنده فمال اليه طائفة منهم و بقى أرياط فى طائفة وسار أحدهما الى الآخر وأرسل أبرهة انك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها على بعض شيئا فيهلكوا ، ولكن أبرز الىّ فأينا قهر صاحبه استولى على جنده فتبارزا فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت على رأسه فشرمت أنفه وعينه فسمى الأشرم وحمل غلام لأبرهة يقال له عتودة كان قد تركه كميناً من خلف أرياط على أرياط فقتله واستولى أبرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة احتكم ، فقال : لاتدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله ، فاجابه الى ذلك فبقى يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر أبرهة بقتله وقال : لو علمت أنه يحتكم هذا لم أحكمه *

ولما بلغ النجاشى قتل ارياط غضب غضبا شديدا ، وحلف لايدع أبرهة حتى يطأ أرضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك أبرهة فأرسل الى النجاشى من تراب اليمن ، وجز ناصيته وأرسلها أيضا و كتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليبر قسمه بوضع التراب تحت قدميه فرضى عنه وأقره على عمله *

فلما استقر باليمن بعث الى أبى مرة ذى يزن فأخذ زوجته ريحانة بنت ذى جدن ونكحها ، فولدت له مسروقا ، و كانت قد ولدت لذى يزن ولدا اسمه معد يكرب — وهو سيف — فخرج ذو يزن من اليمن ، فقدم الحيرة على عمرو بن هند وسأله أن يكتب

Marfat.com

له الى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه وحاجته ، فقال : إني آفد الى الملك كل سنة وهذا وقتها ، فأقام عنده حتي وفد معه ودخل الى كسرى معه ، فأكرمه وعظمه وذكر حاجته وشكا مايلقون من الحبشة ، واستنصره عليهم ، وأطمعه فى اليمن وكثرة مالها ، فقال له كسرى أنوشروان ، إنى لاحب أن أسعفك بحاجتك ولكن المسالك اليها صعبة وسأنظر وأمر بانزاله فأقام عنده حتى هلك ، ونشأ ابنه معديكرب بن ذى يزن فى حجرة أبرهة وهو يحسب أنه أبوه ، فسبه ابن لأبرهة وسب أباه ، فسال أمه عن أبيه فصدقته ، وأقام حتى مات أبرهة وابنه يكسوم . وسار عن اليمن ففعل ما نذكره إن شاء الله *

* ذكر ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ابن يزدجرد الأثيم *

لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم ، وأعلمهم أنه يصلح ذلك ، ثم أمر برؤس المزدكية فقتلوا ، وقسمت أموالهم فى أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ اكان كما ذكرنا قد اتبع مزدك على دينه مادعاه اليه وأطاعه فى كل مايأمره به من الزندقة وغيرها ذكرنا أيام قباذ ، وكان المنذر ابن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فابي فدعا الحرث بن عمرو الكندى فاجابه فسدد له ملكه ، وطرد المنذر عن مملكته وكانت أم أنوشروان يوما بين يدى قباذ فدخل عليه مزدك فلما رأى أم أنوشروان قال لقباذ ادفعها الىّ لأقضى حاجتي منها فقال : دونكها فوثب اليه أنوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع اليه أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها فكان ذلك فى نفسه فهلك قباذ على تلك الحالة . وملك أنوشروان فجلس للملك ولما بلغ المنذر هلاك قباذ أقبل الى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فى مذهبه واتباع مزدك فان أنوشروان كان منكرا لهذا المذهب كارها له ثم ان أنوشروان أذن للناس أذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال : أنوشروان إني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله عز وجل قد جمعهما الىّ فقال مزدك وماهما أيها الملك قال تمنيت ان أملك وأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك : أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم؟ فقال : وإنك ههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفى منذ قبلت رجلك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جازر الى النهروان والى المدائن فى ضحوة واحدة

Marfat.com

مائة ألف زنديق وصلبهم وسمى يومئذ أنوشروان وطلب أنوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالأنبار فخرج هاربا فى صحابته وماله وولده فمر بالنوبة فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد و بهراء فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الاميال فى ديار بنى مر بن العباديين بين دير بنى هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وابنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل أنوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس فى أموالهم ورد الأموال الى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه أن يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وأن يعطى نصيباً من ملك الرجل الذى يسند اليه اذا قبله الرجل ، وبكل امراة غلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب ، ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده و بين فراقه إلا أن يكون لها زوج فترد اليه وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيمهم فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجهزهن من بيت المال وأنكح نساءهم من الأشراف ، واستعان بأبنائهم فى أعماله ، وعمر الجسور والقناطر ، وأصلح الخراب ، وتفقد الأساورة وأعطاهم ، وبنى فى الطرق القصور والحصون وتخير الولاة والعمال والحكام ، واقتدى بسيرة أردشير واربجع بلاداً كانت مملكة الفرس منها السند وسندوست والرخج وزابلستان وطخارستان ، وأعظم القتل فى الناز ور ، وأجلى بقيتهم عن بلاده ، واجتمع أبخز ، و بنجر ، و بلنجر ، واللان على قصد بلاده فقصدوا أرمينية للغارة على اهلها و كان الطريق سهلا فأمهلهم كسرى حتي توغلوا فى البلاد ، وأرسل اليهم جنودا ، فقاتلوهم فأهلكوهم ماخلا عشرة آلاف رجل أسروا فاسكنوا أذربيجان ، و كان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده اسمه أنوشزاد فبلغه عنه انه زنديق فسيره الى جنديسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه *

Marfat.com

فبينما هم عنده إذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم وأخرج أهل السجون فاستعان بهم، وجمع عنده جموعاً من الأشرار؛ فأرسل اليه نائب أبيه بالمدائن عسكرا فحاصروه بجنديسابور، وأرسل الخبر الى كسرى فكتب اليه يأمره بالجد فى أمره وأخذه أسيرا فاشتد الحصار حينئذ عليه، ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها خلقاً كثيرا، وأسروا أنوشزاد فبلغه خبر جده لأمه الداور الرازى فوثب بعامل سجستان وقاتله فهزمه العامل فالتجأ الى مدينة الرَّخج وامتنع بها، ثم كتب الى كسرى يعتذر و يسأله أن ينفذ اليه من يسلم له البلد ففعل وآمنه. و كان الملك فيروز قد بنى بناحية صول واللان بناء يحصن به بلاده، و بني عليه ابنه قباذ زيادة فلما ملك كسرى انوشروان بني فى ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا حصن بها بلاده جميعها وان سيجيور[1] خاقان قصد بلاده، و كان أعظم الترك واستمال الخزر. والبخز، و بلنجر فاطاعوه فأقبل فى عدد كثير؛ وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة و يتهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شيء مما طلب لتحصينه بلاده، وان ثغر أرمينية قد حصنه، فصار يكتفى بالعدد اليسير، فقصد خاقان بلاده، فلم يقدر على شيء منها وعاد خائباً، و هذا خاقان هو الذى قتل وزرَ ملك الهياطلة وأخذ كثيرا من بلادهم *

﴿ ذكر ملك كسرى بلاد الروم ﴾

كان بين كسرى أنوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة فوقع بين رجل من العرب كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة، و بين رجل من لخم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر ابن النعمان فتنة، فاغار خالد على ابن النعمان، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله، فكتب كسرى الى غطيانوس يذكره ماينهما من العهد والصلح، و يعلمه مالقى المنذر من خالد، وسأله أن يأمر خالدا برد ماغنم الى المنذر و يدفع له دية من قتل من أصحابه، و ينصفه من خالد وانه ان لم يفعل انتقض الصلح، ووالى الكتب الى غطيانوس فى انصاف المنذر فلم يحفل به، فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس فى بضعة وسبعين ألفا، و كان طريقه على الجزيرة، فأخذ مدينة دارا، ومدينة الرها، وعبر الى الشام، فملك منبج. وحلب، وأنطاكية، و كانت أفضل مدائن الشام - وفامية، وحمص، ومدنا كثيرة

(١) فى الطبرى سنجبوا

Marfat.com

متاخمة لهذه المدائن عنوة ، واحتوى على مافيها من الأموال والعروض . وسبى اهل مدينة أنطاكية ، ونقلهم الى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة أنطاكية ، وأسكنهم اياها وهى التي تسمى الرومية ، وكور لها خمسة طساسيج : طسوج النهروان الأعلى ، وطسوج النهروان الأوسط ، وطسوج النهروان الأسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسايا * وأجرى على السبي الذين نقلهم اليها من أنطاكية الارزاق . وولى القيام بأمرهم رجلا من نصارى الأهواز ليستا نسوا به لموافقته فى الدين ،*

وأما سائر مدن الشام ومصر فان غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها اليه ، وضمن له فدية يحملها اليه كل سنة على أن لا يغزو بلاده . فكانوا يحملونها كل عام وسار أنوشروان من الروم الى الخزر ، فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثار رعيته ، ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم ، وعاد الى المدائن . وقد ملك مادون هرقلة ومابينه و بين البحرين وعمان . وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه ، وسار نحو الهياطلة لياخذ بثار جده فيروز ، وكان أنوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم ، فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته ، وتجاوز بلخ وما وراء النهر ، وأنزل جنوده فرغانة ، ثم عاد الى المدائن ، وغزا البرجان ، ثم رجع وأرسل جنده الى اليمن [1] فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد ، وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة ، وقيل : سبعا وأربعين سنة *

وكان مولد رسول الله ﷺ فى آخر ملكه ، وقيل : ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ لأربع وعشرين سنة مضت من ملك أنوشروان ، وولد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وأربعين من ملكه *

قال هشام بن الكلبي : ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين ، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود أربع سنين ، ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى اللخمى ثلاث سنين ، ثم ملك المنذر ابن امرىء القيس البدء [2] ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له ، وأمه ماء السماء وهى ماوية ابنة عمرو بن جشم بن النمر بن قاسط تسعاً وأربعين سنة ، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة * قال : ولثماني سنين وثمانية أشهر من ولايته ولد النبى ﷺ وذلك أيام

---

(١) لا يعلم للفرس غزو فى اليمن الا غزوتهم لاخراج الحبشان منها (٢) فى الأصلين الكندى وهو غلط صحح من الطبرى *

أنوشروان عام الفيل * فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى سرنديب من بلاد الهند وهى أرض الجوهر قائدا من قوّاده فى جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى فجاءت اليهامن بلاد الترك فى ملك كسرى أنوشروان ، فشق عليه ذلك، وأحضر موبذان موبذو قال له : قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاظمناذلك . فأخبرنا برأيك فيها ، فقال : سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يغلب العدل الجور فى البلاد بل جار أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم ما يكرهون * فلم يلبث كسرى أن أتاه أن فتيانا من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فامر وزراءه وعماله أن لايتعدوا فيما هم بسبيله العدل . ولا يعملوا فى شىء منها الا به ، ففعلوا ماأمرهم ، فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب *

﴿ ذكر مافعله أنوشروان بأرمينية وأذربيجان ﴾

كانت أرمينية واذربيجان بعضها الروم و بعضها للخزر ، فبنى قباذ سورا مما يلى بعض تلك الناحية فلما توفى وملك ابنه أنوشروان وقوى أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد . بني مدينة الشابران، ومدينة مسقط، ومدينة الباب والأبواب ، وانما سميت أبوابا لانها بنيت على طريق فى الجبل * وأسكن المدن قوما سماهم السياسجين ، وبني غير هذه المدن ، وبني لكل باب قصرا من حجارة . وبنى بأرض جرزان مدينة سغد بيل وانزلها السغد وابناء فارس ، وبني باب اللان . وفتح جميع ما كان بايدى الروم من أرمينية؛ وعمر مدينة أردبيل وعدة حصون ، وكتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق . و يخطب اليه ابنته ، ورغب فى صهره ، وتزوج كل واحد بابنة الآخر فاما كسرى فانه أرسل الى خاقان ملك الترك بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر انها ابنته وارسل ملك الترك ابنته واجتمعا فأمر أنوشروان جماعة من ثقاته أن يكبسوا طرفا من عسكر الترك و يحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا شكاله ملك الترك ذلك ، فانكر أن يكون له علم به . ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركى ، فرفق به أنوشروان فاعتذر اليه ، ثم أمر أنوشروان أن تلقى النار فى ناحية من عسكره فيها أكواخ من حشيش * فلما أصبح شكا إلى التركى . وقال كافأتنى بالتهمة فحلف التركى انه لم يعلم بشىء من ذلك ، فقال أنوشروان له : ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن أن يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود إلى العداوة والرأى ان تأذن لى فى بناء سور يكون بيني و بينك نجعل عليه

Marfat.com

Marfat.com

أبوابا فلايدخل اليك الامن تريده ولايدخل الينا الامن نريده ، فاجابه الى ذلك ، وبنى أنو شروان السور من البحر وألحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ، ووكل به من يحرسه فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة * وملك أنو شروان ملوكا رتبهم على النواحى ، فمنهم صاحب السرير . وفيلان شاه . واللكز . ومسقط . وغيرها ، ولم تزل أرمينية بأيدى الفرس حتي ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم . وجاء الاسلام وهى كذلك *

﴿ ذكر أمر الفيل ﴾

لما دام ملك أبرهة باليمن وتمكن به بنى القليس بصنعاء ، وهى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب الى النجاشى اني قد بنيت لك كنيسة لم يرمثلها ، ولست بمنته حتى أصرف اليها حاج العرب ، فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النساة من بنى فقيم فخرج حتى أتاها فقعد فيها وتغوط ، ثم لحق باهله ، فاخبر بذلك أبرهة * وقيل له إنه فعل رجل من أهل البيت الذى تحجه العرب بمكة غضب لما سمع انك تريد صرف الحجاج عنه ففعل هذا فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه ، وأمر الحبشة فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود ، وقيل : كان معه ثلاثة عشر فيلا وهى تتبع محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لأنه عني كبيرها محمودا * وقيل فى عددهم غير ذلك فلما سار سمعت العرب به فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذونفر وقاتله ، فهزم ذونفر وأخذ أسيرا فأراد قتله ثم تركه محبوسا عنده ، ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمى فقاتله ، فانهزم نفيل وأخذ أسيرا ، فضمن لأبرهة أن يدله على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت معه ثقيف أبارغال يدله على الطريق حتى انزله بالمغمس ، فلما نزله مات أبورغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم *

وبعث أبرهة الأسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ثم أرسل أبرهة حناطة الحميرى الى مكة ، فقال : سل عن سيد قريش وقل له : إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تمنعوا عنه فلا حاجة لى بقتالكم ، فلما بلغ عبد المطلب ما أمره ، قال له : والله ما نريد حربه هذا بيت الله وبيت

Marfat.com

خليله إبراهيم ، فان يمنعه فهو يمنع بيته وحرمه ، وأن يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا من دفع ، فقال له : انطلق معى إلى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نفر وكان له صديقا ، فدل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : هل عندك غناء فيما نزل بنا ، فقال : وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله ولكن أنيس سائس الفيل صديق لى فأوصيه بك وأعظم حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر قال حسبي ، فبعث ذو نفر الى أنيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب وأعلمه أنه سيد قريش فكلم أنيس أبرهة ؛ وقال : هذا سيد قريش يستأذن فأذن له ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه ونزل عن سريره اليه وجلس معه على بساط ، وأجلسه إلى جنبه وقال لترجمانه قل له ماحاجتك ، فقال له الترجمان ذلك . فقال عبد المطلب : حاجتى أن يرد على مائتي بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمني فى إبلك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، قال عبد المطلب : أنا رب الابل وللبيت رب يمنعه . قال : ما كان ليمنع مني وأمر برد إبله ، فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبثها فى الحرم لكى يصاب منها شيء فيغضب الله وانصرف عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز فى رؤس الجبال خوفا من معرة الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لا أرجو لهم سوا كا * يارب فامنع منهم حماكا
إن عدوَّ البيت من عادا كا * امنعهم أن يخربوا فنا كا

﴿وقال أيضا﴾

لاهم إن العبد يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
لايغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ولان فعلت فانه * أمر تتم به فعالك
أنت الذى إن جاء با * غ نرتجيك له فذالك
ولوا ولم يحووا سوى * خزى وتهلكهم هنالك
لم أستمع يوما بار * جس منهم يبغوا قتالك

جروا جموعَ بلادهم * والفيلَ كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلاومارقبوا جلالك
إن كنت تاركهم * وكعبتنا فامر ما بدالك

ثم أرسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة اذا دخل ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وعى جيشه وهيأفيله وكان اسمه محمودا وأبرهة جمع لهدم البيت والعود الى اليمن ، فلماوجهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمى فمسك بأذنه ، وقال ارجع محمود ارجع راشداً من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فألقى الفيل نفسه الى الأرض واشتد نفيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه الى الشام ففعل كذلك ، ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الأرض * وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار تحملها، حجر فى منقاره، وحجر ان فى رجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس لا تصيب أحدا منهم إلا هلك ؛ وليس كلهم أصابت ، وأرسل الله سيلا ألقاهم فى البحر ، وخرج من سلم مع أبرهة هاربا يبتدرون الطريق الذى جاءوا منه ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن . فقال نفيل حين رأى ماأنزل الله بهم من نقمته *

اين المفر والاله الطالب * والأشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضاً

ألا حييت عنا ياردينا * نعمنا كم مع الأصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتنى وحمدت رأيي * ولم تأسى لما قد فاتِ بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
و كل القوم يسأل عن نفيل * كأن علىّ للحبشان دَينا

فخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب أبرهة فى جسده فسقطت أعضاؤه عضوا عضوا حتي قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه * فلما هلك

Marfat.com

Marfat.com

ملك ابنـه يكسوم بن أبرهة و به كان يكني * وذلت حمير واليمن له ، ونـكحت الحبشة نساءهم ، وقتلوا رجالهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم و بين العرب *

ولمـا أهلك الله الحبشة ، وعاد ملـكهم ومعه من سلم منهم ، ونزل عبد المطلب من الغد اليهم لينظر ما يصنعون ، ومعه أبو مسعود الثقفى لم يسمعا حساً ، فدخل معسكرهم فرأيا القوم هلـكى . فاحتفر عبـد المطلب حفرتين ملأهما ذهبا وجوهرا له ولأبي مسعود ، ونادى فى الناس فتراجعوا فاصابوا من فضلهما شيئا كثيرا ، فبقى عبد المطلب فى غنى من ذلك المـال حتي مات ، و بعث الله السيل فالقى الحبشة فى البحر *

وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدرى أول ما رؤيا فى العرب بعد الفيـل و كذلك قالوا ان العشر والحرمل والشيح لم تعرف بارض العرب إلا بعد الفيل *

وهذا مما لاينبغى أن يعرج عليه فان هذه الأمراض والأشجار قبل الفيل مذ خلق الله العالم، ولمـا رد الله الحبشة عن الـكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا ، وقالوا أهل الله ، قاتل عنهم ، ثم مات يـكسوم وملك بعده أخوه مسروق *

﴿ ذكر عود اليمن الى حمير و إخراج الحبشة عنه ﴾

لمـا هالك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن أبرهة وهو الذى قتـله وهرز فلمـا اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن و كـنيته أبو مرة ، وقيل: كنية ذى يزن أبو مرة . حتي قدم على قيصر وتنكب كسرى لابطائه عن نصر أبيه ، فانه كان قصد كسرى أنوشروان لمـا أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده ، فاقام ذو يزن عنده فمات على بابه ، و كان ابنه سيف مع أمه فى حجر أبرهة وهو يحسب أنه ابنه فسبه ولد لأبرهة وسب أباه فسال أمه عن أبيـه فاعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فاقام حتي مات أبرهة وابنه يكسوم . ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملـكهم ما يحب لموافقته الحبشة فى الدين فعاد الى كسرى فاعترضه يوماً وقد ركب فقال له ان لى عندك ميراثاً فدعا به كسرى لما نزل فقال له من أنت وما ميراثك؟ قال: أنا ابن الشيخ اليماني الذى وعدته النصرة ، فمات ببابك فتلك العدة حق لى وميراث ، فرق كسرى له . وقال له : بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسلك اليها وعر ولست أغرر بجيشى ، وأمر له بمال . فخرج وجعل ينثر الدراهم فانتهبها الناس، فسمع كسرى فسأله ماحمله على ذلك ؟ فقال : لم آت للمال وانما جئتك للرجال ، ولتمنعنى من الذل والهوان ، وان جبال بلادنا ذهب وفضة ، فاعجب كسرى بقوله ، وقال : يظن

Marfat.com

المسكين انه أعرف ببلاده مني، واستشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له موبذان موبذ : أيها الملك ان لهذا الغلام حقا بنزوعه اليك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة ، وفى سجونك رجال ذوو نجدة و بأس ، فلو ان الملك وجههم معه . فان أصابوا ظفرا كان للملك ، وان هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم . فقال كسرى : هذا الرأى ، فامر بمن فى السجون فاحضروا ، فكانوا ثمانمائة ، فقود عليهم قائدا من اساورته يقال له: وهرز * وقيل : بل كان من أهل السجون سخط عليه كسرى لحدث أحدثه فحبسه ، وكان يقيد بالف أسوار ، وأمر بحملهم فى ثمان سفن ، فركبوا البحر ، فغرق سفينتان ، وخرجوا بساحل حضرموت ، ولحق بابن ذى يزن بشر كثير ، وسار اليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب ، وجعل وهرز البحر وراء ظهره ، وأحرق السفن لئلا يطمع أصحابه فى النجاة . وأحرق كل مامعهم من زاد وكسوة إلا ماأكلوا وما على أبدانهم ، وقال لأصحابه : انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم ، وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه ، فان كنتم تقاتلون معى وتصبرون أعلمتمونى ذلك وان كنتم لاتفعلون اعتمدت على سيفى حتى يخرج من ظهرى ، فانظروا ماحالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه ، قالوا : بل نقاتل معك حتي نموت أو نظفر ، وقال لسيف بن ذى يزن : ماعندك ؟ قال ماشئت من رجل عربي وسيف عربي ، ثم اجعل رجلى مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعا قال : أنصفت فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كندة ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع اليه جنده فعبي وهرز أصحابه وأمرهم أن يوتروا قسيهم وقال إذا أمرتكم بالرمى : فارموا رشقا ، وأقبل مسروق فى جمع لايرى طرفاه ، وهو على فيل ، وعلى رأسه تاج و بين ، عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لايرى دون الظفر شيئا و كان وهرز كلّ بصرُه ، فقال: أروني عظيمهم فقالوا : هذا صاحب الفيل: ثم ركب فرسا .فقالوا: ركب فرسا ، ثم انتقل الى بغلة فقالوا ركب بغلة فقال وهرز: ذل وذل ملكه ، وقال وهرز ارفعوا لى حاجبى و كانا قد سقطا على عينيه من الكبر فرفعوهما له بعصابة . ثم جعل نشابة فى كبد قوسه ، وقال: أشيروا إلى مسروق فاشاروا اليه ، فقال لهم سأرميه فان رأيتم أصحابه وقوفا لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم فاني قد أخطأت الرجل . وإن رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبته فاحملوا عليهم ، ثم رماه فاصاب السهم بين

عينيه ؛ ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه ، فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته ، وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء ، وغنم الفرس من عسكرهم مالا يحد ولا يحصى . وقال وهرز كفوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحدا وهرب رجل من الأعراب يوما وليلة ثم التفت فرأى فى جعبته نشابة فقال لأمك الويل أبعد طول مسير وسار وهرز حتي دخل صنعاء . وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله فى المخاليف ، وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك ، أرياط ، ثم أبرهة ، ثم ابنه يكسوم ، ثم مسروق بن أبرهة * وقيل كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة * وقيل غير ذلك والأول أصح *

فلما ملك وهرز اليمن أرسل الى كسرى يعلمه بذلك ، وبعث اليه بأموال وكتب اليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذى يزن ، وبعضهم يقول معد يكرب بن سيف بن ذى يزن على اليمن وأرضها ، وفرض عليه كسرى جزية وخراجا معلوماً فى كل عام فملكه وهرز وانصرف الى كسرى ، وأقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة ويبقر بطون الحبالى عن الحمل ولم يترك منهم إلا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب فمكث غير كثير ثم إنه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتي قتلوه فكان ملكه خمس عشرة سنة ، ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وأفسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز فى أربعة آلاف فارس وأمره أن لا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من أسود ومن شرك فيه أسود قتله وأقبل حتي دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب الى كسرى يخبره فأقره على ملك اليمن ؛ فكان يجبيها لكسرى حتى هلك ، وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتي هلك ثم أمر بعده كسرى التينجان ابن المرزبان ، ثم أمر بعده حرحرة بن التينجان بن المرزبان ثم ان كسرى ابرويز غضب عليه فاحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فالقى عليه سيفا كان لابي كسرى فأجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن وبعث باذان الى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا ﷺ ؛ وقيل : ان أنوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرفا اذا أراد ان يركب قتل قتيلا . ثم سار بين أوصاله فمات أنوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا فى ولاة اليمن للأكاسرة اختلافا كثيرا لم أر لذكره فائدة *

Marfat.com

﴿ ذكر ماأحدثه قريش بعد الفيل ﴾

لما كان من أمر أصحاب الفيل ماذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم أهل الله وقطنه يحامى عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا : نحن بنو ابراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاة البيت : وقاطنو مكة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لأحد مثل مايعرف لنا ، فهلموا فلنتفق على ائتلاف اننا لانعظم شيئا من الحل كما يعظم الحرم فاننا اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا،وقالوا : قد عظمت قريش من الحل مثل ماعظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرى سائر العرب أن يقفوا عليها وان يفيضوا منها،وقالوا : نحن أهل الحرم ، فلا نعظم غيره ونحن الحمس ، وأصل الحماسة الشدة انهم تشددوا فى دينهم ، وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكنى الحلّ مثل مالهم بولادتهم ، ودخل معهم فى ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادة لهم ، ثم ابتدعوا فقالوا : لاينبغى للحمس أن يعملوا الأقط ولا يسلؤا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتاً من شعر ، ولا يستظلوا إلا فى بيوت الادم ما كانوا حرما ، وقالوا:ولاينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل فى الحرم اذا جاؤا حجاجاً أو عماراً ، ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا فى ثياب الحمس ، فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة ، فان أنف أحدمن عظمائهم أن يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا أحد غيره ، وكانوا يسمونها اللقى فدانت العرب لهم بذلك . فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ، ويتركون أزوادهم التى جاؤا بها من الحل ، ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه - هذا فى الرجال ، وأما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها مفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا ﷺ ، فنسخه فافاض من عرفات ، وطاف الحجاج بالثياب التي معهم من الحل ، وأكلوا من طعام الحل فى الحرم أيام الحج ، وأنزل الله تعالى فى ذلك (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) أراد بالناس العرب،أمر قريشاً أن يفيضوا من عرفات ، وأنزل الله تعالى فى اللباس والطعام الذى من الحل وتركهم إياه فى الحرم (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا

Marfat.com

واشربوا - إلى قوله - لقوم يعلمون) *

﴿ ذكر حلف المطيبين والأحلاف ﴾

قدذكرنا ماكان قصيٌّ أعطى ولده عبدالدار من الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة واللواء، ثم ان هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بنى عبدمناف بن قصى رأوا أنهم أحق بذلك من بني عبد الدار لشرفهم عليه ولفضلهم فى قومهم، وأرادوا أخذ ذلك منهم، فتفرقت عند ذلك قريش كانت طائفة مع بنى عبد مناف، وطائفة مع بنى عبد الدار يرون أنه لايجوز أن يؤخذ منهم ما كان قصيّ جعله لهم إذ كان أمر قصى فيهم شرعاً متبعاً معرفة منهم لفضله وتيمناً بأمره، وكان صاحب أمر بني عبد مناف بن قصى عبد شمس لأنه كان أكبرهم، وكان صاحب بني عبد الدار الذى قام فى المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فاجتمع بنو أسد بن عبدالعزى بن قصى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنوالحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف، واجتمع بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر من ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين، وعقد كل طائفة بينهم حلفا مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً مابل بحر صوفة فأخرجت بنو عبد مناف بن قصى جفنة مملوءة طيباً، قيل: ان بعض نساء بنى عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها فى المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسموا بذلك المطيبين * وتعاقد بنوعبدالدار ومن معهم من القبائل عندالكعبة على أن لا يتخاذلوا ولايسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف ثم تصافوا للقتال وأجمعوا على الحرب * فبينما هم على ذلك إذ تداعوا للصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار فاصطلحوا، ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الاسلام وهم على ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «ما كان من حلف فى الجاهلية فان الاسلام لم يزده إلا شدة ولا حلف فى الاسلام» فولى السقاية والرفادة هاشم ابن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الأسفار قليل المال كثير العيال، وكان هاشم موسراً جوادا، وكان ينبغى أن نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قريش وانما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض *

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر مافعله كسرى فى أمر الخراج والجند ﴾

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى أنوشروان فى خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع ، و كذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها، ومن الجزية شيئا معلوماً فأمر الملك قباذ بمسح الأرضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك * فلما ملك أنوشروان أمر باستتمام ذلك ، ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والأرز على كل نوع من هذه الأنواع شيئا معلوماً ، ويؤخذ فى السنة فى ثلاثة أنجم : وهى الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى الى القضاة فى البلاد نسخة بالخراج ليمتنع العمال من الزيادة عليه ، وأمر أن يوضع عمن أصابت غلته جائحة بقدر جائحته . وألزموا الناس الجزية ماخلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن فى خدمة الملك كل إنسان على قدره اثنى عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم ، وأسقطها عمر عمن لم يبلغ عشرين سنة أو جاوز خمسين سنة *

ثم إن كسرى ولىّ رجلا من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه ، فطلب من كسرى التمكن من شغله الى ذلك ، فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها ، ثم نادى أن يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضروا ، فحيث لم ير معهم كسرى أمرهم بالانصراف فعل ذلك يومين ، ثم أمر فنودى فى اليوم الثالث أن لايتخلف أحد ولا من أكرم بتاج فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح ؛ ثم أتي بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاماً ما عدا وترين للقوس كان عادتهم أن يستظهروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجز على اسمه ، وقال له : هلم كلما يلزمك فذكر كسرى الوترين فتعلقهما ، ثم نادى منادى بابك ، وقال للكمى السيد سيد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز على اسمه ، فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر اليه من غلظته عليه ، وذكر له أن أمره لايتم إلا بما فعل . فقال كسرى : ماأغلظ علينا أمر نريد به إصلاح دولتنا *

ومن كلام كسرى : الشكر والنعمة عدلان ككفتى الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الأخف الى أن يزاد فيه حتى يعادل صاحبه . فاذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلا انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج الى كثير من الشكر ؛ وكلما زيد فى الشكر ازدادت النعم ،

وجاوزته ، ونظرت فى الشكر فوجدت بعضه بالقول و بعضه بالفعـل،ونظرت أحب الأعمـال الى الله فوجدته الشىء الذى أقام به السموات والأرض وأرسى به الجبـال وأجرى به الأنهار و برأ به البرية وهوالحق والعدل فلزمته ، ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها قوام الحياة للناس والدوابّ والطير وجميع الحيوانات*

ولما نظرت فى ذلك وجدت المقاتلة اجراء لأهل العمارة وأهل العمارة أجراء للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهـم ومجاهدتهـم من ورائهم ، فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم ، فان العمارة والأمن والسلامة فى النفس والمال لايتم إلا بهم*ورأيت أن المقاتلة لايتم لهم المقام والأكل والشرب وتثمير الأموال والأولاد إلا بأهل الخراج والعمارة، فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج مايقوم بأودهم ، وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم مايقوم بمؤنتهم وعمارتهم؛ ولم أجحف بواحدة من الجانبين * ورأيت المقـاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى الى الأخرى * ونظرنا فى سيرآبائنا فلم نترك منها شيئا يقترن بالثواب من الله والذكر الجميـل بين الناس والمصلحة الشاملة للجند والرعية إلا اعتمدناه ولا فسادا إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا الى حب مالا خير فيـه حب الآباء. ونظرت فى سـير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ولم تنازعناأنفسنا الى ماتميل اليه أهواؤنا ،وكتبنا بذلك الى جميع أصحابنا ونوابنا فى سائر البلدان *

فانظر الى هذا الـكلام الذى يدل على زيادة العلم وتوفر العقل ، والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق أن يضرب به المثل فى العدل الى أن تقوم الساعة *

وكان لـكسرى أولاد متأدبون فجعـل الملك من بعـده لابنه هرمز ، وكان مولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملكه ، وفى هذا العـام كان يوم ذى جبلة وهو يوم من أيام العرب المذكورة *

﴿ذكر مولد رسول الله ﷺ﴾

قال قيس بن مخرمة وقباث بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله ﷺ ولد عام الفيل * قال ابن الـكلبي ولد عبد الله بن عبـد المطلب أبو رسول الله ﷺ لأربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنو شروان . وولد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وأربعين من سلطانه ، وأرسله الله تعالى لمضى اثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز

Marfat.com

Marfat.com

ابن كسرى هرمز بن كسرى انو شروان ، وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أبرويز *

قال ابن اسحق ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة [1] مضت من ربيع الأول ، وكان مولده بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف * قيل : إن رسول الله ﷺ وهبها عقيل بن أبي طالب ، فلم تزل فى يده حتى توفى ؛ فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج ، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت فى الدار حتي أخرجته الخيزران ، فجعلته مسجدا يصلى فيه * وقيل : ولد لعشر خلون منه . وقيل : لليلتين خلتا منه *

قال ابن اسحق: ان آمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت فى منامها لما حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع بالأرض قولى

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ، فلما وضعته أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه ، فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به ، وماقيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه *

وقال عثمان بن أبى العاص حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما شيء أنظر اليه من البيت الا نور . وانى لانظر النجوم لتدنو حتى أني لأقول لتقعن علىّ *

وأول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة أبى لهب بابن ابن له يقال له مسروح ، و كانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب . وأرضعت بعده أبا سلمة ابن عبد الأسد المخزومى ، فكانت ثويبة تأتي رسول الله ﷺ بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها ، وتكرمها خديجة ، فارسلت الى أبى لهب أن يبيعها اياها لتعتقها فأبى ، فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة أعتقها أبو لهب . فكان رسول الله ﷺ يبعث اليها بالصلة الى أن بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر . فسأل عن ابنها مسروح فقيل: توفى قبلها ، فسأل هل لها من قرابة ؟ فقيل لم يبق لها أحد *

---

(١) حقق المرحوم محمود باشا الفلكى بادلة علمية ان ميلاد رسول الله صلي الله عليه وسلم كان ليلة التاسع من شهر ربيع الاول من السنة التي ولد فيها *

ثم أرضعت رسول الله ﷺ بعد ثويبة حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله ابن الحرث بن شجنة من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، واسم زوجها الذى أرضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى ، واسم اخوته من الرضاعة عبد الله وانيسة وجذامة وهى الشيماء عرفت بذلك ،وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة.وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج خديجة فاكرمها ووصلها ، وتوفيت قبل فتح رسول الله ﷺ مكة . فلما فتح مكة قدمت عليها أخت لها ، فسألها عنها فاخبرته بموتها ،فذرفت عيناه ، فسألها عمن خلفت فاخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها *

وقال عبدالله بن جعفر بن أبى طالب : كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء ، وذلك فى سنة شهباء لم تبق شيئا،قالت : فخرجت على أتان لنا قمراء معنا شارف لنا والله ماتبض بقطرة ، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذى معى من بكائه من الجوع ، ومافى ثدي مايغنيه ، ومافى شارفنا مايغذوه ، ولكنا نرجو الغيث والفرج فلقد أدمت[1] أتاني بالركب حتي شق عليهم ضعفا وعجفا حتي قدمنا مكة ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ ، فتأباه اذا قيل لها: انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبيّ فكنا نقول يتيم فما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فما بقيت امرأة معى إلا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق ، قلت لصاحبي وكان معى إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال : افعلى فعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة ، قالت : فذهبت فأخذته ، فلما أخذته ووضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتي روى ، وشرب معه أخوه حتي روى ، ثم ناما ، وما كان ابنى ينام قبل ذلك ، وقام زوجى إلى شارفنا تلك ، فاذا انها حافل فحلب منها ، ثم شرب حتى روى ، ثم سقانى فشربت حتى شبعنا ، قالت : ثم خرجنا يقول لى صاحبي تعلمين والله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله لارجو ذلك: قالت:ثم خرجنا فركبت أتاني وحملته عليها فلم يلحقنى شيء من حمرهم حتي ان صواحبي ليقلن لى : يا ابنة ابى ذؤيب اربعى علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول : بلى والله لهى ، فيقلن : ان لها شأنا ، ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمى تروح علىّ حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما

---

(١) كذا بالأصل وفى ابن جرير واذمت أتانى بالركب اى تهاونت به كما فى اللسان اه الادارة *

Marfat.com

يحلب انسان قطرة ولا يجدها فى ضرع ، حتى ان كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى ابنة أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة من لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة فى الخير حتي مضت سنتان وفصلته ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتي كان غلاما جفراً فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شىء على مكثه عندنا لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا امه فى تركه عندنا فأجابت ، قالت : فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مر مع أخيه فى بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لى ولأبيه : ذلك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه ، قالت : فخرجنا نشتد ، فوجدناه قائما منتقعا وجهه ، قالت : فالتزمته أنا وأبوه ، وقلنا له : مالك يابني ؟ قال : جاءني رجلان فأضجعانى فشقا بطنى فالتمسا به شيئا لا أدرى ماهو . قالت فرجعنا الى خبائنا ، وقال لى أبوه : والله لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك ، قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك ياظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك ؟ قالت : قلت قد بلغ الله بابني وقضيت الذى على وتخوفت عليه الأحداث فأديته اليك كما تحبين ، قالت : ماهذا بشأنك ؟ فأصدقيني ولم تدعني حتى أخبرتها ، قالت : فتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت نعم قالت : كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإن لابني لشانا أفلا أخبرك ! قلت : بلى قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لى قصور بصرى من الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا ايسر ، ثم وقع حين وضعته وأنه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة *

وكانت مدة رضاع رسول الله ﷺ سنتين وردته حليمة إلى أمه وجده عبد المطلب ، وهو ابن خمس سنين فى قول * وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ أقبل شيخ من بنى عامر وهو ملك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئا على عصا فمثل قائماً وقال : يا ابن عبد المطلب إني أنبئت أنك تزعم أنك رسول الله أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ألا وإنك فهت بعظيم الا وقد كانت الأنبياء من بنى إسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان وما لك وللنبوة ؟ وأن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدو شأنك ؟ فأعجب النبي ﷺ بمسألته ، ثم قال : يا أخا بنى عامر

Marfat.com

اجلس فجلس فقال له النبى ﷺ ان حقيقة قولى و بدوّ شأني انى دعوة ابي ابراهيم، و بُشرى أخى عيسى، و كنت بكرأمى، وحملتني كأثقل ماتحمل النساء، ثم رأت فى منامها ان الذى فى بطنها نور، قالت: فجعلت اتبع بصرى النور وهو يسبق بصرى حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها، ثم انها ولدتنى فنشأت، فلما نشأت بغضت الىّ الأوثان والشعر، فكنت مسترضعا فى بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذا من أهلى مع أتراب من الصبيان اذ أتانا ثلاثة رهط، معهم طست من ذهب مملوء ثلجا، فاخذوني من بين أصحابى، فخرج أصحابى هراباً حتي انتهوا الى شفير الوادى؛ ثم أقبلوا على الرهط، فقالوا: ما أربكم الى هذا الغلام؟ فانه ليس له أب وما يرد عليكم قتله؛ فلما رأى الصبيان الرهط لا يردون جواباً انطلقوا مسرعين الى الحىّ يؤذنونهم بي و يستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم، فأضجعنى على الأرض إضجاعاً لطيفا، ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتي، فانا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا، ثم أخرج أحشاء بطنى فغسلها بالثلج فأنعم غسلها، ثم أخرج قلبي فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئا، فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت بردَ ذلك الخاتم فى قلبي دهرا * ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنحى عنى، فامرّ يده مابين مفرق صدرى الى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى، ثم أخذ بيدى فأنهضني إنهاضاً لطيفا، ثم قال للأول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم، ثم قال زنه بألف من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنته بأمته كلهم لرجح بهم، ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينيّ، ثم قالوا ياحبيب لم ترع إنك لو تدرى ماير اد بك من الخير لقرّ به عينك * قال: فبينما نحن كذلك إذأنا بالحىّ قدجاؤا بحذافيرهم و إذ ظئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وهى تقول: ياضعيفاه قال: فانكبوا علىّ يعني الرهط، وقبلوا رأسى وما بين عينىّ، وقالوا: حبذا أنت من ضعيف؛ ثم قالت ظئرى يا وحيداه فانكبوا على فضمونى الى صدورهم وقبلوا مابين عينيّ وقالوا حبذا أنت من وحيد ومأأنت بوحيد ان الله معك * ثم قالت ظئرى يايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فانكبوا على وضمونى الى صدورهم، وقبلوا مابين عينىّ، وقالوا حبذا

Marfat.com

أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا بى الى شفير الوادى فلما بصرت بي ظئرى[1] قالت يا بُني ألا أراك حياً بعد ؟ فجاءت حتى انكبت علىّ وضمتني الى صدرها ، فوالذى نفسى بيده إنى لفى حجرها وقد ضمتنى اليها . وان يدى فى يد بعضهم فجعلت ألتفت اليهم : وظننت أن القوم يبصرونهم يقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه و يداويه ؛ فقلت ماهذا؟ ليس بي شيء مما يذكران إرادتى سليمة وفؤادى صحيح ليس فىّ قلبة[2]، فقال أبى من الرضاع ألا ترون كلامه صحيحاً ؟ إني لأرجو أن لا يكون بابني بأس فاتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن . فذهبوا بي اليه فلما قصوا عليه قصتى قال : اسكتوا حتى أسمع من الغلام . فانه أعلم بأمره منكم ، فقصصت عليه أمرى من أوله الى آخره ، فلما سمع قولى وثب إلىّ وضمني الى صدره ، ثم نادى بأعلى صوته . ياللعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزّى لئن تركتموه فأدرك ليذلن دينكم ، ويخلفن أمركم ، ولياتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط ، فانتزعتنى ظئرى منه ، وقالت : لانت أجن وأعته من ابني هذا . فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه . ثم ردوني الى أهلى ، فأصبحت مفزعاً مما فعل بي وأثر الشق مما بين صدرى الى عانتى كأنه الشراك فذلك حقيقة قولى و بدو شأنى يا أخا بنى عامر *

فقال العامرى : أشهد بالله الذى لا إله الا هو إن أمرك حق ، فأنبئني باشياء أسالك عنها قال : سل قال : أخبرني مايزيد فى العلم قال: التعلم قال : فما يدل على العلم ؟ قال : النبى ﷺ السؤال قال : فأخبرني ماذا يزيد فى الشيء ؟ قال : التمادى . : قال فأخبرنى هل ينفع البر مع الفجور ؟ قال : نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيآت واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء ، فقال العامرى : فكيف ذلك ؟ قال: ذلك بان الله عز وجل يقول : وعزتي وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ، ولا أجمع له خوفين ان خافني فى الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي فى حظيرة القدس فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق ، وان هو أمنني فى الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه * قال : يا ابن عبد المطلب أخبرني الى م تدعو ؟ قال : أدعو الى عبادة الله وحده لاشريك له . وأن تخلع الأنداد وتكفر باللات والعزّى ، وتقر بماجاء من عند الله من كتاب ورسول . وتصلى الصلوات الخمس بحقائقهن ، وتصوم شهرا من السنة ، وتؤدى زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها ، ويطيب لك مالك ، وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن

---

(١) اى مرضعتى (٢) بفتحات ثلاث اى داء اه قاموس *

Marfat.com

بالموت والبعث بعدالموت وبالجنة والنار * قال : يابن عبدالمطلب فاذا فعلت ذلك فمالى؟ فقال النبي ﷺ : جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ، فقال : هل مع هذا من الدنيا شيء ؟ فانه يعجبني الوطأة من العيش . قال النبى ﷺ : نعم النصر والتمكين فى البلاد فأجاب وأناب *

قال ابن إسحق : هلك عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله ﷺ ؛ وأم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به * قال هشام بن محمد : توفى عبد الله أبو رسول الله ﷺ بعد ما أتي على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون يوما ، وقال الواقدى : أثبت عندنا ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام فى عير لقريش ونزل بالمدينة وهو مريض ؛ فأقام حتي توفى . ودفن بدار النابغة الصغرى ،قال ابن اسحق : وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به المدينة على أخواله من بنى النجار تزيره إياهم فماتت وهى راجعة ، وقيل : إنها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومنها رسول الله ﷺ وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ؛ فلما عادت ماتت بالأبواء * وقيل : ان عبدالمطلب زار أخواله من بنى النجار ،وحمل معه آمنة ورسول الله ﷺ ، فلما رجع توفيت بمكة ، ودفنت فى شعب أبي ذر والأول أصح *

ولما سارت قريش الى أحد هموا باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم فكفهم الله بهذا القول إكراماً لأم النبي ﷺ * قال ابن إسحق: وتوفى عبد المطلب ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين ،وقيل : ابن عشر سنين . ولما مات عبدالمطلب صار رسول الله ﷺ فى حجر عمه أبي طالب بوصية من عبد المطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه ، فيصبح ولد أبى طالب غمصاً رمساً ويصبح رسول الله صقيلا دهينا *

﴿ ذكر قتل تميم بالمشقر ﴾

قال هشام أرسل وهرز بأموال وطرف من اليمن الى كسرى . فلما كانت ببلاد تميم دعاصعصعة ابن ناجية المجاشعى - جد الفرزدق الشاعر - بنى تميم الى الوثوب عليها فأبوا فقال كأني ببني بكر بن وائل وقد انتهبوا فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها وأخذ رجل من بني صليت يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال (أصاب كنزا النطف) فصار مثلا ، وصار أصحاب العير الى هوذة بن على الحنفى باليمامة

Marfat.com

فـكساهم وحملهم وصار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقـد من در فعقد على رأسه فمن ثم سمى هوذة ذاالتاج. وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم ؟ فقـال : لابيننا إلا المؤت قال : قد أدركت ثأرك ، وأراد إرسال الجنود الى تميم فقيل له : ان ماءهم قليل و بلادهم بلاد سوء ، وأشير عليه أن يرسل الى عامله بالبحرين وهو ازاد فيروز بن جشيش الذى سمته العرب المـكعبر وانمـا سمى بذلك لأنه كان يقطع الأيدى والأرجل فأمره بقتل بني تميم ففعل ، ووجه اليه رسولا . ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالمسير مع رسوله فاقبل الى المـكعبر أيام اللقاط ، وكانت تميم تصير الى هجر للميرة واللقـاط ، فامر المـكعبر منادياً ينادى ليحضر من كان ههنا من بنى تميم ، فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام . فحضروا ودخلوا المشقر وهو حصن ، فلما دخلوا قتل المـكعبر رجالهم ، واستبقى غلمانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحى و كان فارس يربوع ، وجعل الغلمان فى السفن وعبر بهم الى فارس. قال هبيرة بن حدير العدوى: رجع الينا بعد مافتحت اصطخر عدة منهم، وشد رجل من بنى تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج [1] واستوهب هوذة من المـكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم [2] *

حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال

---

(١) اى وهو ينشد كما رواه ابن جرير *

تذكرت هندالات حين تذكر تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل اهلها مصاب الخريف بين زور ومنور
الأهل اتى قومى على النأى انتى حميت ذمارى يوم باب المشقر ؟
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة تفرج منها كل باب مضبر

المضبر الموثق اه الادارة *

(٢) وفى ذلك يقول الأعشى :

سائل تميما به ايام صفقتهم لما أتوه اسارى كلهم ضرعا
وسط المشقر فى غبراء مظلمة لا يستطيعون بعد الضر منتفعا
فقال للملك اطلق منهم مائة رسلا من القول مخفوضا ومارفعا
ففك عن مائة منهم اسارهمو واصبحوا كلهم من غله خلعا
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما اسدى وما صنعا
فلا يرون بذا كم نعمة سبقت ان قال قائلها حقا بها وسعا

﴿ ذكر ملك ابنه هرمز بن انوشروان ﴾

وكانت أمه ابنة خاقان الأكبر لما ملك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة ، فملك بعده هرمز ، وكان هرمز بن كسرى أديباً ذا نية فى الاحسان الى الضعفاء والحمل على الأشراف فعادوه وأبغضوه ، وكان فى نفسه مثل ذلك ، وكان عادلا بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكروم فاطلع أسوار من أساورته فى كرم وأخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ ، فبلغ من خوف الأسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضا من الحصرم فتركه ، وقيل كان مظفراً منصورا لايمد يده الى شىء الاناله ، وكان داهيا ردىء النية قد نزع الى اخواله الترك ، وأنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ، ولم يكن له رأى إلا فى تألف السفلة ، وحبس كثيرا من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ، وحرم الجنود ففسد عليه كثير ممن كان حوله وخرج عليه شايه ملك الترك فى ثلاثمائة ألف مقاتل فى سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراة وباذغيس وأرسل الى هرمز والفرس يأمرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم . ووصل ملك الروم فى ثمانين ألفاً الى الضواحى قاصدا له . ووصل ملك الخزر الى الباب والأبواب فى جمع عظيم ، فان جمعا من العرب شنوا الغارة على السواد ، فارسل هرمز بهرام خشنش — ويعرف بجوبين — فى اثنى عشر ألفاً من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجدا ، وواقع شايه ملك الترك فقتله برمية رماها ، واستباح عسكره ثم وافاه برمودة بن شايه فهزمه أيضا ، وحصره فى بعض الحصون حتى استسلم ، فارسله الى هرمز أسيرا ، وغنم مافى الحصن فكان عظيما * ثم خاف بهرام ومن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا أن ابنه أبرويز أصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام أن يستوحش هرمز من ابنه أبرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر أبرويز بابيه كان أمره على بهرام سهلا . وإن ظفر أبوه نجا بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز غرضه وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك فلما علم أبرويز ذلك خاف أباه فهرب الى أذربيجان ، فاجتمع عليه عدة من المرازبة والأصبهبذين ، ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام خالا أبرويز فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تحرجا من قتله وبلغ أبرويز الخبر فأقبل من أذربيجان الى دار الملك ، وكان ملك هرمز إحدى

Marfat.com

عشرة سنة وتسعة أشهر، وقيل: اثنتى عشرة سنة ولم يسمل من ملوك الفرس غيره لاقبله ولا بعده*

ومن محاسن السير ماحكى عنه أنه لما فرغ من بناء داره التى تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الأطراف فاكلوا؛ ثم قال لهم هل رأيتم فى هذه الدار عيباً؟ فكلهم قال لاعيب فيها فقام رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة: أحدها ان الناس يجعلون دورهم فى الدنيا وأنت جعلت الدنيا فى دارك فقد أفرطت فى توسيع صحونها و بيوتها، فتتمكن الشمس فى الصيف والسموم فيؤذى ذلك أهلها و يكثر فيها فى الشتاء البرد. والثاني ان الملوك يتوصلون فى البناء على الأنهار لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر الى المياه و يترطب الهواء وتضىء أبصارهم. وأنت قد تركت دجلة و بنيتها فى القفر، والثالث أنك جعلت حجرة النساء مما يلى الشمال من مساكن الرجال وهو أدوم هبوبا فلا يزال الهواء يجىء باصوات النساء وريح طيبهن وهذا ماتمنعه الغيرة والحمية، فقال هرمز: أما سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران. وأما مجاورة الماء فكنت عند أبي وهو يشرف على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها اليه وأبي يتأسف عليهم و يصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم فالى أن يلحقوهم غرق جميعهم، فجعلت فى نفسى أنني لاأجاور سلطاناً هو أقوى منى، وأما عمل حجرة النساء فى جهة الشمال فقصدنا به ان الشمال أرق هواء وأقل وخامة والنساء يلازمن البيوت فعمل لذلك، وأما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء وكل من يدخل هذه الدار إنما هو مملوك وعبد لقيم وأما أنت فما أخرج هذا منك إلا بغض لى فاخبرنى عن سببه. فقال الرجل: لى قرية ملك كنت أنفق حاصلها على عيالى فغلبني المرزبان فاخذها منى، فقصدتك أتظلم منذ سنتين فلم أصل إليك، فقصدت وزيرك وتظلمت اليه فلم ينصفني وأنا أؤدى خراج القرية حتى لا يزول اسمى عنها وهذا غاية الظلم أن يكون غيرى يأخذ دخلها وأنا أؤدى خراجها، فسأل هرمز وزيره فصدقه، وقال: خفت أعلمك فيؤذينى المرزبان فامر هرمز أن يؤخذ من المرزبان ضعف ماأخذ وأن يستخدمه صاحب القرية فى أى شغل شاء سنتين وعزل وزيره. وقال: فى نفسه اذا كان الوزير يراقب الظالم فالحرى أن غيره يراقبه، فامر باتخاذ صندوق، وكان يقفله و يختمه بخاتم و يترك على باب داره، وفيه خرق يلقى فيه رقاع المتظلمين، وكان يفتحه كل أسبوع

Marfat.com

Marfat.com

ويكشف المظالم فأفكر وقال: أريد أعرف ظلم الرعية ساعة فساعة ، فاتخذ سلسلة طرفها في مجلسه في السقف والطرف الآخر خارج الدار في روزنة وفيها جرس ، وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته *

﴿ ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمز ﴾

وكان من أشد ملوكهم بطشا وأنفذهم رأيا وبلغ من البأس والنجدة ، وجمع الأموال ومساعدة الأقدار مالم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب إبرويز ومعناه المظفر ، وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين إلى أبيه أنه يريد الملك لنفسه ، فلما علم ذلك سار إلى أذربيجان سرا ، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ، فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء . واجتمع من بالمدائن على خلع أبيه ، فلما سمع ابرويز بادر الوصول إلى المدائن قبل بهرام جوبين . فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ، ثم دخل إلى أبيه وكان قد سمل ، فاعلمه انه برىء مما فعل به ، وانما كان هرب به للخوف منه فصدقه ، وسأله أن يرسل اليه كل يوم من يؤنسه وأن ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه ؛ فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر ، وانه لايقدر على أن ينتقم ممن فعل به ذلك إلا بعد الظفر ببهرام ، وسار بهرام إلى النهروان وسار إبرويز اليه فالتقيا هناك ورأى ابرويز من أصحابه فتورا في القتال ، فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فاشار عليه بقصد موريق ملك الروم ، وجهز ثانيا ، وسار في عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز إلى الملك ويرسل إلى ملك الروم في ردهم فيردهم اليه فاستأذنوا إبرويز في قتل أبيه هرمز فلم يحر جوابا فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم الى هرمز فقتلوه خنقا ، ثم رجعوا إلى إبرويز وساروا مجدين الى أن جاوزوا الفرات ودخلوا ديرا يستريحون فيه ، فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سياوش ، فقال بندويه لابرويز احتل لنفسك قال : ماعندى حيلة قال بندويه : أنا أبذل نفسى دونك وطلب منه بزته فلبسها وخرج إبرويز ومن معه من الدير وتوارى بالجبل ، ووافى بهرام الدير ، فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة أبرويز فاعتقده هو وسأله أن ينظره إلى غد ليصير اليه سلما ففعل ، ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله إلى بهرام جوبين ، فحبسه ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج ، فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس أطاعوه خوفا وواطأ بهرام بن سياوش بندويه على

الفتك ببهرام جو بين فعلم بهرام جو بين بذلك ، فقتل بهرام وأفلت بندويه فلحق باذربيجان وسار إبرويز إلى أنطاكية وأرسل أصحابه إلى الملك فوعده النصرة ، وتزوج إبرويز ابنة الملك موريق واسمها مريم ، وجهز معه العساكر الكثيرة فبلغت عدتهم سبعين ألفا فيهم رجل يعدّ بالف مقاتل ، فرتبهم ابرويز وسار بهم إلى أذربيجان ، فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والأساورة فى أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان وسار الى المدائن ، وخرج بهرام جو بين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة ، فقتل فيها الفارس الرومى الذى يعد بالف فارس ، ثم انهزم بهرام جو بين وسار الى الترك ، وسار إبرويز من المعركة ، ودخل المدائن وفرق الأموال فى الروم . فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فأعادهم الى بلادهم ، وأقام بهرام جو بين عند الترك مكرما ، فأرسل ابرويز الى زوجة الملك وأجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها قتل بهرام ، فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ؛ ثم علم ان زوجته قتلته فطلقها * ثم ان ابرويز قتل بندويه ، وأراد قتل بسطام فهرب منه إلى طبرستان لحصانتها فوضع ابرويز عليه فقتله *

وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك إبرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقا اسمه فوقاس فاباد ذرية موريق سوى ابن له هرب الى كسرى إبرويز ، فأرسل معه العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده وأساورته : أما أحدهم فكان يقال له بوران وجهه فى جيش منها إلى الشام فدخلها حتي انتهى الى البيت المقدس ، فأخذ خشبة الصليب التى تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام صلب عليها ، فارسلها الى كسرى إبرويز ، وأما القائد الثانى فكان يقال له شاهين فسيره فى جيش آخر إلى مصر فافتتحها ، وأرسل مفاتيح الاسكندرية الى إبرويز وأما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى مرتبته شهريراز ، وجعل مرجع القائدين الأولين اليه ، وكانت والدته منجبة لا تلد إلا نجيبا فاحضرها إبرويز ، وقال لها إنى أريد أن أوجه جيشاً الى الروم أستعمل عليه بعض بنيك فأشيرى علىّ أيهم أستعمل ؟ فقالت : أما فلان فاروغ من ثعلب وأحذر من صقر ، وأما فرخان فهو أنفذ من سنان ، وأما شهريراز فهو أحلم من كدى ، فقال قد استعملت الحليم فولاه أمر الجيش . فسار الى الروم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم ، وسار فى بلادهم

Marfat.com

الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرّب فلم يخضع لابن موريق أحد ولا أطاعه غير أن الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه فلما رأى هرقل ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعاه فرأى فى منامه رجلا كثّ اللحية رفيع المجلس عليه بزة حسنة فدخل عليهما داخل فالقى ذلك الرجل من مجلسه ، وقال لهرقل : إني قد أسلمته فى يدك فاستيقظ فلم يقص رؤياه ؛ فرأى فى الليلة الثانية ذلك الرجل جالسا فى مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة فألقاها فى عنق ذلك الرجل . وسلمه الى هرقل ، وقال قد دفعت اليك كسرى برمته ، فاغزه ، فانك مدال عليهم ، وبالغ أمنيتك فى أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم ، فأشاروا عليه أن يغزوه ، فاستعد هرقل . واستخلف ابنا له على القسطنطينية . وسلك غير الطريق الذى عليه شهريراز . وسار حتى أوغل فى بلاد أرمينية ، وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فأرسل اليه كسرى جندا وأمرهم بالمقام بالموصل ، وأرسل الى شهريراز يستحثه على القدوم عليه ليتضافرا على قتال هرقل *

وقيل فى مسيره غير هذا وهو أن شهريراز سار الى بلاد الروم فوطىء الشام حتى وصل الى أذرعات ، ولقى جيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبي وغنم وعظم شأنه ثم إن فرخان أخا شهريراز شرب الخمر يوما وقال لقد رأيت فى المنام كأني جالس على سرير كسرى فبلغ الخبر كسرى فكتب الى أخيه شهريراز يأمره بقتله ، فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته فى العدو فعاد كسرى وكتب اليه بقتله فراجعه فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى بعزل شهريراز وولاية فرخان العسكر فأطاع شهريراز ، فلما جلس على سرير الامارة التى اليه القاصد بولايته كتابا صغيرا من كسرى يأمر بقتل شهريراز ، فعزم على قتله . فقال له شهريراز : أمهلنى حتى أكتب وصيتي فامهله ، فاحضر درجا وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة وأطلعه عليها ، وقال : أنا راجعت فيك ثلاث مرات ولم أقتلك وأنت تقتلني فى مرة واحدة ، فاعتذر أخوه اليه ، وأعاده الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى ، فارسل شهريراز الى هرقل : ان لى اليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف ، فالقنى فى خمسين رومياً ، فاني ألقاك فى خمسين فارسياً ، فاقبل قيصر فى جيوشه جميعها . ووضع عيونه تأتيه بخبر شهريراز ، وخاف أن يكون مكيدة فأتته عيونه ، فاخبروه انه فى خمسين فارسيا ، فحضر عنده فى مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان .

Marfat.com

فقال له : أنا وأخى خربنا بلادك وفعلناماعلمت . وقد حسدنا كسرى وأراد قتلنا ، وقد خلعناه ، ونحن نقاتل معك ففرح هرقل بذلك واتفقا عليه وقتلا الترجمان لئلا يفشى سرهما ، وسار هرقل فى جيشه إلى نصيبين * وبلغ كسرى ابرويز الخبر . فارسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار فى اثني عشر ألفا ، وأمره أن يقيم بنينوى من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من أن يجوزها . وأقام هو بدسكرة الملك فارسل راهزار العيون . فاخبروه ان هرقل فى سبعين ألف مقاتل . فارسل الى كسرى يعرفه ذلك وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير ، فلم يعذره وأمره بقتاله ، فاطاع وعبى جنده ، وسار هرقل نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذى فيه راهزار ، فقصده راهزار ولقيه فاقتتلوا فقتل راهزار وستة آلاف من أصحابه ، وانهزم الباقون . وبلغ الخبر ابرويز وهو بدسكرة الملك . فهاله ذلك وعاد إلى المدائن وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وكتب إلى قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة فأحوجهم إلى الخلاف عليه على ماذكره ان شاء الله * وسار هرقل حتي قارب المدائن ، ثم عاد إلى بلاده *

وكان سبب عوده أن كسرى لما عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا إلى شهريراز يشكره ويثنى عليه ، ويقول له أحسنت فى فعل ماأمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه ، فتجىء أنت من خلفه وأنا من بين يديه . ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا فلا يفلت منهم أحد ، ثم جعل الكتاب فى عكاز أبنوس ، وأحضر راهبا فى دير عند المدائن ، وقال له : لى اليك حاجة ، فقال الراهب : الملك أكبر من أن يكون له إلىّ حاجة ولكننى عبده . قال : ان الروم قد نزلوا قريبا منا وقد حفظوا الطرق عنا ولى الى أصحابى الذين بالشام حاجة . وأنت نصراني إذا جزت على الروم لاينكرونك ، وقد كتبت كتابا وهو فى هذه العكازة فتوصله إلى شهريراز وأعطاه مائتي دينار ، فأخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم أعاده وسار . فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه ، وقال : أنا شر الناس ان أهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وأنهى حاله ، وأوصل الكتاب اليه فقرأه ، ثم أحضر أصحابه رجلا قد أخذوه من طريق الشام قد واطاه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهريراز الى كسرى يقول : إنى مازلت أخادع ملك الروم حتي اطمأن الىّ ، وجاز الى البلاد كما أمرتنى فيعرفني الملك فى أى يوم يكون لقاؤه حتي أهجم أنا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا

Marfat.com

اصحابه وأمره أن يتعمد طريقاً يؤخذ فيها ، فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثاني تحقق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادرا الى بلاده ووصل خبر عودة ملك الروم الى شهريراز فاراد أن يستدرك مافرط منه فعارض الروم ، فقتل منهم قتلاذريعا ، و كتب الى كسرى إنني عملت الحيلة على الروم حتي صاروا فى العراق وأنفذ من رؤسهم شيئا كثيرا ، وفى هذه الحادثة أنزل الله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) يعني بأدنى الأرض أذرعات وهى أدني أرض الروم الى العرب و كانت الروم قدهزمت بها فى بعض حروبها *

و كان النبي ﷺ والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولا بالروم لأن الروم أهل كتاب ، وفرح الكفار لأن المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات راهن أبو بكر الصديق أبيّ بن خلف على أن الظفر يكون للروم الى تسع سنين والرهن مائة بعير ، فغلبه أبو بكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراماً ، فلما ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية *

﴿ ذكر مارأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله ﷺ ﴾

فمن ذلك ان كسرى ابرويز سكر دجلة العوراء وأنفق عليها من الأموال مالا يحصى كثرة ، و كان طاق مجلسه قد بنى بنياناً لم يرمثله ، و كان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم ، و كان فيهم رجل من العرب اسمه السائب بعث به باذان من اليمن ، و كان كسرى اذا أحزنه أمر جمعهم ، فقال : انظروا فى هذا الأمر ماهو ؟ فلما بعث الله محمداً ﷺ أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء * فلما رأى ذلك أحزنه ، وقال : انفصم طاق ملكى وانخرقت دجلة العوراء « شاه بشكست » يقول : « الملك انكسر » *

ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب ، فقال لهم : أنظروا فى هذا الأمر فنظروا فى أمره فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض فلم يمض لهم مارأموه ، و بات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقاً من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق ، فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء . فقال فيما يعتاف : ان صدق ماأرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الأرض كأفضل ما أخصبت على ملك *

Marfat.com

Marfat.com

فلما خلص الكهان والمنجمون والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما أصابهم ورأى السائب ما رأى قال بعضهم لبعض: والله ماحال بينكم و بين علمكم الأمر جاء من السماء، وانه لنبي بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك و يكسره، ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فاتفقوا على أن يكتموه الأمر ؛ وقالوا له قد نظر نا فوجدنا أن وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ماوضع عليها، وانا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وأمروه بالبناء فبني دجلة العوراء فى ثمانية أشهر فانفق عليه أموالا جليلة حتي فرغ فقال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم فجلس فى أساورته فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج الا بآخر رمق*

فلما أخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريبا من مائة .وقال : قربتكم وأجريت عليكم الارزاق ثم أنتم تلعبون بي فقالوا : أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ثم حسبوا له و بناه ، وفرغ منه ، وأمروه بالجلوس عليه فخاف فركب فرسا، وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدرك الا بآخر رمق فدعاهم وقال :لأقتلنكم أجمعين أو لتصدقوني فصدقوه الأمر، فقال ؛ و يحكم هلا بينتم لى فارى فيه رأيي قالوا: منعنا الخوف فتركهم ولها عن دجلة حين غلبته،و كان ذلك سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك ، و كانت الأرض كلها عامرة *

فلما كانت سنة ست من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى فزاد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها. فانبثقت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى واجتهد أن يسكرها فغلبه الماء كما بينا، ومال الى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج، ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهم عن عملها بالحروب واتسع الخرق *

فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها مضارة للدهاقين لأنه اتهمهم بمالأة ابن الاشعث فعظم الخطب فيها ، وعجز الناس عن عملها فبقيت على ذلك الى الآن، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: بعث الله الى كسرى ملكا وهو فى بيت إيوانه الذى لا يدخل عليه فيه فلم يرعه إلا هو قائما على رأسه فى يده عصا بالهاجرة فى ساعته التى يقيل فيها، فقال: يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا. فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا

بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال : من أدخل هذا الرجل ، فقالوا : مادخل علينا أحد ولا رأيناه حتى اذا كان العام المقبل أتاه فى تلك الساعة وقال له أتسلم أو أكسر العصا؟ فقال بهل بهل وتغيظ على حجابه وحراسه. فلما كان العام الثالث أتاه فقال له أتسلم أو أكسر العصا ؟ فقال بهل بهل فكسر العصا ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه *

وقال الحسن البصرى قال أصحاب رسول الله ﷺ يارسول الله ما حجة الله على كسرى فيك ؟ قال بعث اليه ملكا فأخرج يده اليه من جدار بيته تلألأ نورا فلما رآها فزع فقال له: لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سأنظر *

﴿ ذكر وقعة ذى قار وسببها ﴾

ذكروا عن النبى ﷺ أنه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى، هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبى نصروا فحفظ ذلك منه وكان يوم الوقعة * قال هشام بن محمد كان عدىّ بن زيد التميمى [1] وأخوه عمار وهو أبىّ وعمرو وهو سمىّ يكونون مع الأكاسرة ولهم اليهم انقطاع، وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان فى حجر عدى بن زيد ، وكان له غير النعمان أحد عشر ولدا وكانوا يسمون الأشاهب لجمالهم * فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده أراد كسرى بن هرمز ان يملك على العرب من يختاره ، فاحضر عدىّ بن زيد وسأله عن أولاد المنذر ، فقال : هم رجال فامره باحضارهم ، فكتب عدى فاحضرهم وأنزلهم ؛ وكان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لايرجو النعمان ويخلو بواحد واحد ، ويقول له : اذا سالك الملك أتكفونني العرب ؟ فقولوا : نكفيكهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : اذا سالك الملك عن إخوتك فقل له : إذا عجزت عن إخوتي فانا عن غيرهم أعجز ، وكان من بني مرينا رجل يقال له عدى بن أوس بن مرينا ، وكان داهياً شاعرا ، وكان يقول للأسود بن المنذر قد عرفت انى أرجوك وعينى اليك ، وإنني أريد أن تخالف عدىّ بن زيد ، فانه والله لاينصح لك أبدا ؛ فلم يلتفت الى قوله *

فلما أمر كسرى عدىّ بن زيد أن يحضرهم أحضرهم رجلا رجلا ، وسألهم كسرى

---

(١) ويقال له العبادى وانما نسبه المصنف الى تميم لانه منهم كما فى الاغانى اه الاداره *

Marfat.com

أتكفونني العرب ؟ فقالوا : نعم إلا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما احمر أبرش قصيرا ، فقال له : أتكفيني اخوتك والعرب ؟ قال : نعم وان عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم ، فقال عدى بن مرينا للأسود دونك فقد خالفت الرأى ، ثم صنع عدىّ بن زيد طعاما ودعا عدى بن مرينا اليه ، وقال : إني عرفت ان صاحبك الأسود كان أحب اليك أن يملك من صاحبي النعمان فلا تلمنى على شىء كنت على مثله وانى أحب ان لاتحقد علىّ وان نصيبى من هذا الأمر ليس باوفر من نصيبك ، وحلف لابن مرينا أن لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا ، فقام ابن مرينا وحلف انه لايزال يهجوه و يبغيه الغوائل ، وسار النعمان حتى نزل الحيرة ، وقال ابن مرينا للأسود : اذا فاتك الملك فلا تعجز ان تطلب بثارك من عدى - فان معدا لاينام مكرها وأمرتك بمعصيته فخالفتني وأريد أن لايأتيك من مالك شىء إلا عرضته علىّ ففعل ، وكان ابن مرينا كثير المال ، وكان لايخلى النعمان يوماً من هدية وطرفة فصار من أكرم الناس عليه ، وكان اذا ذكر عدى بن زيد وصفه ، وقال : الا انه فيه مكر وخديعة واستمال أصحاب النعمان ، فمالوا اليه ووضعهم[1] على أن قالوا للنعمان : ان عدى بن زيد يقول انك عامله ولم يزالوا بالنعمان حتي أضغنوه عليه ، فأرسل الى عدى يستزيره فأستاذن عدى كسرى فى ذلك فاذن له ، فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه ، ومنع من الدخول عليه فجعل عدى يقول الشعر [2] وهو فى السجن * و بلغ النعمان قوله فندم

---

(١) كذا فى الاصول وله لها وحملهم (٢) واول ماقال هذه القصيدة كما فى الاغانى

ليت شعرى عن الهمام ويأتيـــك بخبر الانباء عطف السؤال
اين عنا إخطارنا المال والانـــفس اذ ناهدوا ليوم المحال
ونضالى فى جنبك الناس يرمو ن وارمى وكلنا غير آلى
فاصيب الذى تريد بلا غـــش وأربى عليهم وأوالى
ليت أنى اخـذت حتفى بكـــفى ولم ألق ميتـة الاقتال
محـلوا محلهم لصرعتنا العـا م فقد اوقعوا الرحا بالثفال

وهى قصيدة طويلة ، وقال ايضا

ارقت لمكفهر بات فيـه بوارق يرتقين رؤس شيب

الى أن قال بعد أن ذكر نعمته على النعمان ومؤازرته له

الامن مبلغ النعمان عنى وقد تهدى النصيحة بالمغيب
أحظى كان سلسلة وقيـدا وغلا والبيان لدى الطبيب

Marfat.com

على حبسه إياه وخاف منه اذا أطلقه ،فكتب عدى الى أخيه ابيّ أبياتا يعلمه بحاله فلما قرأ أبياته وكتابه كلم كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا فى اطلاق عدى وتقدم أخو عدى الى الرسول بالدخول إلى عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى وأعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى : لاتخرج من عندى وأعطنى الكتاب حتى أرسله فانك انخرجت من عندى قتلنى فلم يفعل ودخل أعداء عدى على النعمان فاعلموه الحال وخوفوه من اطلاقه ، فارسلهم اليه فخنقوه ، ثم دفنوه * وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب * فقال نعم و كرامة و بعث اليه باربعة آلاف مثقال وجارية وقال : اذا أصبحت ادخل اليه فخذه فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس : انه مات منذ أيام فرجع الى النعمان وأخبره أنه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال : كذبت وزاده رشوة واستوثق منه أن لايخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله الى النعمان . قال : وندم النعمان على قتله واجترأ أعداء عدى على النعمان وهابهم هيبة شديدة ، فخرج النعمان فى بعض صيده ، فرأى ابناً لعدى يقال له زيد فكلمه ، وفرح به فرحا شديدا واعتذر اليه من أمر أبيه . وسيره الى كسرى ووصفه له وطلب اليه أن يجعله مكان أبيه ، ففعل كسرى و كان يلى مايكتب الى العرب خاصة ،وسأله كسرى عن النعمان فاحسن الثناء عليه . وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه ، و كان يكثر الدخول على كسرى ، و كان لملوك الأعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم و كانوا يبعثون فى طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب ، فقال له زيد بن عدى : إني أعرف عند عبدك النعمان من بناته و بنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال : فتكتب فيهن قال : أيها الملك ان شرشىء فى العرب وفى النعمان أنهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم فأنا أكره أن يتعنتهن و إن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك . فابعثني

اتاك بانى قدطال حبسى ولم تسأم بمسجون حريب
و بيتى مقفر الانساء ارامل قدهلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدى كشن خانه خرز الريب
يحاذرن الوشاة على عدى وماقترفوا عليه من الذنوب
فان اخطأت أوأوهمت امرا فقد يهم المصافى بالحبيب
وان اظلم فقد عاقبتمونى وان اظلم فذلك من نصيبى
وان اهلك تجد فقدى وتخذل اذا التقت العوالى فى الحروب

Marfat.com

وابعث معى رجلا يفقه العربية . فبعث معه رجلا جلدا نجرجا حتي بلغا الحيرة ، ودخلا على النعمان ، قال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لأهله وولده وأراد كرامتك فبعث اليك قال : وما هؤلاء النسوة ؟ قال : هـذه صفتهن قد جئنه بها وكانت الصفة ان المنذر أهدى أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن أبى شمر الغساني ، وكتب يصفها : أنها معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء ، وطفاء . قمراء ، دعجاء ، حوراء ، عيناء . قنواء ، شماء ، شمراء ، زجاء ، برجاء ، أسيلة الخد . شهية القد . جثلة الشعر . بعيدة مهوى القرط ، عيطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الثدى ، ضخمة مشاشة المنكب والعضد . حسنة المعصم . لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طى البطن ، خميصة الخصر ، غرثي الوشاح ، رداح القبل[1] ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة المنكبين . عظيمة الركبة ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشى ، مكسال الضحى ، بضة المتجرد . سموع للسيد ، ليست بخلساء ولا سفعاء ، ذليلة الأنف ، عزيزة النفر ، لم تفد فى بؤس ، حنينة ، رزينة . زكية ، كريمة الخال ، تفتخر بنسب أبيها دون فصيلتها ، و بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور فى الأدب فرأيها رأى أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة ؛ صناع الكفين ، قطيعة اللسان ، زهرة الصوت ، تزين البيت وتشين العدو ، ان أردتها اشتهت ، وان تركتها انتهت ، تحملق عيناها ، وتحمر وجنتاها [2] وتدبدب شفتاها وتبادرك الوثب * فقبلها كسرى وأمر باثبات هذه الصفة فبقيت الى أيام كسرى بن هرمز ، فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشق ذلك عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : مافى عين السواد وفارس ماتبلغون حاجتكم ، فقال الرسول : لزيد ما العين قال البقر [3] وأنزلهما يومين و كتب الى كسرى : ان الذى طلب الملك ليس عندى وقال لزيد : اعذرني عنده *

فلما عاد الى كسرى قال لزيد أين ما كنت أخبرتنى قال : قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم ، وان ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم . وسل هذا الرسول عن الذى قال : فاني أكرم الملك عن ذلك ، فسأل الرسول فقال انه قال ما فى بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب فى وجهه ووقع فى قلبه وقال : رب عبد قد

---

(١) هو بنتحتين جمع اقبال ما استقبلك من مشرف (٢) هذه عبارة ابن جرير وهى الصواب لانها الاصل ، والذى فى النسخ خداها . الادارة (٣) الذى فى الأغانى (كاوان) جمع كاو وكاو فى الفارسية البقرة كما فى الانجليزية

Marfat.com

أراد ما هو أشد من هذا فصار أمره الى التباب * و بلغ هذا الكلام النعمان وسكت كسرى على ذلك أشهرا و النعمان يستعد حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه. فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه وما قوى عليه، ثم لحق بجبلى طيء. و كان متز وجا اليهم. وطلب منهم أن يمنعوه فأبوا عليه خوفاً من كسرى، فاقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل فى ذى قار فى بنى شيبان سرا فلقى هانىء بن مسعود بن عمرو الشيباني و كان سيدا منيعاً والبيت من ربيعة فى آل ذى الجدين، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين، وكان كسرى قد أطعمه الأبُلة فكره النعمان أن يدفع اليه أهله لذلك وعلم أن هانئا يمنعه مما يمنع منه أهله فاودعه أهله وماله وفيه أربعمائة درع، وقيل: ثمانمائة درع وتوجه النعمان الى كسرى فلقى زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال: أنج نعيم، فقال: أنت يازيد فعلت هذا؟ أما والله لأن انفلت لافعلن بك ما فعلت بابيك، فقال: زيد امض نعيم فقد والله وضعت لك أخية لايقطعها المهر الأرن * فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فحبسه و بعث به الى خانقين حتي وقع الطاعون فمات فيه. قال والناس يظنون انه مات بساباط ببيت الأعشى وهو يقول *

فداك وما ينجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق [1]

و كان موته قبل الاسلام [2] * فلما مات استعمل كسرى إياس بن قبيصة الطائى على الحيرة وما كان عليه النعمان، و كان كسرى اجتاز به لما سار الى ملك الروم، فاهدى له هدية فشكر ذلك له وأرسل اليه فبعث كسرى بان يجمع ماخلفه النعمان و يرسله اليه، فبعث إياس الى هانيء بن مسعود الشيبانى يأمره بارسال ما استودعه النعمان، فأبي هانيء أن يسلم ما عنده، فلما أبي هانىء غضب كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى أمهلهم حتى يقيظوا و يتساقطوا على ذى قار تساقط الفراش فى النار فتأخذهم كيف شئت، فصبر كسرى حتي جاؤا نحو ذى قار،

---

(١) اى محبوس (٢) ورثاه زهير بن أبى سلمى بقوله :

الم تر للنعمان كان بنجوة من الشر لوان امرأ كان باقيا؟
فلم أر مخذولا له مثل ملكه اقل صديقا أو خليلا موافيا
خلا أن حيا من رواحة حافظوا وكانوا اناسا يتقون المخازيا
فقال لهم خيرا واثنى عليهم و ودعهم توديع ان لاتلاقيا

Marfat.com

Marfat.com

فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث: إما آن يعطوا بايديهم، وإما أن يتركوا ديارهم، وإما أن يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلى، فاشار بالحرب فآذنوا الملك بالحرب، فارسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش، ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوى وغيره من العرب تغلب وأياد، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذى الجدين وكان على طف سفوان فارسل الفيول — وكان قد بعث النبى ﷺ — فقسم هانىء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بنى شيبان قال هانيء بن مسعود [1] يامعشر بكر لاطاقة لكم فى قتال كسرى فاركنوا الى الفلاة فسارع الناس الى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلى وقال ياهانىء أردت نجاتنا فالقيتنا فى الهلكة، ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهى الحزم للرحال فسمى مقطع الوضن، وضرب على نفسه قبة، وأقسم ان لايفر حتي تفر القبة فرجع الناس [2] واستقوا ماء لنصف شهر فأتتهم العجم فقاتلهم بالجنود، فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبلت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول*

ان يظفروا [3] يحرزوا فينا الغرل * إيها فداء لكم بنى عجل

فقاتلو هم ذلك اليوم [4] ومالت العجم الى بطحاء ذى قار خوفا من العطش، فارسلت

---

(١) فى بعض الروايات ان هانئ بن مسعود لم يكن موجودا والذى تولى ذلك قبيصة بن هانىء بن مسعود

(٢) وانشدهم رجزاً يحمسهم فيه ثم قال ايضا

ياقوم طيبوا فى القتال نفسا اجدر بيوم ان تفلوا الفرسا الادارة

(٣) فى بعض الروايات (ان تدبروا يصبغوا فينا القلف) وهو المستقيم اللفظ والمعنى على ان المصراع الثانى لا يلتئم مع الاول (٤) نقل ابن عبد ربه فى العقد الفريد قال قال ابوعبيدة سئل ابوعمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلى و يشكرى فزعم العجلى انه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبانى وعجلى وقال اليشكرى بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم فقال أبو عمرو قد فصل بينكما التغابى حيث يقول

ولقد رأيت أخاك عمرا مرة يقضى وضيعيه بذات العجرم

فى غمرة الموت التى لاتشتكى غمراتها الا بطال غير تغمغم

وكأنما اقدامهم وا كفهم سرب تساقط فى خليج مفعم

لما سمعت دعاء مرة قد علا وأتى ربيعة فى العجاج الاقتم

ومحلم يمشون تحت لوائهم والموت تحت لواء آل محلم

لايصرفون عن الوغى بوجوههم فى كل سابقة كاون العظلم

إياد الى بكر، و كانوا مع الفرس ، وقالوا لهم : ان شئتم هر بنا الليلة وان شئتم أقمنا ونفرّ حين تلاقون الناس فقال بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا. وقال زيد بن حسان السكوني و كان حليفا لبني شيبان أطيعوني وأكمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرّض بعضهم بعضا، وقالت ابنة القرين الشيبانية *

إيها بنى شيبان صفا بعد صف * ان تهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطع سبعمائة من بنى شيبان أيدى أقبيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم. و بارزا لها مرزفبرز اليه برد بن حارثة اليشكرى فقتله برد . ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم إياس بن قبيصة الطائى ، وولت إياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب وغنيمة، وقال الشعراء فى وقعة ذى قار فاكثروا[1] *

ودعت بنو أم الرقاع فاقبلوا عند اللقاء بكل شاك معلم
وسمعت يشكر تدعى بحبيب تحت العجاجة وهى تقطر بالدم
يمشون فى حلق الحديد كما مشت اسد العرين بيوم نحس مظلم
والجمع من ذهل كأن رهاءهم جرب الجمال يقودها ابنا قشعم
والخيل من تحت العجاج عوابسا وعلى مناسجها سحائب من دم

فتراه أثبت لك اشتراك بنى بكر ومنهم يشكر فدعوى العجلى غير صحيحة وأعشى بكر له قصيدة خاصة يفتخر بها سنذكرها فى آخر بحث الوقعة بل حكى ابن عبدر به أن أسارى من بنى رياح بن يربوع من تميم نحو مائتين كانوا فى بكر فلما صارت الحرب اخذتهم الغيرة وخشوا ان يملك الفرس العرب فقالوا خلوا عنا نقاتل معكم فانما نذب عن انفسنا فقالوا انا نخاف ان لا تناصحونا قالوا فدعونا نعلم حتى تر وامكاننا وغناءنا وذلك قول جرير

منا فوارس ذى نهب وذى نجب والمعلمون صباحا يوم ذى قار . الادارة

(١) نختار من ذلك قول اعشى بكر لأنه فصل الوقعة حتى كأن القارئ حاضر وذلك لتأثره منها فى حالتى الاصطدام والغلبة وهى نعم الوثيقة :

اما تميم فقد ذاقت عداوتنا وقيس عيلان مس الخزى والأسف
وجند كسرى غداة الحنو صبحهم مناغطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ململمة شهباء يقدمها للموت لا عاجز فيها ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة موفق حازم فى أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم مثل الأسنة لاميل ولا كشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم جنان عين عليها البيض والزغف
لما رأونا كشفنا عن جماجمنا ليعلموا أننا بكر فينصرفوا

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند ﴾

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند ، فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام أنوشروان ثمانية أشهر ، وفى أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة اشهر ، ثم ولى بعد قابوس السهراب * ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين * ثم ولى بعده النعمان بن المنذر ابو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك فى زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر ، وفى زمان ابنه أبرويز أربع عشرة سنة ، وأربعة أشهر * ثم ولى إياس بن قبيصة الطائى ومعه النخير خان، فى زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر من ولاية اياس بعث النبي ﷺ * ثم ولى أزاد به بن مابيان الهمذانى سبع عشرة سنة من ذلك فى زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفى زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر * وفى زمن أردشير ابن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفى زمن بوران دخت ابنة كسرى شهرا * ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذى تسميه العرب المغرور الذى قتل بالبحرين يوم

قالوا البقية والهندى يحصدهم ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل معد كان شاركنا فى يوم ذى قار ما اخطاهم الشرف
لما امالوا الى النشاب أيديهم ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت حتى تولت وكاد القوم ينتصف
بطارق وبنى ملك مرازبة من الاعاجم فى آذانها الشنف
من كل مرجانة فى البحر احرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل فى حافات جمعهم والبيض برق بدا فى عارض يكف
ما فى الحدود صدود عن سيوفهم ولا عن الطعن فى اللبات منحرف

وان يكن الأعشى مدح بنى بكر قومه ، ولكن الحرب كانت تدور على بنى شيبان ورئيس الحرب منهم هانئ كما فى العقد الفريد وحنظلة صاحب الرأى، وقد أكثر الشعراء فى مدحهم، منهم بكير أصم بنى الحارث اذ يبين عدد الفرس المحار بين فى قوله

ان كنت ساقية المدامة اهلها فاسقى على كرم بنى همام
وأبا ربيعة كلها ومحلها سبقا بغاية امجد الأيام
ضربوا بنى الأحرار يوم لقوهم بالمشرفى على مقيل الهام
عر باثلاثة آلف وكتيبة الفين أعجم من بنى الفدام
شد ابن قيس شدة ذهبت له ذكراً له فى معرق وشآم
عمرو وما عمرو بقحم داله فيها ولا غمرو ولا بغلام

Marfat.com

جؤاثا ، وكانت ولايته الى أن قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر ، وكان آخر من بقى من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس *فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر *

﴿ ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز ﴾

قال هشام استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرين عن اليمن ، وأقام باليمن حتي ولد له فيها ، ثم ان أهل جبل يقال له المضايع منعوه الخراج . فقصدهم فرأى جبلهم لايقدر عليه لحصانته وله طريق واحد يحميه رجل واحد ، وكان يحاذى ذلك الجبل جبل آخر وقد قارب هذا الجبل فاجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق : فلما رأته حمير قالوا : هذا شيطان وملك حصنهم وأدوا الخراج وأرسل الى كسرى يعلمه فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخسره على اليمن وسار اليه فمات فى الطريق وعزل كسرى خرخسره عن اليمن وولى باذان وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم *

﴿ ذكر قتل كسرى ابرويز ﴾

كان كسرى قدطغى لكثرة ماله وما فتحه من بلادالعدو ومساعدة الأقدار ، وشره على أموال الناس ففسدت قلوبهم . وقيل : كانت له اثنا عشر ألف امرأة ، وقيل : ثلاثة الاف امرأة يطؤهن وألوف جوار ، وكان له خمسون ألف دابة . وكان أرغب الناس فى الجوهر والأواني وغير ذلك ، وقيل : إنه أمر أن يحصى ما جبي من خراج بلاده فى سنة ثمان عشرة من ملكه ، فكان من الورق مائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ، وانه احتقر الناس وأمر رجلا اسمه زاذان بقتل كل مقيد فى سجونه فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً فلم يقدم زاذان على قتلهم فصاروا أعداء له ، وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضاً أعداء له ، واستعمل رجلا على استخلاص بواقى الخراج فعسف الناس فظلمهم ففسدت نياتهم . ومضى ناس من العظماء الى بابل فأحضروا ولده شيرويه بن ابرويز ؛ فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ، ومنعهم من التصرف ، وجعل عندهم من يؤدبهم فوصل الى بهر شير فدخلها ليلا فأخرج من كان فى سجونها ، واجتمع اليه أيضاً الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا قباذشاهنشاه ، وساروا حين أصبحوا الى رحبة كسرى ، فهرب حرسه ؛ وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هارباً

فاخذ أسيرا وملكوا ابنه فازسل الى ابيه يقرعه بما كان منه ثم قتلته الفرس ، وساعدهم ابنه . و كان ملكه ثمانياً و ثلاثين سنة ، ولمضى اثنتين و ثلاثين سنة و خمسة أشهر وخمسة عشر يوما هاجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى المدينة * قيل : و كان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولدا . و كان أكبرهم شهريار و كانت شيرين قد تبنته ، فقال المنجمون لكسرى إنه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص فى بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهريار الى شيرين الشبق ، فأرسلت اليه جارية كانت تحجمها و كانت تظن أنها لاتلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ، ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر ، فقالت :أيسرك أن ترى لبعض بنيك ولدا ؟قال نعم فأتته بيزدجرد فأحبه وقربه فبينما هو يلعب ذات يوم ذكر ماقيل فأمر به فجرد من ثيابه ، فرأى النقص فى أحدوركيه فأراد قتله فمنعته شيرين ، وقالت : ان كان الأمر فى الملك قد حضر فلا مرد له ، فامرت به فحمل الى سجستان،وقيل:بل تركته فى السواد فى قرية يقال لها خمانية * ولما قتل كسرى ابرويز بن هرمز ملك ابنه شيرويه*

﴿ ذكر ملك سرى شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن أنوشروان ﴾

لما ملك شيرويه بن ابرويز وأمه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباذ دخل عليه العظماء والأشراف. فقالوا لايستقيم أن يكون لنا ملكان ، فاما أن تقتل كسرى ونحن عبيدك ، و إما أن نخلعك ونطيعه ،فانكسر شيرويه من هذه المقالة،ونقل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ، ثم جمع العظماء وقال : قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من إساءته ونوقفه على أشياء منها ، فأرسل اليه رجلا يقال له أسباد خشنش كان يلى تدبير المملكة . وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا : ان سوء أعمالك فعل بك ماترى:منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه وقتالك أياه ، ومنها سوء صنيعك الينا معشر أبنائك فى منعنا من مجالسة الناس و كل مالنا فيه دعة . ومنها إساءتك الى من خلدت فى السجون ، ومنها إساءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتر كك العطف عليهن ومنعهن ممن يعاشرهن ويرزقن منه الولد . ومنها ما أتيت الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والفظاظة ، ومنها جمع الأموال فى شدة وعنف من أربابها ، ومنها تجميرك الجنود فى ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم و بين أهليهم،ومنها غدرك بموريق ملك الروم مع إحسانه اليك

Marfat.com

Marfat.com

وحسن بلائه عندك وتزويجه إياك بابنته ومنعك إياه خشبة الصليب التى لم يكن بك ولا باهل بلادك اليها حاجة، فان كان لك حجة تذكرها فافعل وإن لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتي يأمر فيك بامره *

قال : فجاء الرسول الى كسرى ابرويز فادى اليه الرسالة فقال ابرويز قل عنى لشيرويه القصير العمر : لاينبغى لأحد أن يتوب من أجل الصغير من الذنب الا بعد أن يتيقنه فضلا عن عظيمه ماذكرت وكثرت منا ولو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل أن تنشر عنا مثل هذا العظيم الذى يوجب علينا القتل لما يلزمك فى ذلك من العيوب فان قضاه أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينفونه من مضامة الأخيار ومجالستهم فضلا عن أن يملك مع أنه قد بلغ منا بحمد الله من اصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعيتنا ماليس فى شيء منه تقصير ونحن نشرح الحال فيما لزمنا من الذنوب لتزداد علماً بجهلك ، فمن جوابنا ان الأشرار أغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا مايخوفنا منه ، فاعتزلنا بابه الى أذربيجان . وقد استفاض ذلك ، فلما انتهك منه ماانتهك شخصنا الى بابه فهجم المنافق بهرام علينا فأجلانا عن المملكة ، فسرنا الى الروم ، وعدنا الى ملكنا واستحكم أمرنا ، فبدأنا بأخذ الثار ممن قتل أبانا أو شرك فى دمه * وأما ما ذكرت فى أبنائنا فاننا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لايعنيكم ، فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ماتحتاجون اليه ، وأما أنت خاصة فان المنجمين قضوا فى مولدك انك مثرب علينا ، وأن يكون ذلك بسببك ، وان ملك الهند كتب اليك كتابا وأهدى لك هدية فقرأنا الكتاب ، فاذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا ، وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين فان أحببت ان تقرأهما فافعل فلم يمنعنا ذلك عن برك والاحسان اليك فضلا عن قتلك * وأما ماذكرت عمن خلدناه فى السجون فجوابنا اننا لم نحبس إلا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الأطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لأنفسهم فكنا بحبنا الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء نتاني بهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فان أخرجتهم من محبسهم عصيت ربك ولتجدن غب ذلك * وأما قولك إنا جمعنا الأموال وأنواع الجواهر والأمتعة باعنف جمع وأشد الحاح ، فاعلم أيها الجاهل انه انما يقيم الملك بعد الله تعالى الأموال والجنود وخاصة ملك فارس الذى قد اكتنفه

Marfat.com

الاعداء ، ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه إلا بالجنود والأسلحة والعدد ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمال ، وقد كان أسلافنا جمعوا الأموال والسلاح وغير ذلك فاغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك إلا اليسير ، فلما ارتجعنا ملكنا وأذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا إلى نواحى بلادنا أصبهبدين وقامر وسانين[1] فكفوا الأعداء وأغاروا على بلادهم ، ووصل الينا غنائم بلادهم من أصناف الأموال والأمتعة مالا يعلمه الا الله تعالى ، وقد بلغنا انك هممت بتفريق هذه الأموال على رأى الاشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك أن هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس ، فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك * فلما انصرف اسباد خشنش الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ، ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه فقالوا إما أن تأمر بقتل أبيك وإما أن نطيعه ونخلعك ، فامر بقتله على كره منه ، وانتدب لقتله رجالا ممن وترهم كسرى ابرويز ، وكان الذى باشر قتله شاب يقال له : مهر هرمز بن مرد انشاه من ناحية نيمروذ ، فلما قتل شق شيرويه ثيابه ، وبكى ولطم وجهه ، وحملت جنازته وتبعها العظماء وأشراف الناس *

فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهر هرمز قاتل أبيه ، وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ، ثم ان شيرويه قتل اخوته فهلك منهم سبعة عشر أخا ذوى شجاعة وأدب بمشورة وزيره فيروز ، وابتلى شيرويه بالأمراض ، ولم يلتذ بشىء من الدنيا . وكان هلاكه بدسكرة الملك وجزع بعد قتل إخوته جزعا شديدا ، ويقال: انه لما كان اليوم الثاني من قتل اخوته دخلت عليه بوران واز رميدخت اختاه فاغلظتا له ، وقالتا : حملك الحرص على الملك الذى لا يتم لك على قتل أبيك واخوتك ، فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا ، ويقال : انه أباد من قدر عليه من أهل بيته ، وفشا الطاعون فى أيامه . فهلك من الفرس أكثرهم ، ثم هلك هو ، وكان ملكه ثمانية أشهر *

﴿ ذكر ملك أردشير ﴾

وكان عمره سبع سنين ، فلما توفى شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه اردشير وحضنه رجل يقال له بهادر جسنس[2] مرتبته رياسة أصحاب المائدة ، فاحسن سياسة الملك ، فبلغ من أحكامه ذلك مالم يحس معه بحداثة سن أردشير . وكان شهريراز بثغر الروم فى جند ضمهم اليه كسرى ابرويز ، وكان قد صلح له بعده مافعل بالروم مما ذكرناه ، وكان ينفذ

---

(١) كذا بالاصول : وفى الطبرى فاذوسبانين (٢) فى الطبرى مهاذرجشنس

Marfat.com

له الخلع والهدايا ، و كان ابرويز وشيرويه يكاتبانه و يستشيرانه ، فلما لم يشاوره عظماء الفرس فى تمليك اردشير اتخذذلك ذريعة إلى التعنت ، و بسط يده فى القتل ، وجعله سببا للطمع فى الملك احتقارا لأردشير لصغر سنه ، فاقبل بجنده نحو المدائن فتحول اردشير وبهادر جسنس ومن بقى من نسل الملك الى مدينة طيسفون ، فحاصرهم شهريراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشيء فاتاهامن قبل المكيدة ، فلم يزل يخدع رئيس الحرس واصبهبد نيمروذ حتي فتحا له باب المدينة فدخلها ، وقتل جماعة من الرؤساء وأخذ أموالهم ، وقتل بعض أصحابه اردشير فى إيوان خسرو شاه قباذ بأمر شهريراز ، و كان ملكه سنة وستة أشهر *

﴿ ذكر ملك شهريراز ﴾

ولم يكن من بيت الملك ، لما قتل أردشير جلس شهريراز واسمه فرخان على تخت المملكة ، فحين جلس ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفى ، وتعاهد ثلاثة إخوة من أهل اصطخر على قتله غضباً لقتل أردشير و كانوا فى حرسه ، و كان الحرس يقفون سماطين اذا ركب الملك عليهم السلاح و بأيديهم السيوف والرماح ، فاذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود فركب شهريراز يوما ، فوقف الأخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض ، فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتاً فشدوا فى رجله حبلا وجروه وساعدهم بعض العظماء ، وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا أردشير ، و كان جميع ملكه أربعين يوما *

﴿ ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن أنوشروان ﴾

لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لأنهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا يملكونه فلما ملكت أحسنت السيرة فى رعيتها وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت ما بقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم ، و كانت مملكتها سنة وأربعة أشهر * ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشبنده[1] من بني عم أبرويز الأبعدين . و كان ملكه أقل من شهر وقتله الجند لأنهم أنكروا سيرته *

﴿ ذكر ملك أرزميدخت[2] ابنة أبرويز ﴾

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس أرزميدخت ابنة أبرويز و كانت من أجمل النساء

(١) فى الطبرى جشنسده (٢) فى الطبرى آزرميدخت

Marfat.com

وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهر من اصبهبدخراسان فارسل اليها يخطبها فقالت: ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك مني فصر الىّ وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار فى عسكر حتى نزل بالمدائن وسمل عينى أرزميدخت وقتلها: وقيل بل سمت، وكان ملكها ستة أشهر. قيل ثم أتى رجل يقال له كسرى بن مهرجسنس من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز، فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد أيام، وقيل: ان الذى ملك بعد أرزميدخت خرزاد خسرو من ولد أبرويز وأمه كردية أخت بسطام. قيل وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فمكث أياما يسيرة ثم خلعوه وقتلوه وكان ملكه ستة أشهر *وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهر جسنس انه لما قتل طلب عظماء الفرس من له نسب ببيت المملكة ولو من النساء فاتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مهران جسنس ويسمى أيضاً جسنسنده أمه صهار بخت ابنة بزدانز ان بن أنوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال: ما أضيق هذا التاج فتطيروا من كلامه فقتلوه فى الحال، وقيل: كان قتله بعد أيام *

﴿ ذكر ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز ﴾

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحداً من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز باصطخر فاخذوه وساروا به الى المدائن، فملكوه واستقر فى الملك غير ان ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته. وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحداثة سنه، وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليهم الأعداء وتطرقوا بلادهم، وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه سنتان، وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة، وبقى من أخباره ما نذكره ان شاء الله تعالى فى موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر بعده التواريخ الاسلامية على سياقة سني الهجرة ونقدم قبل ذلك الأيام المشهورة للعرب فى الجاهلية ثم ناتي بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر أيام العرب فى الجاهلية ﴾

لم يذكر ابو جعفر من أيامها غير يوم ذى قار، وجذيمة الأبرش، والزبّاء، وطسم، وجديس

وما ذكر ذلك إلا حيث انهم ملوك، فاغفل ماسوى ذلك، ونحن نذكر الأيام المشهوره والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد، ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لأنه يكثر ويخرج عن الحصر فنقول و بالله التوفيق *

﴿ ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين ﴾

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاعة، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه، وعاش مائتين وخمسين سنة أوقع فيها مائتي وقعة، وقيل: عاش اربعمائة وخمسين سنة. وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة، وكان سبب غزاته غطفان: ان بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداء وهى قبيلة من مذحج، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم وأموالهم، فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم، فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها، فلما رأوا ذلك قالوا: والله لنتخذن حرماً مثل مكة لايقتل صيده ولا يهاج عائذه فبنوا حرما ووليه بنو مرة بن عوف * فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بن جناب قال: والله لا يكون ذلك أبدا وأنا حيّ. ولا أخلى غطفان تتخذ حرما أبدا، فنادى فى قومه فاجتمعوا اليه، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم، وقال: ان أعظم مأثرة يدخرها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك. فأجابوه فغزا بهم غطفان وقاتلهم ابرح قتال وأشده. وظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم، وأخذ فارسا منهم فى حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم، ثم منّ على غطفان ورد النساء وأخذ الأموال، وقال زهير فى ذلك *

فلم تصبر لنا غطفان لما * تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا مارجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لايخفى عليكم * ليوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحى بنى جناب * فضاء الأرض والماء الرواء
نفينا نخوة الأعداء عنا * بارماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل مالقيت صداء
غداة تضرعوا لبني بغيض * وصدق الطعن للنوكى شفاء

Marfat.com

وأما حربه مع بكر وتغلب ابنى وائل، فكان سببها أن أبرهة حين طلع الى نجد اتاه زهير فا رمه وفضله على من أتاه من العرب؛ ثم أمّره على بكر وتغلب ابني وائل فوليهم حتي أصابتهم سنة فاشتد عليهم مايطلب منهم من الخراج، فأقام بهم زهير فى الحرب، ومنعهم من النجعة حتي يؤدوا ماعليهم فكادت مواشيهم تهلك * فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وكان فاتكا أتى زهيرا وهو نائم فاعتمد التيمى بالسيف على بطن زهير فمر فيها حتي خرج من ظهره مارقا بين الصفاق، وسلمت امعاؤه ومافى بطنه، وظن التيمى انه قد قتله، وعلم زهير أنه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت، فانصرف التيمى إلى قومه. فاعلمهم أنه قتل زهيرا فسرّهم ذلك ولم يكن مع زهير إلا نفر من قومه، فامرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرا وتغلب فى دفنه، فاذا أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وساروا به مجدين الى قومهم، ففعلوا ذلك، فاذنت لهم بكر وتغلب فى دفنه، فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها ان فيها ميتا، ثم ساروا مجدين الى قومهم، فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر، فقال ابن زيابة

طعنة ماطعنت فى غبش الليـ * ـل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمى له المواسم بكر * أين بكر وأين منها الحلوم؟
خاننى السيف اذ طعنت زهيرا * وهو سيف مضلل مشؤم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن، وغزا بكرا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا، واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة، وأخذت الأموال وكثرت القتلى فى بني تغلب، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير فى ذلك من قصيدة:

اين اين الفرار من حذر المو * ت اذ يتقون بالأسلاب؟
اذ أسرنا مهلهلا وأخاه * وابن عمرو فى القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كلّ بيضا * ء رقود الضحى بعيد الرضاب
حين يدعو مهلهلا يالبكر * ها أهذى حفيظة الأحساب
ويحكم ويحكم أبيح حماكم * يابني تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون فى كل فج * كشريد النعام فوق الروابى
واستدارت رحى المنايا عليهم * بليوث من عامر وجناب

Marfat.com

فهم بين هارب ليس يالو * وقتيـــل معفر فى التراب
فضل العز عزنا حين نسمو * مثل فضل السماء فوق السحاب

وأما حربه مع بني القين بن جسر فكان سببها ان أختا لزهير كانت متزوجة فيهم، فجاء رسولها الى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك قتاد ،فقال زهير : إنها تخبركم انه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحتملوا : فقـال الجلاح بن عوف السحمى : لا نحتمل لقول امرأة ، فظعن زهير وأقام الجلاح وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح، وذهبو بأموالهم وماله ، ومضى زهير ، فاجتمع مع عشيرته من بني جناب ، وبلغ الجيش خبره فقصدوه فقاتلهم وصبر لهم ،فهزمهم،وقتل رئيسهم فانصرفوا عنه خائبين ، ولما طال عمر زهير وكبر سنه استخلف ابن أخيه عبـد الله بن عليم فقال زهير يوما: ألا ان الحىّ ظاعن ،فقال عبد الله:ألا ان الحىّ مقيم ، فقال زهير : من هذا المخالف علىّ؟فقالوا :ابن أخيك عبد الله بن عليم ، فقال :أعدى الناس للمرء ابن أخيـه ، ثم شرب الخمر صرفا حتي مات * وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى،وأبو عامر ملاعب الأسنة العامرى *

﴿ ذكر يوم البردان ﴾

فكان من حديثه ان زياد بن الهبولة ملك الشام وكان من سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندى ملك عرب بنجـد ونواحى العراق — وهو يلقب آكل المرار — وكان حجر قد أغار فى كندة وربيعة على البحرين، فبلغ زيادا خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعـة وأموالهم وهم خلوف ورجالهم فى غزاتهم المذكورة فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم ابن وهب بن الحرث بن معاوية وسمع حجر وكندة وربيعـة بغـارة زياد فعادوا عن غزوهم فى طلب ابن الهبولة ومع حجر أشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، وعمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان،وغيرهما فأدركوا عمرا بالبردان دون عين أباغ وقد أمن الطلب ،فنزل حجر فى سفح جبل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له: حفير .فتعجل عوف بن محلم وعمرو بن أبي ربيعـة ابن ذهل بن شيبان وقالا لحجر : انا متعجلان الى زياد لعلنا نأخـذ منـه بعض ما أصاب منا فسارا اليه،وكان بينه وبين عوف إخاء فدخل عليه ، وقال له: ياخير الفتيان اردد علىّ امرأتي أمامة فردها عليه وهى حامل فولدت له بنتا أراد عوف أن يئدها فاستوهبها منه

Marfat.com

عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلها تلد آناسا فسميت أم أناس، فتزوجها الحرث بن عمرو ابن حجر آكل المرار فولدت عمرا و يعرف بابن أم أناس *

ثم ان عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد ياخيرَ الفتيان اردد عليّ ما أخذت من إبلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو ، فقال له زياد : ياعمرو لو صرعتم يابنى شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم ، فقال له عمرو :لقد أعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لاتبرح حتي أروى سناني من دمك ، ثم ركض فرسه حتي صار الى حجر فلم يوضح له الخبر ، فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع بن عبدغنم يتجسسان له الخبر و يعلمان علم العسكر ، فخرجا حتى هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة ، وجيء بالشمع فاطعم الناس تمراً وسمنا . فلما أكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر ، فجاء سدوس وصليع بحطب . وأخذا قدرتين من تمر ، وجلسا قريباً من قبته ثم انصرف صليع الى حجر ، فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر ، وأما سدوس فقال : لا أبرح حتي آتيه بأمر جلي ؛ وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون وهند امرأة حجر خلف زياد ، فقالت لزياد : إن هذا التمر أهدى الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل ، ثم تفرق أصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له ، وقال له : من أنت ؟ مخافة أن يستنكره الرجل ، فقال: أنا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه ؛ ودنا زياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها ، وقال لها ; ماظنك الآن بحجر؟ فقالت : ماهو ظن ولكنه يقين انه والله لن يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر يعني قصور الشام و كأني به فى فوارس من بنى شيبان يذمرهم و يذمرونه ، وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كأنه بعير أكل مراراً فالنجاء فالنجاء . فان وراءك طالباً حثيثا ، وجمعاً كثيفا ، وكيدا متينا ، ورأياً صليبا . فرفع يده فلطمها ، ثم قال لها : ماقلت هذا إلا من عجبك به وحبك له فقالت : والله ماأبغضت أحدا بغضي له ؛ ولا رأيت رجلا أحزم منه نائما ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ . وكان اذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عسا من لبن . فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريبٌ منه أنظر اليه إذ أقبل أسود سالخ الى رأسه فنحى رأسه فمال الى يده فقبضها فمال الى رجله فقبضها فمال الى العس فشربه ثم مجه ، فقلت : يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال : عليّ بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق ، فقال : أين ذهب

الأسود . فقلت : ما رأيته فقال : كذبت والله وذلك كله يسمعه سدوس فسار حتى أتى حجرا فلما دخل عليه قال *

أتاك المرجفون بأمر غيب * على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد أتاك بامر لبس * فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه ماسمع فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب ، فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمى يومئذ آكل المرار ، والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة إلا قتلها ، ثم أمر حجر فنودى فى الناس وركب ، وسار الى زياد فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم زياد وأهل الشام ، وقتلوا قتلا ذريعا ، واستنقذت بكر وكندة ما كان بايديهم من الغنائم والسبى ، وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيرا فلما رآه عمرو بن أبى ربيعة حسده فطعن زيادا فقتله فغضب سدوس ، وقال : قتلت أسيرى وديته دية ملك فتحاكما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك ، وأعانهم من ماله . وأخذ حجر زوجته هندا فربطها فى فرسين ثم ركضهما حتي قطعاها ، ويقال بل أحرقها ، وقال فيها *

ان من غره النساء بشىء * بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين والحديث ومر * كل شىء أجن منها الضمير
كل أنثي وإن بدى لك منها * آية الحب حبها خيتعور

ثم عاد الى الحيرة ﴿قلت﴾ هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحى ملك الشام غزا حجراً وهذا غير صحيح لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشام مما يلى البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ومنهم أخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا لملوك الفرس على البر والعرب ، ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال . وقولهم ملك الشام غير صحيح ، وزياد بن هبولة السليحى ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل لأن حجراً هو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذى ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أبى أنوشروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة ، وقيل : خمسمائة سنة ، وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة أخرى

Marfat.com

وهذا تفاوت كثير فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه ؟ وحيث أطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها، وأصلح ماقيل فيه : ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيسا على قوم أو متغلبا على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول والله أعلم * وقولهم أيضا ان حجرا عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضا لان ملوك الحيرة من ولد عدىّ بن نصر اللخمى لم ينقطع ملكهم لها الا أيام قباذ فانه استعمل الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل ، فلما ولى أنوشروان عزل الحرث وأعاد اللخميين ، ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصباً والله أعلم* ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم * ﴿وسليح﴾ بفتح السين المهملة وكسر اللام وآخره حاء مهملة *

﴿ذكر مقتل حجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بمقتله الى أن مات امرؤ القيس﴾

نذكر أولا سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة الى قتله وما يتصل به فنقول: كان سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الأمر[1] وأكل القوىّ الضعيف ؛ فنظر العقلاء فى أمرهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى ؛ فنهاهم العرب ، وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لأنه يطيعه قوم ويخالفه آخرون ، فساروا الى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين ، وطلبوا منه أن يملك عليهم ملكا ، فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل ، وأغار ببكر فانتزع عامة ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر ، وبقى كذلك إلى أن مات فدفن ببطن عاقل ، فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المقصور ملكا بعد أبيه ، وانما قيل له: المقصور لانه قصر على ملك أبيه ، وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة ، فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث ، وكان شديد الملك بعيد الصوت * فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج فى أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه ، فاجابه قباذ الى ذلك ، وكان المنذر بن ماء السماء عاملا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها ، فدعاه قباذ الى الدخول معه فامتنع ، فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فأجابه فاستعمله على الحيرة ، وطرد المنذر عن مملكته ، وقيل : فى تمليكه غير ذلك ، وقد ذكرناه أيام قباذ فبقوا

(١) لا يخفى ما فى هذه العبارة من القلق

Marfat.com

كذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بعد أبيه ، فقتل مزدك وأصحابه ، وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ولاية الحيرة ، وطلب الحرث بن عمرو و كان بالأنبار وبها منزله فهرب بأولاده وماله وهجانه ، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بأرض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجانه ، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم فى ديار بني مرينا، وفيهم يقول عمرو بن كلثوم :

قابوا بالنهاب و بالسبايا * وابنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

وأقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيساً من الظباء فأعجزه فأقسم أن لا يأكل شيئا إلا من كبده فطلبته الخيل فاتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعا فشوى له بطنه فأكل فلذة من كبده حارة فمات *

ولما كان الحرث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار ، فقالوا : انا فى طاعتك وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ماتعلم ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ، ففرق أولاده فى قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بنى أسد بن خزيمة وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل وهو الذى قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وعلى غيرها ،وملك ابنه معد يكرب — وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب — على قيس عيلان وطوائف غيرهم ، وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط و بني سعد بن زيد مناة من تميم ، فبقى حجر فى بني أسد وله عليهم جائزة واتاوة كل سنة لما يحتاج اليه فبقى كذلك دهرا ، ثم بعث اليهم من يجبي ذلك منهم و كانوا بتهامة وطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك حجرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس و كنانة فاتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا،

Marfat.com

واباح الأموال، وسيرهم الى تهامة. وحبس منهم جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ،فقال شعرا يستعطفه لهم فرقّ لهم وأرسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدى ، فقال لهم : من الملك الصلهب. الغلاب غير المغلب .فى الابل كأنها الربرب . هذادمه يتثعب . وهو غدا أول من يستلب . قالوا: ومن هو؟ قال : لولا بجيش نفس خاشية لاخبرتكم أنه حجر ضاحية فركبوا كل صعب وذلول حتي بلغوا الى عسكر حجر فهجموا عليه فى قبته فقتلوه ،وطعنه علباء بن الحرث الكاهلى فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يامعشر كنانة وقيس أنتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجانه فانتهبوها ، ولفوه فى ريطة بيضاء وألقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه ، وأجار عمرو بن مسعود عياله *

وقيل إن حجرا لما رأى اجتماع بنى اسد عليه خافهم فاستجار عويمر بن شجنة احد بنى عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله ،وقال لبني أسد : ان كان هذا شأنكم فانى مرتحل عنكم ومخليكم وشانكم فودعوه على ذلك وسار عنهم وأقام فى قومه مدة ؛ ثم جمع لهم جمعا عظيما وأقبل اليهم مدلا بمن معه فتآمرت بنو أسد وقالوا والله لئن قهركم ليحكمن عليكم حكم الصبي فما خير العيش حينئذ فموتوا كراماً فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان صاحب أمرهم علباء بن الحرث ، فحمل على حجر فطعنه فقتله . وانهزمت كندة ومن معهم ، وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جواريه ونساءه ومامعهم ، فاقتسموه بينهم وقيل : ان حجرا أخذ أسيرا فى المعركة وجعل فى قبة فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لأن حجرا كان قتل أباه ، فلما جرحه لم يقض عليه ، فأوصى حجر ودفع كتابه الى رجل ، وقال له : انطلق الى ابني نافع ، وكان أكبر أولاده فان بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تاتي امرأ القيس وكان أصغرهم ، فأيهم لم يجزع فادفع اليه خيلى وسلاحى ووصيتي ، وقد كان بين فى وصيته مَن قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نافع . فوضع التراب على رأسه ، ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى أتي امرأ القيس . فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنرد . فقال : قتل حجر فلم يلتفت الى قوله وأمسك نديمه ، فقال له امرؤ القيس : اضرب فضرب حتى

Marfat.com

اذا فرغ قال : ما كنت لأفسددستك ، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره . فقال له : الخمر والنساء علىّ حرام حتي أقتل من بنى أسد مائة وأطلق مائة ، و كان حجر قدطرد امرأ القيس لقوله الشعر و كان يأنف منه * و كانت أم امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة ابن الحرث أخت كليب بن وائل ، و كان يسير فى أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمّون [1] من أرض اليمن فلما سمع الخبر قال *

تطاول الليل علينا دمّون * دمّون إنا معشر يمانون * وإننا لقومنا محبون

ثم قال : ضيعنى صغيرا وحملني دمه كبيرا لاصحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر ، فذهبت مثلا . ثم ارتحل حتى نزل ببكر و تغلب فسألهم النصر على بني أسد فأجابوه فبعث العيون الى بنى أسد فنذروا به فلجؤا الى بني كنانة وعيون امرىء القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلموا ان عيون امرىء القيس قد عادوا اليه بخبركم ، و إنكم عند بنى كنانة فارحلوا بليل ، ولا تعلموا بني كنانة فارتحلوا وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر و تغلب وغيرهم حتى انتهى الى بني كنانة وهو يظنهم بنى أسد فوضع السلاح فيهم وقال يالثارات الملك يالثارات الهمام ، فقيل له : أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قدساروا بالأمس ، فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم فقال فى ذلك

ألا ياطف هند اثر قوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم * وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركته صفر الوطاب

يعنى ببنى أبيهم كنانة فان أسدا و كنانة ابنى خزيمة هما أخوان ، وقوله ولو أدركته صفر الوطاب قيل كانوا قتلوه واستاقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن أى خلت ، وقيل : كانوا قتلوه فخلا جلده وهو وطابه من دمه بقتله ، فسار امرؤ القيس فى آثار بنى أسد فأدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشا و بنو أسد نازلون على الماء فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر و تغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا : قد أصبت ثارك . فقال لا والله ، فقالوا : بلى ولكنك رجل مشؤم و كرهوا قتلهم بنى كنانة فانصرفوا عنه ، ومضى الى ازدشنوءة يستنصرهم فأبوا أن ينصروه ؛ وقالوا

---

(١) يوجد بهذا الاسم بلدان احداهما قرب تريم بحضرموت وليست مرادة هنا والأخرى فى بلاد كندة وهى التى يقصدها امرؤ القيس ، وقال صاحب القاموس و كتنور موضع

Marfat.com

Marfat.com

إخواننا وجيراننا فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى وكان بينهما قرابة فاستنصره على بنى أسد ، فأمده بخمسمائة رجل من حمير ، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس . وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فزود امرأ القيس ، ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب واستأجر غيرهم من قبائل اليمن ، فسار بهم الى بنى أسد وظفر بهم *

ثم ان المنذر طلب امرأ القيس وألحّ فى طلبه ووجه الجيوش اليه فلم يكن لامرىء القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فنجا فى جماعة من أهله ونزل ، بالحرث بن شهاب . اليربوعى وهو أبو عتيبة بن الحرث ؛ فارسل اليه المنذر يتوعده بالقتال ان لم يسلمهم اليه فسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وابنته هند ابنة امرىء القيس وادراعه وسلاحه وماله ؛ فخرج ونزل على سعد بن الضباب الأيادى سيد قومه . فاجاره ومدحه امرؤ القيس ، ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائي فاقام عنده واتخذ بلا هناك ، فعدا قوم من جديلة يقال لهم : بنو زيد عليها فاخذوها فاعطاه بنو نبهان معزى يحلبها فقال *

إذا لم تكس إبل فمعزى * كأن قرون جلتها العصىّ[1]

الأبيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين ، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله فعلم امرؤ القيس بذلك ، فانتقل الى رجل من بنى ثُعل يقال له حارثة بن مر ، فاستجاره فاجاره فوقعت بين عامر بن جوين والثعلى حرب ، وكانت أمور كبيرة ، فلما رأى امرؤ القيس ان الحرب قد وقعت بين طيء بسببه خرج من عندهم ، فقصد السموأل ابن عادياء اليهودى [2] فاكرمه وأنزله ، فاقام عنده امرؤ القيس ماشاء الله ؛ ثم طلب منه أن يكتب له إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ليوصله الى قيصر ففعل ذلك ، وسار الى الحرث وأودع أهله وأدراعه عند السموأل ، فلما وصل الى قيصر أكرمه ، فبلغ ذلك بنى أسد فأرسلوا رجلا منهم يقال له الطماح كان امرؤ القيس قتل أخا له ، فوصل الأسدى وقد

---

(١) تمامه : اذا ماقام حالبها ارنت كأن القوم صبحهم نعى
فتملأ بيتنا اقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

(٢) يذكر ان امرأ القيس قصد قبل ذلك عمرو بن درماء فاجاره ، والى هذا يشير صاحب اللزوميات بقوله :
ويصبح الصقر فى الدرماء معتقداً رأى امرىء القيس فى عمرو بن درماء

Marfat.com

سير قيصر مع امرىء القيس جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك ، فلما سار امرؤ القيس قال الطماح لقيصر : ان امرأ القيس غوى عاهر ، وقد ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وقال فيها أشعارا أشهرها بها فى العرب ، فبعث اليه قيصر بحلة وشى منسوجة بالذهب مسمومة ، وكتب اليه اني أرسلت اليك بحلتي التى كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الىّ بخبرك من منزل منزل ، فلبسها امرؤ القيس وسر بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده ، فلذلك سمى ذا القروح ، فقال امرؤ القيس فى ذلك *

لقد طمح الطماح من نحو أرضه * ليلبسني مما يلبس أبؤسا[1]

فلو أنها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضر بها ، فقال : رب خطبة مسحنفره وطعنة مثعنجره وجفنة مستحيره حلت بارض أنقره ، ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب وهو جبل فقال *

أجارتنا ان الخطوب تنوب * وإني مقيم ماأقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هناك * ولما مات امرؤ القيس سار الحرث بن أبي شمر الغسانى الى السموأل بن عادياء . وطالبه بادراع امرىء القيس وكانت مائة درع وبما له عنده فلم يعطه فاخذ الحرث ابناً للسموأل ، فقال : اما أن تسلم الأدراع واما قتلت ابنك فأبى السموأل أن يسلم اليه شيئا فقتل ابنه فقال السموأل فى ذلك *

وفيت بادرع الكندىّ إني * اذا ماذم أقوام وفيت

وأوصى عادياً يوما بأن لا * تهدم ياسموأل مابنيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت[2]

وقد ذكر الأعشى هذه الحادثة فقال *

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار

اذ سامه خطتى خسف فقال له * قل ماتشاء فاني سامع حار

فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر فما فيهما حظ لمختار

---

(١) ويروى * ليلبسنى من ردائه ماتلبسا * (٢) يوجد بتيماء بئران عظيمتان يقال لاحداهما هداج وللأخرى وداج احداهما بظاهر تيماء والأخرى داخلها ويقول عبد الحميد بك سعيد انه رأى تسعا وتسعين سانة على الداخلة *

Marfat.com

فشك غير طويل ثم قال له : * اقتل اسيرك اني مانع جاري
وهي أكثر من هذا [1] *

﴿ يوم خزاز ﴾

وكان من حديثه : أن ملكا من ملوك اليمن كان فى يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة ، فوفد عليه وفد من وجوه بنى معد . منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة * وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان * وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة ابن عامر الضحيان * وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان ، فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد ، وكان فى الأسارى وكان شاعرا فسالهم أن يدخلوه فى عدة من يسألون فيه ، فكلموا الملك فيه وفى الأسارى فوهبهم لهم ، فقال عبيد بن قراد البهراوى :

نفسى الفداء لعوف الفعال * وعوف ولابن هلال جشم
تداركني بعد ماقد هويـ * ـت مستمسكا بعراقى [2] الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت * بي الحرب زلت بنعلى القدم
وناديت بهراء كى يسمعوا * وليس بآذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسط * معدا اذا ما عزيز أزم

---

(١) وسبب القصيدة كما فى الاغانى ان الاعشى هجا رجلا من بنى كلب فاسره وهو لا يعرفه ونزل بشريح ابن السموأل واحسن ضيافته ومر بالاسرى فنادى الاعشى شريحا بهذه القصيدة واولها *

شريح لاتسلمنى اليوم اذ علقت * حبالك اليوم بعد القيد اظفارى
قد سرت مابين بلقاء الى عدن * وطال فى العجم تكرارى وتسيارى
فكان اكرمهم عهدا واوثقهم * عقدا أبوك بعرف غير انكار
كالغيث مااستمطروه جاد وابله * وفى الشدائد كالمستأسد الضارى
كن كالسموأل الابيات الثلاثة و بعدها
وسوف يعقبنيه ان ظفرت به * رب كريم و بيض ذات اطهار
لاسرهن لدينا ذاهب هدرا * وحافظات اذا استودعن اسرار
فاختار ادراعه كى لايسب بها * ولم يكن عنده فيها بمختار

فاستوهب شريح الاعشى من الكلبى فاعطاه اليه وكفه بالمقام لا كرامه فطلب نجيبة ليذهب الى أهله ومضى من ساعته فلما علم به الكلبى طلبه ليكرمه فقال قد مضى ورسل فى طلبه فلم يلحقه . الاذارة *

(٢) جمع عرقوة وانما هما عرقوتان فى الدلو

Marfat.com

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة ، وقال للباقين ائتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى و إلاقتلت أصحابكم ، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فبعث كليب وائل الى ربيعة فجمعهم واجتمعت معد عليه وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على ما نذكره فى مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم ، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب ابن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها ، وخزاز جبل بطخفة ما بين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا ، وقال له : ان غشيك العدوُّ فاوقد نارين ، فبلغ مذحجا اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم ، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ، ووصلت مذحج الى خزاز ليلا فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين أقبل اليهم بالجموع فصبحهم ، فالتقوا بخزاز فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها ، فقال السفاح فى ذلك :

وليلة بت أوقد فى خزاز * هديت كتائباً متحيرات
ضللن من السهاد و كنّ لولا * سهاد القوم أحسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريرا ويهجوه :

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * دخل العدوُّ عليك كلّ مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتا على النيران

وقيل : انه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز لأن عمرو بن كلثوم وهو ابن ابنة كليب يقول :

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يفتخر بأنه رفد ، ثم جعل من شهد خزازا متساندين فقال

فكنا الأيمنين اذا التقينا * وكان الأيسرين بنوأبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا له ؛ استأثرت على اخوتك يعنى مضر ، ولما ذكر جده فى القصيدة قال :

ومنا قبله الساعى كليب * فأى المجد الا قد ولينا ؟

Marfat.com

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز، وهى أشرف ما كان يفتخر له به [1] ﴿حبيب﴾ بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة *

﴿ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب﴾

وكان من حديث الحرب التى وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفصى ابن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب، واسمه وائل بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وانما لقب كليبا لأنه كان اذا سار أخذ معه جرو كلب، فاذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه ثم ألقاه فى ذلك المكان وهو يصيح ويعوى، فلا يسمع عواءه أحد الاتجنبه ولم يقربه وكان يقال له كليب وائل، ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه، وكان لواء ربيعة بن نزار للأكبر فالأكبر من ولده، فكان اللواء فى عنزة بن أسد بن ربيعة وكان سنتهم انهم يوفرون لحاهم ويقصون شوار بهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم، ثم تحوّل اللواء فى عبد القيس بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار وكانت سنتهم اذا شتموا لطموا من شتمهم، واذا لطموا قتلوا من لطمهم، ثم تحول اللواء فى النمر بن قاسط بن هنب، وكان لهم غير سنة من تقدمهم، ثم تحول اللواء الى بكر بن وائل فساؤا غيرهم فى فرخ طائر كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق فاذا علم بمكانه لم يسلك، أحد ذلك الطريق ويسلك من يريد الذهاب والمجىء عن يمينه ويساره، ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل بن ربيعة، وكانت سنته ماذكرناه من جرو الكلب، ولم تجتمع معد الاعلى ثلاثة نفر: وهم عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان * وهو الناس ابن مضر — بالنون — وهو أخو الياس بن مضر، وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن * والثاني ربيعة بن الحرث ابن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وكان قائد معد يوم السلان

---

(١) ولكن مهلهلا قد افتخر بالرآسة كما يفيده قوله من قصيدته التى أوردها صاحب جمهرة اشعار العرب فى المنتقيات وهو

الى رئيس الناس والمرتجى * لعقدة الشد ورتق الفتوق * من عرفت يوم خزازله * عليا معد عند جد نوثوق

ووصف الحرب فيها وسنوردها فى مراثى كليب فيثبت لك خلاف دعوى المؤلف. الادارة *

Marfat.com

بين أهل اليمامة واليمن * والثالث وائل بن ربيعة وكان قائد معد يوم خزاز ففض جموع اليمن وهزمهم، وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته وبقى زمانا من الدهر، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتي بلغ من بغيه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه، وكان يقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يصاد ولا يورد أحد مع إبله، ولا يوقد ناراً مع ناره، ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبي فى مجلسه. وكانت بنو جشم وبنو شيبان اخلاطا فى دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة، وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهى أخت جساس بن مرة، وحمى كليب أرضا من العالية فى أول الربيع، وكان لا يقر بها الا محارب، ثم إن رجلا يقال له سعد بن شميس بن طوق الجرمى نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمى ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهى التي ضربت العرب بها المثل، فقالت: أشام من سراب، وأشام من البسوس، فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فأتاها وتردد فيها؛ وكانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فانكرها، فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمى، فقال لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى، فقال جساس لا ترعى إبلى مرعى إلا وهذه معها، فقال كليب لئن عادت لأضعن سهمى فى ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمك فى ضرعها لأضعن سنان رمحى فى لبتك ثم تفرقا، وقال كليب لامرأته أترين أن فى العرب رجلا مانعاً مني جاره قالت لا أعلمه إلا جساسا فحدثها الحديث، وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله أن لا يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جساسا أن يسرح إبله: ثم ان كليباً خرج الى الحمى وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمى فرمى ضرعها فأنفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها، فلما رأى مابها صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه، فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها، ثم صاحت واذلاه وجساس يراها ويسمع، فخرج اليها، فقال لها اسكتي ولا تراعى وسكن الجرمى، وقال لهما إنى سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة سأقتل غلالا وكان غلال فحل إبل كليب لم ير فى زمانه مثله، وانما أراد جساس بمقالته كلياً، وكان لكليب عين يسمع ما يقولون فأعاد الكلام على كليب، فقال لقد اقتصر من يمينه على غلال ولم يزل جساس يطلب غرة كليب، فخرج كليب يوماً آمنا، فلما بعد عن البيوت

ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبا فوقف كليب ، فقال له جساس يا كليب الرمح وراءك . فقال ان كنت صادقاً فاقبل الىّ من أمامى ولم يلتفت اليه فطعنه فارداه عن فرسه . فقال ياجساس ؛ أغثنى بشربة من ماء فلم يأته بشىء ، وقضى كليب نحبه ، فامر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان ، فجعل عليه أحجارا لئلا تأكله السباع ، وفى ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب*

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذى صريم
أصاب فؤاده بأصم لدن * فلم يعطف هناك على حميم
فان غدا وبعد غد لرهن * لأمر ما يقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليبا * اذا ذكر الفعال من الجسيم
ساشرب كأس صرفا وأسقى * بكأس غير منطقة مليم (١)

---

(١) وانشد قصيدته التى أوردها صاحب الجمهرة فى ضمن المنتقيات وهى :

حلت ركاب البغى من وائل فى رهط جساس ثقال الوسوق
ياأيها الجانى على قومه مالم يكن كان له بالخليق
جناية لم يدر ما كنهها جان ولم يضح لها بالمطيق
كقاذف يوما بأجرامه فى هوة ليس لها من طريق
ان ركوب البحر مالم يكن ذا مصدر من تهلكات الغريق
ليس لمن لم يعد فى بغيه عداية تخريق ريح خريق
كمن تعدى بغيه قومه طار الى رب اللواء الخفوق
الى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق
من عرفت يوم خزاز له عليا معد عند جبذ الوثوق
اذ أقبلت حمير فى جمعها ومذحج كالعارض المستحيق
وجمع همدان لهم لجبة ورایة تهوى هوى الانوق
فقلد الأمر بنو هاجر منهم رئيسا كالحسام العتيق
مضطلعا بالامر يسموله فى يوم لايستاغ حلق بريق
ذاك وقد عن لهم عارض كجنح ليل فى سماء البروق
تلمع لمع الطير راياته على أواذى لج بحر عميق
فاحتل اوزارهم ازره برأى محمود عليهم شفيق
وقدعلتهم هفوة هبوة ذات هياج كلهيب الحريق
فانفرجت عن وجهه مسفرا منبلجا مثل انبلاج الشروق

Marfat.com

Marfat.com

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه ، وقد بدت ركبتاه فلما نظر ابوه مرة الى ذلك قال لقد أتا كم جساس بداهية ما رأيته قط بادى الركبتين الى اليوم ،فلما وقف على أبيه قال مالك ياجساس ، قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا ، قال : ومن طعنت ؟ لأمك الثكل قال : قتلت كليبا قال : أفعلت ؟ قال نعم . قال: بئس والله ما جئت به قومك فقال جساس :

تاهب عنك أهبة ذى امتناع * فان الأمر جل عن التلاحى
فاني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه :

فان تك قد جنيت على حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يديك على كليب * فلا وكل ولا رث السلاح

فذاك لا يرقى به مثله ولست تلقى مثله فى فريق
قل لبنى ذهل يردونه او يصبروا للصيلم الخنفقيق
فقد ترويتم وماذقتم تربيله فاعترفوا بالمذوق
ابلغ بنى شيبان عنا فقد اضرمتم نيران حرب عقوق
لايرقأ الدهر لها عاتك الا على انفاس نجلا تفوق
ستحمل الراكب منها على سيساء حدبير من الشرنوق
اى امرئ ضرجتم ثوبه بعاتك من دمه كالخلوق
سيد سادات اذا ضمهم معظم أمر يوم ازل وضيق
لم يك كالسيد فى قومه بل ملك دين له بالحقوق
تنفرج الظلماء عن وجهه كالليل ولى عن صديع انيق
ان نحن لم نثأر به فاشحذوا شفاركم منا لحز الحلوق
ذبحا كذبح الشاة لاتتقى ذابحها الا بشخب العروق
غدا تساقى فاعلموا بيننا ارماحنا من عاتك كالرحيق
من كل مغوار الضحى بهمة شمردل من فوق طرف عتيق
سعاليا تحمل من تغلب اشباه جن كليوث الطريق
ليس اخوكم تاركا وتره دون تقضى وتره بالمفيق

أوردنا هذه القصيدة على طولها — كما وعدنا — لان فيها صراحة ان رآسة يوم وقعة خزز كانت لكليب وان أنكرها المؤلف وفيها شروط الصلح وهو احياء كليب واخبار القوم انه لايترك ثاره وتبين منزلة كليب وانه ملك تدين له العرب بذلك. الادارة

Marfat.com

سألبس ثوبها وانود عني * بها عار المذلة والفضاح

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فاجابوه وجلوا الأسنة ، وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيؤا للرحلة الى جماعة قومهم . و كان همام بن مرة أخو جساس ، ومهلهل أخو كليب فى ذلك الوقت يشربان ، فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر ، فانتهت اليهما وأشارت الى همام ، فقام اليها فأخبرته ، فقال له مهلهل : ما قالت لك الجارية ؟ و كان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيئا، فذكر له ماقالت الجارية وأحب أن يعلمه ذلك فى مداعبة وهزل ، فقال له مهلهل : أست أخيك أضيق من ذلك ، فاقبلا على شربهما ، فقال له مهلهل : اشرب فاليوم خمر وغدا امر، فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى أهله ، فساروا من ساعتهم الى جماعة قومهم ، وظهر أمر كليب فذهبوا اليه فدفنوه ، فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الأبكار وذات الخدور العواتق اليه ، وقمن للمأتم فقال النساء لأخت كليب أخرجى جليلة أخت جساس عنا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا ، و كانت امرأة كليب كما ذكرنا ، فقالت لها أخت كليب : اخرجى عن مأتمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقة واترنا ، فخرجت تجر عطافها فلقيها أبوها مرة ، فقال لها : ما وراءك ياجليلة ؟ فقالت ثكل العدد. وحزن الأبد وفقد خليل. وقتل أخ عن قليل ، و بين هذين غرس الأحقاد. وتفتت الأكباد ، فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات ؟ فقالت: أمنية مخدوع ورب الكعبة ألبدن تدع لك تغلب دم ربها ؟ ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة، فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها ؟ أسعد الله أختي ألا قالت نفرة الحياء وخوف الأعداء ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا ما أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
إن تكن أخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا * حسرتا فيما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فقئت عين سوى * أختها فانفقات لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما * تحمل الأمّ أذى ما تفتلى (١)
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتىّ جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته * وانثنى فى هدم بيتى الأول
ورماني قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكنّ اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصنى قتل كليب بلظى * من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكى ليوميه كمن * انما يبكى ليوم مقبل
يشتفى المدرك بالثار وفى * دركى ثأرى ثكل المثكل
ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمى من أكحل
إنني قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لى

واما مهلهل واسمه عدىّ ، وقيل امرؤ القيس وهو خال امرىء القيس بن حجر الكندى ، وإنما لقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر ، وقصد القصائد ، وأول من كذب فى شعره فانه لما صحا لم يرعه إلا النساء يصرخن ألا إن كليباً قتل ، فقال وهو اول شعر قيل فى هذه الحادثة

كنا نغار على العواتق أن ترى * بالأمس خارجة عن الأوطان (٢)
فخرجن حين توى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا * إذحان مصرعه من الأكفان (٣)
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالأزمان
متسلبات نكدهن وقد ورى * أجوافهن بحرقة وروانى
ويقلن من للمستضيف اذا دعا * أم من لخضب عوالى المران ؟
أم لا تسار با لجزور اذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
ام من لاسباق الديات وجمعها * ولفادحات نوائب الحدثان ؟
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه وأخل ركن مكاني
يالهف نفسى من زمان فاجع * ألقى علىّ بكلكل وجران

---

(١) تفتلى أى تفطم فلا الصبى والمهر فلوا وفلاء عزله عن الرضاع أو فطمه كأفلاه وافتلاه (٢) هذا الشعر غث ساقط يدرك صاحب الذوق الفرق بين ماقبله وبينه مشتمل على ضرورات لا تليق بعربى مطبوع (٣) تركيب سخيف

Marfat.com

بمصيبة لا تستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان
هدت حصونا كنّ قبل ملاوذا * لذوى الكهول معاً وللشبان
أضحت وأضحى سورها من بعده * متهدم الأركان والبنيان
فابكين سيد قومه واندبنه * شدت عليه قباطى الأكفان
وابكين للأيتام لما أقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جيده متزملا * بدمائه فلذاك ما أبكاني
فلأتركن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور أكفها * ينهشنها وحواجل الغربان

ثم انطلق الى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه وأتى قبره فوقف عليه ثم قال

ان تحت التراب حزما وعزما * وخصيما ألد ذا معلاق
حية فى الوجار أربد لاينـ * ـفع منه السليم نفث الراقى (١)

ثم جز شعره وقصر ثوبه . وهجر النساء . وترك الغزل ، وحرم القمار والشراب ، وجمع اليه قومه ، وأرسل رجالا منهم الى بني شيبان فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه ، فقالوا له ، إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة . وقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وانا نعرض عليك خلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع : اما ان تحي لنا كليبا ، أو تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به أو هماما فانه كفء له ، أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه . فقال لهم : أما إحيائي كليبا فلست قادرا عليه ، وأما دفعى جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدرى أى بلاد قصد ، واما همام فانه أبه عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما أنا فما هو الا أن تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما احداهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، وأما الأخرى فاني أدفع اليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر ، فغضب القوم ، وقالوا قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ، ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ، واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر ، وكف الحرث بن عباد عن

(١) هذا هو الشعر الفحل لاماتقدم ولعل الأول منحول

Marfat.com

نصرهم ومعه أهل بيته ، وقال مهلهل عدة قصائد يرثى كليبا منها : (١)

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها ... اذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة ... تحت السقائف اذ يعلوك سافيها؟
نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ... ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها ... رهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلقى أسنتها ... الا وقد خضبوها من أعاديها
يهز هزون من الخطىّ مدمجة ... صما أنابيبها زرقا عواليها
ليت السماء على من تحتها وقعت ... وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها
لاأصلح الله منا من يصالحكم ... ما لاحت الشمس فى أعلى مجاريها

فالتقوا أول قتال كان بينهم فى قول يوم عنيزة وهى عند فلج وكانا على السواء. فقال مهلهل :

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

---

(١) ومنها

أهاج قذاة عينى الادكار ... هدوءا فالدموع لها انهمار
وصار الليل مشتملا علينا ... كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى ... تقارب فى أوائلها انحدار
وأبكى والنجوم مطلعات ... كأن لم تحوها عنى البحار
اصرف مقلتى فى إثر قوم ... تباينت البلاد بهم فغاروا
وسرت اليه من بلدى حثيثا ... وطار النوم وامتنع القرار
على من لو نعيت وكان حيا ... لقاد الخيل يحجبها الغبار
أجينى يا كليب خلاك ذم ... لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث انك كنت غيثا ... و يسرا حين يلتمس اليسار
سألت الحى أين دفنتموه؟ ... فقالوا لى باقصى الحى دار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ... ثوى فيه المكارم والفخار
خذ العهد الأكيد على عمرى ... بتركى كل ماحوت الديار
ولست بخالع درعى وسيفى ... الى ان يخلع الليل النهار

وهذه القصيدة من غرر المرثيات وقد أثبت قوة ارادته وصدق قوله حتى أنه لم يخلع درعه — على مايقولون — أربعين سنة . الادارة

Marfat.com

ولولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور (١)

فتفرقوا ثم بقوا زمانا ، ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ، ويروى انها أول وقعة كانت بينهم ، وكان رئيس تغلب مهلهل ، ورئيس شيبان الحرث ابن مرة ، وكانت الدائرة لبني تغلب ، وكانت الشوكة فى بنى شيبان واستحر القتال فيهم إلا انه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بنى مرة *

ثم التقوا بالذنائب وهى أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب ، وقتلت بكر امقتلة عظيمة ، وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان ، وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة ، وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر *

ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل فى بكر فقتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأمه ، فمر مهلهل فلما رآه قتيلا قال : والله ماقتل بعد كليب أعز علىّ منك وتالله لاتجتمع بكر بعد كما على خير أبدا ، وقيل:انما قتل يوم القصيبات ، وقيل يوم قضة قتله ناشرة ، وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة ، وكان عنده فلما شب علم أنه تغلبى،فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل فاذا عطش جاء الى قربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ، ولحق بقومه تغلب:وكاد جساس يؤخذ فسلم ، فقال مهلهل :

---

(١) هذان البيتان من قصيدة طويلة اوردها أبو على القالى فى أماليه وقد اشتملت على معظم الحروب فهى خير تاريخ لتلك الحروب،أولها:

أليلتنا بذى حسم أنيرى اذا أنت انقضيت فلا تحورى

الى ان يقول

فان يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير
بيوم الشعثمين لقرعينا وكيف لقاء من تحت القبور
وانى قد تركت بواردات بجيرا فى دم مثل العبير
ينوء بصدره والرمح فيه ويخلجه خدب كالبعير
هتكت به بيوت بنى عباد وبعض القتل أشفى للصدور
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمين من النسور

الى ان قال

قتيل ماقتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير
تركنا الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض فى غدير

وهذا يدل على أن هذه من آخر قصائده لان فيها ذكر قتل بجير وجساس وبهؤلاء انتهت الحرب . الادارة

Marfat.com

Marfat.com

لو أن خيلى أدركتك وجدتهم مثل الليوث بسترغب عرين

(ويقول فيها)

ولأوردن الخيل بطن أراكة * ولأقضين بفعل ذاك ديونى
ولأقتلن جحاجحا من بكركم * ولأبكين بها جفون عيون
حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل فى ترتيب الأيام: غير ماذكرنا وسنذكره ان شاء الله تعالى * وكان أبو نويرة التغلبي وغيره طلائع قومه، وكان جساس وغيره طلائع قومهم والنقى بعض الليالى جساس وأبو نويرة، فقال له أبو نويرة اختر إما الصراع، أو الطعان، أو المسايفة. فاختار جساس الصراع فاصطرعا وأبطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه، ففرّقوا بينهما، وجعلت تغلب تطلب جساساً أشد الطلب، فقال له أبوه مرة الحق بأخوالك بالشام، فامتنع فألحّ عليه أبوه فسيره سراً فى خمسة نفر وبلغ الخبر الى مهلهل، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فساروا مجدين فأدركوا جساساً فقاتلهم، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين، وجرح جساس جرحا شديدا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً فعاد كل واحد من السالمين الى أصحابه، فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال إنما يحزنى ان كان لم يقتل منهم أحدا، فقيل له: انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلا ماشركه منا أحد فى قتلهم وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك مما يسكن قلبى عن جساس *

وقيل: ان جساساً آخر من قتل فى حرب بكر وتغلب، وكان سبب قتله أن أخته جليلة كانت تحت كليب وائل، فلما قتل كليب عادت الى أبيها وهى حامل ووقعت الحرب، وكان من الفريقين ما كان، ثم عادوا الى الموادعة بعد ما كادت الفئتان تتفانى، فولدت أخت جساس غلاماً فسمته هجرساً، ورباه جساس، وكان لا يعرف أباً غيره فزوجه ابنته، فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام، فقال له البكرى: ما أنت بمنته حتي نلحقك بأبيك فأمسك عنه، ودخل الى أمه كئيباً حزينا فأخبرها الخبر. فلما نام الى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته، فقصت على أبيها جساس قصته. فقال:

ثائر ورب الكعبة ، وبات على مثل الرضف حتى أصبح ، فأحضر الهجرس ، فقال له: إنما أنت ولدى وأنت منى بالمكان الذى تعلم وزوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلا وقد اضطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح ، وأن تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل ماأخذ علينا ، فقال الهجرس: أنافاعل فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته ، وقال : مثلى لا ياتى أهله بغير سلاحه فخرجا حتي أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس القصة وأعلمهم أن الهجرس يدخل فى الذى دخل فيه جماعتهم وقد حضر ليعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد أخذ الهجرس برسط رمحه ثم قال . وفرسي وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ، ثم طعن جساساً فقتله ، ولحق بقومه وكان آخر قتيل فى بكر والأول أكثر *

ونرجع الى سياقة الحديث ؛ فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة الى مهلهل انك قد أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين فهو أصلح للحيين وأنكأ لعدوهم فلم يجب الى ذلك ، وكان الحرث بن عُباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها ، فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو بن عُباد أخى الحرث بن عباد ، فلما حمله على الناقة كتب معه الى مهلهل إنك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثارك سوى ماقتلت من بكر ، وقد أرسلت ابني إليك فاما قتلته بأخيك وأصلحت بين الحيين ، وإما أطلقته وأصلحت ذات البين ، فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لنا ولكم ، فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله ، وقال : بؤ بشسع نعل كليب[1] ، فلما سمع أبوه بقتله ظن أنه قد قتله بأخيه ليصالح بين الحيين ، فقال : نعم القتيل قتيلا أصلح من ابنى وائل ، فقيل : انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك الحرث بن عباد وقال *

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني شاب رأسى وأنكرتنى رجالى
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالى

فأتوه بفرسه النعامة ولم يكن فى زمانها مثلها فركبها ، وولى أمر بكر وشهد حربهم ، وكان أول يوم شهده يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم ، وإنما قيل له تحلاق اللمم : لان

(١) اى اقتل بدل شسع النعل الذى هو السير الذى يدخل بين الاصبعين *

Marfat.com

Marfat.com

بكرا حلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم بعضاً إلا جحدر بن ضبيعة بن قيس ابو المسامعة فقال لهم : أنا قصير فلا تشينوني وأنا أشترى لمتى منكم باول فارس يطلع عليكم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله ؛ وكان يرتجز ذلك اليوم و يقول *

ردوا علىّ الخيل ان ألمت ان لم أقاتلهم فجزوا لمتى

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتالا شديدا ، فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة، وفيه يقول طرَفة *

سائلوا عنا الذى يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن أسوقها وتلف الخيل أفواج النعم

وفى هذا اليوم أسر الحرث بن عباد مهلهلا واسمه عدىّ وهو لا يعرفه ، فقال له : دلني على عدى وأنا أخلى عنك ، فقال له المهلهل : عليك عهد الله بذلك إن دللتك عليه قال: نعم قال: فانا عدى فجز ناصيته وتركه وقال فى ذلك *

لهف نفسى على عدى ولم أع * رف عديا اذ أمكنتني اليدان

وكانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافؤا فيه وتناصفوا ، ثم اليوم الثانى يوم واردات كان لتغلب على بكر ، ثم اليوم الثالث الحنو كان لبكر على تغلب ، ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتي ظنوا أنهم لن يستقيلوا ، ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم التحالق ؛ وشهده الحرث بن عباد ، ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية [1] ويوم الفصيل لبكر على تغلب ، ثم لم يكن بينهما مزاحفة انما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة *

ثم ان مهلهلا قال لقومه قد رأيت أن تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم ، فلو مرت هذه السنون فى رفاهية عيش لكانت تمل من طولها ، فكيف وقد فني الحيان ، وثكلت الأمهات، و يتم الأولاد ، ونائحة لا تزال تصرخ فى النواحى ، ودموع لا ترقأ .واجساد لا تدفن ، وسيوف مشهورة، ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم ومواصلتهم ، وتتعطف الأرحام حتى تتواسوا فى قتال القتل [2] فكان كما قال * ثم قال

---

(١) بفتح ثم الكسر وياء مشددة من قرى البحرين لبنى عامر بن عبد القيس ذكر ذلك ياقوت الحموى فى معجم البلدان . الادارة (٢) فى قتال القتل لا معنى له ولو كانت (فى قبال النعل) لكان اللفظ صحيحا والمعنى مستقيما

Marfat.com

مهلهل أما أنافما تطيب نفسى أن أقيم فيكم ولا أستطيع أن أنظر الى قاتل كليب[٢] واخاف أن أحملكم على الاستئصال وأنا سائر الى اليمن وفارقهم وسار الى اليمن ونزل فى جنب وهى حى من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها جلودا من أدم فقال فى ذلك :

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جشم
انكحها فقدها الأراقم فى جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبا نين[١] جاء يخطبها ضرج ما انف خاطب بدم

الأراقم بطن من جشم بن تغلب يعني حيث فقدت الأراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بأدم ، ثم ان مهلهلا عاد الى ديار قومه . فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكرى أسيرا بنواحى هجر فأحسن إساره . فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر ، وكان صديقا لمهلهل فأهدى اليه وهو أسير زقاً من خمر . فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا . وشربوا عند مهلهل فى بيته الذى أفرد له عمرو فلما أخذ فيهم الشراب تغني مهلهل بما كان يقوله من الشعر و ينوح به على أخيه كليب ، فسمع منه عمرو ذلك ، فقال انه لريان والله لا يشرب عندى ماء حتي يرد زبيب وهو خمل كان له لا يرد إلا خمساً فى حمارة القيظ ، فطلب بنو مالك زبيبا وهم حراص على أن لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا ، وقيل : ان ابنة خال مهلهل وهى ابنة المجلل التغلبى كانت امرأة عمرو وأرادت أن تأتي مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها *

طفلة ما ابنة المجلل بيضا * ء لعوب لذيذة فى العناق
فاذهبي ما إليك غير بعيد * لا يؤاتى العناق من فى الوثاق
ضربت صدرها إلىّ وقالت: * ياعدياً لقد وقتك الأواقى

وهى أبيات ذوات عدد فنقل شعره الى عمرو بن مالك فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتي يرد زبيب ، فسأله الناس أن يورد زبيباً قبل وروده ، ففعل وأورده وسقاه حتي يتحلل من يمينه ، ثم انه سقى مهلهلا من ماء هناك هو أوخم المياه فمات مهلهل ﴿عباد﴾ بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها *

---

(١) هما جبلان فى البادية ابيض واسود فالابيض لبنى اسد والاسود لفزارة . لسان العرب (٢) كيف يمكنه ان ينظر اليه وقدمات قبل ذلك ؟ اه الأأن يريد العشيرة كلها لمؤازرتهم جساسا عدهم قاتلين . الادارة *

Marfat.com

﴿ ذكر الحرب بين الحرث الأعرج و بنى تغلب ﴾

قال أبو عبيدة : ان بكراً و تغلب ابنى وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء ، وذلك بعد حربهم و كان الذى أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام ، فغزا بهم المنذر بنى آكل المرار ، وجعل على بنى بكر و تغلب ابنه عمرو بن هند ، وقال اغز أخوالك فغزاهم ، فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأسروا وجاؤا بهم الى المنذر فقتلهم ، ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ونحن نذكر سبب ذلك فى أخبار شيبان ان شاء الله *

وعادت الحرب بينهم و بين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبي شمر الغساني ، فمر بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه ، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي ، فلقيه ، فقال له : مامنع قومك ان يتلقوني ؟ فقال : لم يعلموا بمرورك فقال: لئن رجعت لأغزونهم غزوة تترکهم ايقاظا لقدومى ، فقال عمرو : مااستيقظ قوم قط الا نبل رأيهم وعزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم ، فقال كأنك تتوعدنى بهم أما والله لتعلمن اذا نالت[1] غطاريف غسان الخيل فى ديارکم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لاحلم فيها تجتث أصولهم و تنفى فلوم الى اليابس الجدد ، والنازح الثمد ، ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال :

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا * أبيت اللعن نأبي ماتريد
تعلم ان محملنا ثقيل * وان دبار كبتنا[2] شديد
وإنا ليس حى من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الأعرج غزا بني تغلب فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ، ثم انهزم الحرث و بنو غسان وقتل أخو الحرث فى عدد كثير . فقال عمرو بن كلثوم :

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالثكل و يل أبيك يا ابن أبي شمر
فذق الذى جشمت نفسك واعترف * فيها أخاك وعامر بن أبي حجر

﴿ يوم عين أباغ ﴾

وهو بين المنذر بن ماء السماء و بين الحرث بن الأعرج أبى شمر جبلة ، وقيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغسانى ، وقيل: فى نسبه غير هذا . وقيل: هو أزدى تغلب على غسان، والاول أكثر وأصح، وهو الذى طلب أدراع امرىء القيس من السموأل بن عادياء، وقتل ابنه، وقيل : غيره والله أعلم *

---

(١) هذه الكلمة ليس لها موقع ولو وضع بدلها (اجالت) لكان المعنى مستقيما (٢) دبار الشيء آخره وعاقبته والكبة بفتح الكاف الدفعة فى القتال وفى الاغانى « زناد كتبتنا » . الادارة

Marfat.com

وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة فى معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار ، وأرسل الى الحرث الأعرج بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ، من يقياء بن عامر الغسـاني ملك العرب بالشام إما أن تعطيني الفـدية فأنصرف عنك بجنودى ، وإما ان تأذن بحرب ، فأرسل اليه الحرث انظرنا ننظر فى أمرنا فجمع عساكره وسار نحو المنـذر ، وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك ولـكن يخرج رجل من ولدى ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فامره أن يخرج فيقف بين الصفين ويظهر أنه ابن المنذر فلما خرج أخرج اليه الحرث ابنه أبا كرب فلما رآه رجع الى أبيه ، وقال : ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يابني اجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدى المنذر وعاد ، فامر الحرث ابنا له آخر بقتاله والطلب بثار أخيه ، فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه ؛ وقال ياأبت هذا والله عبد المنذر ، فقال : يابني ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشدّ عليه فقتله . فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى ، وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر ، فقال : أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الـكرام . وقد غـدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره ، فقال له : سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك . فلما كان الغد عبى الحرث أصحابه وحرضهم ، وكان فى أربعين ألفاً ، واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا ؛ فقتل المنذر وهزمت جيوشه فامر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين ، وجعل المنذر فوقهما فردا وقال يالعلاوة دون العدلين فذهبت مثلا ، وسار الى الحيرة فانهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها وبني الغربين عليهما فى قول بعضهم ، وفى ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابى : *

كم تركنا بالعـين عين أباغ * من ملوك وسـوقة أكفاء
أمطرتهم سحائب الموت تترى * إن فى الموت راحة الأشقياء
ليس من مات فاستراح بميت * إنمـا الميت ميت الأحيـاء

﴿ يوم مرج حليمة وقتل المنـذر بن المنذر بن ماء السماء ﴾

لمـا قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ملك بعده ابنه المنـذر وتلقب الأسود فلما

Marfat.com

استقر وثبت قدمه جمع عساكره، وسار الى الحرث الأعرج طالبا بثار أبيه عنده، و بعث اليه انني قد أعددت لك الكهول على الفحول، فأجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد، فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة، فتركه من به من غسان للأسود و إنما سمى مرج حليمة بحليمة ابنة الحرث الغساني، وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم *

ثم ان الحرث سار فنزل بالمرج أيضا، فأمر اهل القرى التي فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه فى الجفان، وتركوه فى العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فأقامت الحرب بين الأسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض، فلما رأى الحرث ذلك قعد فى قصره، ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه، ثم نادى يافتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هند، فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لامحالة، ولست أرضى فرسى فاعطني فرسك الزيتية فاعطاه فرسه، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الأسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم أصحابه فى كل وجه ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم، فالقى الرأس بين يديه، فقال له الحرث شأنك بابنة عمك فقدز وجتكها، فقال: بل أنصرف فاوامى أصحابي بنفسى فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الأسود قد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته، فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم يقتل فى هذه الحروب بعد تلك الهزيمة غيره، وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا فى كل وجه وانصرفت غسان بأحسن ظفر، وذكر أن الغبار فى هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الأسود سار بعرب العراق أجمع، وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من اشهر أيام العرب، وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال *

يوم وادى حليمة وازدلفنا * بالعناجيج [1] والرماح الظماء
اذ شحنا أكفنا من رقاق * ، ق من وقعها سنا السحناء [2]

---

(١) العناجيج جياد الخيل والابل (٢) السحناء لينة البشرة والنعمة والهيئة واللون ويكون المعنى اذ وقع هذه السيوف غير النعمة على الأعداء اوغير هيأتهم ولونهم *

Marfat.com

وأتت هند بالخلوق الى مَن * كان ذا نجدة وفضل غناء
ونصبنا الجفان فى ساحة المر * ج فملنا الى جفان ملاء

وقيل فى قتله: غير ماتقدم ونحن نذكره،قال بعض العلماء: وكان سببه أن الحرث بن ابي شمر جبلة بن الحرث الأعرج الغساني خطب الى المنذر بن المنذر اللخمى ابنته ، وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان ، فزوجه المنذر ابنته هندا ، وكانت لاتريد الرجال فصنعت بجلدها شبيها بالبرص ، وقالت لأبيها أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان ، فندم على تزويجها فأمسكها ، ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها أبوها واعتل عليه ، ثم ان المنذر خرج غازياً فبعث الحرث بن أبى شمر جيشا الى الحيرة فانتهبها وأحرقها ، فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر ، فسار يريد غسان ، وبلغ الخبر الحرث فجمع أصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا بعين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتتلوا واشتد الأمر بين الطائفتين فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه . وانهزمت الميسرة ، وحملت ميمنة الحرث على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبى رُبيعة بن ذهل بن شيبان . وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه ، وانهزم أصحابه فى كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير ، منهم شأس بن عبدة فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر [1] على الحرث يطلب اليه أن يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التى أولها *

طحابك قلب فى الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط أهلها * وعادت عواد بيننا وخطوب

يقول فيها . فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودّهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
وخالد من غسان أهل حفاظها * وهند وناس ماصنعت يشيب [2]
تخشخش أبدان الحديد عليهم * كما خشخشت بين الحصاد جنوب

---

(١) هو المشهور بعلقمة الفحل لانه غلب امرأ القيس على زوجه وذكر صاحب الاغانى انه انشد هذه القصيدة بحضور النابغة الذبيانى وحسان بن ثابت. الادارة (٢) كذا فى الاصول والذى فى ديوانه :*

وقاتل من غسان اهل حفاظها وهنب وفاس جالدت وشبيب

فلم ينج إلا شطبة بلجامها * وإلا طمر كالقناة نجيب
وإلا كمى ذو حفاظ كانه * بما ابتل من حد الظبات خضيب
وفى كل حىّ قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب
فلا تحرمنى نائلا عن جناية * فاني امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من نداك ذنوب : قال الملك اى و الله وأذنبة ثم أطلق شأساً وقال: له ان شئت الحباء و إن شئت أسراء قومك . وقال لجلسائه: ان اختار الحباء على قومه فلا خير فيه؛فقال: أيها الملك ما كنت لأختار على قومى شيئاً ، فاطلق له الأسرى من تميم و كساه وحباه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيرا فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس . وقالوا: أنت كنت السبب فى إطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك. فحصل له مال كثير من إبل و كسوة وغير ذلك ﴿ عبدة﴾ بفتح العين و الباء الموحدة*

وقيل فى قتله انه جمع عسكرا ضخما وسار حتي نزل الشام وسار ملك الشام ـ وهو عند الأكثر ـ الحرث بن أبي شمر ، فنزل مرج حليمة وهو ينسب الى حليمة بنت الملك و نزل الملك اللخمى فى مرج الصفر ؛ فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف و كانت فرسه تجرى على ثلاث فلا تلحق ، فسارا حتي خالطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمعة فقتلا حاملها ففزع القوم . فاضطربوا بأسيافهم فقتل بعضهم بعضا حتى أصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح و الاتاوة ، وقال إنى باعث رؤس القبائل لتقرير الحال ، وندب أصحابه فانتدب له مائة غلام ؛وقيل: ثمانون غلاما فالبسهم السلاح وأمر ابنته حليمة أن تطيبهم و تلبسهم ففعلت فلما مر بها لبيد بن عمرو فارس الزيتية قبلها فأتت أباها با كية ، فقال: هو أسد القوم ولئن سلم لأنكحنه إياك وأمره على القوم وساروا فلما قاربوا العسكر العراقى جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا وقتل لبيد بن عمرو ملك العراقيين وأحيط بالغسانيين فقتلوا إلا لبيد ابن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك ،فقال له قد أنكحتك ابنتي حليمة . فقال لا يتحدث الناس انى فلّ مائة ، ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل ،و تفقد أهل العراق أشرافهم وإذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحمت اليهم غسان فانهزموا*

Marfat.com

قلت قداختلف النسابون وأهل السير فى مدة الأيام وتقديم بعضها على بعض: واختلفوا أيضا فى المقتول فيها، فمنهم من يقول: ان يوم حليمة هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم أباغ هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن المنذر، ومنهم من يقول بضد ذلك، ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول: لم يقتل إلا المنذر بن ماء السماء، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة، وقيل: ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر ابن ماء السماء لاشك فيه وأما ابنه ففيه خلاف كثير والأصح انه لم يقتل، ومن أثبت قتله اختلفوا فى سببه على ماذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء فمتي تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منها حادث مستقل، وقد أهملناه فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبهنا عليه *

﴿ ذكر قتل مضرط الحجارة ﴾

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمى صاحب الحيرة، وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته، وأمه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهى عمة امرىء القيس بن حجر بن الحرث، وكان سبب قتله انه قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أن أحدا من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمى؟ قالوا مانعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي، فان أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل، وزوجها كلثوم وابنها عمرو، فسكت مضرط الحجارة على مافى نفسه، وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره ان تزور أمه ليلى أم نفسه هند بنت الحرث، فقدم عمرو بن كلثوم فى فرسان من بنى تغلب، ومعه أمه ليلى، فنزل على شاطئ الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه، فامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاما، ثم دعا الناس اليه، فقرب اليهم الطعام على باب السرادق. وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه فى السرادق، ولامه هند قبة فى جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها فى القبة، وقد قال مضرط الحجارة لأمه: اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحى خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمى ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء، ففعلت هند ماأمرها به ابنها فلما استدعى الطرف. فقالت[1] هند لليلى ناوليني ذلك الطبق قالت: لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها

---

(١) الاحسن أن تسقط الفاء

Marfat.com

فالحت عليها فقالت ليلى : واذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشرّ في وجهه ، وثار بن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق فى السرادق وليس هناك سيف غيره فاخذه ، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى : يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي :

لعمرك ماعمرو بن هندوقد دعا * لتخدم ليلى أمـــه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا * وأمسك من ندمانه بالمخنق[1]

﴿ يوم الكلاب الأول ﴾

قال ابن الكلبي أول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندى ، فلما هلك ملك بعد أبيه عمر ومثل ملك أبيه فسمى المقصور لانه قصر على ملك أبيه ، فتزوج عمرو أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ؛ فولدت له الحرث فملك بعد أربعين سنة ، وقيل : ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهى حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمار فتبعه وأقسم ان لا يأكل شيئا قبل كبده وهو بمسحلان ، فطلبته

---

(١) وعمرو بن كلثوم معلقته عبارة عن هذه الواقعة التى أولها :

ألاهبي بصحنك فاصبحينا ولاتبقى خمور الاندرينا
الى أن يقول اباهنـد فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بانا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا
وان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا
وايام لنـا غر طـوال عصينا الملك فيهـا ان ندينا
وسـيد معشر قد توجوه بتاج العز يحمى المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقـلدة اعنتها صـفونا
الى أن قال باى مشيئة عمرو بن هند ؟! ترى انا نـكون الأرذلينا
باى مشيئة عمرو بن هنـد تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وتوعـدنا رويدا متى كنا لأمـك مقتوينا

المقتوى الذى يخدم بقوة *

وان قناتنا ياعمر وأعيت على الأعداء قبلك ان تلينا

ولعل المؤلف لم يذكرها لشهرتها البالغة مبلغ التواتر فذكرنا مايخفى على العامة كقول افنون بخلاف المعلقة فانها معلومة للخاصة والعامة . الادارة *

Marfat.com

Marfat.com

الخيل ثلاثة أيام حتي ادركته فأتي به ، وقد كاد يموت من الجوع فشوى على النار واطعم من كبده وهى حارّة فمات ، وكان الحرث فرق بنيه فى قبائل معد فجعل حجرا فى بني أسد وكنانة وهو أكبر ولده، وجعل شرحبيل فى بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبنى أسيد بن عمرو بن تميم والرِّباب ، وجعل سلمة وهو أصغرهم فى بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وجعل ابنه معد يكرب ويعرف بغلفاء فى قيس عيلان وقد تقدم هذا فى قتل حجر أبى امرىء القيس ، وانما أعدناه ههنا للحاجة اليه *

فلما هلك الحرث تشتت أمر أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش ، فنزل الكلاب وهو ماء بين البصرة والكوفة ، وأقبل سلمة فيمن معه وفى الصنائع أيضاً وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا الى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض ، فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا ، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب ، وصبرت تغلب ونادى منادى شرحبيل من أتانى برأس سلمة فله مائة من الابل ونادى منادى سلمة من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل ، فاشتد القتال حينئذ كل يطلب أن يظفر لعله يصل الى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الابل ، فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ومضى شرحبيل منهزما فتبعه ذو السنينة التغلبي فالتفت اليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله ، وكان ذو السنينة أخا أبى حنش لأمه ، فقال لأخيه : قتلنى الرجل وهلك ذو السنينة . فقال أبو حنش لشرحبيل : قتلني الله ان لم أقتلك وحمل عليه فادركه ، فقال يا أبا حنش اللبن اللبن يعنى الدية . فقال قد هرقت لبنا كثيرا ، فقال يا أبا حنش أملكا بسوقة ؟ ، فقال : ان أخى ملكى فطعنه فالقاه عن فرسه ونزل اليه فاخذ رأسه وبعث به الى سلمة مع ابن عم له فاتاه به وألقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت ألقيته ارفق من هذا ، وعفت الندامة فى وجه سلمة والجزع عليه فهرب أبو حنش منه فقال سلمة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولا * فمالك لاتجىء إلى الثواب ؟

لتعلم (١) أن خير الناس طرا * قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاسيس الرباب (٢)

فاجابه أبو حنش فقال :

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو * حباء أبيك يوم ضبيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك إلى الممات (٣)

و كان سبب يوم ضبيعات ان ابناً للحرث كان مسترضعا فى تميم و بكر ولدغته حية فمات فاخذ خمسين رجلا من تميم وخمسين رجلا من بكر فقتلهم به ، ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله فمنعوهم ، وحالوا بين الناس و بينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ، ولما بلغ خبر قتله أخاه معد يكرب وهو غلفاء قال يرثيه :

ان جنبي عن الفراش لنابي * كتجافى الاسر (٤) فوق الظراب (٥)
من حديث نمى الىّ فما تر * قأعيني ولا أسيغ شرابى
مرة كالذعاف أكتمها النـ * ـاس على حرّ ملة (٦) كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الأر * ماح من بعد لذة وشباب
يابن أمى ولو شهدتك إذ تد * عوتميما وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتي * يبلغ الرحب أو تبز ثيابي
أحسنت وائل وعادتها الاحـ * ـسان بالحبو (٧) يوم ضرب الرقاب
يوم فرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالأذناب

---

(١) الذى فى الصحاح تعلم بمعنى اعلم فيكون اسم فعل ولكنه نسبه الى عمرو بن معدى كرب .الادارة
(٢) وقال الأخطل :

أبا غسان انك لم تهنى ولكن قد اهنت بنى شهاب
ترقوا فى النخيل وانسؤنا وماء سراتكم يوم الكلاب

وكان عمه عبد يغوث بن دوس ثانى من ورد ماء الكلاب على فرسه الحرون ، و بهذين البيتين استدل ابن عبدر به على أن بكرا كانت مع شرحبيل .الادارة (٣) ولهما بيت ثالث أورده معلق الاغانى وهو :

تتابع سبعة كانوا لام كاخراج السفاج الحاورات

(٤) الاسر — بتشديد الراء — نقل صاحب اللسان عن المحكم انه داء فى سرة البعير اذا برك تجافى فيقال بعير اسر وناقة سراء وأورد مثله عن أبى عمرو وابن الأعرابى واستشهد بالبيت نفسه .الادارة (٥) الظراب جمع ظرب ككتف ما نتأ من الحجارة وحد طرفه أو الجبل المنبسط أو الصغير (٦) الملة بفتح الميم وتشديد اللام الجمر (٧) ليست بالباء وانما هى بالنون الموحدة من فوق قال فى القاموس الحنو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج

Marfat.com

Marfat.com

وهى طويلة (١) ثم ان تغلب أخرجوا سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمى ﴿الكلاب﴾ بضم الكاف، أسيد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت، وذو السنينة بضم السين المهملة تصغير سن، والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الأولى الموحدة *

﴿ يوم أوارة الاول ﴾

وهو يوم كان بين المنذر بن امرىء القيس و بين بكر بن وائل وكان سببه أن تغلب لما أخرجت سلمة بن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كما ذكرناه آنفاً فلما صار عند بكر أذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحهنم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم فى جموعه فالتقوا باوارة فاقتتلوا قتالا شديدا وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندى فامر المنذر بقتله فقتل؛ وقتل فى المعركة بشر كثير، وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد: فقيل له: أبيت اللعن لو ذبحت كل بكرى على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار و كان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه فى سبى بكر بن وائل فأطلقهن المنذر فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسى الى المنذر فى بكر *

ومنا الذى اعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها

سبايا بني شيبان يوم أوارة * على النار اذتجلى به فتياتها

من البدن كعظم الحجاج واللحى والضلع والحنى ومن غيره كالقف والحقف وهذا هو المراد هنا اه وهذا البيت لم يورده صاحب الأغانى ضمن الأبيات

(١) ذكر بعد ذلك صاحب الأغانى أربعة أبيات وهى :

ويحكم يابنى اسيدانى ويحكم ربكم ورب الرباب

أين معطيكم الجزيل وحاميكم على الفقر بالمئين الالباب

فارس يضرب الكتيبة بالسيف على نحره كنضح المذاب

فارس يطعن الكماة جرئ تحته قارح كأون الغراب

ولعل صاحب الأغانى لم تقع له كما وقعت للمصنف حتى نسبها الى العلول.. الادارة

Marfat.com

﴿يوم أوارة الثانى﴾

كان عمرو بن المنذر اللخمى قد ترك ابناله اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمى فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها فشد عليه ر بهاسو يدأحد بنى عبدالله ابن دارم التميمى فقتله ، وهرب فلحق بمكة فحالف قريشا ، وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق ، فلما كان حيال جبلى طيء قال له زرارة أى ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فمل على طيء فانك بحيالها فمال اليهم فاسر وقتل وغنم فكانت فى صدور طيء على زرارة ، فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو فقال له عمرو بن ملقط الطائي يحرض عمرا على زرارة *

من مبلغ عمراً بان المرء لم يخلق صباره
ها ان عجزة أمه * بالسفح أسفل من أواره
فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زراره

فقال عمرو يازرارة ما تقول قال كذب قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت فلما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه ياحاجب ضم اليك غلمتى فى بني نهشل ، وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو عليك بعمرو بن ملقط . فانه حرض علىّ الملك ، فقال له ياعماه لقد أسندت إلى أبعدهما شقة وأشدهما شوكة ، فلما مات زرارة تهيأ عمرو بن عمرو فى جمع وغزا طيئا فأصاب الطريفين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط . فقال علقمة بن عبدة فى ذلك *

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الأكام قطاقطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شفاء الواصبين الملاقطا

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بني دارم . وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أنذروا به فتفرقوا فأقام مكانه ؛ وبث سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه فى غاراتهم فقتلهم ، فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه ، فاخذه ليقتله ليتم مائة ثم قال : ان الشقى وافد البراجم ، فذهبت مثلا . وقيل: انه نذر أن يحرقهم فلذلك سمى محرقا فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلا واجتاز رجل من البراجم فشم قتار اللحم ؛ فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصده فقال: من أنت؟ فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم ، فقال: ان الشقى وافد البراجم ، ثم أمر به فقذف فى النار

فقال جرير للفرزدق *

أين الذين بنار عمرو أحرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع

وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الأكل لطمع البرجمى فى الأكل، فقال بعضهم: *

اذا مامات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجىء بزاد

بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشىء الملفف فى البجاد[1]

تراه ينقب البطحاء حولا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

قيل دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية: ما الشىء الملفف فى البجاد يا أبا بحر؟ قال السخينة يا أمير المؤمنين، والسخينة[2] طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف فى البجاد قال فلم يرمتما زحان أوقر منهما *

﴿ ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المرى وذكر يوم الرحرحان ﴾

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسى وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان فتزوج اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر لشرفه وسؤدده، فأرسل النعمان الى زهير يستزيره بعض أولاده فارسل ابنه شأساً، وكان أصغر ولده فاكرمه وحباه فلما انصرف الى أبيه كساه حللا وأعطاه مالا طيبا، فخرج شاس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غنى بن أعصر، فقتله رباح بن الأشل الغنوى وأخذ ما كان معه، وهو لا يعرفه، وقيل لزهير: ان شاساً أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بماء من مياه غني، فسار زهير الى ديار غنى وهم حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا أنهم لم يعلموا خبره، قال لكني أعلمه، فقال له أبو عامر فما الذى يرضيك منا؟ قال واحدة من ثلاث: إما تحيون ولدى وإما تسلمون الىّ غنيا حتى أقتلهم بولدى، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم فقالوا ماجعلت لنا فى هذه مخرجا أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله، وأما تسليم غني اليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار، وأما الحرب بيننا فوالله اننا لنحب رضاك ونكره سخطك، ولكن إن شئت الدية وان شئت تطلب قاتل ابنك فنسلمه اليك أو تهب دمه فانه لا يضيع فى القرابة والجوار، فقال: ما أفعل

---

(١) البجاد ككتاب كساء مخطط (٢) السخينة طعام رقيق يتخذ من دقيق

Marfat.com

الا ماذكرت . فلما رأى خالدبن جعفر بن كلاب تعدى زهير على أخواله من غني[1] قال: والله مارأينا كاليوم تعدى رجل على قومه ، فقال له زهير :فهل لك ان تكون طلبتي عندك وأترك غنيا ؟قال نعم فانصرف زهير وهو يقول :

فلولا كلاب قد أخذت قرينتى * برد غنى أعبـــدا ومواليا
ولكن حمتهم عصبة عامرية * يهزون فى الأرض القصار العواليا
مساعير فى الهيجا مصاليت فى الوغى[2] * أخوهم عزيز لايخاف الأعاديا
يقيمون فى دار الحفاظ تكرما * اذا ما فنى[3] القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها ، وأعطاها لحم جزور سمينة وسيرها الى غني لتبيع اللحم بطيب وتسأل عن حال ولده ، فانطلقت المرأة الى غنى وفعلت ما أمرها ، فانتهت الى امرأة رباح بن الأشل وقالت لها قد زوجت بنتا لى وأبغى الطيب بهذا اللحم فأعطتها طيباً وحدثتها بقتل زوجها شأسا فعادت المرأة إلى زهير ، وأخبرته فجمع خيله ، وجعل يغير على غَنى حتي قتل منهم مقتلة عظيمة؛ ووقعت الحرب بين بنى عبس و بني عامر ، وعظم الشر *

ثم انزهيراخرج فى بنيته[4] وأهل بيته فى الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالدبن جعفر بن كلاب ، فقال له خالد لقد طال شرّنا منك يازهير ، فقال زهير : أما والله مادامت لى قوة أدرك بها ثارا فلا انصرام له ، وكانت هوازن تؤتي زهير بن جذيمة الأتاوة كل سنة بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد ، ثم عاد خالد وزهير الى قومهما ، فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير ، فأجابوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيراوهم على طريقه وسار زهير حتي نزل على أطراف بلاد هوازن، فقال له ابنه قيس : انج بنا من هذه الأرض فاناقريب من عدونا فقال له يا عاجز وما الذى تخوفنى به من هوازن وتتقى شرها؟فانا أعلم الناس بها ، فقال ابنه دع عنك اللجاج وأطعنى وسر بنا فاني خائف عاديتهم،و كانت تماضر بنت الشريدبن رباح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببني عامر و كان فيهم ، فارسله خالد عينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم فى منزلهم ، فعلم قيس بن زهير حاله وأراد هو وأبوه أن يوثقوه

(١) على وزن على حى من غطفان (٢) المساعير جمع مسعر وهوموقد النار والمصاليت الماضون والهيجاء والوغى الحرب (٣) بضم فكسر جمع فناء (٤) وفى نسخة بيته ولعلها قرينته . الادارة

Marfat.com

Marfat.com

ويأخذوه معهم الى أن يخرجوا من أرض هوازن ، فمنعت أخته فأخذوا عليه العهود أن لايخبر بهم وأطلقوه ، فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر ، فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتتلوا قتالا شديدا ، والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلا ثم تعانقا فسقطا على الأرض ، وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيئا لأنه قد ظاهر بين درعين ، وحمل جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فقتله ، وهو وخالد يعتركان ، فثار خالد عنه ، وعادت هوازن الى منازلها ، وحمل بنو زهير أباهم الى بلادهم ، فقال ورقاء بن زهير فى ذلك :

رأيت زهيراً تحت كلكل (١) خالد ... فاقبلت أسعى كالعجول (٢) أبادر
الى بطلين يعتران (٣) كلاهما ... يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا ... ويمنعه منى الحديد المظاهر (٤)
فياليت اني قبل أيام خالد ... وقبل زهير لم تلدنى تماضر
لعمرى لقد بشرت بي إذ ولدتني ... فما ذا الذى ردت (٥) عليك البشائر
فلا يدعني قومى صريحا بحرة ... لان كنت مقتولا ويسلم عامر
فطر خالد ان كنت تستطيع طيرة ... ولا تقعا إلا وقلبك حاذر
أتتك المنايا إن بقيت بضربة ... تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خالد يمنّ على هوازن بقتله زهيرا :

أبلغ هوازن كيف تكفر بعدما ... اعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما ... جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم ... عقل (٦) الملوك هجائنا وبكارا

وكان زهير سيد غطفان ، فعلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها ، فسار الى النعمان بن امرىء القيس بالحيرة ، فاستجاره فاجاره فضرب له قبة ، وجمع بنو زهير لهوازن ، فقال الحرث بن ظالم المرى أكفوني حرب هوازن فانا أكفيكم خالد بن جعفر ، وسار الحرث حتي قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا ، فاقبل النعمان

---

(١) الكلكل الصدر (٢) هى الثكلى من النساء وغيرهن (٣) اى يضطربان قال فى القاموس العتر اشتداد الرمح وغيره واضطرابه واهتزازه (٤) هو الذى لبس درعا فوق درع (٥) نفعتك به (٦) الدية اى جعلت ذلك

Marfat.com

يسائله فحسده خالد ، فقال النعمان: أبيت اللعن هذا رجل لى عنده يد عظيمة قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها ، فقال الحرث سأجزيك على يدك عندى وجعل الحرث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب فقال عروة لأخيه خالد: ماأردت بكلامه وقد عرفته فتاكا ، فقال خالد وما يخوفني منه ؟ فوالله لو رآني نائما ماأيقظني ، ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهما فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه ، فلما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك . ثم أيقظ خالدا ، فلما استيقظ ، قال أتعرفنى ؟ قال أنت الحرث قال خذ جزاء يدك عندى وضربه بسيفه المعلوب فقتله ، ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار ، وخرج عروة من القبة يستغيث وأتي باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال فى طلب الحرث ، قال الحرث : فلما سرت قليلا خفت أن أكون لم أقتله ، فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه ، فضربته بالسيف حتي تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومى ، فقال عبدالله بن جعدة الكلابى :

ياحار لو نبهته لوجدته * لاطائشا رعشا ولا معزالا[1]
شقت عليه الجعفرية جيبها * جزعا وما تبكى هناك ضلالا
فانعوا أبا بحر بكل مجرّب * حران يحسب فى القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم * وليجعلن لظالم تمثالا

فاجابه الحرث :

تالله قد نبهته فوجدته * رخو اليدين موا كلا عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه * حتي أضل بسلحه السربالا[2]

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد [3] فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، فأجاره على النعمان وهوازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بنى دارم عليهم بن الحمس التغلبي ، وكان يطلب الحرث بدم أبيه لأنه كان قتله ، ثم ان الأحوص بن جعفر أخا خالد جمع بنى عامر

---

(١) المعزال الراعى المنفرد والنازل ناحية من السفر ومن لارمح معه والأخير انسب للمعنى (٢) المعنى ان سربال ضل فى سلحه لكثرة ذلك منه (٣) لم يكن خالد بن جعفر من هوازن ولكنه من بنى عامر الا اذا كان يريد أنه بقتله زهيراً صار سيد هوازن لانه اعتقهم منه وان لم يكونوا قومه

وسار بهم ، فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بنى دارم وساروا ، فلما صاروا بادني مياه بنى دارم رأوا امرأة تجني الكمأة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركها عنده ، فلما كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم، وقصدت سيدهم زرارة ابن عدس فاخبرته الخبر ، وقالت أخذني أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال فصفيهم لى قالت: رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون ، قال: ذاك الأحوص وهو سيد القوم، قالت : ورأيت رجلا قليل المنطق اذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها احسن الناس وجها ومعه ابنان له يلازمانه قال ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل ، قالت: ورأيت رجلا جسيما كأن لحيته محمرة معصفرة قال ذاك عوف بن الأحوص . قالت : ورأيت رجلا هلقاما [1] جسيما قال ذاك ربيعة بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب ، قالت : ورأيت رجلا أسود أخنس قصيرا قال ذاك ربيعه بن قرط بن عبدالله بن أبي بكر ، قالت : ورأيت رجلا أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته اذا تكلم : قال ذاك جندح بن البكاء ، قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرساً له معه جفير [2] لايفارق يده قال ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب ، قالت: ورأيت رجلا معه ابنان أصهبان اذا أقبلا رماهما الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة، قالت :ورأيت رجلالا يقول كلمة الاوهى أحد من شفرة قال ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب، وأمرها زرارة فدخلت بيتها وأرسل زرارة الى الرعاء يامرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الاهل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض وفرق الرسل فى بني مالك بن حنظلة فأتوه فأخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا أثقالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين ، وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوى حال الظعينة وهربها فسقط فى أيديهم واجتمعوا يريدون [3] الرأى فقال بعضهم كأني بالظعينة قد أتت قومها فأخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين لكم فى السلاح ، فاركبوا بنا فى طلب نعمهم واموالهم فانهم لايشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف فركبوا يطلبون ظعن بنى دارم ، فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه ان القوم قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم فساروا مجدين فلحقوهم قبل أن يصلوا الى الظعن والنعم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة بن الحمس التغلبي رئيس جيش

---

(١) الهلقام الضخم الطويل (٢) الجفير كأمير جعبة من جلود لا خشب فيها (٣) لعله يديرون *

النعمان، وأسرت بنو عامر معبدبن زرارة وصبر بنودارم حتي انتصف النهار ، واقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ومعبد أسير مع بني عامر فبقى معهم حتي مات(١) وفى تلك الأيام أيضا مات زرارة بن عدس*

وقيل فى استجارة الحرث ببنى تميم غير ذلك . وهو ان النعمان طلب شيئا يغيظ به الحرث بعد قتل خالد وهرب به . فقيل له : كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن وهب التميمى وهو صديق له . فبعث اليه النعمان فاخذ إبلا له فركب الحرث وأتى الحيرة متخفيا واستنقذ ماله من الرعاة ورده عليه ، وطلب شيئا يغيظ به النعمان ، فرأى ابنه غضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله ، وبلغ النعمان الخبر فبعث فى طلبه فلم يدركه فقال الحرث فى ذلك :

أخصى حمار بات يكدم نجمة * أتؤكل جاراتي وجارك سالم؟
فان تك أذوادا أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الأكارم
فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحى تحتويه الجماجم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت أبا قابوس انك مخفرى * ولما تذق ثكلا وأنفك راغم

كذا قال بعضهم . وقيل : ان المقتول كان شرحبيل بن الأسود بن المنذر . وكان الأسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن أبي حارثة المرى ترضعه زوجته . فمن هناك كان لسنان مال كثير . وكان ابنه هرم يعطى منه ، فجاء الحرث متخفيا فاستعار سرج سنان . ولا يعلم سنان ، ثم أتي امرأة سنان ، فقال: يقول بعلك: ابعثي بشرحبيل بن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزينته ودفعته اليه ، فاخذه وقتله وهرب . فغزا الأسود بني ذبيان وبني أسد بشط أربل ، فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبي واستأصل الأموال . وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود ، فبينما هو فى منزله إذ سمع صارخة تقول أنا فى جوار الحرث بن ظالم

---

(١) ولذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت منية معبد فينا هزالا

اى لانه مات من الجوع والعطش فقيل ان بنى عامر منعوه ذلك لما اراد فداءه وطلبوا فيه الف ناقة دية ملك فدفع له اقيط مائتين فرفضوا، وقيل انه امتنع هو عن الأكل والشرب فيكون قدوة للمسجونين الذين يضربون عن الطعام والشراب فى عصرنا الحاضر وما اكثرهم ولاسيما السياسيين . الادارة *

Marfat.com

وعرف حالها ، وكان الأسود قد أخذ لها صرمة من الابل ؛ فقال ها انطلق غدا الى مكان كذا وأتاه الحرث فلما وردت إبل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها وفيها ناقة تسمى اللقاع ، فقال الحرث فى ذلك *

اذا سمعت حنة اللقاع * فادعى أبا ليلى فنعم الداعى
يمشى بعضب صارم قطاع * يفرى به مجامع الصداع

ثم أقبل يطلب مجيرا فلم يجره أحد من الناس ، وقالوا : من يجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلت ولده فاتي زرارة بن عدس وضمرة بن ضمرة فاجاراه على جميع الناس ، ثم ان عمرو بن الاطنابة الخزرجى لما بلغه قتل خالد بن جعفر . وكان صديقاً له قال والله لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولوددت أنى لقيته ، وبلغ الحرث قوله وقال: والله لآتينه فى رحله ، ولا ألقاه الا ومعه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال: أبياتاً منها *

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عد والناذر النذور عليا
إنما تقتل النيام ولا تقتل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة وسأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن الاطنابة أغثني فأتاه عمرو فقال من أنت قال رجل من بنى فلان خرجت أريد بنى فلان فعرض لى قوم قريبا منك فأخذوا ما كان معى فاركب معى حتى نستنقذه فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه فلما أبعد عن منزله عطف عليه وقال أنائم أنت ام يقظان؟ فقال يقظان فقال: أنا أبو ليلى وسيفى المعلوب فالتقى ابن الاطنابة بسيفه ، وقيل : رمحه وقال : قد أعجلتنى فامهلنى حتى آخذ سيفى فقال: خذه قال : أخاف أن تعجلنى عن أخذه قال : لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه قال فوذمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث وهو يقول أبياتا منها *

بلغتنا مقالة المرء عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديا
فهممنا بقتله إذ برزنا * ووجدناه ذا سلاح كميا
غير مانائم يروّع بالفتك ولكن مقلدا مشرفيا
فمننا عليه بعد علو * بوفاء وكنت قدما وفيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد جد فى طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام واستجار بيزيد بن عمرو فاكرمه وأجاره وكان ليزيد

Marfat.com

ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوجمت زوجة الحرث واشتهت شحماً ولحما فاخذ الحرث الناقة فادخلها شعبا فذبحها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه ، وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادى فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها ، فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأة بطيب تشترى من لحمها من امرأة الحرث فادركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها فى البيت فسال الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة واذا كرهت أن تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك ؛ فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة وأحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال إنك قد أجرتني فلا تغدر بي فقال إن غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بي مرارا فقتله[1] *

﴿ أيام داحس والغبراء وهى بين عبس وذبيان ﴾

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسى سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والأخذ بثار أبيه فاتي أحيحة بن الجلاح يشترى منه درعا موصوفة ، فقال له: لا أبيعها ولولا أن تذمنى بنو عامر لوهبتها منك ولكن اشترها بابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشى ووهبه أحيحة أيضا ادراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسى فدعاه الى مساعدته على الأخذ بثاره فأجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عيبته[2] . فقال ما فى حقيبتك قال متاع عجيب لو أبصرته لراعك وأناخ راحلته ، فاخرج الدرع من الحقيبة فابصرها الربيع فاعجبته ولبسها فكانت فى طوله ، فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وترددت الرسل بينهما فى ذلك ، ولج قيس فى طلبها ولج الربيع فى منعها ، فلما طالت الأيام على ذلك سير قيس أهله الى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع . ثم ان الربيع سير إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلأ ، وأمر أهله فظعنوا وركب فرسه وسار إلى المنزل ، فبلغ الخبر قيسا فسار فى أهله وإخوته فعارض ظعائن الربيع

---

(١) وكان الذى تولى قتله ابن الحسن التغلبى بأمر يزيد لانه كان قد قتل والده الحسن واخذ سيف الحارث فأتى به عكاظا فى الاشهر الحرم واراه قيس بن زهير فضربه به قيس فقتله ورثى الحارث بن ظالم بقوله

وما قصرت من حاضر دون سرها ابر وأوفى منك حار بن ظالم

اعز واحمى عند جار وذمة واضرب فى كاب من النقع قاتم

الكاب الغم وسوء الحال. الادارة (٢) هى زبيل من أدم ومايجعل فيه الثياب ، ومن الرجل موضع سره . قاموس

واخذ زمام أمه فاطمة بنت الخرشب وزمام زوجته ، فقالت فاطمة أم الربيع ماتريد ياقيس ؟ قال أذهب بكن الى مكة فأبيعكن بها بسبب درعى قالت وهى فى ضمانى وخل عنا ففعل فلما جاءت الى ابنها قالت له فى معنى الدرع ، فحلف انه لايرد الدرع . فارسلت الى قيس أعلمته بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع ، فاستاق منها أربعمائة بعير . وسار بها الى مكة فباعها ، واشترى بها خيلا ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء [1] *

وقيل : ان داحسا كان من خيل بنى يربوع ، وان أباه كان أخذ فرسا لرجل من بنى ضبة يقال له أنيف بن جبلة ، وكان الفرس يسمى السبط وكانت أم داحس لليربوعى ، فطلب اليربوعى من الضبى أن ينزى فرسه على حجره فلم يفعل . فلما كان الليل عمد اليربوعى الى فرس الضبى . فاخذه فانزاه على فرسه . فاستيقظ الضبي فلم ير فرسه فنادى فى قومه فأجابوه وقد تعلق باليربوعى فاخبرهم الخبر ، فغضبت ضبة من ذلك ، فقال لهم لاتعجلوا دونكم نطفة فرسكم فخذوها فقال القوم قد أنصف ، فسطا عليها رجل من القوم فدس يده فى رحمها ، فاخذ مافيها فلم تزد الفرس الا لقاحا ، فنتجت مهرا فسمى داحسا بهذا السبب ؛ فكان عند اليربوعى ابنان له . وأغار قيس بن زهير على بني يربوع فنهب وسبى ، ورأى الغلامين أحدهما على داحس ، والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفى السبي أم الغلامين واختان لهما وقد وقع داحس والغبراء فى قلبه ، وكان ذلك قبل أن يقع بينه وبين الربيع ماوقع ، ثم جاء وفد بني يربوع فى فداء الأسرى والسبي فاطلق الجميع إلا أم الغلامين واختيهما ، وقال : إن أتانيْ الغلامان بالمهر والفرس الغبراء وإلا فلا ، فامتنع الغلامان من ذلك . فقال شيخ من بني يربوع كان أسيرا عند قيس أبياتا وبعث بها إلى الغلامين وهى :

ان مهرا فدا الرباب وحملا * وسعاد الخير مهر اناس
ادفعوا داحسا بهن سراعا * انها من فعالها الأكياس

---

(١) وفى ذلك يقول قيس بن زهير *

الم يأتيك والأنباء تنمى بمالاقت لبون بنى زياد
ومحبسها على القرشى تشرى بادراع واسياف حداد
وكنت اذا بليت بخصم سوء دلفت له بداهية الفؤاد

وأراد بالقرشى عبدالله بن جدعان التيمى لان المبادلة كانت معه . الادارة

دونهـــا والذى يحج له النـاس * سـبايا يبعن بالأفـراس
ان قيسـا يرى الجواد من الخيـــل حياة فى متلف الأنفـاس
يشترى الطرف بالجراجرة [1] الجـــلة يعطى عفـوا بغـير مكاس

فلما انتهت الأبيات الى بنى يربوع قادوا الفرسين الى قيس وأخذوا النساء، وقيل: ان قيسا أنزى داحسا على فرس له فجاءت بمهرة فسماها الغبراء، ثم ان قيسا أقام بمكة فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخورا، فقال لهم: نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ماشئتم، فقال له عبد الله بن جدعان: اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور و بالحرم الآمن فبم نفاخرك؟ فملّ قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لأنهم قد كانوا كرهوا مفاخرته، فقال لاخوته ارحلوا بنا من عندهم أولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم، والحقوا ببني بدر فانهم أكفاؤنا فى الحسب و بنو عمنا فى النسب وأشراف قومنا فى الكرم ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم، فلحق قيس واخوته ببنى بدر، وقال فى مسيره اليهم:

أسـير الى بنى بدر بأمر * هم فيـه علينا بالخيـار
فان قبلوا الجوار فخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار
أتينا الحرث الخير بن كعب * بنجران وأى لجا بجار
فجاورنا الذين اذا أتاهم * غريب حل فى سعة القرار
فيامن فيهم ويكون منهم * بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بنى أبينا * بلا جار فان الله جارى

ثم نزل ببنى بدر، فنزل بحذيفة فأجاره هو وأخوه حمل بن بدر، وأقام فيهم وكان معه أفراس له ولاخوته لم يكن فى العرب مثلها، وكان حذيفة يغدو و يروح الى قيس فينظر الى خيله فيحسده عليها، ويكتم ذلك فى نفسه وأقام قيس فيهم زماناً يكرمونه واخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم و بعث اليهم بهذه الأبيات:

ألا أبلغ بنى بدر رسـولا على ما كان من شنأ ووتر [2]
بأني لم أزل لكم صديقاً أدافع عن فزارة كل أمر

---

(١) جمع جرجار وهو من الابل الكثير الصوت (٢) أى من عداوة وانتقام*

Marfat.com

Marfat.com

سالم سلمكم وأرد عنكم فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبى ابن عمكم زياد صفى أبيكم بدر بن عمرو
فالجأتم أخا الغدرات قيسا فقد أفعمتم ايغار صدرى
فحسبى من حذيفة ضم قيس وكان البدء من حمل بن بدر
فاما ترجعوا أرجع اليكم وان تابوا فقد أوسعت عذرى

فلم يتعيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه ، ثم ان حذيفة كره قيساً وأراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لأصحابه انى قد عزمت على العمرة فايا كم ان تلابسوا حذيفة بشىء واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع فانى قد عرفت الشرّ فى وجهه وليس يقدر على حاجته منكم الا أن تراهنوه على الخيل وكان ذا رأى لا يخطىء فيما يريده وسار الى مكة ثم ان فتى من عبس يقال له ورد ابن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فحلا يكون أصلا لخيلك ، فقال حذيفة خيلى خير من خيل قيس ولجا فى ذلك الى ان تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشرة أذواد وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال ، فقال له أراك قد أوقعتنى فى بني بدر ووقعت معى وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقر له بضيم ، ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله أن يفك الرهن فلم يفعل فسأله جماعة فزارة وعبس فلم يجب الى ذلك. وقال ان أقرّ قيس ن السبق لى والا فلا : فقال أبو جعدة الفزارى :

آل بدر دعوا الرهان فانا قد مللنا اللجاج عند الرهان
ودعوا المرء فى فزارة جارا ان ماغاب عنكم كالعيان
ليت شعرى عن هاشم وحصين وابن عوف وحارث وسنان
حين ياتيهم لجاجك قيسا وأى صاح أتيت أم نشوان

وسال حذيفة اخوته وسادات أصحابه فى ترك الرهان ولج فيه . وقال قيس: علام تراهنى ؟ قال : على فرسيك داحس والغبراء وفرسىّ الخطار والحنفاء : وقيل: كان الرهن على فرسى داحس والغبراء، قال قيس: داحس اسرع ، وقال حذيفة : الغبراء اسرع ، وقال لقيس: اريد أن اعلمك ان بصرى بالخيل أثقب من بصرك والأول أصح ؛ فقال له قيس: نفس فى الغاية وارفع فى السبق . فقال حذيفة الغاية من أبلىّ الى ذات الاصاد وهو قدر

مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا قادوا الخيل الى الغاية ، وحشدوا ولبسوا السلاح ، وتركوا السبق على يد عقال بن مروان بن الحكم القيسى ، وأعدوا الأمناء على ارسال الخيل ؛ وأقام حذيفة رجلا من بني أسد فى الطريق وامره أن يلقى داحساً فى وادى ذات الاصاد ان مر به سابقا فيرمى به إلى أسفل الوادى ، فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية فى جميع قومهما فلما هبط داحس فى الوادى عارضه الأسدى فلطم وجهه فالقاه فى الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل، وأما راكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد ابطأ وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسى حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقى الغبراء والخطار فكانا إذا أحزنا سبق الخطار واذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما فى وعث من الأرض تقدم الخطار ، فقال حذيفة سبقتك ياقيس ، فقال: رويدك يعلون الجدد: فذهبت مثلا فلما استوت بهما الأرض قال حذيفة: خدع والله صاحبنا ، فقال قيس: ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين: فذهبت مثلا، ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له أيضا ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فاخبر الغلام قيساً بما صنع بفرسه ، فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما ، وقال : جاء فرساى متتابعتين ، ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحساً واختلفوا ؛ وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسره ذلك ؛ وقال لأصحابه : هلك والله قيس وكأني به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار أما: والله لئن فعل مالنا من ضمه من بد ، ثم ان الأسدى ندم على حبس داحس ، فجاء إلى قيس واعترف بما صنع فسبه حذيفة ، ثم ان بني بدر قصروا بقيس واخوته وآذوهم بالكلام فعاتبهم قيس فلم يزدادوا إلا بغياً عليه وبذاء له ؛ ثم ان قيسا وحذيفة تناكرا فى السبق حتي هما بالمؤاخذة فمنعهما الناس ، وظهر لهم بغى حذيفة وظلمه [1] ولج فى

---

(١) وفى ذلك يقول قيس بن زهير *

ومالاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الأصاد
هموا فخروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى

فمن هنا يستدل على ان الرهن كان مع حمل بن بدر اخى حذيفة وهذا الذى اختاره ابن عبد ربه وهو المعقول لان حذيفة باعتباره رئيس القبيلة لا يقدم على العمل رأسا وانما جعل أخاه حملا واسطة ونصره ظلما كما هى العادة . الادارة *

Marfat.com

طلب السبق فارسل ابنه ندبة الى قيس يطالبه به ، فلما أبلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى أبيه ، ونادى قيس يابنى عبس الرحيل فرحلوا كلهم ، ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قتل فصاح فى الناس وركب فيمن معه وأتي منازل بني عبس فرآها خالية ، ورأى ابنه قتيلا فنزل اليه وقبل بين عينيه ودفنوه ؛ وكان مالك بن زهير أخو قيس متزوجا فى فزارة وهو نازل فيهم فارسل اليه قيس انى قدقتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا و إلا قتلت ، فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فارسل قيس إلى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا فى ذلك ، ثم ان بنى بدر قتلوا مالك بن زهير اخا قيس ، وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بنى عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم ، وأرسل الربيع إلى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول :

أينجو بنو بدر بمقتل مالك * ويخذلنا فى النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به * من الدهر ان يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذى فعل شيخه * وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فما لى فى البلاد إقامة * وأمر بنى بدر علىّ جميع

فرجع الرجل الى الربيع فأخبره فبكى الربيع على مالك وقال :

منع الرقاد فما أغمض ساعة * جزعا من الخبر العظيم السارى
أفبعد مقتل مالك لمضيعة * يرجو النساء عواقب الأطهار
من كان محزونا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الأسحار
يضربن حرّ وجوههن على فتي * ضخم الدسيعة غير ماخوّار
قد كن يكنّ الوجوه تسترا * فاليوم حين برزن للنظار

وهى طويلة فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل اليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ولقى القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغن عنك من استعان بك وقد كان لك شر يومىّ فليكن لى خير يوميك وانما أنا بقومى وقومى بك وقد أصاب القوم مالكا ولست أهم بسوء لأني ان حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وان حاربتنى

Marfat.com

خذلنى بنو عبس إلا أن تجمعهم علىّ وأنا والقوم فى الدماء سواء قتلت ابنهم وقتلوا أخى فان نصرتنى طمعت فيهم وان خذلتنى طمعوا فىّ ، فقال الربيع ياقيس انه لا ينفعنى أن أرى لك من الفضل مالا أراه لى ولا ينفعك أن ترى لى مالا أراه لك وقد مال علىّ قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم ، ظلموك فى جوادك ، وظلمتهم فى دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم فان يبؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك وأحب الأمرين الىّ مسالمتهم ونخلو بحرب هوازن . وبعث قيس الى أهله و أصحابه فجاؤا ونزلوا مع الربيع ، وأنشدهم عنترة ابن شداد مرثيته فى مالك :

فلله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعا ببلدة وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا جلبا لمصرع مالك وكان كريما ماجداً لهجان
وكان اذا ما كان يوم كريهة فقد علموا أني وهو فتيان
وكنا لدى الهيجاء نحمى نساءنا ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا وأمكنني دهرى وطول زمانى
فاقسم حقا لو بقيت لنظرة لقرت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة ان الربيع وقيسا اتفقا فشق ذلك عليه واستعد للبلاء ، وقيل : ان بلاد عبس كانت قد أجدبت فانتجع أهلها بلاد فزارة وأخذ الربيع جوارا من حذيفة وأقام عندهم فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة لى ذمتي ثلاثة أيام ، فقال حذيفة ذلك لك فانتقل الربيع من بني فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه بئس الرأى رأيت قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع والله ليضرمنها عليك نارا فركبا فى طلب الربيع ففاتهم فعلما انه قد أضمر الشر[1] واتفق الربيع وقيس ، وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس ، وجمع

---

(١) وفى ذلك يقول الربيع بن زياد

فان تك حربكم امست عوانا فانى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة ارثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
فانى غير خاذلكم ولكن ساسعى الآن اذ بلغت مداها

والأشعار تدل على صحة هذه الرواية وان فزارة لو لم تقتل مالكا وطلبت الربيع لما خذلهم ولكان ساعدهم على عدوه قيس وان كان ابن عمه . الادارة *

Marfat.com

الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب . فاغارت فزارة على بني عبس فاصابوا نعما ورجالا ، فحميت عبس واجتمعت للغارة فنذرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له العذق وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن يزيد قتله جندب بن خلف العبسى وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا وأسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر . وكان حرّ بن الحرث العبسى قد نذر ان قدر على حذيفة أن يضر به بالسيف وله سيف قاطع يسمى الأصرم فاراد ضربه بالسيف لما أسر وفاء بنذره ، فارسل الربيع الى امرأته فغيبت سيفه ونهوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فابي الا ضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيئا وبقى حذيفة أسيرا فاجتمعت غطفان وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على ان يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ، ويعقلوا عوف ابن بدر ، ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حرّ مائتين من الابل وأن يجعلوها عشارا كلها وأربعة اعبد ، واهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة فى الوقعة وأطلق من الاسر ، فلما رجع الى قومه ندم على ذلك ، وساءت مقالته فى بني عبس وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد ، فمضيا الى حذيفة وتحدثا معه ، فاجابهما الى الاتفاق ، وان يرد عليهما الابل التي أخذ منهما ، وكانت توالدت عنده فبينما هم فى ذلك اذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المرى ، فقبح رأى حذيفة فى الصلح ، وقال ان كنت لابد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا مكان إبلهم واحبس أولادها فوافق ذلك رأى حذيفة ، فأبي قيس وعمارة ذلك وقيل : إن الابل التى طلبوها منه هى ابل كان قد أخذها سبقا من قيس ، وقيل أيضا : ان مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة. قال حميد بن بدر فى ذلك :

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * ومن يبتدع شيئا سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب فتيسروا لها ثم ان الأنصار بلغهم ماعزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الأطنابة ، ومالك بن عجلان ، وأحيحة ابن الجلاح ، وقيس بن الخطيم وغيرهم ، وساروا ليصلحوا بينهم ، فوصلوا اليهم وترددوا فى الاتفاق . فلم يجب حذيفة إلى ذلك وظهر لهم بغيه ، فحذروه عاقبته ، وعادوا عنه ، وأغار حذيفة على عبس ، وأغارت عبس على فزارة وتفاقم الشر ، وأرسل حذيفة أخاه حملا فأغار وأسر ريان بن الاسلع بن سفيان وشده وثاقا ، وحمله الى حذيفة فاطلقه لير هنه ابنيه وجيرا ابن أخيه عمرو بن الاسلع ففعل ريان ذلك ، ثم سار قيس الى فزارة فلقى منهم

Marfat.com

جمعا فيهم مالك بن بدر ، فقتله قيس وانهزم فزارة ، فاخذ حينئذ حذيفة ولدى ريان فقتلهما وهما يستغيثان ياأبتاه حتى ماتا ، وأما ابن أخيه فمنعه أخواله *

ولما قتل مالك والغلامان ، اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها فى فزارة ومن معها ، ففى بعض الأيام التقوا واقتتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار ، وأبصر ريان بن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذبيان ، وادرك الحرث بن بدر فقتل ، ورجعت عبس سالمة لم يصب منها أحد فلما قتل زيد والحرث ، جمع حذيفة جميع بني ذبيان . و بعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم ، فبلغ ذلك بنى عبس فضموا أطرافهم ،وأشار قيس بن زهير بالسبق إلى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة فى جموعه إلى عبس ، ومشى السفراء بينهم ، فحلف حذيفة انه لا يصلح حتى يشرب من ماء العقيقة فارسل اليه قيس منه فى سقاء ، وقال لاأترك حذيفة يخدعنى واصطلحوا على أن تعطى بنو عبس حذيفة ديات من قتل له ، ووضعوا الرهائن عنده إلى أن يجمعوا الديات وهى عشر : و كانت الرهائن ابنا لقيس بن زهير وابنا للربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى ، فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضر هو وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكرى . وقال ادفعا الينا الغلامين لنكسوهما ونسرحهما الى أهلهما ، فاما قطبة فدفع اليهما الغلام الذى عنده وهو ابن قيس ، وأما البكرى فامتنع من تسليم من عنده فلما أخذا ابن قيس عادا فلقيا فى الطريق ابنا لعمارة بن زياد العبسى وابن عم له فاخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس *

فلما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ، ثم خرج قيس فى جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم ، فجمع حذيفة وسار الى عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة ، وجد حذيفة فى الحرب و كرهها أخوه حمل وندم على ما كان ، وقال لأخيه فى الصلح فلم يجب الى ذلك ، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس ، فاجتمعت عبس وتشاوروا فى امرهم ، فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، وليس لبنى بدر إلا دماؤكم والزيادة عليكم ، وأما من سواهم فلا يريدون غير الأموال والغنيمة والرأى أننا نترك الأموال بمكانها ونترك معها فارسين على داحس وعلى فرس آخر جواد ، ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال ،

Marfat.com

فاذا جاء القوم الى الأموال سار الينا الفارسان ، فأعلمانا وصولهم ، فان القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الأموال ، وان نهاهم ذووا الرأى عن ذلك ، فان العامة تخالفهم وتنتقض تعبيتهم . ويشتغل كل إنسان بحفظ ما غنم . ويعلقون أسلحتهم على ظهور الابل ويأمنون ، فنعود نحن اليهم عند وصول الفارسين فندركهم : وهم على حال تفرق وتشتت فلا يكون لأحدهم همة إلا نفسه ، ففعلوا ذلك . وجاء حذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه ، وكانوا على الحال التي وصف قيس وعادت بنو عبس ، وقد تفرقت أسد وغيرهم ، وبقى بنو فزارة فى آخر الناس ، فحملوا عليهم من جوانبهم ، فقتل مالك بن سبيع التغلبى سيد غطفان . وانهزمت فزارة وحذيفة معهم ، وانفرد فى خمسة فوارس وجدّ فى الهرب ، وبلغ خبره بني عبس فتبعه قيس بن زهير والربيع بن زياد وقرواش بن عمرو بن الأسلع وريان بن الأسلع الذى قتل حذيفة ابنيه وتبعوا أثرهم فى الليل ، وقال قيس : كأنى بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه فساروا ليلتهم كلها حتي أدركوهم مع طلوع الشمس فى جفر الهباءة فى الماء وقد أرسلوا خيولهم فاخذوا بجمعها فحال قيس واصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة فى الجفر اخوه حمل بن بدر وابنه حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما [1] وهم ينادون لبيكم لبيكم يعنى أنهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون يا أبتاه فقال لهم قيس يا بني بدر كيف رأيتم عاقبة البغى فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم ودار قرواش ابن عمرو حتي وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه ، وكان قرواش قد رباه حذيفة حتي كبر عنده فى بيته ، وقتلوا حملا أخاه وقطعوا رأسيهما [2] واستبقوا حصن

---

(١) وكان أول من وصل الهباءة من عبس شداد بن معاوية العبسى ابو عنترة وهو فارس جروة فرسه التى يخاطبها بقوله

ومن يك سائلا عنى فانى وجروة كالشجا تحت الوريد
اقوتها بقوتى ان شتونا والحقها ردائى فى الجليد

وهو الذى حال بين القوم وبين خيولهم كما ذكره ابن عبدر به وغيره ، والمصنف اثبت هذا الفعل لقيس واصحابه باعتباره سبب الحرب كما علمت . الادارة (٢) بل مثلوا بحذيفة حيث قطعوا مذاكيره وجعلوها فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ولذلك يقول القائل

فان قتيلا بالهباءة فى استه صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهد كم عن ضلالكم وتعرف اذما فض منها الخواتم

Marfat.com

Marfat.com

ابن حذيفة لصباه ،و كان عدد من قتل فى هذه الوقعة من فزارة واسد وغطفان مايزيد على أربعمائة قتيل. وقتل من عبس مايزيد على عشرين قتيلا. و كانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار، وقال قيس بن زهير :

أقام على الهبـاءة خير ميت وأكرمه حذيفة لايريم
لقـد فجعت به قيس جميعاً موالى القوم والقوم الصميم
وعم به لمقتـله بعيـد وخص به لمقتـله حميم

وهى طويلة، وقال أيضا:

ألم تر أن خير الناس أمسى على جفر الهباءة لايريم
فلولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم
ولـكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم

وأكثروا القول فى يوم الهباءة * ثم ان عبسا ندمت على ما فعلت يوم الهباءة، لام بعضهم بعضا فاجتمعت فزارة الى سنان بن أبي حارثة المرى، وشكوا اليه مانزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثار بني بدر وفزارة وبث رسله ، فاجتمع من العرب خلق كثير لايحصون ونهى أصحابه عن التعرض الى الأموال والغنيمة وأمرهم بالصبر وساروا الى بني عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس: الرأى اننا لانلقاهم فاننا قدوترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل [1] وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمـال فهم لايتعرضون اليه الآن، والذى ينبغى أن نفعله اننا نرسل الظعائن والأموال الى بني عامر ، فان الدم لنا قبلهم فهم لايتعرضون لـكم ويبقى أولو القوة والجـلد على ظهور الخيل ونما طلهم القتال فان أبوا إلا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم ، فان ظفرنا فهو الذى نريد . وان كانت الأخرى كنا قد احترزنا ولحقنا باموالنا ونحن على حامية ، ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا *

فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الأول ، وظهرت فى هذه الأيام شجاعة عنترة بن شداد ، فلما رأى الناس شدة القتال و كثرة القتلى لامواسنان بن ابي

(١) الذحول جمع ذحل هو الثأر ، والطوائل واحدتها طائلة وهو الوتر : يقال فلان يطلب بنى فلان بطائلة أى بوتر كأن له فيهم ثأراً فهو يطلبه بدم قتيله اه لسان

حارثة على منعه حذيفة عن الصلح ، وتطيروا منه ، وآشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل ، وأراد مراجعة الحرب فى اليوم الثالث فلما رأى فتور أصحابه وركونهم الى السلم رحل عائدا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بنى شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لأخذ أموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليحالفوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث الكندى فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين وسار معاوية مجدا فى أثرهم فتاه بهم الدليل على عمد لئلا يدركوا عبسا الا وهم قد لحقهم ودوابهم النصب فأدركوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية وأهل هجر وتبعتهم عبس ، فأخذت من أموالهم وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين فنزلوا بماء يقال له عر عر عليه حيّ من كلب فركبوا ليقاتلوا بني عبس ، فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز اليه واسمه مسعود بن مصاد فاقتتلا حتي سقطا الى الأرض وأراد مسعود قتل الربيع فانحسرت البيضة عن رقبته فرماه رجل من بنى عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم ، فساروا الى اليمامة فحالفوا أهلها من بني حنيفة وأقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا جوارهم وضيقوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم ، ووترهم العرب فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم ففعلوا وجاوروهم *

فلما انقضى الامر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبس وأرادوا اقتطاعهم ، فحاربتهم عبس فظفرت وغنمت من أموال ضبة ، وسارت الى بني عامر وحالفوا الأحوص بن جعفر بن كلاب فسر بهم ليقوى بهم على حرب بنى تميم لانه كان بلغه أن لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والأخذ بثار أخيه معبد ، فاقامت عبس عند بني عامر فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جبلة وسنذكره ان شاء الله *

ثم ان ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فهزمت عامر ، وأسر قرواش بن هنى العبسى ولم يعرف . فلما قدموا به الحيّ عرفته امرأة منهم فلما عرفوه سلموه الى حصن بن حذيفة فقتله ، ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب ، فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب ، وقلت الرجال والأموال وهلكت المواشى ، فقال لهم

Marfat.com

Marfat.com

قيس : ماترون قالوا: نرجع الى اخواننا من ذبيان فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم ، فساروا حتي قدموا على الحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى،وقيل على هرم بن سنان ابن أبي حارثة ليلا و كان عند حصن بن حذيفة بن بدر فلما عاد ورآهم رحب بهم ، وقال من القوم ؟ قالوا إخوانك بنوعبس وذكروا حاجتهم فقال:نعم و كرامة أعلم حصن ابن حذيفة فعاد اليه ، وقال طرقت فى حاجة قال أعطيتها قال بنو عبس وجدت وفودهم فى منزلى قال حصن صالحوا قومكم أما أنا فلا أدى ولا أتدى قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس . فعاد الى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم اليه فلما رآهم قال قيس والربيع بن زياد: نحن ركبان الموت قال:بل ركبان السلم ان تكونوا اختللتم إلى قومكم ، فقد اختل قومكم اليكم ، ثم خرج معهم حتي أتوا سنانا ،فقال له قم بامرعشيرتك وأصلح بينهم فاني سأعينك ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس *

وقيل:ان قيس بن زهير لم يسر مع عبس الى ذبيان وقال لاتراني غطفانية أبدا وقد قتلت أخاها أو زوجها أوولدها أو ابن عمها ، ولكنى سأتوب الى ربي فتنصر وساح فى الأرض حتى انتهى إلى عمان ، فترهب بها زمانا ، فلقيه حوج بن مالك العبدى فعرفه فقتله ، وقال لارحمنى الله ان رحمتك ، وقيل : ان قيساً تزوج فى النمير بن قاسط لما عادت عبس إلى ذبيان وولد له ولد اسمه فضالة ، فقدم على النبي ﷺ وعقد له على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم * انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله *

﴿ يوم شعب جبلة ﴾

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بنى عامر بن صعصعة للأخذ بثار أخيه معبد ابن زرارة وقد ذكرنا موته عندهم أسيرا فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بنى عبس وبني عامر . فلم يطمع فى القوم وأرسل الى كل من كان بينه و بين عبس ذحل يسأله الحلف والتظافر على غزو عبس وعامر ،فاجتمعت اليه أسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية بن الجون ، واستوثقوا واستكثروا وساروا ، فعقد معاوية بن الجون الألوية ، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون ، وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن زرارة ؛ وعقد للرباب مع حسان بن همام ،وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو بن عدس ، وعقد لحنظلة باسرها مع لقيط بن زرارة ، و كان مع لقيط ابنته دختنوس و كان يغزو بها معه ويرجع الى رأيها وساروا فى جمع عظيم لايشكون فى قتل عبس وعامر وادراك ثارهم ،

فلق لقيط فى طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدى وكان شريفا، فقال مامنعك أن تسير معنا فى غزاتنا ، قال: أنا مشغول فى طلب إبل لى قال: لا بل تريد أن تنذر بنا القوم ولا أتركك حتي تحلف انك لاتخبرهم فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ، فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فاخذها معاوية بن قشير فاتي بها الأحوص ابن جعفر وأخبره أن رجلا ألقاها وهم يسقون فقال الأحوص لقيس بن زهير العبسى ماترى فى هذا الأمر ؟ قال : هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد على أن لايكلمكم فاخبركم ان أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة: وأما الحنظلة فهى رؤساء القوم ، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم وأما الخرقة الحمرا فهى حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار فهى عشر ليال يأتيكم القوم اليها قد أنذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الأحرار الكرام *

قال الأحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة إلا رأيت المخرج منها قال فاذ قد رجعتم الى رأيي فأدخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظمؤها هذه الأيام ولا توردوها الماء ، فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الابل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا ، فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم فى آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما أشار به وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطا ، فقال له أنذرت القوم فأعاد الحلف له انه لم يكلم أحدا منهم فخلى عنه ؛ فقالت دختنوس ابنة لقيط لأبيها: ردنى إلى أهلى ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة فاستحمقها وساءه كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعساكر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم إلا الماء فقصدوه ، فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الابل ففعلوا ذلك فخرجت الابل مذاعير عطاشا وهم فى أعراضها وأدبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا فى الشعب وأبرزتهم الى الصحراء على غير تعبية وشغلوا عن الاجتماع الى ألويتهم ، وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى فى تميم وكان أول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجون وأسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط ، وأسر حاجب بن زرارة ، وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه . فاجتمع اليه نفر يسير فتحرز برايته فوق جرف ، ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح

Marfat.com

انا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه ، وحمل عليه عنترة فطعنه طعنة قصم بها صلبه ، وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطاً فى دمه، فذكر ابنته دختنوس فقال *

ياليت شعرى عنك دختنوس * اذا أتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس * لابل تميس انها عروس

ثم مات وتمت الهزيمة على تميم وغطفان، ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمر بن عمرو بمائتين من الابل وعاد من سلم الى أهله ، وقالت دختنوس ترثى أباها قصائد منها

عثرا الأغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها فى المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا رجعت الى أنسابها
فرعى عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها ويذب عن أحسابها
ويطأ مواطن للعد ووكان لايمشى بها
فعل المدل من الأسو د لحينها وتبابها
كالكوكب الدرىّ فى سيماء لايخفى بها
عبث الأغر به وكل منية لكتابها
فرت بنو أسد فرا * رالطير عن اربابها
وهوازن أصحابهم * كالفأر فى أذنابها

وذكر محمد بن اسحاق فى يوم جبلة غير ماذكرنا قال : كان سببه ان بني خندف كان لهم على قيس أكل تأكله القعدد من خندف ، فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم ، ثم من تميم الى بني عمرو بن تميم وهم أقل بطنا منهم وأذله ، فأبت قيس ان تعطى الأكل وامتنعت منه ، فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا الى قيس ، فذكر القصة نحو ماتقدم ، وخالف فى البعض فلا حاجة الى ذكره ، وفى هذا اليوم ولد عامر بن الطفيل العامرى *

Marfat.com

وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة ابن عدس وابناه حاجب ولقيط والأقرع بن حابس وغيرهم مجوساً وان لقيطا تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسى وانه قتل وهى تحته فقال فى ذلك :

* ياليت شعرى عنك دختنوس * الأبيات والاول أصح والله أعلم *

﴿ يوم ذات نُكيف ﴾

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصى حين أخرجهم من مكة مع من أخرج من خزاعة حين قسمها رباعا وخططا بين قريش، فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وأن يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه، وعدت بنو بكر على نعم لبنى الهون بن خزيمة فاطردوها، ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت، وعقد عبد المطلب للحلف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة، فلقوا بنى بكر ومن انضم اليهم، وعلى الناس عبد المطلب فاقتتلوا بذات نُكيف فانهزم بنو بكر وقتلوا قتلا ذريعاً فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شعلة الفهرى :

فلله عينا من رأى من عصابة * غوت غى بكر يوم ذات نُكيف

اناخوا الى أبنائنا ونسائنا * فكانوا الناضيفا بشر مضيف

فقتل يومئذ عبد بن السفاح القارى من القارة قتادة بن قيس أخا بلعاء بن قيس، واسم بلعاء مساحق، ويومئذ قيل: قد أنصف القارة من راماها، والقارة من ولد الهون بن خزيمة وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم :

دعونا قارة لاتنفرونا * فنجفل مثل أجفال الظليم

وقيل بهذا البيت سموا قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق *

﴿ ذكر الفجار الأول والثانى ﴾

أما الفجار الأول فلم يكن فيه كثير أمر ليذكر، وانما ذكرناه لئلا يرى ذكر الفجار الثاني وما كان فيه من الأمور العظيمة فيظن ان الأول مثله، وقد أهملناه فلهذا ذكرناه، قال ابن اسحق : كان الفجار الأول بين قريش ومن معهامن كنانة كلها وبين قيس عيلان * وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فأعدم الكناني فوافى النصرى سوق عكاظ بقرد، وقال : من يبيعني مثل هذا بما لى على

فلان الكنانى ؟ فعل ذلك تعييرا للكنانى وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله أنفة بما قال النصرى ، فصرخ النصرى فى قيس وصرخ الكناني فى كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ، ثم اصطلحوا *

وقيل : كان سببه ان فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر وهى وضيئة عليها برقع ، فقالوا لها اسفرى لننظر الى وجهك فلم تفعل ؛ فقام غلام منهم ، فشق[1] ذيل درعها الى ظهرها ولم تشعر ، فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا ، وقالوا منعتينا النظر الى وجهك فقد نظرنا إلى دبرك ، فصاحت المرأة يابنى عامر فضحت ، فأتاها الناس واشتجروا حتى كاد يكون قتال ، ثم رأوا أن الأمر يسير فاصطلحوا *

وقيل : بل قعد رجل من بني غفار يقال له أبو معشر بن مكرز ، وكان غازيا منيعا فى نفسه ، وكان بسوق عكاظ فمد رجله ثم قال :

نحن بنو مدركة بن خِندف * من يطعنوا فى عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف[2] * كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف ، فقام رجل من قيس يقال له أحمر بن مازن ، فضربها بالسيف فخدشها خدشاً غير كثير فاختصم الناس ، ثم اصطلحوا ﴿بنو نصر﴾ بالنون *

وأما الفجار الثاني وكان بعد الفيل بعشرين سنة وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة ، ولم يكن فى أيام العرب أشهر منه ولا أعظم ، وانما سمى الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم ، وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من أيام العرب والفجار أعظم منه ، وكان سببه ان البرّاض بن قيس بن رافع الكناني ثم الضمرى ؛ وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره ، وكان يضرب المثل بفتكه ، فيقال : أفتك من البرّاض قال بعضهم :

والفتى من تعرفته الليالى * فهو فيها كالحية النضناض
كل يوم له بصرف الليالى * فتكة مثل فتكة البرّاض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر ، وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة للتجارة الى عكاظ تباع له هناك ، وكان عكاظ وذو المجاز ومجنة أسواقا تجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتي تنقضى أيامها ، وكانت مجنة بالظهران ،

---

(١) لا معنى للشق والصحيح فشك ذيل درعها أى جمعه الى ما فوقه بشوكة (٢) أى يسود

Marfat.com

Marfat.com

وكانت عكاظ بين نخلة والطائف. وكان ذو المجاز بالجانب الأيسر اذا وقفت على الموقف، فقال النعمان وعنده البرّاض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال — وانما قيل له ذلك لكثرة رحلته الى الملوك —: من يجير لى لطيمتى هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البرّاض أبيت اللعن أنا أجيزها على كنانة. فقال النعمان انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس، فقال عروة أ كلب خليع يجيزها لك — أبيت اللعن — أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل تهامة وأهل نجد، فقال البراض - وغضب - وعلى كنانة تجيزها ياعروة قال عروة وعلى الناس كلهم، فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال، وأمره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتي اذا كان عروة بين ظهرى قومه بواد يقال له تيمن بنواحى فدك أدركه البرّاض بن قيس، فاخرج قداحه يستقسم بها فى قتل عروة فمر به عروة فقال ماتصنع يابراض؟ فقال استقسم فى قتلك أيؤذن لى أملا؟ فقال عروة استك أضيق من ذلك فوثب اليه البرّاض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلا انهزموا فاستاق البرّاض العير وسار على وجهه الى خيبر وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه، أحدهما غنوى، والآخر غطفاني، اسم الغنوى أسد بن جوين. واسم الغطفانى مساور بن مالك، فلقيهما البرّاض بخيبر أول الناس، فقال لهما من الرجلان؟، قالا من قيس قدمنا لنقتل البرّاض، فانز لهما وعقل راحلتيهما، ثم قال أيكما أجرأ عليه وأجود سيفا؟، قال الغطفاني أنا فأخذه ومشى معه ليدله بزعمه على البرّاض، فقال للغنوى احفظ راحلتيكما ففعل، وانطلق البرّاض بالغطفاني حتي أخرجه الى خربة فى جانب خيبر خارجاً من البيوت، فقال للغطفاني هو فى هذه الخربة اليها ياوى فامهلني حتى انظر أهو فيها فوقف ودخل البرّاض، ثم خرج؛ فقال هو فيها وهو نائم، فأرنى سيفك حتي أنظر اليه أضارب هو أم لا فاعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم أخفى السيف وعاد الى الغنوى فقال له لم أر رجلا أجبن من صاحبك تركته فى البيت الذى فيه البرّاض وهو نائم فلم يقدم عليه، فقال انظر لى من يحفظ الراحلتين حتى أمضى اليه فاقتله، فقال: دعهما وهما علىّ ثم انطلقا الى الخربة فقتله وسار بالعير الى مكة فلقى رجلا من بني أسد بن خزيمة فقال له البرّاض: هل لك الى أن اجعل لك جعلا على ان تنطلق الى حرب بن أمية وقومى فانهم قومى وقومك، لان أسد بن خزيمة من خندف أيضا فتخبرهم أن البرّاض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا، وجعل له

عشرا من الابل فخرج الأسدى حتي أتى عكاظ و بها جماعة الناس ، فاتي حربَ بن امية فاخبره الخبر ، فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمى والى هشام بن المغيرة المخزومى وهو والد أبى جهل وهما من أشراف قريش وذوى السنّ منهم ، والى كل قبيلة من قريش أحضر منها رجلا ، والى الحليس بن يزيد الحرثي وهو سيد الاحابيش فاخبرهم أيضا فتشاوروا ، وقالوا نخشى من قيس أن يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعاً من بنى ضمرة ، فاتفق رأيهم على أن يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنة وهو يومئذ سيدقيس وشريفها ، فيقولوا له : انه قد كان حدث بين نجد و تامة وانه لم يأتنا علمه فأجز بين الناس حتي تعلم و تعلم فأتوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس وأعلم قومه ماقيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا : يا أهل عكاظ انه قد حدث فى قومنا بمكة حدث أتانا خبره ونخشى إن تخلفنا عنهم تفاقم الشر فلا يروعنكم تحملنا ، ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة ، فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الأسنة الخبر فقال غدرت قريش وخدعني حرب بن أمية والله لا تنزل كنانة عكاظ أبدا ثم ركبوا فى طلبهم حتي أدركوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت[1] قيس فكادت قريش تنهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتي دخلوا الحرم مع الليل ، وكان رسول الله ﷺ معهم وعمره عشرون سنة ، وقال الزهرى : لم يكن معهم ولو كان معهم لم ينهزموا ، وهذه العلة ليست بشيء لانه قد كان بعد الوحى والرسالة ينهزم أصحابه و يقتلون ، واذا كان فى جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد *

ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس ، وقالوا لهم : يا معشر قريش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ فى العام المقبل وانصرفت الى بلادها يحرض بعضها بعضا و يبكون عروة الرحال *

ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها * وجمعت قريش جموعها منهم كنانة جميعها والأحابيش و أسد بن خزيمة ، وفرقت قريش السلاح فى الناس ، فاعطى عبد الله ابن جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله ، وخرجت قريش للموعد على كل بطن منها رئيس ، فكان على بنى هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ وإخوته ، أبو طالب ، وحمزة . والعباس بنو عبد المطلب ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى

(١) كذا الأصل بالشين المعجمة والصواب فاستعلت قيس بالسين المهملة من الاستعلاء

Marfat.com

Marfat.com

بنى عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. وعلى بني اسد بن عبد العزى خويلد بن أسد، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة أبو أبي جهل. وعلى بني تيم عبد الله ابن جدعان، وعلى بني جمح معمر بن خبيب بن وهب، وعلى بنى سهم العاص بن وائل، وعلى بني عدى زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد، وعلى بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس والد سهيل بن عمرو، وعلى بنى فهر عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة؛ وعلى الاحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف هما قائداهم. والأحابيش بنو الحرث بن عبدمناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بنى الهون بن خزيمة والمصطلق بن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بني الحرث، والتحبش التجمع، وعلى بنى بكر بلعاء بن قيس، وعلى بنى فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان، وعلى بنى أسد بن خزيمة بشر بن أبى حازم. وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبدمناف سنا ومنزلة*

وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش، فعلى بنى عامر ملاعب الأسنة أبو براء، وعلى بنى نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع بن معاوية. وعلى بنى جشم الصمة والد دريد، وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المرى، وعلى بنى سليم عباس بن زعل بن هنى بن أنس وعلى فهم وعدوان ِلدام بن عمرو *

وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس. وكان مع حرب بن أمية اخوته سفيان. وأبو سفيان. والعاص. وأبو العاص. بنو أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما وقالوا: لن يبرح رجل منا من مكانه حتي نموت أو نظفر فيومئذ سموا العنابس والعنبس الأسد، واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر أول النهار لقيس وانهزم كثير من بني كنانة وقريش، فانهزم بنو زهرة وبنو عدى. وقتل معمر بن خبيب الجمحى، وانهزمت طائفة من بنى فراس، وثبت حرب بن أمية وبنو عبد مناف وسائر قبائل قريش، ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى أن انتصف النهار، ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فاكثروا وحمى القتال واشتد الأمر فقتل يومئذ تحت راية بني الحرث بن عبدمناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس وقتل من أشرافهم عباس بن زعل السلمى وغيره * فلما رأى أبو السيد عم مالك بن عوف النصرى ماتصنع كنانة من القتل نادى يامعشر بنى كنانة اسرفتم فى القتل فقال ابن جدعان: انا معشر يسرف، ولما رأى سبيع بن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه

Marfat.com

واضطجع وقال يامعشر بنى نصر :قاتلوا عنى اوذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد ابن بكر وفهم وعدوان وانهزم باقى قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فاىّ الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر ، فتعادّوا القتلى فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلا فرهن حرب بن أمية يومئذ ابنه أبا سفيان فى ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ماينهم من العداوة والشر وتعاهدوا على أن لايؤ ذى بعضهم بعضا فيما كان من أمر البرّاض وعروة*

﴿ يوم ذى نجب ﴾

وكان من حديث يوم ذى نجب ان بني عامر لما أصابوا من تميم ماأصابوا يوم جبلة رجوا أن يستأصلوهم ، فكاتبوا حسان بن كبشة الكندى ، وكان ملكا من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه إلى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم ، فاخبروه انهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فاقبل معهم بصنائعه ومن كان معه ، فلما أتى بنى حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو : يابني مالك انه لاطاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا فى أعالى الوادى مما يلى مجىء القوم ،وكانت بنو يربوع باسفله فتحولت بنو مالك حتي نزلت خلف بنى يربوع وصارت بنو يربوع تلى الملك فلما رأوا ماصنع بنو مالك استعدوا وتقدموا إلى طريق الملك فلما كان وجه الصبح ، وصل ابن كبشة فيمن معه ، وقد استعد القوم فاقتتلوا ، فلما رآهم بنو مالك وصبرهم فى القتال ساروا اليهم وشهدوا معهم القتال ، فاقتتلوا مليا فضرب جشيش بن نمران الرياحى ابن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات ، وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهزم طفيل ابن مالك على فرسه قُرزل ، وقتل عمرو بن الأحوص بن جعفر وكان رئيس عامر ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة ،قال جرير فى الاسلام يذكر اليوم بنى نجب:

بذى نجب ذدنا ووا كل مالك * أخا لم يكن عند الطعان بوا كل

وكان يوم ذى نجب بعد يوم جبلة بسنة .وبقى الأحوص بعد ابنه عمرو يسيرا وهلك أسفا عليه*

Marfat.com

﴿ يوم نعف قشاوة ﴾

وهو يوم لشيبان على تميم،قال أبو عبيدة:أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهو بنعف قشاوة فاتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر، فوافق النعم حين سرح فاخذه كله ، ثم كر راجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث ابن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ، ولحقهم مالك بن حطان اليربوعى فقتله ، وأتاهم أيضا بجير بن أبي مُليل فقتله بسطام ، وقتلوا من يربوع جمعاً وأسروا آخرين،منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا غانمين ، فقال بعض الأسرى لبسطام أيسرك ان أباملیل مكاني ؟ قال نعم قال فان دللتك عليه أتطلقنى الآن ؟ قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحبّ خلق الله اليه وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذه أسيرا، فعاد بسطام فرآه كما قال فاخذه أسيرا وأطلق اليربوعى فقال له أبو مليل:قتلت بجيرا وأسرتنى وابني مليلا والله لا أطعم الطعام أبدا وأنا موثق فخشى بسطام أن يموت . فأطلقه بغير فداء على أن يفادى مليلا وعلى أن لايتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبدا وعاهده على ذلك فأطلقه وجز ناصيته فرجع الى قومه وأراد الغدر ببسطام والنكث به فأرسل بعض بنى يربوع الى بسطام يخبره فحذره ،وقال متمم بن نويرة :

أبلغ شهاب بني بكر وسيدها عنى بذاك أبا الصهباء بسطاما
أروى الأسنة من قومى فانهلها فاصبحوا فى بقيع الأرض نواما
لايطبقون اذا هب النيام ولا فى مرقد يحلمون الدهر أحلاما
أشجى تميم بن مرّ لامكايدة حتي استعادوا له اسرى وأنعاما
هلا أسير افدتك النفس تطعمه مما أرادو قِد ما كنت مطعاما

وهى أبيات عدة *

﴿ يوم الغبيط ﴾

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بني شيبان وتميم أسر فيه بسطام بن قيس الشيبانى ، وسبب ذلك ان بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك ومفروق بن عمرو ساروا فى جمع من بنى شيبان الى بلاد تميم ، فاغاروا على ثعلبة بن يربوع،وثعلبة بن سعد بن ضبة،وثعلبة بن عدى بن فزارة،وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت الثعالبة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على

بنى مالك بن حنظلة من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم فركبت اليهم بنو مالك يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعى وفرسان بنى يربوع وساروا فى أثر بنى شيبان ومعه من رؤساء تميم الأحيمر بن عبدالله وأسيد بن جباة وحر بن سعد ومالك بن نويرة فادركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ، ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ما كانوا غنموه من أموالهم ، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حصية . وألح عتيبة بن الحرث على بسطام بن قيس فادركه ،فقال: له استأسر أبا الصهباء فانا خير لك من الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس ، فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان أبامرحب قد قتل وقدأسرت بسطاماوهو قاتل مُليل وبجير ابنى أبي مليل ومالك بن حطان وغيرهم فاقتله قال انى معيل وأنا أحب اللبن قالوا : انك تفاديه فيعود فيحربنا مالنا فابي عليهم وسار الى بنى عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامرا لأن عمته خولة بنت شهاب كانت ناكحا فيهم ، فقال مالك بن نويرة فى ذلك :

لله عتاب بن ميـــة اذ رأى الى ثارنا فى كفـه يتـــلدد
أتحي امرءاً أردى بجيراومالكا وأتوى حريثابعدما كان يقصد
ونحن ثأرنا قبل ذاك ابن أمه غداة الكلابيين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بنى عامر صاح بسطام واشيباناه ولا شيبان لى اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتي فافعل فانى سأمنعك وان لم تستطع فاقذف نفسك فى الركا فاتي عتيبة تابعه من الجن فاخبره بذلك فامر ببيته فقوض فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتي مجلس بني جعفر وفيه عامر بن الطفيل الغنوى فحياهم، وقال: ياعامر قد بلغني الذى أرسلت به الى بسطام فانا مخيرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر: وماهى قال: ان شئت فاعطنى خلعتك وخلعة أهل بيتك حتي أطلقه لك فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشرّ من خلعته وخلعة أهل بيته فقال عامر: هذا لاسبيل اليه قال عتيبة : ضع رجلك مكان رجله فليست عندى بشر منه ، فقال: ما كنت لافعل قال عتيبة: تتبعني إذا جاوزت هذه الرابية فتقارعنى عنه على الموت فقال عامر هذه أبغضهن الىّ فانصرف به عتيبة الى بنى عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أم عتيبة رثا فقال ياعتيبة: هذا رحل أمك قال :نعم قال: مارأيت رحل أم سيد قط مثل هذا ، فقال عتيبة : واللات والعزى لا أطلقك حتي تاتيني أمك بهودجها وكان كبيرا ذا ثمن كثير ، وهذا الذي أراد بسطام لبرغب

Marfat.com

فيه فلا يقتله فارسل بسطام فاحضر هودج امه ،وفادى نفسه بار بعمائة بعير ،وقيل:بالف بعير وثلاثين فرساوهودج أمه وحَدجها[1]، وخلص من الأسر فلماخلص من الأسر أذكى العيون على عتيبة وابله فعادت اليه عيونه.فاخبروه انهاعلى أراب،فاغارعليهاوأخذ الابل كلها ومالهم معها*

*﴿عتيبة﴾ بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفى آخرها باء موحدة *

﴿ يوم لشيبان على بنى تميم ﴾

قال أبو عبيدة:خرج الأقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الأقرعان فى بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البروك أبو جعل ، فلقيهم بسطام بن قيس الشيبانى وعمران بن مرة فى بنى بكر بن وائل بزُبالة[2] فاقتتلوا قتالا شديدا ظفرت فيه بكر وانهزمت تميم، وأسر الأقرعان وأبو جعل وناس كثير، وافتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فاطلقهما فبعدا ولم يرسلا شيئا وكان فى الأسرى انسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس فى الليل يقول :

فدى لوالدة علىّ شفيقة ... فكأنها حرض على الأسقام
لو أنها علمت فيسكن جأشها ... أني سقطت على الفتي المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه ... سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنعم ... سمح اليدين معاود الأقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له:وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك وأطلقه،وقال ابن رميض العنزى :

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة ... حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
جيش الهذيل وجيش الأقرعين معا ... وكبة الخيل والأزواد فى عام
مسوم خيله تعد ومقانبه ... على الذوائب من أولاد همام

وقال أوس بن حَجر :

وصبحنا عار طويل بناؤه ... نسب به مالاح فى الأفق كوكب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا ... ووجها ترى فيه الكآبة تجنب
أصابوا البروك وابن حابس عنوة ... فظل لهم بالقاع يوم عصبصب[3]

---

(١) بكسر اوله الحمل ومركب من مراكب النساء اهالصحاح (٢) منزل بطريق مكة من الكوفة (٣) الشديد الشر *

Marfat.com

وان أبا الصهباء فى حومة الوغى اذا ازورت الأبطال ليث مجرب

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس، وأكثر الشعراء فى هذا اليوم وفى مدح بسطام بن قيس تركنا ذكره اختصارا ﴿حجر﴾ بفتح الحاء والجيم *

﴿يوم مبايض﴾

وهو لشيبان على بنى تميم ،قال أبو عبيدة :حج طريف بن تميم العنبرى التميمى وكان رجلا جسيما يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حَميصة [1] بن جندل الشيباني من بني أبى ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر اليه فقال له طريف لمَ تشد نظرك الىّ ؟قال حميصة ؛ أريد أن أثبتك لعلى أن ألقاك فى جيش فأقتلك فقال طريف: اللهم لاتحول الحول حتي ألقاه ودعا حميصة مثله فقال طريف :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الىّ عريفهم يتوسم
لا تنكروني إننى داء لكم * شاكى السلاح [2] فى الحوادث معلم
حولى فوارس من أسيد جمة * وبنى الهجيم وحول بيتي خضم [3]
تحتى الأغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم [4]

فى أبيات ثم ان بنى أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وبني مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شر وخصام ، فاقتتلوا شيئامن قتال ولم يكن بينهم دم . فقال هاني بن مسعود رئيس بني أبى ربيعة لقومه إنى أكره أن يتفاقم الشرّ بيننا فارتحل بهم ، فنزل على ماء يقال له مبايض وهو قريب من مياه بنى تميم ، فأقاموا عليه أشهرا . وبلغ خبرهم بني تميم فارسل بعضهم الى بعض وقالوا: هذا حى منفرد وان اصطلمتموهم أوهنتم بكر بن وائل، واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء، أبو الجدعاء الطهوى على بنى حنظلة ، وابن فدكى المنقرى على بنى سعد ، وطريف بن تميم على بنى عمرو بن تميم * فلما قاربوا بني أبى ربيعة بلغهم الخبر فاستعدوا للقتال ، فخطبهم هانىء بن مسعود وحثهم على القتال ، فقال : اذا أتوكم فقاتلوهم شيئا من قتال ، ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا اليهم ، فانكم تصيبون منهم حاجتكم ، وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وفعلت

---

(١) على وزن سفينة (٢) وفى رواية سلاحى (٣) رواية العقد الفريد

حولى أسيد والهجيم ومازن واذا حللت فحول بيتى خضم

(٤) النثرة الدرع ،والزغف الدرع اللينة الواسعة المحكمة اوالرقيقة الحسنة السلاسل *

Marfat.com

بنو شيبان ما أمرهم هانيء فاشتغلت تميم بالغنيمة ، ومر رجل منهم بابن لهانيء بن مسعود صبي فأخذه وقال : حسبي هذا من الغنيمة وسار به وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي ، فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤا ولم تصب تميم بمثلها لم يفلت منهم إلا القليل . ولم يلو أحد على أحد ، وانهزم طريف فاتبعه حميصة فقتله ، واستردت شيبان الأهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هانيء بن مسعود ابنه بمائة بعير ، وقال بعض شيبان فى هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غر وأنت بمنظر لا تعلم
وأتيت حيا فى الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدتهم يرعون حول ديارهم * بسلا اذا حام الفوارس أقدموا
واذا اعتزوا بأبي ربيعة أقبلوا * بكتيبة مثل النجوم تلملم
ساموك درعك والأغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

وقال عمرو بن سواد يرثي طريفا :

لا تبعدن ياخير عمرو بن جندب * لعمرى لمن زار القبور ليبعدا
عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤيسا منها اذا هو أوقدا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان عيطانا اذا ماتجردا

﴿ يوم الزويرين ﴾

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم ، فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر . فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكرى تميمياً إلا قتله ولا يلقى تميمى بكريا إلا قتله اذا اصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم ، فخرج الحوفزان بن شريك والوادِك بن الحرث الشيبانيان ليغيرا على بني دارم ، فاتفق ان تميما فى تلك الحال اجتمعت فى جمع كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها ، وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلى ، فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الأصم عمرو ابن قيس بن مسعود أبو مفروق ، وحنظلة بن سيار العجلى ، وحمران بن عبد عمرو العبسى * فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين معقولين وسموهما زويرين يعني إلهين ، وقالوا لا نفر حتي يفر هذان البعيران ، فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما ، فقال أنا زويركم

Marfat.com

Marfat.com

وبرك بين الصفين ، وقال: قاتلوا عنى ولا تفروا حتي أفرّ ، فاقتتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيبان الى البعيرين فاخذوهما فذبحوهما واشتد القتال عليهما . فانهزمت تميم ، وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير ، واجترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا اسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان الى النساء والأموال وقد سار الرجال عنها للقتال ، فاخذ جميع ماخلفوه من النساء والأموال وعاد الى أصحابه سالما ، وقال الأعشى فى ذلك اليوم:

ياسلم لا تسألى عنا فلا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * يوم الزويرين فى جمع الأحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف
تستأنس الشرف الأعلى باعينها * لمح الصقور علت فوق الأظاليف[1]
انسل عنها نسيل الصيف فانجردت * تحت اللبون متون كالزحاليف[2]

وقد أكثر الشعراء فى هذا اليوم لاسيما الأغلب العجلى ، فمن ذلك ارجوزته التى أولها:

* ان سرك العز فجحجح بحشم * ﴿يقول فيها﴾
جاؤا بزوريهم وجئنا بالأصم * شيخ لنا كالليث من باقى إرم
شيخ لنا معاود ضرب اليهم[3] * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم
* هل غير غارصك غارا فانهزم *

الغار ان بكر وتميم ، وله الأرجوزة التي أولها * يارب حرب ثرّة الأخلاف * يذكر فيها هذا اليوم *

﴿ذكر أسر حاتم طيء﴾

قال أبو عبيدة: أغار حاتم طيء بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طيء وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة ؛ فكان فى الأسرى حاتم بن عبد الله الطائى ، فبقى موثقا عند رجل من عنيزة فأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة . فقالت له افصد هذه فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت ، فقال حاتم *

---

(١) جمع اظلوفة بالضم أرض فيها حجارة حداد كأن خلقتها خلقة جبل (٢) جمع زحلوفة وهى اثار تزلج الصبيان من فوق التل الى اسفله اومكان منحدر مملس (٣) بالياء المثناة التحتية اى الشجاع ، والايهمان السيل والجمل الهائج . قاموس *

Marfat.com

عالى لا تلتد من عاليه * ان الذى اهلكت من ماليه
ان ابن اسماء لكم ضامن * حتي يؤدى أنس ناويه
لا أفصد الناقة فى أنفها * لكننى أوجرها العاليه
إني عن الفصد لفى مفخر * يكره منى المفصد الآليه
والخيل إن شمص (١) فرسانها * تذكر عند الموت أمثاليه

وقال رميض العنزى يفتخر :

نحن أسرنا حاتما وابن ظالم فكل ثوى فى قيدنا وهو يخشع
وكعب اياد قد أسرنا وبعده أسرنا أباحسان والخيل تطمع
وريان غادرنا بوجّ كأنه وأشياعه فيها صريم مصرع

وقال يحي بن منصور الذهلى : قصيدة يفتخر بايام قومه وهى طويلة، وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل وأولها :

أمن عرفان منزلة ودار تعاورها البوارح والسوارى

وقال أبو عبيدة: جاء الاسلام وليس فى العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حليفاً من شيبان كانت عنينة من لخم فى الأحلاف، وكانت در مكة بن كندة فى بنى هند وكانت عكرمة من طيء، وحوتكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء فى بنى الحرث بن همام، وكانت عائذة من قريش، وضبة وحواس من كندة هؤلاء فى بنى أبي ربيعة، وكانت سليمة من بنى عبد القيس فى بنى أسعد بن همام، وكانت وثيلة من ثعلبة، وبنو خيبرى من طيء فى بنى تميم بن شيبان، وكانت عوف بن حارث من كندة فى بني محلم، كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت *

﴿ يوم مُسحلان ﴾

قال أبو عبيدة : غزا ربيعة بن زياد الكلبي فى جيش من قومه فلقى جيشاً لبني شيبان عامتهم بنو أبى ربيعة فاقتتلوا قتالا شديدا، فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة. وذلك يوم مسحلان، وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم، وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبدالله بن قيس المحلمى * وقيل: كان رئيسهم زياد بن مرثد من بنى أبي ربيعة فقال شاعرهم :

(١) اى طرد ولحق *

Marfat.com

ربيعة سائل حيث حل بجيشه مع الحى كلب حيث نبت[1] فوارسه
عشية ولى جمعهم فتتابعوا فصار إلينا نهبه وعوانسه[2]

ثم ان الربيع بن زياد الكلبي نافر قومه وحاربهم فهزموه، فاعتزلهم وسار حتي حل ببنى شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبى ربيعة، فقتله بنو أسعد بن همام، ثم ان شيبان حملوا ديته الى كلب مائتى بعير فرضوا *

﴿ حرب لسليم وشيبان ﴾

قال أبو عبيدة: خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمى، وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل فلقيهم رجل من بني شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو محرم على فرس له يسمى البحراء، فقال لهم: أين تذهبون؟ قالوا: نريد الغارة على بنى شيبان، فقال لهم: مهلا فاني لكم ناصح اياكم و بنى شيبان فاني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلاثمائة فرس خصى سوى الفحول والاناث، فابوا إلا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضا حتى أتي قومه؛ فانذرهم فركبت شيبان واستعدوا، فاتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا قتالا شديدا. فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج إلا القليل، وأسر النصيب رئيسهم أسره عمران بن مرة الشيباني فضرب رقبته فقال صليع:

نهيت بنى زعل غداة لقيتهم وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم: ان الحريب[3] وراكسا به نعم ترعى المرار رتاع
ولكنّ فيه الموت يرتع سربه وحق لهم أن يقبلوا و يطاعوا
متي تأته تلق على الماء حارثا وجيشا له يوفى بكل بقاع[4]

﴿ يوم جَدود ﴾

وهو يوم بين بكر بن وائل و بني منقر من تميم. و كان من حديثه ان الحوفزان واسمه الحرث بن شريك الشيباني. كانت بينه و بين بني سليط بن يربوع موادعة، فهمّ بالغدر بهم، وجمع بني شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو. ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة من بني يربوع. فلما انتهى الى بنى يربوع نذر به عتيبة بن الحرث بن شهاب. فنادى فى قومه فخالوا بين الحوفزان و بين الماء، وقال لعتيبة:

---

(١) نب ينب نبا ونبيا ونبابا بالضم ونبنب صاح عند الهياج (٢) جمع عانس وهى البنت التى طال مكثها فى أهلها ولم تتزوج حتى خرجت من عداد الأبكار (٣) هو اسم واد (٤) وفى هذا البيت اقواء حيث رفع المجرور *

إنى لا آرى معك إلا رهطك ، وأنا فى طوائف من بني بكر فلئن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم ، ولئن ظفرتم بي ماتقتلون إلا أقاصى عشيرتي وما إياكم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر ووالله لانروع يربوعا أبدا ؟ فأخذ ما معهم من التمر وخلى سبيلهم ، فسارت بكر حتي أغاروا على بني رُبيع بن الحرث وهو مقاعس بجدود — وانما سمى مقاعسا لأنه تقاعس عن حلف بني سعد — فاغار عليهم وهم خلوف فأصاب سبياً ونعما ، فبعث بنو ربيع صريخهم الى بنى كليب فلم يجيبوهم فأتي الصريخ بنى منقر بن عبيد فركبوا فى الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر الحوفزان وهو فى ظل شجرة إلا بالأهتم بن سمى بن سنان المنقرى واقفاً على رأسه فركب فرسه فنادى الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ؛ ولحق بنو منقر فقاتلوا قتالا شديدا ، فهزمت بكر وخلوا السبي والأموال ، وتبعتهم منقر فمن قتيل وأسير وأسر الأهتم حمران بن عبد عمرو ، ولم يكن لقيس بن عاصم المنقرى همة إلا الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارج ، فلم يلحقه وقد قاربه ، فلما خاف أن يفوته حفزه بالرمح فى ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا فسمى يومئذ الحوفزان ، وقيل غير هذا ، وقال الأهتم فى أسره حمران :

نيطت بحمران المنية بعد ما * حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا يا ل قيس واعتزيت لمنقر * وكنت اذا لاقيت فى الخيل أصدق

وقال سوّار بن حيان المنقرى يفتخر على رجل من بكر :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعاً من دم البطن أشكلا
وحمران قسرا أنزلتـــه رماحنا * فعالج غلا فى ذراعيـــه مثقلا
فيالك من أيام صدق نعدها * كيوم جؤاثي والنباج ونبتلا (١)
قضى الله أنا يوم تقتسم العلا * أحق بهـا منكم فاعطى فاجزلا
فلست بمستطيع السماء ولم تجد * لعز بنـاه الله فوقك منقـلا

﴿منقر﴾ بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ﴿وربيع﴾ بضم الراء وفتح الباء الموحدة ﴿يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم العظالى﴾

---

(١) هو اسم لحصن فى البحرين ، والنباج ككتاب بلدة فى البادية ، ونبتل موضع أيضا وهذه الثلاث مواضع حصلت فيها حروب كان بنو منقر الغالبين فيها.

Marfat.com

وإنما سمى يوم العظالى لأن بسطام بن قيس وهانيء بن قبيصة ومفروق بن عمرو تعاظلوا على الرياسة ، وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس ؛ وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فأقبلوا من عند عامل عين التمر فى ثلثمائة متساندين ، وهم يتوقعون انحدار بنى يربوع فى الحزن ، فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زبيد فى الحزن ، فحلت بنو زبيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثمد . فاقبل جيش بكر حتي نزلوا حضبة الحصى ، فرأى بسطام السواد بالحديقة وثم غلام عرفه بسطام ، وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسره عتيبة ، فسأله بسطام عن السواد الذى بالحديقة ، فقال هم بنو زبيد قال كم هم من بيت ؟ قال خمسون بيتا قال فاين بنو عتيبة و بنو عبيد ؟ قال هم بروضة الثمد وسائر الناس بخفاف وهو موضع ، فقال بسطام :أتطيعوننى يابني بكر ؟ قالوا: نعم قال:أرى لكم أن تغنموا هذا الحىّ المتفرد بني زُبيد وتعودوا سالمين قالوا :وما يغنى بنو زبيد عنا؟قال :ان فى السلامة احدى الغنيمتين قالوا:ان عتيبة بن الحرث قد مات ، وقال مفروق قد انتفخ سحرك [1] ياأبا الصهباء ، وقال هانيء :اخسأ فقال:ان أسيد بن جباة لايفارق فرسه الشقراء ليلا ونهارا فاذا أحس بكم ركبها حتي يشرف على مليحة ، فينادى ياآل ثعلبة فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتمونى وأنا تابعكم وستعلمون . فأغاروا على بنى زبيد وأقبلوا نحو بني عتيبة وبني عبيد فاحست الشقراء فرس أسيد بوقع الحوافر فنخست بحافرها ، فركبها أسيد وتوجه نحو بني يربوع بمليحة ،ونادى ياسوء صباحاه ياآل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت شيبان بعد أن قتلت من تميم جماعة من فرسانهم ، وقتل من شيبان أيضا ، وأسر جماعة منهم هانئ بن قبيصة ففدى نفسه ونجا،فقال متمم بن نويرة فى هذا اليوم :

لعمرى لنعم الحى أسمع غدوة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق
وأسمع فتياناً لكنة عبقر * لهم رَيِّق [2] عند الطعان ومصدق
أخذن بهم جنبي أفاق وبطنها * فما رجعوا حتي أرّقوا وأعتقوا

وقال العوام فى هذا اليوم :

قبح الاله عصابة من وائل * يوم الأُفاقة أسلموا بسطاما [3]
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم * طعنا يسلى نفسه وزحاما

---

(١) أى ملئت خوفا (٢) الريق ككيس الجواد بالنفس عند الموت (٣) الافاقة ككناسة،وضع بالكوفة

Marfat.com

كنتم أسودا فى الوغا فوجدتم * يوم الأُفاقة فى الغبيط (١) نعاما

وأكثر العوام الشعر فى هذا اليوم فلما ألح فيه أخذ بسطام إبله فقالت أمه *

أرى كل ذى شعر أصاب بشعره * خلا أن عوّاما بما قال عيلا (٢)

فلا ينطقن شعرا يكون جوازه * كما شعر عوام أعام وأرجلا (٣)

﴿ يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس ﴾

هذا يوم بين بنى شيبان وضبة بن ادّ قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان ، وكان سببه أن بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذى الجدين غزا بنى ضبة ، ومعه أخوه السليل بن قيس ، ومعه رجل يزجر الطير من بنى أسد بن خزيمة يسمى نَقيداً ، فلما كان بسطام فى بعض الطريق رأى فى منامه كأن آتيا أتاه فقال له * الدلو تأتي الغرب (٤) المزله * فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال: الا قلت ثم تعود باديا مبتله * فتفرط عنك النحوس ، ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا (٥) يقال له الحسن فى بلاد ضبة صعده ليراه، فاذا هو بنعم قد ملأ الأرض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبى من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة قد فقأ عين فحلها، وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية اذا بلغت ابل أحدهم ألف بعير فقؤا عين فحلها لترد عنها العين وهى ابل مرتبعة ، ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد ، فلما أشرف بسطام على النقا تخوف ان يروه فينذروا به فاضطجع وتدهدى حتي بلغ الأرض ، وقال : يا بني شيبان لم أر كاليوم قط فى الغرة وكثرة النعم ونظر نقيد الى لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدي فتطير له أيضا ، وقال ان صدقت الطير فهو أول من يقتل ، وعزم الأسدى على فراقه فأخذته رعدة تهيبا لفراقه والانصراف عنه، وقال له : ارجع يا أبا الصهباء فاني أتخوف عليك أن تقتل فعصاه ففارقه نَقيد وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها فحل لمالك يقال له أبو شاعر ، وكان أعور فنجا مالك على فرسه الى قومه من ضبة حتي اذا أشرف على تعشار نادى ياصباحاه . وعاد راجعا وأدرك الفوارس القوم وهم يطردون النعم فجعل فحله أبو شاعر يشذ من النعم ليرجع . وتتبعه الابل فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام ، فلما رأى مالك مايصنع بسطام

---

(١) الغبيط كأمير المركب الذى مثل الكف البخاتى او رحل قتبه واحناؤه واحدة .(٢)اى صار ذاعيلة وفقر (٣)من قولك أعامه الله أى تركه من غير لبن فأعام ، وأرجلا اى صير أهله راجلين بعد أن كانوا ركبانا (٤)الغرب الدلو العظيمة (٥)النقا الرمل الكثير*

Marfat.com

Marfat.com

وأصحابه قال : ماذا السفه يابسطام ؟ لاتعقرها فاما لنا واما لك فابى بسطام ، وكان فى آخريات الناس على فرس أدهم يقال له الزعفران يحمى أصحابه ، فلما لحقت خيل ضبة قال لهم مالك : ارموا روايا القوم فجعلوا يرمونها فيشقونها فلحقت بنو ثعلبة وفى أوائلهم عاصم بن خليفة الصباحى وكان ضعيف العقل ، وكان قبل ذلك يعقب قناة له فيقال له ما تصنع بها ياعاصم ؟ : فيقول: أقتل عليها بسطاما فيهرعون منه ، فلما جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل ، فقال لرجل من ضبة : أيهم الرئيس؟ قال صاحب الفرس الأدهم فعارضه عاصم حتى حاذاه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح فى صماخ أذنه أنفذ الطعنة الى الجانب الآخر. وخر بسطام على شجرة يقال لها الألاءة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الأدبار فمن قتيل وأسير ، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس أخا بسطام فى سبعين من بني شيبان ، وكان عبد الله بن عنمة الضبى مجاورا فى شيبان فخاف ان يقتل فقال يرثى بسطاما :

لأمِّ الارض ويل ما أجنت غداة أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا وندعو أبا الصهباء اذ جنح الأصيل
اجدكِ لن تريه ولن نراه تخب به عذافرة ذمول (١)
حقيبة بطنها بدن وسرج تعارضها مزيبة دؤل (٢)
الى ميعاد أرعن مكفهر تضمر فى جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول (٣)
لقد صمت بنو زيد بن عمرو ولا يوفى ببسطام قتيل
فخر على الألاءة لم يوسد كأن جبينه سيف صقيل
فان يجزع عليه بنو أبيه فقد فجعوا وفاتهم جليل
بمطعام اذا الأشوال راحت الى الحجرات ليس لها فصيل

---

(١) الذمول المسرعة فى مشيها (٢) مزيبة اى كثيرة الشعر، ورواية ابن عبدر به فى البيت

حقيبة رحلها بدن وسرج يعارضها مرتبة ذؤل

ولعلها الزؤل وهى التى تسير سير الذئب والا فلامعنى لها بالدال المهملة ولا الذال المعجمة (٣) المرباع ربع الغنيمة يكون للرئيس، والصفايا مايصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل القسمة، والحكم هو الامرة على الجند، والنشيطة ما اصيب من المال قبل اللقاء، والفضول مالا يقبل القسمة من مال الغنيمة ، وهذه كلها حقوق الرياسة فى الجاهلية *

فلم يبق فى بكر بن وائل بيت الا وألقى لقتله لعلو محله ،وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبي يذكره :

ويوم شقيقة الحسنين لاقت بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور صماخى كبشهم حتي استدارا
وأوجرناه(١) أسمر ذا كعوب يشبه طوله مسدا مغارا

﴿الشقيقة﴾ أرض صلبة بين جبلى رمل ﴿ذا السنان﴾ نقوا رمل كانت الوقعة عندهما،

وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه :

ليبك ابن ذى الجدين بكر بن وائل فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ماغدا فيهم غدوا وكأنهم نجوم سماء بينهن هلالها
فلله عينا من رأى مثله فتى اذاالخيل يوم الروع هبّ نزالها
عزيز المكرّ لايهد جناحه وليث اذا الفتيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائد محجر تحل اليه كل ذاك رحالها
سيبكيك عان (٢) لم يجد من يفكه ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك أسرى طالما قدفككتهم وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك الحروب اذا صالت وعز صيالها
تغشى بها حينا كذاك ففجعت تميم به أرماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة وتلك لعمرى عثرة لاتقالها
أصيبت به شيبان والحى يشكر وطير يرى ارسالها وحبالها

﴿عنمة﴾ بفتح العين المهملة والنون*

﴿يوم النسار﴾

النسار (٣) أجبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم، وكان سبب ذلك اليوم ان بنى تميم بن مر بن أد كانوا يأكلون عمومتهم ضبة بن أد وبني عبد مناة ابن أد ، فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبتهم تميم، فانزاحت جماعة الرباب وهم تيم وعدى وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد وانما سموا الرباب لأنهم غمسوا أيديهم فى الرب حين تحالفوا ـ فلحقت ببنى أسد وهم يومئذ حلفاء لبنى ذبيان بن بغيض

---

(١) اوجره بالرمح طعنه به فى فيه اه قاموس (٢) العانى الاسير (٣) بكسر النون وزنه كتاب *

Marfat.com

Marfat.com

فنادى صارخ بنى ضبة يا آل خِندف فاصرختهم بنو اسد وهو اول يوم تخندفت فيه ضبة ، واستمدوا حليفهم ظبياً وغطفان ، فكان رئيس أسد يوم النسار عوف بن عبدالله ابن عامر بن جَذيمة بن نصر بن قعين ، وقيل : خالد بن نَضلة ، وكان رئيس الرباب الأسود ابن المنذر اخو النعمان وليس بصحيح ، وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن أبي سلمى :

ومن مثل حصن فى الحروب ومثله لانداد ضيم أو لأمر يحاوله
اذا حل أحياء الأحاليف حوله بذى نجب هداته وصواهله

فلما بلغ بنى تميم ذلك استمدوا بنى عامر بن صعصعة فامدوهم ، وكان حاجب بن زرارة على بنى تميم ، وكان عامر بن صعصعة جوّاباً وهو لقب مالك بن كعب من بنى أبي بكر ابن كلاب لان بنى جعفر كانوا جوابين قد أخرجهم الى بنى الحرث بن كعب فحالفوهم ، وقيل كان رئيس عامر شريح بن مالك القشيرى ، وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتتلوا ، فصبرت عامر واستحرّ بهم القتل وانفضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير ، وقتل شريح القشيرى رأس بنى عامر ، وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب وغيرهما ، وأخذ عدة من أشراف نساء بنى عامر : منهن سلمى بنت المخلف ، والعنقاء بنت همام وغيرهما ، فقالت سلمى تعير جوابا والطفيل :

لحى الاله أبا ليلى بفرته يوم النسار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك يوم النسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم اذ أشلوا سوامكم ولا النساء وكان القوم أحرابا

وقال رجل يعير جوابا والطفيل بفراره عن امرأته *

وفر عن ضرتيه وجه خارئة * ومالك فرّ قنب العير جواب

﴿القنب﴾ غلاف الذكر ، وجواب لقب لأنه كان يجوب الآثار ، واسمه مالك ، وقال بشر ابن أبى خازم فى هزيمة حاجب :

وأفلت حاجب جوب العوالى على شقراء تلمع فى السراب
ولو أدركن رأس بني تميم عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النسار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة ﴿جواب﴾ بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة ، و﴿خازم﴾ بالخاء المعجمة والزاى *

Marfat.com

﴿ يوم الجفار ﴾

لما كان على راس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار و كان رؤساؤهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النسار إلا أن بنى عامر قيل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتتلوا ، وصبرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة فى بنى عمرو بن تميم ، و كان يوم الجفار يسمى الصيلم لكثرة من قتل به ، وقال بشر بن أبي خازم فى عصبة تميم لبنى عامر :

عصبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فأعقبوا بالصيلم
كنا اذا نفروا لحرب نفرة نشفى صداعهم برأس صِلدم
نعلو الفوارس بالسيوف ونعترى والخيل مشعلة النحور من الدم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا خبب السباع بكل ليث ضيغم

وهى عدة أبيات، وقال أيضا :

يوم الجفار ويوم النسا ركانا عذاباً وكانا غراما
فاما تميم تميم بن مر فألفاهم القوم روبي نياما
وأما بنو عامر بالجفا رويوم النسار فكانوا نعاما

فلما أكثر بشر على بنى تميم قيل له: مالك ولتميم وهم أقرب الناس منك أرحاما ؟ فقال اذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد :

﴿ يوم الصفقة والـكلاب الثاني ﴾

اما يوم الصفقة ، وسببه فان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن ارسل اليه حملا من اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد أغارت تميم عليه وانتهبوه ، وسلبوا رسل كسرى وأساورته فقدموا على هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة مسلوبين فاحسن اليهم و كساهم ، وقد كان قبل هذا اذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله و يخفرهم و يحسن جوارهم ، و كان كسرى يشتهى أن يراه ليجازيه على فعله ، فلما أحسن أخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له: ان الملك لا يزال يذكرك و يؤثر ان تقدم عليه ، فسار معهم اليه ، فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وجعل يحادثه لينظر عقله ، فرأى ماسره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه ، وأقطعه أموالا

Marfat.com

نهجر وكان هوذة نصرانيا .وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعبر [١] مع عساكر كسرى بنى تميم فساروا الى هجر ونزلوا بالمشقر ، وخاف المكعبر وهوذة ان يدخلا بلاد تميم لانها لا تحتملها العجم وأهلها بها ممتنعون فبعثا رجالا من بنى تميم يدعونهم الى الميرة، وكانت شديدة [٢] فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكعبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر ، فكل من دخل ضرب عنقه .فلما طال ذلك عليهم ورأوا أن الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالا يستعلمون الخبر ، فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب ، فأمر المكعبر بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة ، وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح ، فقال الأعشى من قصيدة يمدح هوذة :

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر [٣] مثلا وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو إغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي ﷺ وهو بمكة بعدُ لم يهاجر *وأما يوم الكلاب الثاني فان رجلا من بنى قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحرث بن كعب وهم أخواله ، فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم انه أصفق على بنى تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم فى مساكنهم لامانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج وأحلافها من نهد وجرم بن زبان ، فاجتمعوا فى عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف ولا يعلم فى الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذى قار، ومن يوم جبلة، وساروا يريدون بنى تميم فحذرهم كاهن كان مع بني الحرث ،واسمه سلمة بن المغفل. وقال: انكم تسيرون أعيانا. وتغزون احياناً. سعدا وريائاً. وتردون مياها جيابا. فتلقون عليها ضرابا [٤] وتكون غنيمتكم ترابا، فاطيعوا أمرى ولا تغزو تميما فعصوه. وساروا الى عروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذوو الرأى منهم الى أكثم بن صيفى وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له :ياأبا حيدة حقق هذا الأمر فانا قد رضيناك رئيساً فقال لهم :

وان امرأ قد عاش تسعين حجة الى مائة لم يسام العيش جاهل

---

(١) المكعبر بكسر الباء العربى والعجمى ضدو بفتح الباء شاعر ان اه قاموس (٢) لعل قوله شديدة صفة لموصوف محذوف تقديره سنة (٣) المشقر كمعظم حصن بالبحرين (٤) مصدر ضارب اي جالد اه صحاح

Marfat.com

مضت مائتان غير عشر وفاؤها وذلك من عد الليالى قلائل

ثم قال لهم لاحاجة لى فى الرياسة ولكنى أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بالدهناء، ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدى بنو عبد مناة بن أد الكلاب فاى الطريقين اخذ القوم كفى أحدهما صاحبه، ثم قال لهم: احفظوا وصيتى لاتحضروا النساء الصفوف: فان نجاة اللئيم فى نفسه ترك الحريم، وأقلوا الخلاف على امرائكم ودعوا كثرة الصياح فى الحرب فانه من الفشل: والمرء يعجز لامحالة، فان أحمق الحمق الفجور، وأكيس الكيس التقى، كونوا جميعا فى الرأى، فان الجميع معزز للجميع، وإياكم والخلاف: فانه لاجماعة لمن اختلف، ولا تلبثوا ولاتسرعوا، فان أحزم الفريقين الركين، ورب عجلة تهب ريثا: واذا عز أخوك فهن، البسوا جلود النمور، وأبرزوا للحرب وادّرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل: والثبات أفضل من القوة، وأهنأ الظفر كثرة الأسرى، وخير الغنيمة المال، ولا ترهبوا الموت عند الحرب: فان الموت من ورائكم وحب الحياة لدى الحرب زلل، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن حارث ابن جساس وهو من بنى تميم بن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته *

ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء، ونزلت سعد والرباب الكلاب، واقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبر فلمادنت مذحج نذرهم شميت بن زِنباع اليربوعى، فركب جمله وقصد سعدا ونادى يا آل تميم ياصباحاه فثار الناس وانتهت مذحج الى النعم فانتهبها الناس وراجزهم يقول:

فى كل عام نعم ننتابه * على الكلاب غيب أصحابه * يسقط فى آثاره غلابه

فلحق قيس بن عاصم المنقرى، والنعمان بن جساس، ومالك بن المنتفق فى سرعان الناس فاجابه قيس يقول:

عما قليل تلتحق أربابه مثل النجوم حسرا سحابه

ليمنعن النعم اغتصابه سعد وفرسان الوغى أربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول:

فى كل عام نعم تحوونه يلحقه قوم وينتجونه [1]

أربابه نوكى [2] نلا يحمونه ولا يلاقون طعانا دونه

---

(١) صوابه يلقحه قوم وتنتجونه (٢) جمع انوك وهو الاحمق

أنعم الأبناء تحسبونه ؟ هيهات هيهات لما ترجونه

فاقتتل القوم قتالا شديدا يومهم أجمع فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحرثي على النعمان ابن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله ، وصارت الرياسة لقيس بن عاصم، واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون ، فلما أصبحوا غدوا على القتال ، وركب قيس بن عاصم ، وركبت مَذحِج واقتتلوا أشد من القتال الأول. فكان أول من انهزم من مذحج مدرج الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الجرمى ، وكان صاحب لوائهم فالقى اللواء وهرب فلحقه رجل من بنى سعد فعقر به دابته فنزل يهرب ماشيا ، ونادى قيس بن عاصم : يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرّجالة فانهالكم وجعل يلتقط الأسارى وأسر عبد يغوث بن الحرث بن وقاص الحارثى رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم فاشار اليهم ليحلوا لسانه ولا يهجوهم فحلوه فقال شعرا :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ماييا فمالكما فى اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها قليل وما لومى أخى من شماليا
فياراكبا إما عرضت فبلغن ندامای من نجران أن لا تلاقيا
ابا كرب والا يهمين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة (١) :معاشر تيم أطلقوا من لسانيا
كأنى لم اركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة من ورائيا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لايسار صدق عظموا ضوء ناريا
وقد علمت عرسى مليكة انني انا الليث معدوا عليه وعاديا
لحى الله قوما بالكلاب شهدتهم صميمهم والتابعين الموالیا
ولو شئت نجتنى من القوم شطبة (٢) ترى خلفها الكمت العتاق توالیا
وكنت اذا ما الخيل شمصها (٣) القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا
فياعاص فك القيد عني فانني صبور على مر الحوادث ناكيا (٤)

---

(١) النسعة قطعة من سير ينسج عريضا تشد به الرحال (٢) الشطبة الفرس الطويلة السبطة اللحم (٣) شمصها طردها (٤) ناكيا بالنون اى قاتلا وجارحا ويحتمل باكيا اى يبكى نفسه لا يهجوهم ،وهذا البيت لا وجود له فى مفضليات الضبي ولا فى الاغانى ولا فى العقد الفريد فى اثناء روايتهم للقصيدة . الادارة

Marfat.com

فان تقتلونى تقتلوا بي سيدا وإن تطلقوني تحربوني ماليا

﴿أبو كرب﴾ بشر بن علقمة بن الحرث ﴿والايهمان﴾ الأسود بن علقمة بن الحرث والعاقب وهو عبد المسيح بن الأبيض ، وقيس بن معد يكرب فزعموا أن قيسا قال لو جعلني اول القوم لافتديته بكل ما أملك ثم قتل ولم يقبل له فدية ﴿رباب﴾ بالراء والباء الموحدة *

﴿يوم ظهر الدّهناء﴾

وهو يوم بين طيء وأسد بن خزيمة ، وسبب ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائي كان سيدا مطاعا فى قومه وجوادا مقداما . فوفد هو وحاتم الطائى على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوسا ، فقال له : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال أبيت اللعن ان حاتما أوحدها وأنا احدها ، ولو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا فى غداة واحدة ، ثم دعا عمرو حاتما فقال له : أنت أفضل أم أوس ، فقال : أبيت اللعن إنما ذكرت أوسا ولأحد ولده أفضل مني فاستحسن ذلك منهما وحبا هما وأكرمهما ، ثم ان وفود العرب من كل حى اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك ، وقال للوفود احضروا فى غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا إلا أوسا فقيل له : لم تتخلف ؟ فقال : ان كان المراد غيرى فاجمل الأشياء بي أن لا أكون حاضرا وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال: اذهبوا الى أوس ، فقولوا له : احضر آمنا مما خفت فحضر فالبس الحلة فحسده قوم من أهله ، فقالوا للحطيئة أهجه ولك ثلثمائة ناقة ، فقال ؛ كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا إلا منه ؟ ثم قال *

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تا تينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم أنا أهجوه لكم فاعطوه النوق وهجاء فافحش فى هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجأ الى بني أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا ، فجمع أوس جديلة طيء وسار بهم الى اسد ، فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت بنو أسد وقتلوا قتلا ذريعاً ، وهرب بشر فجعل لا يأتي حيا يطلب جوارهم الا امتنع من إجارته على أوس ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي باعلى الصمان (١) . فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا فارسله اليه فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على أمه سعدى فاستشارها ،

(١) الصمان كل أرض صلبة وموضع بعالج *

Marfat.com

فاشارت أن يرد عليه ماله و يعفو عنه و يحبوه فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فقبل ما اشارت به وخرج اليه ، وقال يابشر ماترى اني اصنع بك فقال :

انى لأرجو منك ياأوس نعمة * واني لأخرى منك ياأوس راهب
واني لأمحو بالذى انا صادق * به كلّ ماقد قلت اذ أنا كاذب
فهل نافعى فى اليوم عندك أننى * ساشكر ان انعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي * بني أسد أقصاهمُ والأقارب
تدار كني أوس بن سعدى بنعمة * وقد أ مكنته من يدىّ العواقب

فمنّ عليه أوس ، وحمله على فرس جواد ، ورد عليه ما كان أخذ منه ، وأعطاه من ماله مائة من الابل ، فقال بشر لاجرم لا مدحت أحدا حتي أموت غيرك ، ومدحه بقصيدته المشهورة التى أولها :

اتعرف من هنيدة رسم دار * بخرجى ذروة فالى لواها
ومنها منزل ببراق خبت * عفت حقبا وغيرها بلاها

وهى طويلة (١) *

﴿يوم الوقيط﴾

وكان من حديثه ان اللهازم تجمعت : وهى قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارّون ، فرأى ذلك الأعور وهو ناشب بن بَشامة العنبرى ، وكان أسيرا فى قيس بن ثعلبة ، فقال لهم : أعطونى رجلا أرسله الى أهلى أوصيهم ببعض حاجتي ، فقالوا له : ترسله ونحن حضور قال : نعم ، فاتوه بغلام مولد ، فقال أتيتموني باحمق . فقال الغلام والله ما أنا باحمق ، فقال : إني أراك مجنونا قال : والله مابي جنون . قال أتعقل ، قال نعم إني لعاقل . قال فالنير ان أكثر أم الكواكب ؟ قال الكواكب و كل كثيرة ، فملأ كفه رملا ، وقال كم فى كفى ؟ قال لا أدرى فانه لكثير . فاومأ الى الشمس بيده ،

---

(١) الى أن يقول :

الى أوس بن حارثة بن لأم * ليقضى حاجتى فيمن قضاها
فاوطىء الثرى مثل ابن سعدى * ولا لبس النعال ولا احتذاها

وكان قد هجاهم فى خمس قصائد فعوضهم عنها بخمس قصائد كما ذكره المرحوم السيد شكرى الألوسى فى بلوغ الارب . الادارة

Marfat.com

وقال: ما تلك ؟ قال: الشمس قال: ما أراك إلا عاقلا اذهب الى قومى فابلغهم السلام ، وقل لهم : ليحسنوا الى أسيرهم فاني عندقوم يحسنون إلىّ ويكرمونى وقل لهم: فليعروا جمل الأحمر ، ويركبوا ناقتي العيساء ، وليرعوا حاجتى فى بنى مالك وأخبرهم أن العوسج قد أورق ، وان النساءقد اشتكت ، وليعصوا همام بن بَشامة فانه مشؤم مجدود ، وليطيعوا هذيل بن الأخنس فانه حازم ميمون ، واسألوا الحرث عن خبرى ، وسار الرسول فاتي قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد ، فاحضروا الحرث وقصوا عليه خبر الرسول ، فقال للرسول اقصص على أول قصتك فقص عليه أول ما كلمه حتي أتي على آخره ، فقال : أبلغه التحية والسلام وأخبره انا نستوصى بما أوصى به . فعاد الرسول ثم قال لبني العنبران صاحبكم قد بين لكم أما الرمل الذى جعل فى كفه فانه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى ، وأما الشمس التى أومأ اليها فانه يقول ذلك أوضح من الشمس ، وأما جمله الأحمر فالصمان فانه يامركم أن تعروه يعني ترتحلوا عنه ؛ وأماناقته العيساء فانه يامركم أن تحترزوا فى الدهناء ، وأما بنو مالك فانه يأمركم أن تنذروهم معكم ، وأما إيراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح ، وأما اشتكاء النساء فانه يريد أن النساء قد خرزن الشكاء وهى أسقية الماء للغزو ، فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وأنذروا بني مالك فلم يقبلوا منهم ، ثم ان اللهازم وعجلا وعنزة أتوا بني حنظلة فوجدوا عمرا قد أجلت فاوقعوا ببنى دارم بالوقيط ، فاقتتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم ، فاسرت ربيعة جماعة من رؤساء بني تميم منهم ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة فجزوا ناصيته وأطلقوه، واسروا عثجل [1] بن المامون بن زرارة وجويرة بن بدر بن عبد الله بن دارم [2] ولم يزل فى الوثاق حتى رآهم يوماً يشربون فانشأ يتغني يسمعهم مايقول *

وقائلة ماغاله أن يزورنا وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل
وقد أدركتني والحوادث جمة مخالب قوم لاضعاف ولا عزل
سراع الى الجلى [3] بطاء عن الخنا رزان [4] لدى الباذين [5] فى غير ماجهل
لعلهم ان يمطروني بنعمة كما صاب ماء المزن فى البلد المحل

---

(١) هو بفتح فسكون ففتح (٢) وبذلك عيرهم جرير بقوله :

اغمام لوشهد الوقيط فوارسى مافيه يقتل عثجل وضرار

ولكن علمت انهما اخذا اسيرين ولم يقتلا ولعله يريد التشنيع على بنى دارم انتقاما من الفرزدق . الادارة
(٣) اى الامور العظام (٤) اى ثقال (٥) هم اصحاب البذاءة وفاحش القول

Marfat.com

فقد ينعش الله الفتي بعد ذلة وقد تبتنى الحسني سراة بني عجل

فلما سمعوا الأبيات أطلقوه واسر أيضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة وغيرهما من سادات بني تميم . وقتل حُكيم بن النهشلى [1] ولم يشهدها من نهشل غيره ، وعادت بكر فمرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة بحذيمة بن الاصيلع نفر من بنى العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم ، فلما رأوهم طردوا إبلهم فاحرزوها من بكر * وأكثر الشعراء فى هذا اليوم ، فمن ذلك قول أبي مهوّش الفقعسى يعير تميما بيوم الوقيط :

فما قاتلت يوم الوقيطين نهشل ولا الانكد الشؤمى فقيم بن دارم
ولاقضبت [2] عوف رجال مجاشع ولا قشر الاستاه غير البراجم [3]

وقال أبو الطفيل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد :

حكت تميم بركها لما التقت راياتنا كحواسر العقبان
دهموا الوقيط بجحفل جم الوغى ورماحها كنوازع الاشطان [4]

﴿يوم المرّوت﴾

وهو يوم بني تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه أنه التقى قعنب بن عتاب الرياحى ، وبَحير بن عبدالله بن سلمة العامرى بعكاظ ، فقال بحير لقعنب : مافعلت فرسك البيضاء ؟ قال هى عندى وماسؤالك عنها ؟ قال لانها نجتك مني يوم كذا وكذا ، فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فمكثا ماشاء الله ، وجمع بحير بني عامر وسار بهم ، فاغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بارّم الكلبة وهم خلوف ، فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا ، وأتي الصريخ بني العنبر بن عمرو بن تميم ، وبنى مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وبنى يربوع بن حنظلة ، فركبوا

---

(١) وفى قتله يقول عنترة

وغادرنا حكيما فى مجال صريعا قد سلبناه الازارا

وحكيم هذا قتل وهو يرتجز :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت ادنى من شراك نعله

و به تمثل ابو بكر لما اصابته حمى المدينة المشهورة بها واذهبها الله عنهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الادارة (٢) اى قطعت (٣) البراجم قوم من تميم ، قال ابوعبيدة : خمسة من اولاد حنظلة ابن مالك بن عمرو بن تميم يقال لهم البراجم اه صحاح (٤) جمع شطن وهو حبل البئر *

Marfat.com

فى الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما انتهى بحير الى المروت قال : يابنى عامر انظروا هل ترون شيئا؟ قالوا : نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها قال : هـذه عمرو بن تميم وليست بشىء فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيئا من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير ، ثم قال يابنى عامر انظروا هل ترون شيئا؟ قالوا: نرى خيلا ناصبة رماحها قال : هذه مالك ابن حنظله وليست بشىء فلحقوا فقاتلوا شيئا من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير ، وقال: يابنى عامر انظروا هل ترون شيئا ؟ قالوا: نرى خيلا ليست معها رماح وكأنما عليها الصبيان قال هـذه يربوع رماحها بين آذان خيلها إياكم والموت الزؤام فاصبروا ولا أرى أن تنجو ، فكان أول من لحق من بنى يربوع الواقعة وهو نعيم بن عتاب ـ وكان يسمى الواقعة لبليته ـ فحمل على المثلم القشيرى فاسره ، وحملت قشير على دوكس بن واقد ابن حوط . فقتلوه وأسر نعيم المصفى القشيرى فقتله ،وحمل كدام بن بجيلة المازني على بحير فعانقه ولم يكن لقعنب همة الا بحير فنظر اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوهما فقال كدام ياقعنب أسيرى فقال قعنب مازر أسك والسيف ، يريد يامازني فخلى عنه كدام وشد عليه قعنب . فضربه فقتله [1] وحمل قعنب أيضا على صهبان وأم صهبان مازنية فاسره ، فقالت بنو مازن : ياقعنب قتلت أسيرنا فاعطنا ابن أخينا مكانه فدفع اليهم صهبان فى بحير فرضوا بذلك ، واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا * ﴿ بحير ﴾ بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة *

---

(١) وفى ذلك يقول يزيد بن الصعق يرثى بحيراً :

اواردة على بنو رياح بفخرهم وقد قتلوا بحيرا

فاجابته العوراء من بنى سليطة بن يربوع وهى تقول :

قعيدك يايزيد أباقبيس اتنسذركى تلاقينا النذورا
وتوضع مجر الركبان انا وجدنا فى مراس الحرب خورا
الم تعلم قعيدك يايزيد بانا نقمع الشيخ الفجورا
ونفقأ ناظريه ولا نبالى ونجعل فوق هامته الدرورا
فأبلغ ان عرضت بنى كلاب فانا نحن اقعصنا بحيرا
وضرجنا عبيدة بالعوالى فاصبح موثقا فينا اسيراً
أخراً فى الخلاء بغير فخر وعند الحرب خوارا ضجورا

فذكرته بما نذر من قعنب وان الله استجاب دعاءها فقتل بسيف قعنب . الادارة *

Marfat.com

﴿ يوم فيف الريح ﴾

وهو بين عامر بن صعصعة والحرث بن كعب . وكان خبره ان بنى عامر كانت تطلب بنى الحرث بن كعب بأوتار كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وهو ذو الغصة واستعان بجعفة زبيد . وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدّاء ، ونهد ، وخثعم وشهران ، وناهس . ثم أقبلوا يريدون بنى عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مَذحِج النساء والذرارى حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر ، فقال لهم عامر بن الطفيل : أغيروا بنا على القوم ، فاني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم . فاجابوه الى ذلك ؛ وساروا اليهم فلما دنوا من بنى الحرث ومذحج ومن معهم أخبرتهم عيونهم ، وعادت اليهم مشايخهم فحذروا ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يعاودونهم[1] القتال بفيف الريح . فالتقى الصميل بن الأعور الكلابي وعمرو بن صبيح النهدى فطعنه عمرو ، فاعتنق الصميل فرسه وعاد ، فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه ، وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر بن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان لانهم اجتمعوا برماحهم فصاروا بمنزلة الحرجة وهى شجر مجتمع * وسبب اجتماعهم أن بنى عامر جالوا جولة الى موضع يقال له العرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بنى نمير فوجدهم قد تخلفوا فى المعركة فرجع وهو يصيح ياصباحاه يا نمير اه ولا نمير لى بعد اليوم حتى اقتحم فرسه وسط القوم ، فقويت نفوسهم ، وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل مابين ثغرة نحره إلى سرته عشرين طعنة وكان عامر فى ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول : يافلان مارأيتك فعلت شيئا فمن أبلى فليرني سيفه أو رمحه ، ومن لم يبل شيئا تقدم فأبلى ، فكان كل من أبلى بلاء حسنا أتاه فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه ، فأتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر ، فقال له : ياأبا على انظر ماصنعت بالقوم ؟ انظر الى رمحى فلما أقبل عليه عامر لينظر وجأه بالرمح فى وجنته ففلقها وفقأ عينه وترك رمحه وعاد إلى قومه ، وانما دعاه إلى ذلك مارآه يفعل بقومه فقال : هذا والله مبير قومى فقال عامر بن الطفيل :

أتونا بشهران العريضة كلها * وا كلب طرافى جياد السنوّر[2]
لعمرى وما عمرى علىّ بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

---

(١) وفى نسخة يعادونهم (٢) قال فى القاموس السنور كحزور لبوس من قد كالدرع وجملة السلاح

Marfat.com

Marfat.com

فبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا * جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مراد جريحا فلما برأ من جراحته أطلق، وممن أبلى يومئذ أربد بن قيس بن حر بن خالد بن جعفر، وعبيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر، وقال لبيد بن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل:

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلها فى مثل بكر بن وائل

فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبت عن قرى أضيافه غير غافل

أعاذل لو كان البداد لقوبلوا * ولكن أتانا كل جن وخابل

وخثعم حى يعدلون بمذحج * فهل نحن الا مثل احدى القبائل

وأسرع القتل فى الفريقين جميعا ثم انهم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة وكان الصبر فيها والشرف لبنى عامر *

﴿ يوم اليحاميم ويعرف أيضا بقارات حوق ﴾

وهو بين قبائل طيئ بعضها فى بعض، وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طيء فلما هلك عادت الى حربها، فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان، فقتل قائد بنى جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة ابن لأم وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه، وفى ذلك يقول أبو سروة السنبسى:

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرهامنكم فى الجماجم

وتناقل الحيان فى ذلك اشعارا كثيرة وعظم ماصنعت الغوث على أوس بن خالد ابن لأم وعزم على لقاء الحرب بنفسه وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من رؤساء طيء كحاتم بن عبدالله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء، فلما تجهز أوس للحرب وأخذ فى جمع جديلة ولفها قال أبو جابر:

أقيموا علينا القصد يا آل طيء * والا فان العلم عند التحاسب

فمن مثلنا يوما اذا الحرب شمرت * ومن مثلنا يوما اذا لم نحاسب

فان تقطعينى أو تريدى مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركائبى

وبلغ الغوث جمع أوس لها وأوقدت النار على مناع وهى ذروة اجأ وذلك أول يوم توقد عليه النار فاقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم،

واقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن خارثة بن لأم، وحلف اوس أن لا يرجع عن طيّ حتي ينزل معها جبليها أجأ وسلمى وتجبي له أهلها وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بنى كباد بن جندب فابيروا، قال عدى بن حاتم: انى لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون إذ نظرت الى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكنفا وحُريثا فى شعب لا منفذ له وهو يقول أى ابني أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفاني فان يكن هؤلاء أعماما فهؤلاء أخوال فقلت كأنك قد كرهت قتال أخوالك قال فاحمرت عيناه غضبا وتطاول الىّ حتى نظرت الى ماتحته من سرجه فخفته فضربت فرسى وتنحيت عنه واشتغل بنظره الىّ عن ابنيه فخرجا كالصقرين، وحمل قيس بن عازب على بحير بن زيد الخيل ابن حارثة بن لأم فضربه على رأسه ضربة عنق لها بحير فرسه وولىّ فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتل ذريع، فقال زيد الخيل:

بجيء بني لأم جياد كأنها عصائب طير يوم طل وحاصب
فان تنج منها لا يزل بك شامة اناء حيا بين الشجا والترائب
وفرّ ابن لأم واتقانا بظهره يردعه بالرمح قيس بن عازب
وجاءت بنو معن كأن سيوفهم مصابيح من سقف فليس بآيب
وما فرّ حتى أسلم بن حُمارس لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحاميم فدخلوا بلاد كلب فخالفوهم وأقاموا معهم *

﴿ يوم ذى طلوح ﴾

وهو يوم الصمد ويوم أود أيضا وهو بين بكر وتميم، وكان من حديثه ان عميرة بن طارق بن ارقم اليربوعى التميمى تزوج مُرّية بنت جابر العجلى أخت أبجر، وسار إلى عجل ليبتنى باهله. وكان له فى بنى تميم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بني تميم، فأتى أبجر اخته يزورها وزوجها عندها، فقال لها أبجر: اني لأرجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة، فقال له: ماأراك تبقى علىّ حتي تسلبنى أهلى فندم أبجر، وقال له: ما كنت لأغزو قومك ولكننى متأسر فى هذا الحىّ من تميم، وجمع أبجر والحوفزان ابن شريك الشيبانى، الحوفزان على شيبان وأبجر على اللهازم، ووكلا بعميرة من يحرسه لئلا يأتى قومه فينذرهم، فسار الجيش فاحتال عميرة على الموكل بحفظه، وهرب منه وجدّ السير الى ان وصل الى بنى يربوع، فقال لهم قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل،

Marfat.com

Marfat.com

فاعلموا بني ثعلبة بطنامنهم ، فارسلوا طليعةمنهم فبقوا ثلاثة أيام ، ووصلت بكر فركبت يربوع ، والتقوا بذى طلوح فركب عميرة ولقى أبجر فعرّفه نفسه والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع ، وانهزمت بكر واسرالحوفزان وابنه شريك وابن عنمة الشاعر(١) وكان مع بني شيبان فافتكه متمم بن نويرة وأسر أكثر الجيش البكرى . وقال ابن عنمة يشكر متمما :

جزى الله رب الناس عني متمما * بخير الجزاء ماأعف واجودا
اجيرت به ابناؤنا ودماؤنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل إني لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال سرمدا

﴿ يوم أقرن ﴾

قال أبو عبيدة:غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمى بنى عبس ، فاخذابلهم واستاق سبيهم وعاد حتي إذا كان اسفل ثنية أقرن نزل وابتني بجارية من السبي ، ولحقه الطلب فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا وابنه حنظلة ، واستردوا الغنيمة والسبي ، فنعى جرير على بنى دارم ذلك فقال :

أتنسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافعا

وكان عمرو أسلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطؤا ثنية الطريق فى عودهم وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذى سلكوه فلقوا شدة ،ففى ذلك يقول عنترة:

كأن السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب
شفى النفس مني أو دنا لشفائها * تهورهم من حالق متصوب
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلب

وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس فزاره خاله فقتله بابيه ،فقال فى ذلك مسكين الدارمى :

وقاتل خاله بابيه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

---

(١) وقد ذكر ذلك جرير فى قوله :

ولما لقينا خيل أبجر يدعى بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلما رأوا أن لاهوادة عندنا دعوا بعد كرب ياعمير بن طارق

﴿ يوم السلان ﴾

قال أبو عبيدة: كان بنو عامر بن صعصعة حمسا والحمس قريش ومن له فيهم ولادة، والحمس متشددون فى دينهم، وكانت عامر أيضا لقاحا لايدينون للماوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز، وكان يجهز كل عام لطيمة، وهى النجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ماجهزه، فاخذوه فغضب لذلك النعمان، وبعث الى أخيه لأمه وهو وبرة بن رومانس الكلبى، وبعث الى صنائعه - ووضائعه، والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه: والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ - وأرسل الى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم، فجمعهم فاجابوه - فأتاه ضرار بن عمرو الضبى فى تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف - وكان فارسا شجاعا - فاجتمعوا فى جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها. وقال لهم: اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم، فاقصدوا بنى عامر فانهم قريب بنواحى السلان فخرجوا وكتموا أمرهم، وقالوا: خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم. فارسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بنى عامر يعلمهم الخبر، فسار اليهم وأخبرهم خبرهم، فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان، فاقتتلوا قتالا شديدا فبيناهم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الى وبرة بن رومانس أخى النعمان فاعجبه هيئته فحمل عليه فأسره فلما صار فى أيديهم هم الجيش بالهزيمة، فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي. وقام بامر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديد الساعد، فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار الى الأرض وقاتل عليه بنوه حتي خلصوه وركب، وكان شيخا فلما ركب قال: من سره بنوه ساءته نفسه * فذهبت مثلا، يعنى من سره بنوه اذا صاروا رجالا كبر وضعف، فساءه ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا فى فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أو لأموتن دونك فاحلني على رحل له فداء فاوما ضرار الى حبيش بن دلف، وكان سيدا فحمل عليه أبو براء فأسره. وكان حبيش أسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعزز سائر القوم ألا فى الشوم وقعت فلما سمعها حبيش

Marfat.com

Marfat.com

منه خاف ان يقتله ، فقال: أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعنى الابل فقدأصبته ، فافتدى نفسه بار بعمائة بعير ، وهزم جيش النعمان فلمارجع الفل[1] اليه أخبروه بأسر أخيه و بقيام ضرار بأمر الناس وما جرى له مع أبي براء وافتدى و برة بن رومانس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق . فاستغني يزيد وكان قبله خفيف الحال ، وقال لبيد يذكر أيام قومه :

إني امرؤ منعت أرومة عامر ضيمى وقد حنقت علىّ خصوم

يقول فيها

وغداة قاع القريتين أتاهم رهوا [2] يلوح خلالها التسويم
بكتائب رجح تعوّد كبشها نطح الكباش كأنهن نجوم

قوله قاع القريتين يعني يوم السلان ﴿حبيش بن دلف﴾ بضم الحاء المهملة و بالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحتها نقطتان و آخره شين معجمة *

﴿ يوم ذى علق ﴾

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة و بنو أسد بذى علق فاقتتلوا قتالا عظيما قتل فى المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى أبو لبيد الشاعر ، وانهزمت عامر فتبعهم خالد بن نضلة الاسدى وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل ، وأمعنوا فى الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم فى نفر من اصحابه فقال لخالد : ياابامعقل ان شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا قال قدفعلت فتواقفوا. فقال له أبو براء : هل علمت مافعل ربيعة ؟ قال نعم تركته قتيلا قال ومن قتله ؟ قال : ضربته أنا وأجهز عليه صامت بن الاققم ، فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه ، فمانعهم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم فقال الجميح :

سائل معدا عن الفوارس لاأوفوا بجيرانهم ولا سلموا
يسعى بهم قرزل و يستمع الناس اليهم وتخفق اللمم
ركضا وقد غادروا ربيعة فى الآ ثار لما تقارب النسم
فى صدره صعدة ويخلجه بالرمح حران باسلا أضم

---

(١) اى المنهزمون يستوى فيه الواحد والجمع (٢) الرهو المكان المرتفع والمنخفض ضد

قرزل فرس الطفيل والدعامر بن الطفيل، وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه:

ولامن ربيعة المقترين وريته بذى علق فاقنى حياءكِ واصبرى

﴿ يوم الرقم ﴾

قال أبو عبيدة: غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بني عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يرأس بعدُ، فبلغوا وادى الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع ابن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان، فنذروا ببنى عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد بقرب تضرع فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا، فاقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت: أنا أسماء بنت نوفل الفزارى، وقيل: كانت أسماء بنت حصن بن حذيفة، فبينا عامر يسألها خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة فى أعقابهم، فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه الى أسماء وولّى منهزما فأدتها اليه بعد ذلك، وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبي حارثة المرى وجعل الأشجعيون يذبحون كلّ من أسروه من بنى عامر لوقعة كانت أوقعتها بهم بنو عامر فذلك البطن من بنى أشجع يسمون بني مذحج، فذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض باسماء:

قد ساءلت أسماء وهى خفية * لضحائها أطردت أم لم أطرد
فلأبغينكم القنا وعوارضا * ولأقبلن الخيل لابة ضرغد[1]
ولأبرزن بمالك وبمالك * واخى المرورات الذى لم يسند

فى أبيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائباً عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر ابن الطفيل فانشدوه ماقالوا فيه وما قال فيهم فقال: لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا، ثم قال يخطىء عامرا فى ذكره امرأة من عقائلهم

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب
فانك سوف تحلم أو تباهى * اذا ماشبت أو شاب الغراب
فكن كابيك أو كابي براء * توافقك الحكومة والصواب
فلاتذهب بحلمك طامثات[2] * من الخيلاء ليس لهن باب

---

(١) جبل أو حرة لغطفان (٢) أى فاسدات دنسات

Marfat.com

Marfat.com

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ماهجيت قبلها [١] *

﴿ يوم ساحوق ﴾

قال أبو عبيدة: غزت بنو ذبيان بني عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان سنان بن أبي حارثة المرّى وقد جهزهم وأعطاهم الخيل والابل، وزودهم فاصابوا نعما كثيرة وعادوا. فلحقتهم بنو عامر واقتتلوا قتالا شديدا، ثم انهزمت بنو عامر وأصيب منهم رجال وركبوا الفلاة فهلك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ذبيان تدرك الرجل منهم، فيقولون له: قف ولك نفسك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل وأخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل فى عنقه حبلا وصعد إلى شجرة وشده ودلى نفسه فاختنق [٢] وفعل مثله رجل من بني غنى، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب فادركوه وخلصوه وعيروه بجزعه. وقال عروة بن الورد العبسى فى ذلك:

ونحن صبحنا عامرا فى ديارها * علالة [٣] ارماح وضربا مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهنـــد * ولدن من الخطىّ قد طرا سمرا
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم إذ يلتقى [٤] كان أعذرا

﴿ يوم أعيار و يوم النقيعة ﴾

كان المثلم بن المشجر العائذى ثم الضبي مجاورا لبني عبس فتقامر هو وعمارة بن زياد وهو أحد الكملة فقمره عمارة حتى اجتمع عليه عشرة أبكر فطلب منه المثلم أن يخلى عنه حتى يأتي أهله فيرسل اليه بالذى له فأبى ذلك فرهنه ابنه شِرحاف بن المثلم، وخرج المثلم فاتى قومه فاخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له فى الطريق: يا أبتاه من معضال؟ قال: ذلك رجل من بني عمك ذهب فلم يوجد الى الساعة قال شِرحاف، فاني قد عرفت قاتله قال أبوه: ومن هو؟ قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوماً وقد أخذ فيه الشراب انه قتله ولم يلق له طالبا، ولبثوا بعد ذلك حينا وشب شرحاف، ثم ان عمارة جمع جمعا عظيما من عبس، وأغار بهم على بنى ضبة فاخذوا إبلهم وركبت بنو ضبة

---

(١) وذكر ابن عبدر به أن قسما منهم قطع العطش أعناقهم والحكم بن الطفيل بشنق نفسه خشية المثلة: وسيأتى ذكر المؤلف الحكاية فى وقعة ساحوق. الادارة (٢) قد علمت ان ابن عبد ربه ذكر ذلك فى وقعة الرقم. الادارة (٣) العلالة ما حلب بعد الفيقة الاولى (٤) وفى العقد: ومقتلهم تحت الوغى كان اجدرا

فادركوهم فى المرعى ، فلما نظر شرحاف الى عمارة ، قال ياعمارة أتعرفني ؟ قال من أنت؟ قال انا شرحاف أدّ إلىّ ابن عمى معضالا لامثله يوم قتلته ، وحمل عليه فقتله . واقتتلت ضبة وعبس قتالا شديدا واستنقذت ضبة الابل ،وقال شرحاف :

ألا أبلغ سراةَ بنى بغيض * بما لاقت سراة بني زياد
وما لاقت جذيمة إذ تحامى * وما لاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعا يقتلون بكل واد
وما إن فاتنا إلا شريد * يؤم القفر فى تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل وردا وما كل بداد
تركتهم بوادى البطن رهنا * لسيدان [1] القرارة والجلاد

﴿ يوم النباة ﴾

قال أبو عبيدة:خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثارها يوم الرقم و يوم ساحوق فصادفت بنى عبس وليس معهم أحد من غطفان ، و كانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بنى عامر . وقيل: بل شهدها أشجع وفزارة وغيرهما من بنى غطفان على ماذكره قال: وأغارت بنو عامر على نعم بنى عبس وذبيان وأشجع فأخذوها ، وعادوا متوجهين الى بلادهم فضلوا فى الطريق فسلكوا وادى النباة فامعنوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره و كاد الجبلان يلتقيان اذا هم بامرأة من بنى عبس تخبط الشجر [2] لهم فى قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم:الفوارس المطلع ، و كانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهى على الجبل ولم يرها بنو عامر لأنهم فى الوادى فارسلوا رجلا الى قلة الجبل ينظر فقال لهم:أرى قوماً كأنهم الصبيان على متون الخيل أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا: تلك فزارة قال وأرى قوداً بيضا جعادا كأن عليهم ثيابا حمرا قالوا تلك أشجع ،قال:وأرى قوماً نسورا قد قلعوا خيولهم ببدادهم كأنهما يحملونها حملا بانخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها قالوا:تلك عبس أتاكم الموت الزؤام . ولحقهم الطلب بالوادى فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد ففات القوم وأعيا فرسه الورد وهو المربوق أيضا فعقره لئلا تفتحله فزارة ، واقتتل الناس ودام القتال بينهم وانهزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر

(١) جمع سيد بكسر السين وهو الذئب (٢) اى تضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها

Marfat.com

ابن مالك و به يكنى أبوه ، وقتل نهشل،وأنس،وهزار بنومرة بن انس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبـد الله بن الطفيل أخا عامر قتـله الربيع بن زياد العبسى وغيرهم كثير ،وتمت الهزيمة على بنى عامر *

﴿ يوم الفرات ﴾

قال أبو عبيدة : أغار المثنى بن حارثة الشيبانى وهو ابن أخت عمران بن مرة على بني تَغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلتهم ، وغرق منهم ناس كثير فى الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم فى ذلك:

ومنا الذى غشى الدليكة سيفه * على حين ان أعيا الفرات كتائبه
ومنا الذى شد الركىّ ليستقى * ويسقى محضا غير ضاف جوانبه
ومنا غريب الشام لم ير مثله * أفك لعان قد تناءى أقاربه

﴿الدليكة﴾ فرس المثني بن حارثة . والذى شد الركىّ مرة بن همام ، وغريب الشام ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة *

﴿ يوم بارق ﴾

قال المفضل الضبى: ان بنى تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهى من أرض السواد . وأرسلوا وفدا منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم ، وأرادوا قصد تغلب ومن معهم ، فقال زيد بن شريك الشيباني ان قد اجرت أخوالى وهم النمر بن قاسط فأمضوا جواره وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلها ، واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان من أعظم الأيام عليهم قتـل الرجال ونهب الأموال وسبي الحريم ، فقال أبو كلبة الشيباني:

وليلة بسعادى لم تدع سندا لتغلبى ولا انفـا ولا حسبا
والنمريون لولا سر من ولدوا من آل مرة شاع الحىّ منتهبا

﴿ يوم طخفة ﴾

وهو لبنى يربوع على عساكر النعمان بن المنذر ، قال أبو عبيدة: وكان سبب هذه الحرب ان الردافة وهى بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبنى يربوع من تميم يتوارثونها صغيرا عن كبير ؛ فلما كان أيام النعمان ، وقيل أيام ابنه المنذر

سألها حاجب بن زرارة الدارمى التميمى النعمان ان يجعلها للحرث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمى التميمى فقال النعمان لبنى يربوع فى هذا وطلب منهم أن يجيبو الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم أسفل طخفة فحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا أخاه ابنى المنذر : قابوس على الناس . وحسان على المقدمة وضم اليهم جيشا كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم، فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره ، وأراد أن يجزّ ناصيته ، فقال : ان الملوك لا تجز نواصيها فارسله . وأما حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين فمنّ عليه وأرسله ، فعاد المنهزمون الى النعمان : وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعى عند الملك ، فقال له: ياشهاب أدرك ابني وأخى ، فان أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم الفى بعير ، فسار شهاب فوجدهما حيين فأطلقهما ، ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم فى ردافتهم ،وقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه الموت والخيل تلجب[1]
عليه دلاص[2] ذات نسج وسيفه جرا من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها إنا مداريك نيلها اذا طلب الشأو البعيد المغرب

﴿ يوم النباج وثيتل ﴾

قال أبو عبيدة: غزا قيس بن عاصم المنقرى ثم التميمى مقاعس وهم بطون من تميم وهم صريم، وربيع، وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد . وغزا معه سلامة بن ظرب الحمانى فى الأحارث ، وهم بطون من تميم أيضا: وهم حمان ،وربيعة ؛ ومالك . والأعرج بنو كعب بن سعد ، فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات أبناء ثعلبة بن عكاشة [3] بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة ، وعجل ابن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة ، فأغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ثيتل ليغير على من بها ، فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء ، وقال لمن معه قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم . فاغار على من به من بكر صبحا ، فقاتلوهم قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم مالا

---

(١) تصهل وتضطرب (٢) أى الدرع الملساء اللينة (٣) كذا فى الاصول وهو غلط والصواب عكابة

Marfat.com

يحد كثرة ، فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثيتل ، فادركهم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهم قيس ايضا فقاتلوه وانهزموا؛ واصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنباج ، وجاء سلامة فقال أغرتم على من كان لى فتنازعوا حتي كاد الشرّ يقع بينهم ، ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليه ففى ذلك يقول ربيعة بن طريف [1] *

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فأنت لنا عز عزيز ومعقل
وأنت الذى خويت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباج وثيتل [2]

وقال قرّة بن زيد بن عاصم *

أنا ابن الذى شق المرار وقد رأى * بثيتل أحياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان [3] قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الأمر أصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من أعطافهن تحدرا [4]
فلم يرها الراؤن إلا فجاءة * تثرن عجاجا كالدواخن أكدرا
وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلافى ذراعيه أسمرا [5]

﴿ ثيتل ﴾ بالثاء المثلثة المفتوحة والياء المسكنة المثناة من تحتها والتاء المثناة من فوقها *

﴿ يوم فلج ﴾

قال أبو عبيدة : هذا يوم لبكر بن وائل على تميم ؛ وسببه أن جمعا من بكر ساروا الى الصعاب ، فشتوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا ، فمروا بالدوّ [6] فلقوا ناسا من بنى تميم من بني عمرو وحنظلة . فأغاروا على نعم كثير لهم ومضوا ، واتي بنى عمرو وحنظلة ، الصريخ فاستجاشوا لقومهم ، فاقبلوا فى آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلتين حتي جهدهم السير وانحدروا فى بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين

((١) كذا فى الأصول وفى العقد الفريد ربيعة بن ظرب (٢) وبعده :

غدا وغدت يا آل شيبان اذ رأت * كراديس يزجيهن ورد محجل
وظلت عقاب الموت تهفو عليهم * وشعث النواصى لجمهن تصاصل
فما منكم أبناء بكر بن وائل * لغارتنا إلا ركوب مذلل

(٣) الذيفان السم الناقع أو القاتل (٤) فى العقد الفريد يقدم هذا البيت على الذى قبله (٥) وبعد ذلك

وجشامة الذهلى قدناه عنوة * الى الحى مصفود اليدين مفكرا

وهذا يدل على انهم أخذوا منهم أسارى أيضا . الادارة (٦) هى الصحراء الواسعة

Marfat.com

Marfat.com

ربيئة ليخبراهم بخبرهم ان ساروا اليهم فلما وصلت تميم الى الرجلين أجريا فرسيهما وسارا مجدين ، فأنذرا قومهما ، فاتاهم الصريخ بمسير تميم عندوصولهم الى فلج ، فضرب حنظلة ابن يسار العجلى قبته ونزل . فنزل الناس معه وتهيؤا للقتال معه ، ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالا شديدا ، وحمل عرفجة بن بجير العجلى على خالد بن مالك بن سلمة التميمى فطعنه وأخذه أسيرا ، وقتل فى المعركة ربعى بن مالك بن سلمة . فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ، ثم ان عرفجة أطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد :

وجدنا الرفد رفد بنى لجيم * اذا ما قلت الارفاد زادا
همو ضربوا القباب ببطن فلج * وذادوا عن محارمهم ذيادا
وهم منوا علىّ وأطلقونى * وقد طاوعت فى الجنب القيادا
أليسوا خير من ركب المطايا * وأعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
أليس همو عماد الحى بكرا * اذا نزلت مجللة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا :

لو كنت حرا يا ابن سلمى بن جندل * نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل
فما بال أصداء بفلج غريبة * تنادى مع الأطلال يالابن حنظل
صوادى لا مولى عزيز يجيبها * ولا أسرة تسقى صداها بمنهل
وغادرت ربعيا بفلج ملحبا (١) * وأقبلت فى أولى الرعيل المعجل
تؤامل من خوف الردى لاوقيته * كما نالت الكدراء من حين أجدل

يعيره حيث لم يأخذ بثار أخيه ربعى ومن قتل معه يوم فلج ويقول: ان أصداءهم تنادى ولا يسقيها أحد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا *

* ﴿ يوم الشيطين (٢) ﴾ *

قال أبو عبيدة: كان الشيطان لبكر بن وائل ، فلما ظهر الاسلام فى نجد سارت بكر قِبل السواد وبقى مقايس بن عمرو العائذى بن عائذة من قريش حليف بنى شيبان بالشيطين ، فلما أقامت بكر فى السواد لحقهم الوباء والطاعون الذى كان أيام كسرى شيرويه ، فعادوا هاربين فنزلوا لعلع وهى مجدبة . وقد أخصب الشيطان فسارت تميم فنزلوا بها

---

(١) اللحب كمعظم هو الذى يوطأ ويداس (٢) هو تثنية شيط ككيس موضع بالعمان

Marfat.com

وبلغت أخبار خصب الشيطين الى بكر فاجتمعوا ، وقالوا : نغير على تميم ، فان فى دين ابن عبد المطلب يعنون النبي ان من قتل نفسا قتل بها فنغير هذه الغارة ، ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذرارى والأموال ورئيسهم بشر بن مسعود بن قيس بن خالد فأتوا الشيطين فى أربع ليال والذى بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتي صبحوهم وهم لايشعرون ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، وصبرت تميم ، ثم انهزمت فقال رشيد ابن رميض العنبرى يفتخر بذلك :

وما كان بين الشيطين ولعلع لنسوتنا إلا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكاد له ظهر الوديعة يطلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه له عارض فيه المنية تلمع
صبحنابه سعدا وعمرا ومالكا فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذاحسب من آل ضبة غادروا بجرى كما يجرى الفصيل المفزع
تقصع يربوع بسرة أرضنا وليس ليربوع بها متقصع

ثم ان النبى ﷺ كتب الى بكر بن وائل على ماباًيديهم ﴿الشيطين﴾ بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحتها وبالطاء المهملة آخره نون *

﴿ أيام الأنصار وهم الأوس والخزرج التي جرت بينهم ﴾

الأنصار لقب قبيلتي الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مَزِيقياء ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، لقبهم به رسول الله ﷺ لما هاجر اليهم ، ومنعوه ونصروه ، وأم الأوس والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهم ابناء قيلة ، وانما لقب ثعلبة العنقاء لطول عنقه ، ولقب عمرو مزيقياء لأنه كان يمزق عنه كلّ يوم حلة لئلا يلبسها أحد بعده ، ولقب عامر ماء السماء لسماحته وبذله كأنه ناب مناب المطر ، وقيل لشرفه ، ولقب امرؤ القيس البطريق لأنه اول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام فقيل له : البطريق [1] وكانت

---

(١) تسميته بالبطريق ليس من لغة اليهود فلا بد أن تكون التسمية رومانية والرومان لم يكن بينهم وبين الاوس والخزرج اتصال فكيف جاء هذا ؟

مساكن الازد بمارب من اليمن الى ان أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء ان سيل العرم يخرّب بلادهم ، و يغرق أكثر أهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى [1] اليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار ، وسار عن مأرب هو ومن تبعه ، ثم تفرقوا فى البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها ، فسكنت خزاعة الحجاز ، وسكنت غسان الشام ، ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة ، و كانت تسمى يثرب فتخلف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما ، و كان فيها قرى وأسواق وبها قبائل من اليهود من بنى اسرائيل وغيرهم : منهم قريظة ، والنضير ، و بنو قينقاع و بنو ماسلة ، وزعورا وغيرهم ، وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها اذا خافوا فنزل عليهم الأوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون إلا ان الغلبة والحكم لليهود إلى ان كان من الفطيون ومالك بن العجلان مانذكره إن شاء الله تعالى ، فعادت الغلبة للأوس والخزرج ولم يزالوا على حال اتفاق واجتماع إلى أن حدث بينهم حرب سمير على مانذكره ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر غلبة الأنصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفطيون ﴾

قد ذكرنا ان الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الأنصار ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن ملك عليهم الفطيون اليهودى ، وهو من بنى اسرائيل ، ثم من بني ثعلبة ، وكان رجل سوء فاجرا وكانت اليهود تدين له بان لاتزوج امرأة منهم إلا دخلت عليه قبل زوجها ، وقيل : انه كان يفعل ذلك بالأوس والخزرج أيضا ، ثم ان اختا لمالك بن العجلان السالمى الخزرجى تزوجت ، فلما كان زفافها خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك ، وقد كشفت عن ساقيها ، فقال لها مالك : لقد جئت بسوء قالت : الذى يراد بي الليلة أشد من هذا ادخل على غير زوجى ، ثم عادت فدخل عليها أخوها ، فقال لها : هل عندك من خبر ؟ قالت : نعم فما عندك ؟ قال أدخل مع النساء فاذا خرجن ودخل عليك قتلته قالت : افعل ، فلما ذهب بها النساء إلى الفطيون انطلق مالك معهن فى زى امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عندها ودخل عليها [2] الفطيون قتله مالك وخرج هاربا ، فقال بعضهم فى ذلك من أبيات :

---

(١) من هم أولئك الرسل ؟ (٢) فى النسخة الأميرية عليهن وهى خطأ

Marfat.com

Marfat.com

هل كان للفطيون عقر نسائكم؟ * حكم النصيب فبئس حكم الحاكم
حتى حباه مالك بمرشة * حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام، فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له أبو جبيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم، وهو أحد بني غضب بن جُشم بن الخزرج. وكان قد ملكهم وشرف فيهم، وقيل: انه لم يكن ملكا؛ وانما كان عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لان ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو أيضا من الخزرج على ماذكر، فلما دخل عليه مالك شكا اليه ما كان من الفطيون وأخبره بقتله، وانه لايقدر على الرجوع، فعاهد الله أبو جبيلة أن لايمس طيبا ولا يأتي النساء حتي يذل اليهود ويكون الأوس والخزرج أعز أهلها، ثم سار من الشام فى جمع كثير وأظهر أنه يريد اليمن حتي قدم المدينة فنزل بذى حُرُض، وأعلم الأوس والخزرج ماعزم عليه، ثم أرسل إلى وجوه اليهود يستدعيهم اليه، وأظهر لهم انه يريد الاحسان اليهم فاتاه أشرافهم فى حشمهم وخاصتهم، فلما اجتمعوا ببابه أمر بهم فادخلوا رجلا رجلا وقتلهم عن آخرهم فلما فعل بهم ذلك صارت الأوس والخزرج أعز أهل المدينة فشاركوا اليهود فى النخل والدور. ومدح الرمق بن زيد الخزرجى أبا جبيلة بقصيدة منها:

وأبو جبيلة خير من * يمشى وأوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعـ * ـلمهم بهدى الصالحينا
أبقت لنا الأيام والـ * ـحرب المهمة تعترينا
كبشاله قرن يعـ * ـض حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جبيلة: عسل طيب فى وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا، فقال الرمق: انما المرء باصغريه قلبه ولسانه، ورجع أبو جبيلة إلى الشام ﴿ حرض ﴾ بضم الحاء والراء المهملتين وآخره ضاد معجمة *

﴿ حرب سمير ﴾

ولم يزل الأنصار على حال اتفاق واجتماع، وكان أول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سمير، وكان سببها ان رجلا من بنى ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له: كعب ابن العجلان نزل على مالك بن العجلان السالمى، فحالفه وأقام معه، فخرج كعب يوما الى سوق بنى قينقاع، فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول: ليأخذ هذا الفرس

أعز أهل يثرب ، فقال رجل فلان ، وقال رجل آخر أحيحة بن الجلاح الأوسى ، وقال غيرهما فلان ابن فلان اليهودى أفضل أهلها ، فدفع الغطفاني الفرس الى مالك بن العجلان، فقال كعب : ألم أقل لكم ان حليفى مالكا أفضلكم ؟ فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سمير ، وشتمه وافترقا وبقى كعب ماشاء الله ، ثم قصد سوقا لهم بقباء ، فقصده سمير ولازمه حتى خلا السوق فقتله ، وأخبر مالك بن العجلان بقتله ، فارسل الى بنى عمرو بن عوف يطلب قاتله ، فارسلوا انا لاندرى من قتله وترددت الرسل بينهم : هو يطلب سميرا ، وهم ينكرون قتله ، ثم عرضوا عليه الدية فقبلها ، وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم فابي مالك إلا أخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطى دية الحليف : وهى النصف ولجّ الأمر بينهم حتي أتى الى المحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وافترقوا ودخل فيها سائر بطون الأنصار ثم التقوا مرة أخرى واقتتلوا حتي حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للأوس فلما افترقوا أرسلت الأوس الى مالك يدعونه الى أن يحكم بينهم المنذر بن حرام النجارى الخزرجى جد حسان بن ثابت بن المنذر فاجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يدوا كعبا حليف مالك دية الصريح ثم يعودون الى سُنتهم القديمة فرضوا بذلك وحملوا الدية وافترقوا وقد شبت البغضاء فى نفوسهم وتمكنت العداوة بينهم *

﴿ذكر حرب كعب بن عمرو المازني﴾

ثم ان بني حجبا (١) من الأوس وبني مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها ان كعب بن عمرو المازني تزوج امرأة من بنى سالم فكان يختلف اليها ، فامر أحيحة بن الجلاح سيد بنى حجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو فامر قومه فاستعدوا للقتال وأرسل الى بنى حجبا يؤذنهم بالحرب فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو حجبا ومن معهم وانهزم معهم أحيحة فطلبه عاصم بن عمرو فادركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم فوقع فى باب الحصن فقتل عاصم أخا لأحيحة فمكثوا بعد ذلك ليالى فبلغ أحيحة أن عاصما يتطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال أحيحة :

---

(١) بجيم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فجيم مفتوحة آخره ألف مقصورة رسم هنا وفى الاغانى بالالف ورسمه صاحب القاموس بالياء ، وهم حى من الانصار . الادارة

Marfat.com

Marfat.com

نبئت أنك جئت تسـرى بين دارى والقبابه
فلقدوجدت بجانب الضحيان شبانا مهابه
فتيان حرب فى الحديد وشامرين كأسد غابه
هم نكبوك عن الطريق فبت تركب كل لابه
أعصيم لاتجزع فان الحرب ليست بالدعا به
فانا الذى صبحتكم بالقوم اذ دخلوا الرحابه
وقتلت كعبا قبلها وعلوت بالسيف الذؤابه

﴿ فاجابه عاصم ﴾

أبلغ أحيحة ان عرضـ ـت بداره عني جوابه
وانا الذى أعجلته عن مقعد ألهى كلابه
ورميته سهما فاخـ ـطأه واغلق ثمّ بابه

فى أبيات ، ثم ان أحيحة اجمع ان يبيت بنى النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية ، وهى أم عبد المطلب جد النبي ﷺ فما رضيت ، فلماجنها الليل وقد سهر معها أحيحة فنام فلمانام سارت الى بني النجار فاعلمتهم [1] ثم رجعت فحذروا وغدا احيحة بقومه مع الفجر فلقيهم بنو النجار فى السلاح فكان بينهم شيء من قتال وانحاز أحيحة وبلغه ان سلمى أخبرتهم فضربها حتي كسر يدها وأطلقها [2] وقال أبياتا منها : [3] *

---

(١) وأورد صاحب الأغانى تفصيل ذلك بأنها شدت ولدها عمرو بن أحيحة حتى آلمته فبقى يبكى وهى وأحيحة ساهران عليه الى معظم الليل فأرخت الشد فسكت الصبى وادعت وجع الرأس فعصب رأسها وفى آخر الليل أعلمته أن صحتها تحسنت وقالت له قم فنام وعملت ذلك ليثقل رأسه فلما نام ربطت فى الحصن حبلا فتدلت منه فسميت المتدلية . الادارة (٢) كذا فى الأصول ولعلها وطلقها لان الطلاق معروف عند العرب قديما . الادارة (٣) وأول الأبيات فيه صراحة لما نقلناها وهى *

تفهم أيها الرجل الجهول ولايذهب بك الرأى الوبيل
فان الجهل محمله خفيف وان الحلم محمله ثقيل
اذا باتت أعصبها فنامت على مكانها الحمى الشمول
لعلّ (عصابها) يبغيك حربا ويأتيهم بعورتك الدليل
وقدأعددت لاحدثان أصلا لو أن المرء ينفعه العقول

و بعدها ماذكره المصنف .وقد ذكر صاحب الأغانى هذين البيتين :

أخلق الربع من سعاد فأمسى ربعه مخلقاً كدرس الملاة

Marfat.com

لعمر أبيك ما يغنى مكاني من الحلفاء آكلة غفول
تؤوّم لا تقلص مشمعلا مع الفتيان مضجعه ثقيل
تنزع للحليلة حيث كانت كما يعتاد لقحته الفصيل
وقد اعددت للحدثان حصناً لو ان المرء ينفعه العقول
جلاء القين ثمت لم تخنه مضارب ه ولاطته فلول
فهل من كاهن آوى اليه إذا ما حان من آل نزول
يراهنني ويرهني بنيه وارهنه بنيّ بما أقول
فما يدرى الفقير متي غناه وما يدرى الغني متي يعيل
وما تدرى وان اجمعت أمرا بأى الارض يدركك المقيل
وما تدرى وان انتجت سقيا لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما ان اخوة كبر وا و طابوا بباقية وأمهم هبول
ستثكل أو يفارقها بنوها بموت أو يجىء لهم قتول

﴿ ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف و بنى الحرث وهو يوم السرارة)*

ثم ان بنى عمرو بن عوف من الأوس و بنى الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة ، و كان سببها ان رجلا من بني عمرو قتله رجل من بني الحرث ، فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة ، فاستكشف أهله ، فعلموا كيف قتل فتهيؤا للقتال وأرسلوا الى بنى عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب ، فالتقوا بالسرارة ، وعلى الأوس حُضير بن سماك والد أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذى كان رأس المنافقين ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر بعضهم لبعض أربعة أيام ؛ ثم انصرفت الأوس الى دورها ففخرت الخزرج بذلك ، وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فدى لبنى النجار أمى وخالتي * غداة لقوهم بالمثقفة السمر
وصرم من الأحياء عمرو بن مالك * اذا مادعوا كانت لهم دعوة النصر
فوالله لا أنسى حياتى بلاءهم * غداة رموا عمراً بقاصمة الظهر

باليا بمدحاضر ذى انيس من سليمى اذ تغتدى كالهاة

— الملاة الصحراء — وقال انها قصيدة طويلة لكنه لم يذكرسواهما ، وقال : يقال ان فى هذين البيتين منها غناء . الادارة *

Marfat.com

﴿ وقال حسان أيضا ﴾

لعمر أبيك الخير بالحق (١) مانبا * علىّ لساني فى الخطوب ولايدى
لسانى وسيفى صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودى
فلا الجهد ينسيني حياتي وحفظتي * ولا وقعات الدهر يفللن مبردى (٢)
أكثر أهلى من عيال سواهم * وأطوى على الماء القراح المبرد

﴿ ومنها ﴾

وإنى لمنجاء المطى على الوجى * وإني لنزال لما لم أعوّد (٣)
وإنى لقوال لذى اللوث (٤) مرحبا * وأهلا اذا ماريع من كل مرصد
وإني ليدعوني الندى فاجيبه * وأضرب بيض العارض المتوقد
فلا تعجلن ياقيس واربع فانما * قصاراك أن تلقى بكل مهند
حسام وأرماح بايدى أعزة * متي ترهم ياابن الخطيم تلبد
أسود لدى الأشبال يحمى عرينها * مداعيس بالخطى فى كل مشهد

وهى أبيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم *

تروح عن الحسناء أم أنت مغتدى * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتى * شريد بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم (٥) حال (٦) يزينه * على النحر ياقوت وفص زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد فى الظلماء أى توقد

---

(١) الذى فى ديوانه ياشعث بدل بالحق (٢) الذى فى ديوانه

فلا المال ينسينى حيائى وعفتى ولا واقعات الدهر يفللن مبردى

وقبله بيت تركه المصنف وهو

وان أك ذامال قليل اجد به وان يهتصر عودى على الجهد يحمد

(٣) الذى فى ديوانه تقسيم هذا البيت الى بيتين وهما :

وانى لحلو تعترينى مرارة وانى لتراك لما لم اعود
وانى لمزج للمطى على الوجى وانى لتراك الفراش الممهد

والوجى الحفاء (٤) اى مرتكب الجريمة وفى نسخة لديوان لدى البث، أى الحزن والمعنى على الاثنين صحيح الادارة (٥) الريم الغزال (٦) وفى ديوان حسان صاف و بدل فص فصل وهو الاوجه لان الفص فى الخاتم لا فى العنق

Marfat.com

الا ان بين الشرعبي وراتج (١) * ضرابا كتجذيم السيال المعضد
لنا حائطان الموت أسفل منهما * وجمع متي يصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمرّ لونها * ويسهل منها كلّ ربع وفدفد
فاني لأغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
نشا غمرا بورا شقيا ملعنا * الد كأن رأسه رأس أصيد (١)
كثير المني بالزاد لاصبر عنده * اذا جاع يومايشتكيه ضحى الغد
وذى شيمة عسراء خالف شيمتى * فقلت له دعني ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق إلا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
متي ماتقد بالباطل الحق يأبه * فان قدت بالحق الرواسى تنقد
اذا ماأتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وهى طويلة * وقال عبيد بن ناقد :

لمن الديار كأنهن المذهب * بليت وغيرها الدهور تقلب

يقول فيها فى ذكر الوقعة :

لكن فرار أبي الحباب بنفسه * يوم السرارة سىء منه الاقرب
ولىّ وألقى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
بلك منا بعد ماقد أشرعت * فيك الرماح هناك شد المذهب

وهى طويلة أيضا * وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول *

﴿ حرب الحصين بن الاسلت ﴾

ثم كانت حرب بين بني وائل بن زيد الأوسيين وبين بني مازن بن النجار الخزرجيين

---

(١) هذا هو الصواب كما أورده ياقوت فى معجمه قال ابن حبيب الشرعبى وراتج ومزاحم أطام بالمدينة وهو لبنى زعورا من الخزرج . والتجذيم القطع قال فى القاموس جذمه — بالتضعيف — فانجذم وتجذم قطعه، والسيال كسحاب ماطال من السمر اوهو نبات له شوك ابيض طويل ، وفى الاصول.

الا ان بين السروعين و رائج ضرابا كتجديم السيال المعضد

وهو تحريف كما علمت. الادارة (٢) هكذا ورد فى الديوان ، والغمر من لم يجرب الامور ، والبور الرجل الفاسد ، والالد الخصم الشحيح الذى لا يزيح الى الحق والاصيد هنا هو الذى يرفع رأسه كبرا وقد جاء فى الاصول :

فنا عمرا ثورا شقيا مرهطا الد كأن رأسه رأس اصيد

وهو لا معنى له وتحريف ظاهر . الادارة

وكان سببها ان الحصين بن الأسلت الاوسى الوائلى نازع رجلا من بني مازن فقتله الوائلى ثم انصرف الى أهله فتبعه نفر من بني مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الأسلت فجمع قومه وأرسل الى بني مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيؤا للقتال ولم يتخلف من الاوس والخزرج أحد فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا ؛ وقتل أبو قيس ابن الاسلت الذين قتلوا أخاه ثم انهزمت الأوس فلام وحوح بن الاسلت أخاه ابا قيس وقال لا يزال منهزم من الخزرج: فقال أبو قيس لاخيه ويكنى أبا حصين :

أبلغ أبا حصن وبعـ ـض القول عندى ذو كباره
ان بن أم المرء ليـ ـس من الحديد ولا الحجاره
ماذا عليكم ان يكو نلكم بها رحلا عماره
يحمى ذمار كم وبعـ ـض القوم لا يحمى ذماره
يبني لكم خيرا وبنـ ـيان الكريم له أثاره

فى أبيات

﴿ حرب ربيع الظفرى ﴾

ثم كانت حرب بين بنى ظفر من الأوس و بين بني مالك بن النجار من الخزرج، و كان سببها ان ربيعا الظفرى كان يمر فى مال لرجل من بنى النجار الى ملك له ، فمنعه النجارى فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومهما فاقتتلوا قتالا شديدا كان أشد قتال بينهم ، فانهزمت بنو مالك بن النجار ، فقال قيس بن الخطيم الأوسى فى ذلك :

أجد بعمرة غنيانها * فتهجر أم شاننا شانها
فان تمس شطت بهادارها * وباح لك اليوم هجرانها
فما روضة من رياض القطا * كأن المصابيح حوذانها
باحسن منها : ولا نزهة * ولوج تكشف أدجانها
وعمرة من سروات النسا * ء ينفح بالمسك أردانها
﴿ منها ﴾ ونحن الفوارس يوم الربيـ ـع قد علموا كيف أبدانها [1]
جنونا لحرب وراء الصريـ ـخ حتى تقصد مرانها
تراهن يخلجن خلج الدلا * يبادر بالنزع أشطانها

وهى طويلة فأجابه حسان بن ثابت الخزرجى بقصيدة أولها *

لقد هاج نفسك أشجانها * وغادرها [2] اليوم أديانها

---

(١) فى الاغانى بعده : حسان الوجوه حداد السيو ف يبتدر المجد شبانها (٢) الذى فى ديوانه وعاودها

Marfat.com

﴿ومنها﴾

ويثرب تعلم أنا بها * اذا التبس الحق ميزانُها
ويثرب تعلم أنا بها * اذا أقحط القطر نوآنها (١)
ويثرب تعلم اذ حاربت * بأنا لدى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن المبيت عند الهزاهز ذلانها

﴿ومنها﴾

متي ترنا الأوس فى بيضنا * نهز القنا تخب نيرانها
وتعط المقاد على رغمها * وتنزل من الهام عصيانها (٢)
فلا تفخرن والتمس ملجأ * فقد عاود الأوس أديانها

﴿حرب فارع بسبب الغلام القضاعى﴾

ومن أيامهم يوم فارع، وسببه أن رجلا من بنى النجار أصاب غلاما من قضاعة ثم من بلى، وكان عم الغلام جاراً لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسى والد سعد بن معاذ، فأتى الغلام عمه يزوره فقتله النجارى، فارسل معاذ الى بنى النجار أن ادفعوا إلىّ دية جارى أو ابعثوا إلىّ بقاتله أرى فيه رأيي فأبوا أن يفعلوا. فقال رجل من بني عبد الأشهل والله إن لم تفعلوا لانقتل به إلا عامر بن الاطنابة، وعامر من أشراف الخزرج فبلغ ذلك عامراً فقال:

ألا من مبلغ الاكفاء عني * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكمُ وما ترجون شطرى * من القول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عزتى وأبى بلائي * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإعطائى على المكروه مالى * وضربي هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعدُ عن عرض صحيح

---

(١) نوآن جمع نوء وهو النجم مال الى الغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله فى ساعته من المشرق (٢) كذا فى الأصول وهو كلام غير مفهوم ولعلها محرفة عن عقبانها

Marfat.com

بذى شطب كلون الملح صاف * ونفس لا تقر على القبيح

فقال الربيع بن أبي الحقيق اليهودى فى عراض قول عامر بن الاطنابة:

ألا من مبلغ الأكفاء عنى * فلا ظلم لدىّ ولا افتراء
فلست بغائظ الأكفاء ظلما * وعندى للملامات اجتزاء
فلم أر مثل من يدنو لخسف * له فى الأرض سير واستواء
وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتي إلا عناء
و بعض القول ليس له علاج[1] * كمحص الماء ليس له إناء
و بعض خلائق الأقوام داء * كداء الشح ليس له دواء
و بعض الداء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له شفاء
يحب المرء أن يلقى نعيما * ويأبي الله إلا ما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى * تثلمه كما ثلم الاناء
وكل شدائد نزلت بحىّ * سيأتى بعد شدتها رخاء
فقل للمتقى عرض المنايا * توق فليس ينفعك اتقاء
فما يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمى لدى الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه الحباء
غنى النفس ما استغني بشيء * وفقر النفس ماعمرت شقاء
يود المرء ما تفد الليالى * وكان فناؤهن له فناء

فلما رأى معاذ بن العمان امتناع بني النجار من الدية أو تسليم القاتل اليه تهيا للحرب وتجهز هو وقومه؛ واقتتلوا عند فارع وهو أطم حسان بن ثابت، واشتد القتال بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتي حمل ديته عامر بن الاطنابة؛ فلما فعل صلح الذى كان بينهم؛ وعادوا الى أحسن ما كانوا عليه؛ فقال عامر بن الاطنابة فى ذلك:

صرمت ظليمة خلتى ومراسلى وتباعدت ضنا بزاد الراحل
جهلا وما تدرى ظليمة انني قد أستقل بصرم غير الواصل

---

(١) كذا فى الأصول وهو غير مناسب والأنسب عناج - بالنون - ككتاب حبل يشد فى أسفل الدلو العظيمة يشد الى العراقى وقول لا عناج له - بالكسر - أرسل بلا رو ية

Marfat.com

ذللر كابي حيث شئت مشيعى اني أروع قطا المكان العاقل
اظليم مايدريك ربة خلة حسن مرغمها[1] كظبي الحائل
قد بت مالكها وشارب قهوة درياقة روّيت منها واغلى
بيضاء صافية يرى من دونها قعر الاناء يضيء وجه الناهل
وسراب هاجرة قطعت اذا جرى فوق الاكام بذات لون باذل
أجد[2] مراحلها كأن عفاءها[3] سقطان من كتفى ظليم جافل
فلنأكلن بناجز من مالنا ولنشربن بدين عام قابل
اني من القوم الذين اذا انتدوا بدؤا ببر الله ثم النائل
المانعين من الخنى جيرانهم والحاشدين على طعام النازل
والخالطين غنيهم بفقيرهم والباذلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكبش يبرق بيضه ضرب المهند عن حياض الناهل
والعاطفين على المصاف خيولهم والملحقين رماحهم بالقاتل
والمدركين عدوهم بذحولهم والنازلين لضرب كل منازل
والقائلين معاً خذوا أقرانكم ان المنية من وراء الوائل
خزر عيونهم الى أعدائهم يمشون مشى الأسد تحت الوابل
ليسوا بأنكاس ولا ميل إذا ماالحرب شبت اشعلوا بالشاعل
لايطبعون وهم على أحسابهم يشفون بالاحلام داء الجاهل
والقائلين فلا يعاب خطيبهم يوم المقالة بالكلام الفاصل

وانما أثبتنا هذه الأبيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها *

﴿ حرب حاطب ﴾

ثم كانت الوقعة المعروفة بحاطب ؛ وهو حاطب بن قيس من بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف الأوسى وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة . وكان بينهما أيام ذكرنا المشهور منها وتركنا ماليس بمشهور ، وحرب حاطب آخر وقعة كانت بينهم الا يوم بُعاث حتى جاء الله بالاسلام ، وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا شريفا سيدا

(١) كذا في الأصول ولم أقف له على معنى ولعله محرف عن ترغمها والترغم التغضب وزنا ومعنى (٢) الاجد القوية
(٣) العفاء الشعر الطويل ، يشبهه بريش ذكر النعام الساقط من كتفه اذ جفل

Marfat.com

Marfat.com

فاتاه رجل من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ، ثم انه غدا يوما الى سوق بني قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فُسحم (١) وهى أمه وهو من بنى الحرث بن الخزرج ، فقال يزيد لرجل يهودى لك ردائي أن كسعت (٢) هذا الثعلبي ، فاخذ رداءه و كسعه كسعة سمعها مَن بالسوق ، فنادى الثعلبي يا لحاطب كسع ضيفك وفضح ، وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه ، فسأله من كسعه فاشار الى اليهودى ؛ فضربه حاطب بالسيف فلق هامته فاخبر ابن فسحم الخبر ، وقيل له قتل اليهودى قتله حاطب فاسرع خلف حاطب ، فأدركه وقد دخل بيوت أهله ، فلقى رجلا من بني معاوية فقتله فثارت الحرب بين الأوس والخزرج (٣) واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بني الحرث بن الخزرج و كان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى ، وعلى الأوس حُضير بن سماك الأشهلى ، وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب ، فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وخيار بن مالك بن حماد الفزارى فقدما المدينة ، وتحدثا مع الأوس والخزرج فى الصلح ، وضمنا ان يتحملا كل مايدعى بعضهم على بعض فابوا ، ووقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار ، فشاهدا من قتالهم وشدتها ما أيسا معه من الاصلاح بينهم ، فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم ، و كان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فمنها *

﴿ يوم الربيع ﴾

ثم التقت الأنصار بعد يوم الجسر بالربيع وهو حائط فى ناحية السفح فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفني بعضهم بعضا فانهزمت الأوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم و كانوا قبل ذلك اذا انهزمت إحدى الطائفتين فدخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الأوس الى دورهم طلبت الأوس الصلح فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن إجابتهم فحصنت الأوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون ثم

---

(١) على وزن قنفد (٢) كسعه أى ضربه برجليه على دبره (٣) وهكذا عادة اليهود وأتباعهم المعروف بالعداء لجميع شعوب العالم غير شعب اسرائيل فلا تحصل فتنة إلا وهم محركوها ولا تقع مؤامرة إلا ولهم فيها يد ولا يثور نزاع إلا كانوا عاملا فيه كبيرا فهم وقف على الشر والفتن والقلاقل ليستفيدوا جمع الثروة لأنهم يزعمون بل يعتقدون أن جميع مافى الأرض من أموال هى لهم فيتخذون كل وسيلة لجمعه وللاضرار بالناس كأنهم قد خلقوا بلاء على الانسانية ونقمة على راحة العباد فلا تستريح أمة و يبن ظهرانيها يهودى واحد . الادارة

كفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضى :

ألا أبلغا عني سويد بن صامت ورهط سويد بلغا وابن الأسلت
بأنا قتلنا بالربيع سراتكم وأفلت مجروحا به كل مفلت
فلولا حقوق فى العشيرة إنها أدلت بحق واجب إن أدلت
لنالهمُ منا كما كان نالهم مقانب خيل أهلكت حين حلت

فاجابه سويد بن الصامت :

ألا أبلغا عني صخيراً رسالة فقدذقت حرب الأوس فيهاابن الاسلت
قتلنا سرايا كم بقتلى سراتنا وليس الذى ينجو اليكم بمفلت

﴿ومنهايوم البقيع﴾

ثم التقت الأوس والخزرج ببقيع الغرقد فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر يومئذ للأوس فقال عبيدبن ناقد الأوسى :

لما رأيت بنى عوف وجمعهم * جاؤا وجمع بني النجار قدحفلوا
دعوت قومى وسهلت الطريق لهم * الى المكان الذى أصحابه حللوا
جادت بأنفسها من مالك عصب * يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعاوروكم كؤس الموت اذبرزوا * شطر النهار وحتى أدبر الاصل
حتى استقاموا وقدطال المراس بهم * فكلهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشف البيض عن قتلى أولى رحم * لولا المسالم والأرحام مانقلوا
تقول كل فتاة غاب قيمها * أكل من خلفنا من قومنا قتلوا
لقد قتلتم كريما ذا محافظة * قد كان حالفه القينات والحلل
جزل نوافله حـ لموشمائله * ريان واغله تشقى به الابل

الواغل الذى يدخل على القوم وهم يشربون ، فأجابه عبد الله بن رواحة الحارثي الخزرجى :

لما رأيت بنى عوف واخوتهم * كعبا وجمع بنى النجار قد حفلوا
قدما أباحوا حماكم بالسيوف ولم * يفعل بكم أحد مثل الذى فعلوا

و كان رئيس الأوس يومئذ فى حرب حاطب أبو قيس بن الأسلت الوائلى فقام فى حربهم وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوما الى امرأته فأنكرته حتي عرفته بكلامه فقالت له : لقد أنكرتك حتي تكلمت فقال :

Marfat.com

قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا فقد ابلغت أسماعى
واستنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع (١)
قد حصت البيضة (٢) رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع
أسعى على جل بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى
أعددت للأعداء موضونة (٣) * فضفاضة كالنهى بالقاع
أحفزها (٤) عنى بذى رونق * مهند كاللمع قطاع
صدق حسام وادق (٥) حده * ومنحن أسمر قراع

وهى طويلة ثم ان أبا قيس بن أسلت جمع الأوس، وقال لهم ما كنت رئيس قوم قط إلا هزموا فرئسوا عليكم من أحببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن السماك الأشهلى وهو والد أسيد بن حضير لولده صحبة وهو بدرى، فصار حضير يلى أمورهم فى حروبهم فالتقى الأوس والخزرج بمكان يقال له الغرس (٦) فكان الظفر للأوس ثم تراسلوا فى الصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى فمن كان عليه الفضل أعطى الدية فأفضلت الأوس على الخزرج ثلاثة نفر، فدفعت الخزرج ثلاثة غلمة منهم رهنا بالديات فغدرت الأوس فقتلت الغلمان *

﴿ حرب الفجار (١) الأول للأنصار ﴾

وليس بفجار كنانة وقيس، فلما قتلت الأوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق (٨) وعلى الخزرج عبدالله بن أبي ابن سلول. وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفنى بعضا، وسمى ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان وهو الفجار الأول، فكان قيس بن الخطيم فى حائط له فانصرف، فوافق قومه

---

(١) الجعجاع الموضع الضيق الخشن (٢) حصت البيضة رأسى اى حلقته والبيضة غطاء الرأس يتخذ من حديد لوقايته من السلاح (٣) اى درعا مأسورة بالوضين وهو القد من الجلد، والفضفاضة الواسعة، والنهى الماء القليل، والقاع الارض المتسعة اى ان لون الدرع كلون الماء الذى يتخلف بالقاع بعد المطر (٤) احفزها اى ادفعها والضمير هنا يرجع للاعداء (٥) وادق اى ممطر والمراد انه يقطر منه دم الاعداء (٦) الغرس اسم لبئر بالمدينة غسل منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غسل لدفنه وموضع قرب فدك (٧) الفجار على وزن كتاب (٨) قرية من اعراض المدينة

Marfat.com

قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وأبلى بلاء حسنا، وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها وأمر أن يحتمى عن الماء فذلك يقول عبدالله بن رواحة :

رميناك أيام الفجار فلم تزل * حميا فمن يشرب فلست بشارب

﴿ يوم معبس ومضرّس [1] ﴾

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس، وكانت الأوس وراء معبس، فاقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا. ثم انهزمت الأوس حتي دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها. ثم ان بني عمرو بن عوف و بنى أوس مناة من الأوس وادعوا الخزرج، فامتنع من الموادعة بنو عبد الأشهل و بنو ظفر وغيرهم من الأوس، وقالوا لانصالح حتى ندرك ثارنا من الخزرج، فألحت الخزرج عليهم بالأذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مناة فعزمت الأوس إلا من ذكرنا على الانتقال من المدينة، فأغارت بنو سلمة على مال لبني عبدالأشهل يقال له الرعل [2] فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الأشهلى جراحة شديدة، واحتمله بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجى فأجاره، وأجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار، فلما كان يوم بعاث جازاه سعد على ما نذكره ان شاء الله، ثم سارت الأوس الى مكة لتحالف قريشا على الخزرج وأظهروا انهم يريدون العمرة، وكانت عادتهم أنه اذا أراد أحدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه و يعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل، ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبو جهل غائب، فلما قدم أنكر ذلك، وقال لقريش: أما سمعتم قول الأول : ويل للأهل من النازل انهم لأهل عدد وجلد ولقلما نزل قوم على قوم إلا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال أنا: أكفيكموهم، ثم خرج حتي جاء الأوس، فقال : انكم حالفتم قومى وأنا غائب فجئت لأحالفكم وأذكر لكم من أمرنا ماتكونون بعده على رأس أمركم انا قوم تخرج اماؤنا الى أسواقنا، ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها فان طابت

---

(١) مضرس كمحدث الاسد يمضغ لحم فريسته ولا يبتلعه وكمعظم نوع من الوشى فيه صور كأنها اضراس والاول انسب هنا وقد سمى به احد الجدارين (٢) قال فى معجم البلدان رعل بفتح اوله وسكون ثانيه وآخره لام موضع عن ابن دريد والرعلة القطعة من الخيل والعوالى من النخل اه *

Marfat.com

انفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ماتفعل نساؤنا حالفنا كم ، وان كرهتم ذلك فردوا الينا حلفنا ، فقالوا لانقر بهذا ، و كانت الأنصار بأسرها فيهم غيرة شديدة فردوا اليهم حلفهم ، وساروا الى بلادهم ، فقال حسان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الأوس :

الا أبلغ أبا قيس رسولا * اذا ألقى له سمع مبين
فلست بحاضر ان لم يزركم * خلال الدار مسبلة طجون
يدين لها العزيز اذا رآها * ويسقط من مخافتها الجنين
تشيب الناهد العذراء منها * ويهرب من مخافتها القطين [1]
يطوف بها من النجار أسد * كأسد الغيل مسكنها العرين
يظل الليث فيها مستكينا * له فى كل ملتفت أنين
كأن بهاءها للناظريها * من الأسلات والبيض الفتين [2]
كأنهمُ من الماذى عليهم * جمال حين يجتلدون جون
فقد لاقاك قبل بعاث قتل * وبعد بعاث ذل مستكين

وهى طويلة أيضا *

﴿ يوم الفجار الثاني للأنصار ﴾

كانت الأوس قد طلبت من قريظة والنضير أن يحالفوهم على الخزرج ، فبلغ ذلك الخزرج فارسلوا اليهم يؤذنونهم بالحرب ، فقالت اليهود : لا نريد ذلك ، فاخذت الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ، ثم أن يزيد بن فُسحم شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هلم الى الأحلاف اذ رقّ عظمهم * واذ أصلحوا مالا لجذمان [3] ضائعا
اذا ما امرؤ منهم أساء عمارة * بعثنا عليهم من بني العير جادعا
فاما الصريخ منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتخذنا بضائعا
أخذنا من الأولى اليهود عصابة * لغدرهمُ كانوا لدينا ودائعا
فذلوا لرهن عندنا فى حبالنا * مصانعة يخشون منا القوارعا

---

(١) القطين اى المقيم كذا فى ديوانه وفى الأصول بالفاء وهو خطأ (٢) قال فى القاموس الفتين الحرة السوداء ولا يخفى انه غير مناسب هنا والأنسب ان يقال فتين بمعنى مفتون ويراد منه المعدن الذى صفى مما به من الخبث (٣) قال فى مقاموس والجذمان الذكر

Marfat.com

Marfat.com

وذاك بانا حين نلقى عدونا * نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا. وقال كعب بن أسد: نحن كما قال: ان لم نُغر فحالف الأوس على الخزرج، فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كلّ من عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير. فاطلقوا نفرا، منهم سايم بن أسد القرظى جد محمد بن كعب بن سليم واجتمعت الأوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج، فاقتتلوا قتالا شديدا، وسمى ذلك الفجار الثانى لقتل الغلمان من اليهود *

وقد قيل فى قتل الغلمان غير هذا، وهو ان عمرو بن النعمان البياضى الخزرجى قال لقومه بنى بياضة إن أبا كم أنزلكم منزلة سوء والله لايمس رأسى ماء حتي أنزلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع، فأرسل الى قريظة والنضير: اما أن تخلوا بيننا وبين ديار كم، واما أن نقتل الرهن فهموا بأن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسيد القرظى: ياقوم امنعوا ديار كم وخلوه يقتل الغلمان ماهى إلا ليلة يصيب فيها أحد كم امرأة حتي يولد له مثل أحدهم، فارسلوا اليهم انا لاننتقل عن ديارنا، فانظروا فى رهننا فعوالنا [1] فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم، وخالفه عبد الله بن أبيّ ابن سلول فقال: هذا بغى واثم * ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الأوس وقال له: كأني بك وقد حملت قتيلا فى عباءة يحملك أربعة رجال فلم يقتل هو ومن أطاعه أحدا من الغلمان وأطلقوهم * ومنهم سليم بن أسد جد محمد بن كعب، وحالفت حينئذ قريظة والنضير الأوس على الخزرج، وجرى بينهم قتال سمى ذلك اليوم يوم الفجار الثاني، وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم فجاراً، وأما على القول الاوّل فانما قتلوا الرهن جزاءاً للغدر من اليهود فليس بفجار من الخزرج إلا أن يسمى فجاراً لغدر اليهود *

﴿يوم بُعاث﴾

ثم ان قريظة والنضير جددوا العهود مع الأوس على الموازرة والتناصر، واستحكم أمرهم وجدوا فى حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا، فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة، وراسلت الأوس

(١) يظهر ان الكلمة ناقصة بعض الاحرف وصحتها فادفعوهم الينا

Marfat.com

حلفاءها من مزينة . ومكثوا أربعين يوما يتجهزون للحرب . والتقوا ببعاث وهى من أعمال قريظة ، وعلى الأوس حضير الكتائب بن سماك والد أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى ، وتخلف عبد الله بن أبىّ ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج ، وتخلف بنو حارثة بن الحرث عن الأوس * فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا وصبروا جميعا ، ثم ان الأوس وجدت مس السلاح ، فولوا منهزمين نحو العريض ، فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لاأعود حتي أقتل ، فان شئتم يامعشر الأوس أن تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بنى عبد الأشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتي قتلا وأقبل سهم لايدرى من رمى به . فأصاب عمرو بن النعمان البياضى رئيس الخزرج فقتله * فبينا عبد الله ابن أبي ابن سلول يتردد راكبا قريبا من بُعاث يتجسس الأخبار اذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلا فى عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له ، فلما رآه قال ذق وبال البغى ، وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاح ، فصاح صائح يامعشر الأوس أحسنوا ولا تهلكوا اخوانكم بجوارهم خير من جوار الثعالب ، فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير ، وحملت الأوس حضيرا مجروحا فمات ، وأحرقت الأوس دور الخزرج ونخيلهم ، فاجار سعد بن معاذ الأشهلى أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له فى الرعل وقد تقدم ذكره . ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس ابن شماس الخزرجى أخذه فجز ناصيته وأطلقه وهى اليد التى جازاه بها ثابت فى الاسلام يوم بني قريظة وسنذكره ، وكان يوم بُعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وأكثرت الأنصار الأشعار فى يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفرى الأوسى :

أتعرف رسما كالطراز المذهب * لعمرة ركبا غير موقف راكب
ديار التى كانت ونحن على مني * تحل بنا لولا رجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت[1] بحاجب

﴿ومنها﴾

---

(١) فى بلوغ الارب للالوسى و بانت بدل وضنت، وتراءت عوض تبدت

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما * فلما أبوا شعلتها كل جانب
أذنت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لاتزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حربا تجردت (١) * لبست مع البردين ثوب المحارب
مضعفة يغشى الأنامل ريعها * كان قتيريها (٢) عيون الجنادب
ترى قصد (٣) المران تلقى كأنها * تذرّع خرصان بايدى الشواطب
وسامحني ملكا هنين ومالك * وثعلبة الأخيار رهط المصائب
رجالمتي يدعوا الى الحرب يسرعوا * كمشى الجمال المشعلات المصا
اذا مافررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولاتبرح الأقدام عند التضارب
ظأرناكموا بالبيض حتى لائتموا * أذل من السقبان بين الحلائب
يجردن بيضا كل يوم كريهة * ويرجعن حمرا جارحات المضارب
لقيتكموا يوم الحدائق حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب
ويوم بُعاث أسلمتنا سيوفنا * إلى حسب فى جذم غسان ثاقب
قتلنا كموا يوم الفجار وقبله * ويوم بعاث كان يوم التغالب
أتت عصب للأوس تخطر بالقنا * كمشى الأسود فى رشاش الاهاضب (٤)

فاجابه عبدالله بن رواحة :

أشاقتك ليلى فى الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع فى الصدر غالب
بكى اثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكا الحب ناصب
لدن غدوة حتي إذا الشمس عارضت * أراحت له من لبه كل غارب (٥)

---

(١) الفقرة الاولى فى بلوغ الأرب : ولما رأيت الحرب قد جد جدها (٢) القتير رؤس مسامير الدروع وثناها لانها تكون فى الجانبين (٣) القصد جمع قصدة وهى القطعة والمراد نوع من الشجر تتخذ منه الرماح، والخرصان بضم الخاء وكسرها جمع خرص بالضم وهو حلق الذهب والفضة وعويد محدد وهو المقصود، والشواطب جمع شاطب وهى المرأة التى تفرى الاديم بعد ماحلقته ،والمعنى ان قصد المران كالاعوادالتى فى طرفها حديدة فى أيدى النساء اللاتى يقطعن الأديم (٤) وقد ترك المؤلف بيت القصيدمنها وهو :

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا بالتقارب

فالعجب كيف أهمله بعد ان اتى بمعظم القصيدة . الادارة (٥) احسبها عازب بالعين المهملة والزاى المعجمة لابالغين المعجمة والراء المهملة

Marfat.com

Marfat.com

نحامى على أحسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب
وأعمى هدته للسبيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد مانج ثاعب
ومعترك ضنك برى الموت وسطه * مشينا له مشى الجمال المصاعب
برجل ترى الماذى فوق جلودهم * وبيضا نقيا مثل لون الكواكب
وهم حسر لافى الدروع تخالهم * أسودا متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم فى كل يوم كريهة * مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهى طويلة. وليلى التي شبب بها ابن رواحة هى أخت قيس بن الخطيم ،وعمرة التي شبب بها ابن الخطيم هى أخت عبد الله بن رواحة وهى أم النعمان بن بشير الأنصارى ﴿بعاث﴾ بضم الباء الموحدة و بالعين المهملة: وقال صاحب كتاب العين وحده: وهو بالغين المعجمة *

﴿ ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحلاف و بني مالك ﴾

كانت أرض الطائف قديما لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد، و كان بنو عامر يصيفون بالطائف و يشتون بأرضهم من نجد و كانت مساكن ثقيف حول الطائف ،وقد اختلف الناس فيهم؟ فمنهم من جعلهم من اياد فقال ثقيف اسمه قسى بن نبت بن منبه بن منصور بن يقدم ابن افصى بن دُعمى بن اياد من معد. ومنهم من جعلهم من هوازن فقال: هو قيس بن منبه ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ،فرأت ثقيف البلاد فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبنى عامر: إن هذه الارض لا تصلح للزرع وإنما هى أرض ضرع ونرى اكم على أن آثرتم الماشية على الغراس ونحن اناس ليست لنا مواش فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون الينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الأطواء ولا نكلفكم مؤنة: نحن نكفيكم المؤنة والعمل فاذا كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملا ولنا النصف بما عملنا فرغب بنو عامر فى ذلك وسلموا اليهم الأرض فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الأرض وزرعوها من الأعناب والثمار ووفوا بما شرطوا لبنى عامر حينا من الدهر و كان بنو عامر يمنعون ثقيفا ممن أرادهم من العرب فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها

Marfat.com

وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا مما كانوا يحملونه اليهم عن نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه فقاتلوهم فلم يظفروا و كانت ثقيف بطنين: الأحلاف. و بنى مالك: و كان للأحلاف فى هذا أثر عظيم ولم يزل تعتد بذلك على بني مالك فأقاموا كذلك ثم ان الأحلاف أثروا و كثرت خيلهم فحموا لها حمى من أرض بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له جلذان [1] فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه ولجت الحرب بينهم و كان راس بنى نصر عفيف بن عوف بن عباد النصرى ثم اليربوعى: ورأس الأحلاف مسعود بن معتب [2] فلما لجت الحرب بين بنى نصر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف بن الحرث بن مالك ابن حَطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم و بين الأحلاف فحالفوا بني يربوع على الأحلاف فلما سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا و كان أول قتال كان بين الأحلاف و بين بنى مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر الأحلاف وأخرجوهم منه الى واد من وراء الطائف يقال له لحب [2] وقتل من بنى مالك و بنى يربوع مقتلة عظيمة فى شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الابان ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما مسميات: منهن يوم عمر ذى كندة من نحو نخلة ومنهن يوم كروبا من نحو حلوان وصاح عفيف بن عوف اليربوعى فى ذلك اليوم صيحة يزعمون أن سبعين حبلى منهم ألقت ما فى بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا فسارت بنو مالك تبتغى الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف وخرجت الأحلاف الى المدينة تبتغى الحلف من الانصار على بنى مالك فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس، و كان أشرف الأنصار فى زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة، والله ما خرج رجل من قومه الى قوم قط بحلف أو غيره إلا أقر لأولئك القوم بشرهما أنف منه من قومه فقال له مسعود: إني أخوك و كان صديقا له فقال أخوك الذى تركته وراءك فارجع اليه وصالحه ولو بجدع أنفك وأذنك فان أحدا لن يبر لك فى قومك اذ خالفته فانصرف عنه و زوده بسلاح و زاد وأعطاه غلاما كان يبني الآطام يعنى الحصون بالمدينة فبنى لمسعود بن معتب أطما فكان أول أطم بني بالطائف ثم بنيت

---

(١) بالجيم والذال المعجمتين كذا صوابه وفى النسخ حلذان بالحاء المهملة وهو خطأ صححناه من معجم البلدان (٢) معتب كمحدث و زنا (٣) اللحب فى الأصل الطريق الواضح *

الآطام بعده بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر وقالوا : فى حربهم أشعارا كثيرة، فمن ذلك قول محبر وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف :

وما كنت ممن أرث الشر بينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
قريعى ثقيف أنشبا الشر بينهم * فلم يك عنها منزع حين أنشبا
عناقا ضروسا بين عوف ومالك * شديدا لظاها مترك الطفل أشيبا
مضرمة شبا أشبا وقودها * بأيديهما ما أورياها وأثقبا
أصابت براء من طوائف مالك * وعوف بما جرا عليها وأجلبا
كجمثورة جاؤا تخطوا مآبنا * اليهم وتدعو فى اللقاء معتبا
وتدعو بني عوف بن عقدة فى الوغى * وتدعو علاجا والحليف المطيبا
حبيبا وحيا من رباب كتائبا * وسعدا إذا الداعى الى الموت ثوبا
وقوماً بمكر وثاء[1] شنت معتب * بغارتها فكان يوما عصبصبا
فاسقط أحبال النساء بصوته * عفيف إذا نادى بنصر فطربا

﴿ عفيف ﴾ هذا بضم العين وفتح الفاء

تم

تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الاول من كتاب الكامل فى التاريخ للمؤرخ القدير العلامة ابن الأثير ويليه الجزء الثاني وأوله ﴿ نسب رسول الله ﷺ ﴾ أسأل الله تعالى من فضله أن يعينني على إتمامه انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير ؟

---

(١) مكرِ وثاء بفتح أوله وسكون ثانيه وراء مهملة وثاء مثلثة موضع فى ديار بنى جحاش رهط الشماخ ، قال كعب بن زهير :

صبحنا الحى حى بنى جحاش، * بمكرِ وثاء داهية نآدا

اه معجم البلدان . الادارة *

Marfat.com

Marfat.com

فهرست

الجزء الأول من الكامل فى التاريخ لابن الأثير

صحيفة	
٢	مقدمة الناشر
٤	خطبة المؤلف
٥	سبب تأليف هذا الكتاب
٥	جمع المصنف تاريخ الطبرى وسبب ذلك مع الزيادة عليه
	بيان الموصل . ترجمة الطبرى مختصرة
٦	اعراض المصنف عنه ثم عوده اليه بأمر ملكى
٧	سبب تسميته بالكامل
	فوائد التاريخ الدنيوية
٨	العقل وتقسيمه
٩	فوائد التاريخ الأخروية
	ذكر الوقت الذى ابتدئ فيه بعمل التاريخ
١٠	مطلب التاريخ قبل الاسلام
	القول فى الزمان
١١	القول فى جميع الزمان من أوله الى آخره
	قول اليهود فى الزمان
	« المجوس « «
	رد المعلق على الاشتغال بضبط التواريخ المجهولة
١٢	رد المؤلف على خرافات المؤرخين فى الزمان
	القول فى ابتداء الخلق . القلم . ضبط يده
	القول فيما خلق بعد القلم . أولية الغمام . رد المصنف على اولية الغمام
١٣	اختلاف العلماء فيما خلق بعد الغمام
	« « فى اليوم الذى ابتدأ الله فيه الخلق
١٤	رد المؤلف على تعيين أيام الخلق
١٤	القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
	ضبط سلام

صحيفة	
١٥	رد المؤلف على أحاديث الشمس والقمر
	قصة إبليس لعنه الله وابتداء أمره و إطغائه آدم عليه السلام
١٦	ذكر الأخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك وذكر الأحداث فى ملكه
	بحث الجن قبل آدم . اسم إبليس القديم
١٧	رأى المؤلف فى فسوق إبليس .
	ضبط مرة الهمدانى
	ذكر خلق آدم عليه السلام . محاورة الأرض ورؤساء الملائكة الأربعة
١٨	خلق آدم من الطين ومحاورة الملائكة وإبليس للسجود ونزول إبليس وآدم
١٩	البشارة الى آدم بقبول التوبة
	بحث الأسماء التى علمها الله لآدم
١٩	ذكر اسكان آدم الجنة وإخراجه منها
٢٠	خلق حواء . سبب الشجرة تسميتها .
	الحية ووصية ابن عباس فى قتلها
٢١	كيد النساء وسبب الحيض والطلق
	أسناد سعيد بن المسيب لآدم عليه السلام السكر . ورد المؤلف عليه
	ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة ، واليوم الذى أخرج منها ، واليوم الذى تاب فيه
٢٢	ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء سبب بناء القرى وسبب تسميتها مزدلفة وعرفات
٢٣	هبوط آدم على جبل مرد وتعلمه مع زوجه اللباس . بناء آدم البيت الحرام . حج آدم وسبب نبات الطيب فى الأرض

صحيفة	
٢٤	عصا موسى وأصلها . تعلم آدم الزراعة. وإخراج النار من الحجر وصنعة الحديد. تعميره للبيت الحرام. ضبط نود
٢٥	ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق . ضبط نعمان
	ذكر الأحداث التى كانت فى عهد آدم فى الدنيا وقتل قابيل هابيل ٢٧ قتل قابيل، تسمية آدم وحواء ابنهما عبد الحرث. مرثية آدم شعراً الرد عليها ونبوة آدم وتفسير اسمه
٢٨	مطلب أب الفرس و إعمار آدم وابنائه ذكر ولادة شيث ٢٩ بيان أول من ملك الأرض
٢٩	ذكر وفاة آدم ٣٠ حكاية آدم وداود
٣١	ذكر شيث و بنائه الكعبة
٣٢	قيام انوش بعد شيث. ذكر الاحداث التى كانت من لدن شيث الى ان ملك يرد
٣٢	أول عبادة الاصنام
٣٣	اول اتخاذ الملاهى والمزامير والطبول فى زمن مهلائيل و انه اول من استخرج الحديد و زرع وبنى مدينة الرى
٣٤	ضبط عتيبة . ذكر يرد . صحف ادريس ادريس هو هرمس
٣٥	ضبط يارز وخنوخ . ذكر ملك طهمورث اول من خط الفارسية .اول ماعرف من الصوم .ذكر خنوخ ادريس
٣٦	ضبط محويل ومتوشلخ ، ولادة نوح و زواجه والقرون التى بينه وبين آدم
٣٦	ذكر ملك جمشيد
٣٧	اول عمل السيوف والدروع والابريسم وتقسيم الناس طبقات وتمدينهم
٣٨	رد المؤلف خرافات الفرس. ذكر الاحداث التى كانت فى زمن نوح، اصل وضع الاصنام
٣٩	سفينة نوح عليه السلام و بيانها
٤١	محل وقوف السفينة
٤١	ايضاح الجودى

صحيفة	
٤٢	قول المجوس فى الطوفان ذكر بيوراسب المسمى بالضحاك ، قول الفرس فى الضحاك وخرافة الحيتين على منكبيه
٤٣	رد المؤلف على اكاذيب الفرس . قتل الضحاك
٤٤	ذكر ذرية نوح والكلام على سواد أبناء حام
٤٥	اولاد سام: العرب والفرس والقحطانيون والبربر
٤٦	اولاد يافث وحام ، الانساب فى التوراة
٤٧	ذكر ملك افريدون. وتقسيم الدنيا لابنائه على زعم الفرس
٤٨	ذكر الاحداث التى كانت بين نوح وابراهيم، الكلام على عاد واستسقائها
٤٩	هلاك عاد
٥٠	ثمود قوم صالح وحديث الناقة
٥١	سبب قتل الناقة
٥٢	قتل الناقة وهجرة صالح الى فلسطين ومحل قبره
٥٣	ذكر ابراهيم الخليل ومن كان فى عصره من ملوك العجم. بحث الاهواز والمحمرة ولغوامارتها العربية. الاسماك المحرم صيدها لدى الجهلاء
٥٤	ولادة ابراهيم عليه السلام ومحاجته مع النجوم
٥٥	كسر ابراهيم للاصنام ٥٦ نار ابراهيم
٥٧	ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه ، قصة سارة مع فرعون مصر
٥٨	ذكر ولادة اسماعيل وحمله الى مكة حديث مصر والكلام على القبراط وبذاءة اهلها
٥٩	حديث زمزم
٦٠	زيارة ابراهيم لاسماعيل
	ذكر عمارة البيت الحرام
٦١	مقام ابراهيم

Marfat.com

Marfat.com

صحيفة
٦٢ ذكر قصة الذبح ونقل انجيل برنابا انه اسماعيل، ذكر من قال انه اسحق والرد عليهم
٦٣ ضبط أسيد وجارية
ذكر من قال ان الذبيح اسماعيل عليه السلام
٦٤ ذكر السبب الذى من اجله امر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح
٦٥ كلام الحسن بان الفداء كان تيسا اروى
ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام
ذكر عدو الله نمرود وهلاكه
٦٦ الكلام على الذين ملكوا الارض
٦٧ الكلام على الاصبهبذ وبلخ
٦٧ ذكر قصة لوط وقومه وهلاكهم
٧٠ ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر اولاده وازواجه
٧٠ ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما انزل عليه
٧١ ذكر خبر ولد اسماعيل بن ابراهيم
ذكر اسحق واولاده
٧٢ زواج اسحق وولادة يعقوب وعيص، زواج يعقوب وجمعه بين الاختين
٧٣ قصة ايوب عليه السلام
قول الاوروبائيين بعربية ايوب
٧٤ اسباب البلاء والاختلاف فيه
٧٥ مخاصمة تلامذة ايوب له وشفائه ورد اهله وماله عليه
٧٧ مناجاة أيوب ٧٨ قصة يوسف ورؤياه
٧٩ رمى يوسف فى البئر ٨٠ بيعه فى مصر
٨٠ الكلام على براءته من الهم بالزنا
٨١ امرأة العزيز والنسوة
٨٢ رؤيا المسجونين، رؤيا ملك مصر
٨٣ تفسير يوسف الرؤيا وتوليته خزائن الارض
٨٤ ورود اخوة يوسف على اخيهم لاجل الميرة
٨٥ استبقاء يوسف عليه السلام لبنيامين

صحيفة
بعد اتهامهم له بالسرقة
٨٦ سبب بلاء يعقوب
٨٧ تعريف يوسف عليه السلام نفسه لاخوته
شم يعقوب عليه السلام رائحة يوسف
سفرهم الى مصر لاجل يوسف
٨٨ سجود يعقوب وزوجه واولاده ليوسف
تكملة للرؤيا
وفاة يعقوب ووصاته بنقل جثته
قصة شعيب
٨٩ نسب اهل مدين وسبب هلاكهم
٩٠ قصة الخضر وخبره مع موسى عليه السلام
٩٢ ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث فى أيامه
٩٣ رد المؤلف على كذبة الفرس برمى السهم
٩٤ خطبة منوجهر
الخبر عن الرائش وملكه اليمن
٩٥ ابرهة ذو المنار وتسميته بذى الاذعار
قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان فى ايامه من الاحداث، فرعون موسى
٩٦ قتل فرعون لابناء بنى اسرائيل وسبب ذلك
٩٧ التقاط آل فرعون لموسى من البحر ورجوعه الى امه
حكاية مسك موسى لحية فرعون مصر
٩٨ ذكر وكز موسى للقبطى وقتله له
افشاء الاسرائيلى قتل موسى للقبطى وهرب موسى
٩٩ ورود موسى ماء مدين واتفاقه مع شعيب
١٠٠ رجوع موسى ومصادفته النار فى الطريق ومناجاته لله
١٠١ العصا واليد وذهاب موسى الى مصر ولقى هرون له
١٠٢ مقابلة موسى وهرون لفرعون
١٠٣ حكاية السحرة واسلامهم وصلبهم
١٠٤ حكاية ماشطة فرعون وحرقها فى النار مع اولادها

Marfat.com

صحيفه

١٠٤ حكاية آسية امراة فرعون وصلبها
تكليف فرعون لبنى اسرائيل بنآء مدينتى
مخازن فيثوم ورعمسيس

١٠٥ ارسال الطوفان والقمل والضفادع والجراد
على قوم فرعون
نقل موسى لرفات يوسف

١٠٦ سفر بنى اسرائيل ومصادمتهم للبحر وانفلاقه
هلاك فرعون وقومه غرقا

١٠٧ ذهاب موسى للجبل لاجل التوراة
حكاية السامرى والعجل

١٠٨ طلب موسى من الله ان يراه

١٠٩ رجوع موسى من الطور ومعه التوراة
حكاية البقرة

١١٠ ذكر بنى اسرائيل فى التيه ووفاة هارون
سبب التيه والمن والسلوى

١١١ حكاية عوج بن عنق ، وفاة هارون ، ذكر
وفاة موسى

١١٢ حكاية موسى مع ملك الموت

١١٣ ذكر يوشع بن نون وفتح مدينة الجبارين
حكاية بلعم بن باعوراء

١١٤ رجوع الشمس ليوشع عند فتح أريحاء

١١٥ أصل البرابرة وصنهاجة وكتامة
ذكر امر قارون ، اتهام قارون لموسى بالزنا

١١٦ خسف الأرض بقارون ، حكم الزنا فى
التوراة ، ذكر من ملك من الفرس بعد
منوجهر ، زو وأعماله

١١٧ ذكر ملك كيقباذ ، ذكر الاحداث فى
بنى اسرائيل فى عهد زو وكيقباذ ونبوة حزقيل

١١٨ احياء حزقيل للموتى ووفاته ، ذكر الياس

١١٩ حكاية البستان

١٢٠ ذكر نبوة اليسع واخذ التابوت من بنى اسرائيل

١٢١ ذكر حال شموئيل وطالوت

١٢٢ حكاية طالوت وكيفية تملكه

١٢٣ مسألة النهر وانتخاب داود

صحيفة

١٢٤ تزويج طالوت لداود ابنته

١٢٥ ذكر ملك داود ، حكاية اصحاب السبت
ذكر فتنته بزوجة اوريا

١٢٦ حكاية النعجات

١٢٧ ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود

١٢٨ بناء سليمان بيت المقدس
ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام

١٢٩ الدليل على اصابة كل مجتهد
ذكر ماجرى لسليمان مع بلقيس
زواج الانس بالجن

١٣٠ ملك بلقيس لليمن وكيفية ذلك

١٣١ رد المؤلف على المغالاة بملك بلقيس
هيكل عبادة الشمس
سبب مجىء بلقيس لسليمان

١٣٢ حديث الهدهد . حديث العرش

١٣٣ زواج سليمان ببلقيس والاختلاف فيه
ذاتبع ملك همدان

ذكر غزوة سليمان ابازوجته جرادة ونكاحها
وعبادة الصنم فى داره واخذ خاتمه وعوده اليه
تصوير والدجرادة

١٣٤ حديث صخر الجنى والخاتم
الرد على هذه الدسائس المفتراة

١٣٥ سبب آخر لذهاب ملك سليمان
حكاية الصيادين

١٣٦ ذكر وفاة سليمان
بيان الجسد
توجيه حديث العصا

١٣٧ حديث الجن مع الارضة ورد ذلك
ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ
حديث سياوخش

١٣٨ خرافات للفرس ردها المؤلف

١٣٩ ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس

١٤١ ذكر امر بنى اسرائيل بعد سليمان
ذكر محاربة اسا بن افياور زح الهندى

صحيفة
١٤٣ ذكر شميا والملك الذى معه من بنى اسرائيل ومسير سنحاريب الى بنى اسرائيل
١٤٤ هلاك كفر والبابلى وخلاص بختنصر كاتبه
١٤٥ هرب شعيا من بنى اسرائيل
ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت ١٤٦ أصل زرادشت ونسبه كتابه وكيفية انتشاره وتاريخ ذلك
١٤٧ ذكر مسير بختنصر الى بنى اسرائيل أول أمر بختنصر ثم ذهابه الى الشام رائدا
١٤٨ تخريب بختنصر لبيت المقدس سبب انتقام الله من بنى اسرائيل
١٤٩ حكاية أرمياء ودعائه على بنى اسرائيل من حيث لا يشعر ١٥٠ رؤيا بختنصر وتفسيرها
١٥١ حكاية دانيال والحمرة . سبب قتل بختنصر أوموته . عود بنى اسرائيل الى بيت المقدس
١٥٢ قصة عزير ونومه مائة عام
١٥٣ ذكر غزو بختنصر العرب
١٥٤ ذكر بشتاسب والحوادث فى ملكه وقتل أبيه لهراسب . غلبة الترك للفرس بسبب سجن اسفنديار
١٥٥ غلبة الفرس للترك لما تولى القيادة اسفنديار
١٥٦ ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاوس الى أيام بهمن بن اسفنديار . الملك تبع ومغازيه
١٥٧ ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خمانى
١٥٨ تاريخ سبى بنى اسرائيل
ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر وكيف كان هلاكه مع ذى القرنين . بناء دارا الواقعة بين نصيبين وماردين
١٥٩ ذكر الاسكندر المكدونى
١٥٩ محاربة الاسكندر لدارا . ادعاء الفرس أن الاسكندر منهم
١٦٠ صورة قتل دارا واقتران الاسكندر ببنته روشنك . جمع الاسكندر ملك الروم بعد تفرقه ، نقله كتب العلم الى الرومية
غزو الاسكندر بتية مملكة فارس والهند

صحيفة
١٦١ حكاية ملك الصين مع الاسكندر
ذهاب الاسكندر الى جهات الشمال ويأجوج ومأجوج ١٦٢ سد الصين
١٦٢ موت الاسكندر
١٦٣ ماقيل فى الاسكندر من المراثى والمواعظ
١٦٤ حيل الاسكندر فى الحروب
١٦٥ رأى إرسطاطاليس فى توزيع المملكة الواحدة الى دول لسهولة الاستعمار
الكلام على تقسيم فرانسا وانكاترا البلاد الشام لاجل تفريق كلمتهم
ذكر من ملك من قوم الاسكندر بعده
١٦٦ ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف
١٦٧ ذكر ملك أشك بن أشكان . ذكر ملك جودرز
١٦٨ الكلام على ملوك الفرس بعد الاسكندر
١٦٩ ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام
١٧٠ كفل زكريا لمريم
وجود الفاكهة عند مريم فى غير أوانها
دعاء زكريا وولادة يحيى
١٧١ نبوة يحيى صبياً وكثرة بكائه من خشية الله
قتل هيرودس ليحيى وسبب ذلك
١٧٢ تخريب بيت المقدس وذبح بنى اسرائيل
١٧٣ حكاية الدم وغليانه التى قتلت عليه الألوف المؤلفة من بنى اسرائيل
١٧٤ ذكر قتل زكريا
دخول زكريا فى الشجرة ونشرها وتفنيد ذلك
١٧٥ ذكر ولادة المسيح ونبوته الى آخر أمره
حكاية الانجيل فى وجود اخوة لعيسى وبيان أسمائهم
١٧٦ حمل مريم بعيسى والاختلاف فى المدة
١٧٧ كيفية الولادة ومحلها وكلام عيسى فى المهد
١٧٨ خروج مريم من أرض قومها
مسألة ابليس حين ولادة عيسى
ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته

Marfat.com

صحيفة
١٧٨ دلالته على مال الدهقان
حكاية الضيوف وانقلاب الماء شرابا
١٧٩ إحياء الموتى . حادثة الصباغة
نزول عيسى وأمه بقرية الناصرة
بركة الطعام وأصل الحواريين
١٨٠ إحياء عيسى لعازر وسام بن نوح
١٨٠ ذكر نزول المائدة
١٨١ عذاب الذين جحدوها فانقلبوا خنازير
ذكر رفع المسيح الى السماء وتزوله الى أمه وعوده الى السماء
إلقاء شبه عيسى على نطليانوس أو يوشع الاسرائيلى فصلب
١٨٢ جزع عيسى من الموت وخدمته لقومه
إنجيل برنابا . والرفع .
١٨٣ رفع عيسى الى السماء
تعذيب اليهود للحواريين وأصل النصرانية
بيان أن الانجيل يقول نزل عيسى على مريم المجدلية
ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
١٨٥ بيان التاريخ ما بين عمارة بيت المقدس تخريب بختنصر له
ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الأولى الصابئون
١٨٦ ظهور المرقونية القائلين بألوهية الخير والشر
اندريانوس آخر من خرب بيت المقدس
١٨٧ صاحب المجسطى وزمانه
التاريخ ما بين دارا الى كيلو بطره آخرة ملوك اليونان . جالينوس وبطليموس
١٨٨ ملوك الروم قبل الاسلام أشبه بملوك الطوائف
١٨٩ الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة
أول بناء استانبول القسطنطينية
الاجتماع الأول للأساقفة بمدينة نيقية الرومية
وحرمان أريوس الاسكندرانى
بناء كنيسة القمامة التي فى القدس

صحيفة
١٩٠ الاجتماع الثانى للأساقفة فى القسطنطينية للعن مقدونس وأشياعه
بيان كراس البطارقة الأربع
الاجتماع الثالث للأساقفة فى أفسوس للعن نسطورس رأس النسطورية
١٩١ الاجتماع الرابع للأساقفة وفيه خالفت اليعقوبية سائر النصارى
الاجتماع الخامس للأساقفة وحرمان أذريحا أسقف منبج . الكلام على المارونولبنان
١٩٢ الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة
١٩٣ نقفور أول من بايد ولده وأول من عفا لحيته
١٩٤ ملك البطريق . أرمانوس
١٩٥ حصار الطوائف للقسطنطينية سنة ٣٢٢
ذكر وصول قبائل العرب الى العراق وتزولهم الحيرة ١٩٦ التنوخيين وسبب تسميتهم ذلك لما كانوا بالبحرين
نزول التنوخيين الى الأنبار فالحيرة
١٩٧ ذكر جذيمة الأبرش
زواج أخته لعدى وولادتها عمرو
١٩٨ عمرو بن عدى وذهابه فى الفلاة وعودته
قتل جذيمة لملك الجزيرة عمرو بن الظرب والد الزباء
١٩٩ جذيمة والزباء . وخلاص قصير
٢٠٠ جدع قصير لأنفه وذهابه الى الزباء
٢٠١ ذهاب قصير وجلبه تجارة الزباء ثم جلب عمرو اطلاعه على النفق، وقتل عمرو للزباء
الكلام على مدينة الزباء وهى حلبية أو صور الكفر ٢٠٢ ما قيل فى الزباء من الشعر العربى
٢٠٣ ذكر طسم . وجديس وكانوا ايام ملوك الطوائف
حكاية هزيلة مع طسم
٢٠٤ قتل جديس لطسم وسبب ذلك
استنجاد طسم بتبع وغزوه لجديس
٢٠٥ زرقاء اليمامة
الكلام على شمر وجبل حائل

Marfat.com

Marfat.com

صحيفة

٢٠٦ ذكر أصحاب الكهف
٢٠٨ ذكر يونس بن متى
٢١١ أيام ملوك الطوائف
قصة انطاكية وإرسال الرسل اليها
٢١٢ حبيب النجار ورفقاؤه
٢١٣ شمسون ٢١٤ جرجيس
٢١٩ خالد بن سنان العبسى
﴿ذكر طبقات ملوك الفرس﴾
الطبقة الأولى الفيشداذية
٢٢٠ الطبقة الثانية الكيانية
الطبقة الثالثة الاشغانية
الطبقة الرابعة الساسانية
ذكر اخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس
٢٢٣ ذكر ملك سابور بن اردشير بن بابك
٢٢٤ حكاية حياته الخفية
ذكر خبر مدينة الحضر
٢٢٥ الفرق بين الخابورين ومرائى الشعراء للحضر
٢٢٦ ذكر ملك هرمز بن سابور بن اردشير
كلام المنجمين فيه
٢٢٧ ذكر ملك بهرام بن هرمز بن سابور
ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
٢٢٨ ذكر ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز
ذكر ملك نرسى بن بهرام
ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام
ذكر ملك سابور ذى الاكتاف
٢٢٩ حروب سابور مع اياد بالجزيرة
نصيحة لقيط لاياد وأشعاره
٢٣٠ حروب نيسابور مع الروم
٢٣١ سبب تنصر قسطنطين
٢٣٢ ذكر ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف
ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذى الأكتاف
ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور ذى الاكتاف
٢٣٣ حكاية سنمار والخورنق

صحيفة

٢٣٤ ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الاثيم
٢٣٥ بيان أن المنذر سبب تملك بهرام
٢٣٦ حروب بهرام والديلم
٢٣٧ غزو بهرام القسطنطينية
ذكر ملك ابنه يزدجرد
ذكر ملك فيروز بن يزدجرد
٢٣٩ ذكر الأحداث فى العرب ايام يزدجرد وفيروز ٢٤٠ ﴿ملوك الحيرة﴾
ذكر ملك بلاش بن فيروز
٢٤١ ذكر ملك قباذ بن فيروز
مزدك وشريعة زرادشت
٢٤٢ قتل المزدكيين
٢٤٣ ذكر حوادث العرب أيام قباذ
الحرث الكندى
حكاية تبع وغزوه الفرس
٢٤٤ تبع والحجاز
٢٤٥ سطيح وشق الكاهنان
٢٤٦ قتل عمرو تبعاً المسمى حسان
٢٤٧ تفنيد المؤلف حكاية تبع لغزو الفرس والصين
٢٤٩ ذكر ملك لخنيعة
٢٥٠ ذكر ملك ذى نواس. وقصة أصحاب الأخدود
حكاية فيميون
٢٥١ « عبد الله بن التامر عن محمد بن كعب القرظى
٢٥٢ « « « « « ابن عباس
٢٥٣ ذكر ملك الحبشة اليمن
٢٥٤ قتل أبرهة الحبشى لأرياط الحبشى
٢٥٥ ذكر ملك كسرى أنوشروان
قتل مزدك وإعادة ملك المنذر
٢٥٦ قتل المنذر لجماعة الحارث الكندى
٢٥٧ ذكر ملك كسرى بلاد الروم
٢٥٨ غزو كسرى اليمن ورد القول فى ذلك
٢٥٩ ذكر مافعله أنوشروان بأرمينية وأذربيجان
٢٦٠ ذكر أمر الفيل
٢٦١ مقابلة عبد المطلب لأبرهه
٢٦٢ ماقيل فى حجارة سجيل
٢٦٣ ذكر عود اليمن الى حمير واخراج الحبشة منه

صحيفة
٢٦٤ قتل مسروق بن أبرهة
٢٦٥ قتل الحبشة لسيف بن ذى يزن
٢٦٦ ذكر ما أحدثته قريش بعد الفيل
٢٦٧ ذكر حلف المطيبين والأحلاف وسبب ذلك
٢٦٨ ذكر مافعله كسرى فى أمر الخراج والجند كلمات ملسوبة الى كسرى
٢٦٩ ﴿ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾
٢٧٠ ﴿رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾
٢٧١ حكاية حليمة السعدية وماجرى لها أثناء رضاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٢٧٢ شق قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم
٢٧٤ إرسال النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى الكاهن واخبارهم عن أمره
٢٧٥ وفاة والدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومحل ذلك . ذكر قتل تميم بالمشقر
٢٧٦ ما قيل فى الوقعة من الأشعار
٢٧٧ ذكر ملك ابنه هرمز أنوشروان
٢٧٨ حكاية قصر هرمز وكشفها ظلم الاصبهبذ
٢٧٩ ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمز
٢٨٠ إعانة الروم لابرويز وغزوه لهم
٢٨١ حكاية شهريراز مع أخيه
٢٨٢ حيلة كسرى فى الفتنة بين شهريراز وبين الروم
٢٨٣ ذكر مارأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٢٨٤ نسف دجلة لقصور كسرى
٢٨٥ ﴿ذكر وقعة ذى قار وسببها﴾
٢٨٦ نصب عدى بن زيد النعمان ملكا على الحيرة
٢٨٧ قتل النعمان لعدى . وأشعار عدى
٢٨٨ صفة الجارية التى طلبها كسرى من النعمان فكانت سبب النزاع
٢٨٩ تحريك زيد بن عدى على النعمان وهربه من كسرى
موت النعمان فى سجن كسرى بعد إيداعه أهله وأمواله عند بنى شيبان
٢٩٠ اشتراك شيبان وبكر وعجل فى حرب الفرس

صحيفة
٢٩١ ما قيل فى الوقعة
٢٩٢ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند
٢٩٣ ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز
ذكر قتل كسرى ابرويز
٢٩٤ ذكر ملك كسرى شيرويه ابرويز بن هرمز أنوشروان
٢٩٥ مناظرة كسرى وولده
٢٩٦ ذكر ملك اردشير
٢٩٧ ذكر ملك شهريراز
« « بوران بنت ابرويز
« « ارزميدخت ابنة ابرويز
٢٩٨ ذكر ملك يزدجردبن شهريار
﴿ذكر أيام العرب فى الجاهلية﴾
٢٩٩ ذكر حرب زهير بن جناب الكلبى مع غطفان وبكر وتغلب وبنى القين
٣٠٠ أسر المهلهل ٣٠١ ذكر يوم البردان
٣٠٣ زوجة حجر وقتلها
٣٠٤ ذكر مقتل حجر والد امرئ القيس والحروب الحادثة بمقتله الى أن مات امرؤ القيس
٣٠٥ تقسيم الحارث الكندى اولاده امراء فى العرب
٣٠٦ قتل بنى اسد لحجر
٣٠٧ تعقب امرئ القيس لبنى أسد
٣٠٨ أخذ جديلة إبل امرئ القيس وإعطائهم عنها معزى
٣٠٩ ذهاب امرئ القيس الى الروم . وموته بأنقرة ٣١٠ يوم خزاز
٣١١ غباة كليب مذحجا
٣١٢ ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب
٣١٣ حكاية البسوس والناقة
٣١٤ قتل جساس كليبا وقصائد المهلهل
٣١٥ اجتماع قوم جساس على والده مرة
٣١٦ مراثى كليب ٣٢٠ وقعة الذنائب
٣٢١ قتل جساس
٣٢٢ اشتراك الحرث بن عباد فى الحرب بعد مقتل ابنه بجير

Marfat.com

Marfat.com

صحيفة
٣٢٣ اسر الحرث بن عباد مهلهلا
٣٢٤ اجبار مذحج مهلهلا على تزويج ابنته وسبب موته
٣٢٥ ذكر الحرب بين الحرث الاعرج وبنى تغلب يوم عين اباغ
٣٢٦ يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء ٣٣٠ ذكر قتل مضرط الحجارة
٣٣١ يوم الكلاب الأول
٣٣٢ قتل شرحبيل بن الحارث الكندى
٣٣٣ سبب يوم ضبيعات
٣٣٤ يوم اوارة الأول
٣٣٥ يوم اوارة الثانى
٣٣٦ ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر ابن كلاب . والحرث بن ظالم المرى . وذكر يوم الرحرحان
٣٣٧ تبين قتل رباح بن الأشل الغنوى شاسا العبسى ٣٣٨ قتل جندح بن البكاء زهيرا احتماء خالد بن جعفر بالنعمان بن المنذر
٣٣٩ قتل الحرث بن ظالم خالداً بعد ايقاظه
٣٤٠ اخبار الدارمية عن غزو النعمان وغنى قبيلتها بنى دارم
٣٤١ انخذال بنى عامر واسرهم معبداً اضراب معبد عن الأكل حتى مات فهو اول المضربين عن الأكل
٣٤٢ طلب الحرث بن ظالم لابن الاطنابة للمحاربة وخوف ابن الاطنابة والتجائه للحيلة
٣٤٣ ذهاب الحارث بن ظالم الى يزيد الغسانى وقتل يزيد اياه
أيام داحس والغبراء وهى بين عبس وذبيان
٣٤٤ مسابقة الفرسين واسباب ذلك
٣٤٥ مجاورة قيس بن زهير لقريش وتركه إياهم ثم نزوله على بنى بدر
٣٤٦ اتخاذ بنى بدر الرهان وسيلة لابعاد قيس عنهم
٣٤٧ مسك الاسدى لداحس ورميه فى الماء حتى غلب
٣٤٨ قتل قيس لندبة بن حذيفة وقتل بنى بدر

صحيفة
مالك بن زهير
٣٤٩ عودة قيس الى الربيع بن زياد واتفاقهما
٣٥٠ اسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر وارادته قتله فمنعه بنو عبس
٣٥١ قتل الربيع مالك بن بدر وقتل حذيفة ولدى ريان
قتل حذيفة بن قيس وابن عمارة بن زياد وابن عمه غدراً
٣٥٢ وقعة الهباءة وقتل فيها حذيفة واخوه حمل ابن بدر
٣٥٣ وقعة ذات الجراجر
٣٥٤ محاربة عبس وشيبان
محاربة عبس واهل هجر فى الفروق
» » وكلب فى عرعر
» » وبنى ضبة
» » وبنى عامر
» » تيم الرباب
٣٥٥ مصالحة عبس وذبيان بواسطة هرم
يوم شعب جبلة ٣٥٣ يوم ذات نكيف
٣٥٨ ذكر الفجار الاول والثانى
٣٦٠ لطيمة النعمان وسبب الفتنة
٣٦١ ﴿اشتراك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حرب قريش وقيس﴾
٣٦٢ حرب عكاظ ٣٦٣ يوم ذى نجب
٣٦٤ يوم نعف قشاوة ٣٦٥ يوم الغبيط
٣٦٦ يوم لشيبان على بنى تميم ٣٦٧ يوم مبايض
٣٦٨ يوم الزويرين ٣٦٩ ذكر أسر حاتم طيئ
٣٧٠ يوم مسحلان ٣٧١ حرب لسليم وشيبان
٣٧١ يوم جدود
٣٧٢ يوم الايادوهو يوم أشاش ويوم العظالى
٣٧٤ يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس
٣٧٦ يوم النسار ٣٧٨ يوم الجفار
يوم الصفقة والكلاب الثانى
٣٧٩ سبب يوم الكلاب الثانى
٣٨٠ وصية اكثم بن صيفى فى الحرب
٣٨١ قتل عبد يغوث صبراً ورثائه نفسه

Marfat.com

صحيفة

بقصيدته الشهورة ٣٨٢ يوم ظهر الدهناء
٣٨٣ يوم الوقيط
٣٨٤ حل لغز الاعور ناشب بن بشاشة المنبرى
٣٨٥ يوم المروت ٣٨٧ يوم فيف الريح
٣٨٨ يوم اليحاميم و يعرف أيضاً بقارات حوق
٣٨٩ يوم ذى طلوح ٣٩٠ يوم اقرن
٣٩١ يوم السلان ٣٩٢ يوم ذى علق
٣٩٣ يوم الرقم ٣٩٤ يوم ساحوق
يوم اعيار . و يوم النقيعة
٣٩٥ يوم النبأة ٣٩٦ يوم الفرات
يوم بارق . يوم طخفة
٣٩٧ يوم النباج وثيتل ٣٣٨ يوم فلج ٣٣٣ يوم الشيطين
٤٠٠ أيام الأنصار . وهم الأوس والخزرج التى جرت بينهم
٤٠١ ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل العظيون ٤٠٢ مساعدة ملك غسان للانصار على اليهود حرب سمير
٤٠٣ ذكر حرب كعب بن عمرو المازنى
٤٠٤ حكاية زوجة أحيحة وتدليها من الحصن
٤٠٥ ذكر الحرب بين بنى عمرو بن عوف وبنى الحارث وهو يوم السرارة
٤٠٦ ماقيل فى هذه الحرب من الاشعار
٤٠٧ حرب الحصين بن الاسلت
٤٠٨ حرب ربيع الظفرى
٤٠٩ حرب فارع بسبب الغلام القظاعى

صحيفة

٤١٠ المجاوبة الشعرية لهذه الحرب
الصلح وذكر عامر بن الاطنابة له فى قصيدته
٤١١ حرب حاطب ٤١٢ سبب الحرب. اليهود
أخلاق اليهود وما انطووا عليه من الحقد
على العالم اجمع . يوم الربيع ٤١٣ يوم البقيع
٤١٤ حرب الفجار الاول للانصار
٤١٥ يوم معبس ومضرس
عقد الاوس الحلف مع قريش اثناء ذهابهم
الى مكة لاداء العمرة
نقض قريش حلف الاوس بخداع ابى جهل
٤١٦ يوم الفجار الثانى للانصار ٣١٧ يوم بعاث
٤١٧ قتل عمرو بن النعمان البياضى رئيس الخزرج
٤١٨ قتل حضير رئيس الأوس
٤١٩ ماقيل فى بعاث من الأشعار وافتخار
الأوسى بظفرهم
٤٢٠ ذكر غلبة ثقيف على الطائف
و الحرب بين الأحلاف و بنى مالك
٤٢٠ غلبة بنى عامر قبيلة عدوان على الطائف
إجارة بنى عامر ثقيفا الطائف بنصف الثمار
٤٢١ امتناع ثقيف عن أداء الاجارة واستقلالهم
بالطائف
٤٢١ محاربة الأحلاف و بنى مالك و بيان مواقعها
٤٢١ أول أطم بناه بالطائف مسعود بن معتب باشارة
أحيحة بن الجلاح سيد الأوس و بيد غلامه
٤٢٢ قصيدة محبر التى بين بها حروب الطائف

اصلاح الخطأ الواقع فى هذا الجزء

سطر	صحيفة	صواب	خطأ
٢٠	٥٣	مضر	مصر
٢٢	٦٧	لقب	بلف
١٨	١٦٨	الاشفانى	لاشفانى
٢٦	١٧٢	تخريف مابعده	تخريب مابعده
		تخريف	تخريب
٢٦	٢٣١	سلمان باك	سلمان باك
٢٣	٢٣٣	ابن جرير	ابن خلكان
١٦	٢٣٧	عميد	عميل
٥	٢٥٦	مرين	مرين
٢	٣٣١	ابن	بن
٢١	٣٣٦	رأى	وأى
٣	٣٥٠	ندبة	بدر
١	٣٥١	انهزمت	انهزم
١	٣٧٣	بهجر	نهجر
١٣	٤١٠	النعمان	اليمان
٨	٤١٢	الخزرج	الحزرج
٢٦	٤١٦	القاموس	مقاموس

(تنبيه) القولة رقم ٤ من صفحة ٤٠ تخص رقم ١ من صفحة ٤١ وقولة رقم ١ من ٣١ تخص ٣ من صفحة ٣٠

Marfat.com